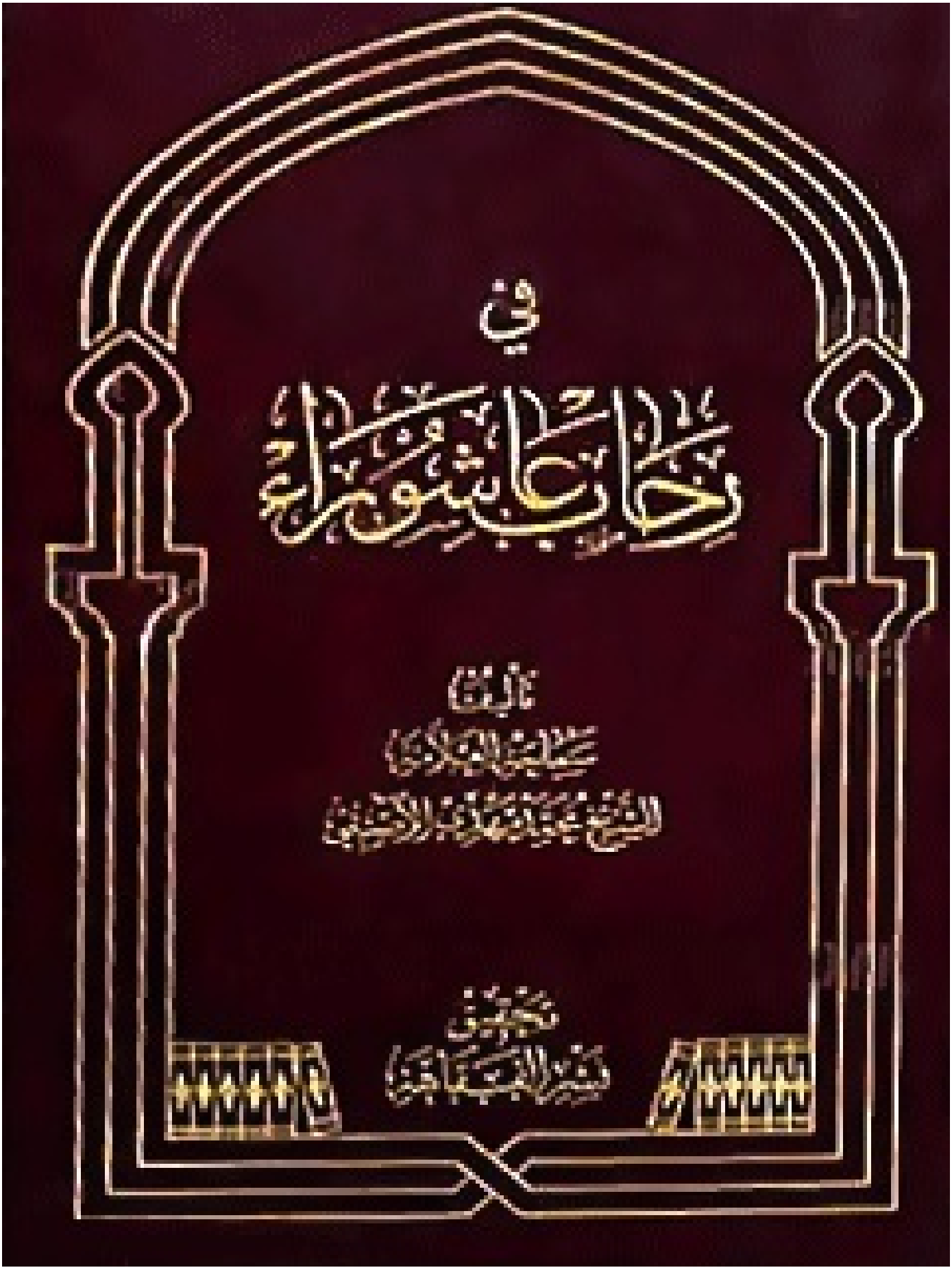
في
رحاب عاشوراء
تأليف
الشيخ محمد مهدي الآصفي
تحقيق
قسم الدراسات

بسم الله الرحمن الرحيم

فی رحاب عاشوراء

کاتب:

محمد مهدی آصفی

نشرت فی الطباعة:

دارالکتاب‌الاسلامی

رقمی الناشر:

مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة

الفهرس

الفهرس ----- ۵
فی رحاب عاشوراء ----- ۱۷
اشارة ----- ۱۷
مقدمة المؤلف ----- ۱۷
عاشوراء فی مرآة التاریخ ----- ۱۸
عاشوراء فی وعی الجمهور و وعی النخبة ----- ۱۸
موقف السلاطین والحکام من عاشوراء ----- ۱۸
عاشوراء مرآة للتاریخ ----- ۱۹
کل أرض کربلاء و کل یوم عاشوراء ----- ۲۲
ثارالله ----- ۲۳
رؤیة قرآنیة للنصر و الهزیمة ----- ۲۳
اشاره ----- ۲۳
الجذور اللغویة للثار ----- ۲۳
المعنی الاجتماعی للدم ----- ۲۴
الثار فی أسرة التوحید ----- ۲۴
ثارالله ----- ۲۵
موقع الثار فی الصراع الحضاری بین التوحید و الشرک ----- ۲۵
کربلاء الساحة النموذجیة للصراع بین الحق و الباطل ----- ۲۶
الضمانة الالهیة لدم الشهید ----- ۲۷
معنی النصر و الهزیمة ----- ۲۷
القیمة الذاتیة للشهادة ----- ۲۸
اشاره ----- ۲۸
رحلة الانسان الی الله ----- ۲۸

اشارة ----- ۲۸
دراسة للمنطلق و الغایة فی حرکة الانسان ----- ۲۹
اشاره ----- ۲۹
المنطلق ----- ۲۹
اشاره ----- ۲۹
الشهوات و الغرائز و الأهواء ----- ۳۰
اشارة ----- ۳۰
المغریات و المثیرات ----- ۳۰
اشاره ----- ۳۰
مثلث الابتلاء فی القرآن الکریم ----- ۳۰
اشاره ----- ۳۰
الهوی ----- ۳۰
الفتنة ----- ۳۱
الشیطان ----- ۳۲
اعراض التعلق بالدنیا فی نقطة الانطلاق ----- ۳۲
الغایة ----- ۳۳
اشاره ----- ۳۳
الطاعة و التسلیم و الذکر و الرجاء و الرهبة و الحب ----- ۳۳
کیف یأخذ الانسان و یعطی بالله؟ ----- ۳۳
الحرکة من الأنا الی الله ----- ۳۴
اشاره ----- ۳۴
التقوی و ذکر الله فی شطری الحرکة ----- ۳۴
التقوی للتحرر من الهوی ----- ۳۵
المقارنة بین الهوی و الطاغوت ----- ۳۵

الصیغة الایجابیة للتقوی ----- ۳۵
الشوط الثانی من حرکة الانسان ----- ۳۵
ذکر الله للعروج الی الله ----- ۳۶
المنهج الأخلاقی فی حرکة الانسان الی الله ----- ۳۷
و استعینوا بالصبر و الصلاة ----- ۳۷
ضریبة الحرکة الی الله ----- ۳۸
الشهادة اختزال للحرکة من الأنا الی الله ----- ۳۸
نقلة الحر من محور الطاغوت الی محور الله ----- ۳۸
نقلة زهیر من ولایة الطاغوت الی ولایة الله ----- ۳۹
القیمة الحرکیة للشهادة ----- ۴۰
اشاره ----- ۴۰
وقفة عند اشتقاق کلمة الشهید ----- ۴۰
الشهید مقیاس للتقییم ----- ۴۰
هذه الامة شهیدة علی سائر الامم ----- ۴۱
و رسول الله شاهد علی هذه الامة ----- ۴۱
عودة الی مصطلح الشهید ----- ۴۱
التوجیه ب(التثقیف) و القدوة ----- ۴۱
القدوة و الأسوة علی طریق ذات الشوکة ----- ۴۲
الشهید قدوة ----- ۴۳
الوعی و العطاء ----- ۴۳
ضحایا انعدام الوعی ----- ۴۴
العطاء ----- ۴۴
التخلف فی الوعی و العطاء ----- ۴۵
الطاقة الحرکیة لدم الشهید ----- ۴۶

دم الشهید یوسع رقعة التضحیة داخل الامة ----- ۴۷
دم الشهید یحسم الخلاف و یقطع التردد ----- ۴۷
الامداد الغیبی و الضمان الالهی لدم الشهید ----- ۴۸
رحلة الشهادة فی القرآن الکریم فی سورتی التوبة و آل عمران ----- ۴۸
اشاره ----- ۴۹
آیة التوبة ----- ۴۹
اشاره ----- ۴۹
البیع و الشراء ----- ۴۹
النقلة الکاملة ----- ۴۹
امثلة عن النقلة الکبری فی حیاة المسلمین الاولی ----- ۵۰
تکریم الانسان بالبیع و الشراء ----- ۵۰
البیعة ----- ۵۱
البیعة التجرد الکامل عن الأنفس و الأموال ----- ۵۱
البیعة میثاق (الدعوة) و الدولة ----- ۵۱
البیعة طاعة و تضحیة ----- ۵۲
آیة البیعة ----- ۵۲
اشارة ----- ۵۲
اربع بیعات فی حیاة رسول الله ----- ۵۳
اشاره ----- ۵۳
البیعة ۱ ----- ۵۳
البیعة ۲ ----- ۵۳
البیعة ۳ ----- ۵۴
البیعة ۴ ----- ۵۴
یقاتلون فی سبیل الله ----- ۵۴

حتیمة القتال فی مسیرة الدعوة ----- ۵۴
المواجهة المصیریة بین الاسلام و الجاهلیة ----- ۵۵
العلاقة العضویة بین أطراف الجاهلیة ----- ۵۵
شراسة الجاهلیة فی صراعها مع الاسلام ----- ۵۵
الایمان بالله یساوی النخلی عن الأنفس و الأموال ----- ۵۶
وثیقة البیع ----- ۵۶
و الثمن هو الجنة ----- ۵۷
الفوز العظیم ----- ۵۷
صفة الذین باعوا أنفسهم لله ----- ۵۸
آیة آل عمران ----- ۵۸
اشاره ----- ۵۸
الحیاة الطیبة ----- ۵۸
اعلی درجات القرب من الله ----- ۵۹
یرزقون ----- ۶۰
فرحین بما آتاهم الله من فضله... ----- ۶۱
و یستبشرون بالذین لم یلحقوا بهم من خلفهم... ----- ۶۱
لا خوف و لا حزن ----- ۶۱
رحلة الشهادة فی السنة الشریفة ----- ۶۲
باقة عطرة من الحدیث الشریف فی قیمة الشهید ----- ۶۲
خطاب الاستنصار الحسینی ----- ۶۵
الاستعراض، و الدلالات ----- ۶۵
اشارة ----- ۶۵
الاستنصار الحسینی ----- ۶۵
اشاره ----- ۶۶

الاستعراض ----- ۶۶
نماذج من الاستنصار الحسینی ----- ۶۶
فی المدینة ----- ۶۶
فی مکة ----- ۶۶
فی الحاجر ----- ۶۸
فی زرود ----- ۶۸
فی قصر بنی مقاتل ----- ۶۹
فی منزل شراف ----- ۶۹
فی منزل البیضة ----- ۷۰
فی کربلاء ----- ۷۰
اشارة ----- ۷۰
یوم عاشوراء ----- ۷۱
اشاره ----- ۷۱
الاستنصار الأول یوم عاشوراء ----- ۷۱
الاستنصار الثانی فی یوم عاشوراء ----- ۷۲
الاستغاثه الأخیرة الحسین یوم عاشوراء ----- ۷۲
استنصار زهیر یوم عاشوراء ----- ۷۳
الدلالات ----- ۷۳
الدلالات الاربعة لخطاب الاستنصار الحسینی ----- ۷۳
اشاره ----- ۷۳
المضمون السیاسی لخطاب الاستنصار الحسینی ----- ۷۴
المضمون الحرکی لخطاب الاستنصار الحسینی ----- ۷۴
اشاره ----- ۷۴
المؤامرة الامویة علی دم الحسین ----- ۷۵

عودة الی الدلالة الحرکیة للخطاب الحسینی ----- ۷۶
المضمون الولائی لاستنصار الحسین ----- ۷۶
اشاره ----- ۷۶
البعد العمودی من شبکة الولاء ----- ۷۷
اشارة ----- ۷۷
البعد الافقی من شبکة الولاء ----- ۷۷
اشاره ----- ۷۷
الصیغة التوحیدیة فی شبکة الولاء ----- ۷۷
مقومات الولاء فی البعد الافقی ----- ۷۷
الولاء و الایمان الحق ----- ۷۸
خصائص و آثار شبکة الولاء ----- ۷۸
استنصاران للحسین فی قصر بنی مقاتل ----- ۷۹
الاستنصار لاتمام الحجة ----- ۸۰
تنوع الخطاب الحسینی ----- ۸۰
المعنی الشمولی لخطاب الحسین ----- ۸۱
اشاره ----- ۸۱
التلبیة ----- ۸۱
حرکتان فی التاریخ النصر و الثار ----- ۸۲
اشاره ----- ۸۲
تفسیر و تحلیل جملة من المضامین الواردة فی خطاب ----- ۸۳
الاستنصار الحسینی ----- ۸۳
الولاء و البراءة فی مرآة عاشوراء ----- ۸۵
اشاره ----- ۸۵
توحید الولاء ----- ۸۵

عناصر الولاء ----- ۸۵
قیمة الولایة ----- ۸۶
الولایة و مسألة الحاکمیة و السیادة ----- ۸۶
البراءة و المفاصلة ----- ۸۷
المواصلة و المفاصلة فی المجتمع الاسلامی ----- ۸۷
التوحید و الشرک فی الولاء ----- ۸۷
مصدر الحاکمیة فی حیاة الانسان هو الله ----- ۸۸
التحدی و الصراع ----- ۸۸
الاستضعاف و الاستکبار ----- ۸۹
خصائص الصراع ----- ۸۹
عاشوراء مسرح للولاء و البراءة ----- ۹۰
عاشوراء یوم الفرقان ----- ۹۱
الفاصل الحضاری بین المعسکرین فی عاشوراء ----- ۹۱
وحدة الولاء و البراءة فی زیارة وارث ----- ۹۲
مشاهد الولاء فی زیارة وارث ----- ۹۳
السلام فی النفس و المجتمع ----- ۹۳
الشهادة للحسین بامامة المسیرة ----- ۹۳
الموقف ----- ۹۴
معکم، معکم ----- ۹۵
البراءة ----- ۹۵
ولاء الأعور ----- ۹۵
الطوائف الثلاثة الملعونة ----- ۹۶
الطائفة الثالثة الشریحة الراضیة ----- ۹۷
عاشوراء، یوم الفرقان ----- ۹۷

ابعاد و امتدادات المواجهة ليوم الفرقان ۹۸
يوم الفرقان الثانی فی تاريخ الاسلام ۹۸
يوم الفرقان الثالث فی تاريخ الاسلام ۹۸
انتصار الثورة الاسلامية منطلق ثورى، و قيمة حضارية ۹۹
تراكم من الفعل و الحراب الفعل و الانفعال ۱۰۰
محاولات لأقلمة الثورة ۱۰۰
التفاعلات التی كانت تجرى فی الأعماق غير المرئية لهذه الامة ۱۰۰
الولاء و البراءة بعد الثورة ۱۰۱
حتمية الصراع ۱۰۱
والعاقبة للمتقين ۱۰۲
ليحق الحق بكلماته و يقطع دابر الكافرين ۱۰۲
تداول النصر و الهزيمة فی ساحة المعركة ۱۰۳
تمحيص و تهذيب المسيرة فی المجتمع ۱۰۳
متی يتخذ الله الشهداء فی هذه الامة قيمين على المسيرة؟ ۱۰۴
التمحيص و التهذيب داخل النفوس ۱۰۴
درجات المؤمنين فی الجنة على قدر معاناتهم فی الدنيا ۱۰۴
دولة الموطئين ۱۰۴
المتخلفون عن ثورة الامام الحسين ۱۰۵
الضحاک بن عبدالله المشرقی ۱۰۵
الصراع فی مرحلتی التنزيل و التأويل ۱۰۵
شريحة المتخلفين عن الصراع ۱۰۶
خبر الضحاک بن عبدالله المشرقی ۱۰۶
اشاره ۱۰۶
تأملات فی خبر الضحاک ۱۰۷

اشاره ----- ۱۰۷
الاعتذار ----- ۱۰۸
اشاره ----- ۱۰۸
وجها الحیاة الدنیا ----- ۱۰۸
کیف تتحول العوائق الی منطلقات؟ ----- ۱۰۹
مقارنة بین زهیر بن القین و الضحاک ----- ۱۰۹
الاستجابة المشروطة ----- ۱۱۰
اشاره ----- ۱۱۰
العلاقة بین العمل و الجزاء ----- ۱۱۱
و هاتان طائفتان من الناس ----- ۱۱۱
التحلل من الالتزام ----- ۱۱۲
اشاره ----- ۱۱۲
التزام و حل ----- ۱۱۲
الجسر الذی مده الضحاک الی الدنیا من عمق الطف ----- ۱۱۴
قیمة الوارثة فی حیاة الانسان ----- ۱۱۵
تأملات فی زیارة وارث ----- ۱۱۵
تمهید ----- ۱۱۵
اشاره ----- ۱۱۵
القیمة التکوینیة للوراثة ----- ۱۱۵
اشاره ----- ۱۱۵
دراسة فی الشریحة الحضاریة ----- ۱۱۵
البعد الافقی و البعد العمودی لکل حضارة ----- ۱۱۶
التبادل و التفاعل بین عناصر الحضارة الواحدة ----- ۱۱۶
الاعماق الحضاریة ----- ۱۱۶

عراقة الميراث الحضارى ----- ۱۱۶
التبنى الجمعى و العمق الحضارى لفريضتى الصلاة و الحج ----- ۱۱۷
الاطار الاجتماعى للشعائر الاسلامية ----- ۱۱۷
يدالله على جماعة المسلمين ----- ۱۱۸
الاطار التاريخى للشعائر الاسلامية ----- ۱۱۸
وحدة المسيرة و وحدة المعاناة و وحدة الثواب ----- ۱۱۸
المواريث الحضارية و المواريث المدنية ----- ۱۱۹
مواقع الثورة و المناعة فى حياة الامة ----- ۱۲۰
المحافظة على المواريث الحضارية ----- ۱۲۰
السنة و البدعة ----- ۱۲۱
بين التقليد و الثوابت ----- ۱۲۲
الثوابت و الفطرة و الصبغة ----- ۱۲۳
القيمة الايحائية والتربوية للوراثة ----- ۱۲۴
اشاره ----- ۱۲۴
كرامة الاسرة و موقعها الاجتماعى ----- ۱۲۴
موقف الحسين من البيعة ليزيد ----- ۱۲۵
الحسين فى يوم عاشوراء ----- ۱۲۶
محمد بن أبى عمير فى سجون العباسيين ----- ۱۲۶
الابعاد السياسية و الحركية لثورة الامام الحسين ----- ۱۲۹
اشاره ----- ۱۲۹
العامل السياسى ----- ۱۲۹
اشاره ----- ۱۲۹
الخيار الثالث ----- ۱۳۰
الخيارات الثلاثة ----- ۱۳۲

العامل الحرکی ----- ۱۳۳
اشاره ----- ۱۳۳
التحذیر من الخروج الی العراق ----- ۱۳۵
عاشوراء ود و قدوة ----- ۱۳۷
ود یقذفه الله فی قلوب المؤمنین، و قدوة فی حیاتهم ----- ۱۳۷
اشاره ----- ۱۳۷
الود الذی یجعله الرحمن للذین آمنوا ----- ۱۳۸
عاشوراء قدوة للجمهور فی حرکته الی الله ----- ۱۳۸
عصمة الامام ----- ۱۳۹
اشاره ----- ۱۳۹
لن یکون الظالم اماما للناس ----- ۱۳۹
الدعوة الی الاقتداء بالصالحین ----- ۱۴۰
العناصر الثلاثة الضروریة فی الحرکة ----- ۱۴۰
شهادة رسول الله، و الامة الشاهدة ----- ۱۴۰
الامة الشاهدة معیار للقیاس ----- ۱۴۱
پاورقی ----- ۱۴۳
تعریف مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة ----- ۱۶۳

فی رحاب عاشوراء

اشارة

سرشناسه : آصفی، محمد مهدی، ۱۳۱۷ -

عنوان و نام پدیدآور : فی رحاب عاشوراء / محمدمهدی الآصفی .

مشخصات نشر : قم : دارالکتاب الاسلامی ، ۱۳۸۸.

مشخصات ظاهری : ۵ ج.

شابک : دوره ۹۷۸۹۶۴۴۶۵۲۹۵۰ : ؛ ج. ۹۷۸۹۶۴۴۶۵۲۹۰۵۱ : ؛ ج۲۹۱۲۲-۴۶۵-۹۶۴-۹۷۸ : ؛ ج . ۹۳-۲۹۲-۴۶۵-۹۶۴-۹۷۸ : ؛ ج . ۴ ۲۹۳۶-۴۶۵-۹۶۴-۹۷۸ : ؛ ج . ۲۹۴۳۵-۴۶۵-۹۶۴-۹۷۸ :

وضعیت فهرست نویسی : فیپا

یادداشت : عربی

یادداشت : چاپ قبلی : موسسه نشر الفقاهه، ۱۴۱۹ق. = ۱۳۷۷

یادداشت : کتابنامه

یادداشت : واژه‌نامه

موضوع : حسین‌بن علی (ع)، امام سوم ،۴- ۶۱ق.

موضوع : عاشورا -- نتایج و تاثیرات

موضوع : واقعه کربلا، ۶۱ق -- .نتایج و تاثیرات

رده بندی کنگره : BP۴۱/۷۵/آ۶ف۹ ۱۳۸۸

رده بندی دیویی : ۲۹۷/۹۵۳۴

شماره کتابشناسی ملی : ۱۷۹۰۴۴۳

مقدمة المؤلف

هذه الحلقة الثانیة من کتاب (وارث الأنبیاء علیهم‌السلام) تحدثت فیها عن (ثقافة عاشوراء)، و هی ثقافة (الصراع) و (التحدی) و (العمل).و نحن الیوم فی ساحة مواجهة و صراع و تحدی.و هذه الثقافة التی ورثناها من الحسین علیه السلام، و التی ورثها الحسین علیه السلام من الأنبیاء علیهم‌السلام، هی من أهم ما یجب أن نقدمه لشبابنا فی هذه الساحة.فان ثقافة الصراع و المواجهة من أهم أسباب مقاومة (الفئة القلیلة المستضعفة، للفئة المستکبرة و الظالمة)، و من دون هذه الثقافة لا نتمکن أن نحقق أهداف رسالة الله فی هذه المعرکة الضاربة بین التوحید و الشرک.و هذه الثقافة نجدها فی القرآن، و فی یوم عاشوراء.و یوم عاشوراء حافل بثقافة المواجهة و التحدی و المقاومة و الصبر، و تجسید لما فی القرآن من وعی و ثقافة فی هذا الشأن.و فی (رحاب عاشوراء) نجد نحن الکثیر مما نحتاجه من وعی المعرکة و المواجهة.و یوم عاشوراء مرآة صافیة للتاریخ، نری من خلال هذه المرآة صراع الحق و الباطل، و مقاومة الحق و اندحار الباطل، و قیم الحق و سقوط [صفحه ۶] الباطل، و سنن الله فی هذا الصراع.و لابد أن یتناول (المنبر الحسینی) المعاصر هذه الدروس التی نستوحیها من یوم عاشوراء، بصورة تحلیلیة دقیقة تتطابق مع حیاتنا السیاسیة المعاصرة، و صراعنا السیاسی و الحضاری.و هذه المقالات التی یجمعها هذا الکتاب، محاولة بهذا الصدد. أسأل الله تعالی، أن ینفع به المنبر الحسینی الذی لا یزال سراجا لجمهورنا، و نبراسا لهم فی صراعهم مع الباطل، و رفضهم لسلطان الظلم.محمد مهدی الآصفیقم المقدسة۱ رجب ۱۴۱۹ ه. ق [

صفحه ۹]

عاشوراء فی مرآة التاریخ

عاشوراء فی وعی الجمهور و وعی النخبة

فیما یلی نحاول أن نقف وقفة تأمل فی رحاب یوم عاشوراء، و نبحث عن العناصر و القیم و الآفاق الواسعة لهذا الیوم العجیب، هذه الساعات القلیلة و المعدودة من یوم العاشر من محرم تنطوی علی آفاق واسعة جدا و علی معانی و قیم تستحق أن یتوقف الانسان عندها طویلا و یتأمل فیها کثیرا.هذه الآفاق لم تلق بعد العنایة الکافیة من قبل الباحثین و المفکرین الذین أولوا (عاشوراء) اهتمامهم، رغم کثرة الدراسات و الأبحاث و الجهود الفکریة التی تصب فی الأحداث التی جرت علی أرض کربلاء یوم العاشر من محرم من سنة(۶۱ ه ق).و اننی لا- أشک أن وعی الجمهور لعاشوراء و عمقه و آفاقه أکثر بکثیر من وعی المفکرین الذین تناولوا هذا الیوم العجیب من التاریخ بالدراسة و البحث.ان الذی یدرکه جمهور الناس بوعیه الفطری، شیء أعمق بکثیر ما یتلقاه الباحثون و المفکرون من هذا الیوم، ولو أمعنا النظر فی وعی الجمهور لیوم [صفحه ۱۰] عاشوراء، وجدنا أن الجمهور یسبق الباحثین و المفکرین فی وعی هذا الیوم و آفاقه الواسعة و ما ینطوی علیه من القیم و المفاهیم.و أنا من الذین یثقون بوعی الجمهور المؤمن و حسه المرهف الدقیق فی التشخیص و التقییم. و أعارض الذین ینتقصون من وعی الجمهور المؤمن و فهمه و تشخیصه. فالجمهور یملک حسا مرهفا و وعیا فطریا و بصیرة نافذة - فی حالات السلامة و الصحوة - لا- یملکه اولئک الذین یتتبعون الأحداث من خلال التأملات الفکریة و الدراسات العلمیة.و هذا الحس الفطری المرهف یجعل الجمهور سباقا الی درک و وعی هذه الآفاق الربانیة فی حیاة الانسان. و کثیرا ما یتفق أن الباحثین و المفکرین یتتبعون خطی الجمهور و یقتفون أثره فی الوعی و التفسیر و التشخیص. و مع ذلک فان الوعی الفطری للجمهور یبقی محتفظا لنفسه بقدرة کبیرة جدا علی التشخیص، و التقسیم، و نفاذ البصیرة تقصر عنه أفکار و تفسیرات الباحثین و المفکرین.و هذا هو ما یتراء ی لی فعلا- فی (عاشوراء). فکلما یمعن الانسان النظر فی التعاطف الوجدانی الکبیر من قبل جماهیر المسلمین مع حادث الطف فی یوم عاشوراء، و قیاس ذلک الی التفسیر و التقییم العلمی المطروح علی الصعید الفکری... یزداد ایمانا بأن الجمهور کان أقدر علی استیعاب الآفاق الواسعة لهذا الیوم من الباحثین و المفکرین و الذین تناولوا هذا الموضوع الخطیر بالدراسة و البحث.و یبدو أن الحس الفطری لدی الجمهور المؤمنین، أسرع الی فهم و وعی الحقائق من اولئک الباحثین الذین یعتمدون (عصا) التفسیر و التحلیل العلمی بالوسائل العلمیة المعروفة، و یری الجمهور فی حالة سلامة الفطرة بنور الله ما لا یراه غیره. [صفحه ۱۱] و هذا ما نراه فعلا من حیویة (عاشوراء) فی وجدان جمهور المسلمین و عواطفهم، و تفاعل الجمهور الواسع و العمیق مع عاشوراء خلال هذه الفترة الطویلة و التی تزید علی ثلاثة عشر قرن من الزمان و علی هذه المساحة الواسعة من الأرض و هذا أمر فوق العادة بالتأکید... و لا ینبغی أن نمر علیه مرورا سریعا من دون وقفة تأمل و تفکیر.و لا نعرف نحن الی الآن حدثا یستقطب عواطف جماهیر المسلمین بهذه الصورة من القوة و الفاعلیة کعاشوراء و لا نعرف أمرا فی حیاة المسلمین یستقطب الجماهیر بهذه الصورة الواسعة و القویة الا الحج...و قد روی عن رسول الله صلی الله علیه وآله أنه قال: (ان لقتل الحسین حرارة فی قلوب المؤمنین لا تبرد أبدا) [۱] .

موقف السلاطین والحکام من عاشوراء

و لأمر ما کان یحس السلاطین و الملوک ان فی مظاهر الحزن و الحداد علی الامام الشهید شیئا یضرهم و یسیء الی سلطانهم و ملکهم، و کانوا یواجهون الجمهور الحسینی بالجفاء و الانکار و أحیانا بالارهاب و المطاردة تماما کما کان الجمهور یشعر أن فی قضیة الحسین علیه السلام شیئا یرتبط بمصیره و مصیر الاسلام... و فی تاریخنا منذ العصر الأموی و عبر العصر العباسی الی الیوم الکثیر

من الأمثلة على تنكر السلاطين و امتعاضهم من اقبال الجمهور على زيارة الحسين و التعاطف مع قضية الحسين حتى بلغ الأمر أن هارون الرشيد أمر بهدم القبر [صفحه ۱۲] الشريف و كربه [۲] كما أمر المتوكل العباسى بهدم القبر و ما حوله من المنازل و الدور و أن يبذر و يسقى موضع القبر و يمنع الناس من الزيارة [۳] ... و مع كل هذه الضغوط السياسية و الارهاب الذى كان يمارسه السلاطين بشأن قضية الحسين و عاشوراء، فان عاشوراء كانت تتفاعل و لا تزال مع عواطف الجماهير و مشاعرهم فى حركة تصاعدية.و قد وضع علماء البلاط الاموى أخبارا و أحاديث كثيرة فى يوم عاشوراء، و أنه يوم بركة (ليعدل الناس كما يقول الامام الصادق عليه السلام من الجزع و البكاء و المصيبة و الحزن فى هذا اليوم الى الفرح و السرور و التبرك) و قد بذل حكام بنى‌امية لذلك الجوائز و الهدايا. [۴] .و مع كل هذه الضغوط السياسية بشأن هذا اليوم و بشأن قضية الطف فقد بقت (عاشوراء) تتفاعل مع عواطف الجماهير و مشاعرهم فى حركة تصاعدية يستلمها جيل من جيل، و تنتقل من جيل الى جيل بنفس الحيوية و القوة و تضيف اليها الأجيال المقبلة الكثير من عواطفها و مشاعرها و أحاسيسها.و لا أكاد أتصور أن هذا التعاطف العميق و الواسع من قبل جماهير المسلمين فى رقعة واسعة من الأرض و عبر تاريخ طويل تتكون و تستمر و تشق طريقها عبر مضايقات الحكام و السلاطين... من دون أن يكون الجمهور قد وجد – بوعيه الفطرى – فى هذه الساعات القليلة من يوم عاشوراء من الآفاق الواسعة، [صفحه ۱۳] و الصور، و المعانى، و القيم المخبوءة ما لم يتمكن من التقاطه و تسجيله و رسمه أقلام الباحثين و المفكرين.فلا يسعنا أن نفهم مثل هذا التعاطف الجماهيرى الواسع مع عاشوراء دون أن نقبل أن الجمهور قد تمكن أن يرى فى هذا اليوم – بحسه الفطرى – ما لم تتمكن الدراسات العلمية أن تسجله و ترسمه فى هذا اليوم. و الحجم المطروح لعاشوراء من قبل الباحثين و العلماء لا يناسب بالتأكيد هذا التعاطف و التفاعل الواسع من قبل الجماهير. و هذا هو الذى يدعو الى القول بأن الجمهور له دور السبق فى اكتشاف آفاق (عاشوراء). و الباحثون الذين عملوا فى تحليل و تفسير أحداث هذا اليوم كانوا يتحركون من وراء الجمهور، و يضعون خطاهم فى التحليل و التفسير موضع خطى الجمهور.و ليس فى هذا ضير، اذا كانت أقلام الباحثين قادرة على متابعة و ملاحقة الجمهور فى وعيه و دركه للقضية الحسينية، و انما البأس أن تتوقف أقلام الباحثين و أفكارهم عن اكتشاف و تسجيل ما اكتشفه الجمهور من الآفاق الرحبة لعاشوراء بحسه الفطرى.

عاشوراء مرآة للتاريخ

من خلال هذا اليوم و ساعاته القليلة الحاشدة بالأحداث الكبيرة... يقرأ الناس التاريخ البشرى كله، و من خلال هذا اليوم نقرأ سنن الله فى التاريخ، و نفهم كيف تسقط أمة، و يستدرجها الله تعالى، و يعذبها، و يهلكها، و كيف يستبدلها بأمة اخرى. و كيف تسمو امة فى التاريخ، و تسقط اخرى، و كيف يجرى الله قانون الابتلاء على أمة فيضيق عليها لتنمو و تبلغ رشدها، و كيف يستدرج امة اخرى [صفحه ۱۴] ليحل عليها العذاب و النقمة، و كيف يكون استبدال هذا بذاك.(عاشوراء) مرآة صافية للتاريخ تعكس التاريخ بصورة صادقة و أمينة... و من خلال قراءة هذا اليوم يستطيع أن يقرأ الناس حركة التاريخ كلها منذ خلق الله تعالى الانسان على وجه الأرض الى اليوم.ذلك أن التاريخ هو مجموعة (السنن الالهية) فى حركة الانسان و صعوده و سقوطه. و لا يجرى فى التاريخ شىء بصورة اعتباطية و عفوية، و انما يجرى كل شىء بموجب سنن و قوانين دقيقة و بالغة فى الدقة، كما يجرى التغيير فى الفيزياء و الكيمياء و الميكانيك تبعا لمجموعة من القوانين و السنن الخاصة بهذه الحقول. [۵] .و الذى يفهم هذه القوانين و السنن بشكل دقيق يفهم التاريخ و حركته و ما يجرى فى هذه الحركة من هبوط و صعود و من هلاك و استبدال للأمم.و الصراع بين الحق و الباطل و بين جند الله و جند الشيطان هو المرآة التى تعكس هذه السنن و القوانين بصورة دقيقة و كاشفة.ذلك أن (الصراع بين الحق و الباطل و حزب الله و حزب الشيطان) هو العامل الأكبر تأثيرا فى حركة التاريخ، بخلاف النظرية الماركسية التى تعتبر (الصراع الطبقى) هو العامل المحرك للتاريخ. [۶] و التاريخ يتلخص فى معظم جوانبه فى هذا الصراع الذى يقود طرفا منه الأنبياء و المرسلون و يقود الطرف الآخر أئمة الكفر. [صفحه ۱۵] و الصراع الطبقى حقيقة قائمة فى ساحة التاريخ لا ننفيها ولكنه لا يعتبر العمود الفقرى للتاريخ، و انما يحتل

جانبا من جوانب حرکة التاریخ، و مهما کانت قیمة هذه المساحة التی یحتلها الصراع الطبقی فی تاریخ الانسان فلن یعتبر العمود الفقری للتاریخ، ولسنا الآن بصدد اثبات هذه الحقیقة القرآنیة. فالتاریخ - اذن - یتلخص فی معظم جوانبه فی هذا الصراع التاریخی الذی یقود طرفا منه الأنبیاء و المرسلون و المؤمنون، و یقود الطرف الآخر الطاغوت و أولیاءه.و فی هذا الصراع التاریخی یبرز أهم خصائص حرکة التاریخ، و تتکشف للانسان جوانب واسعة من التاریخ لا یکاد یراها الا فی هذا الجو من الصراع بین أولیاء الله و أولیاء الشیطان.ذلک أن الصراع یستخرج بصورة قویة خصائص کل أمة و کل فئة من الناس و یبرزها علی حقیقتها، و یفرز الناس الی فئتین متمایزتین فقد تنزع الأمة المؤمنة فی حالات الیسر و الرفاه الی الدعة و الترف و ایثار العافیة فی حیاتها و تنسی ذکر الله عزوجل - فاذا حل بها الابتلاء نزعت الی الله نزولا قویا و قطعت ما بینها و بین هذه الدنیا من أسباب - و ذلک - قوله تعالی: (و ما أرسلنا فی قریة من نبی الا أخذنا أهلها بالبأساء و الضراء لعلهم یضرعون) [۷] و العکس أیضا صحیح، فقد یتمکن المنافقون و المتخلفون و أولیاء الشیطان من اخفاء حقیقتهم، و ما تستبطن نفوسهم من حب الدنیا و الانقیاد للأهواء و الولاء للطاغوت و الخوف و الضعف فی ساعات الیسر و الأمن... فاذا جد الجد و وقعت المواجهة و الصدام طفح علی حیاتهم ما کانوا یستبطنونه من خوف و نفاق. [صفحه ۱۶] یقول تعالی: (قد یعلم الله المعوقین منکم و القائلین لاخوانهم هلم الینا و لا یأتون البأس الا قلیلا أشحة علیکم فاذا جاء الخوف رأیتهم ینظرون الیک تدور أعینهم کالذی یغشی علیه من الموت فاذا ذهب الخوف سلقوکم بألسنة حداد أشحة علی الخیر اولئک لم یؤمنوا فأحبط الله أعمالهم و کان ذلک علی الله یسیرا). [۸] .فیکشف الصراع الخصائص الحقیقیة لکل أمة من الناس، و یفرز الناس الی محورین متمیزین و یعکس التناقضات القائمة فی حیاة الناس، و یعکس السنن الالهیة التی تجری فی حیاة الناس و حرکتهم و صعودهم و هبوطهم و سقوطهم و استبدالهم بامم اخری... فان هذه السنن جمیعا - أو فی معظمها - تجری فی جو الصراع بین الحق و الباطل بقوة و وضوح أکثر من أیة حالة أخری.و لنقرأ هذه الآیات المبارکات من سورة الأحزاب لنجد کیف تهتز النفوس الضعیفة فی القتال، و کیف یجری فیها الزلزال و کیف تزیغ الأبصار و تنقلب القلوب المؤمنة التی لم یستقر فیها الایمان الی الظن بالله. و کیف یکشف القتال المنافقین، و یلقی علیهم الضوء، بعد أن کانوا یخفون أنفسهم فی صفوف المسلمین،... و مع ذلک کیف تتدخل المشیئة الالهیة لاسناد و دعم القلة المؤمنة الثابتة فی هذه الساعات العسرة و الحرجة.(یأیها الذین آمنوا أذکروا نعمة الله علیکم اذ جاء تکم جنود فأرسلنا علیهم ریحا و جنودا لم تروها و کان الله بما تعملون بصیرا اذ جاء وکم من فوقکم و من أسفل منکم و اذ زاغت الأبصار و بلغت القلوب الحناجر و تظنون بالله الظنون هنالک ابتلی المؤمنون و زلزلوا زلزالا شدیدا و اذ یقول المنافقون و الذین فی قلوبهم مرض ما وعدنا الله و رسوله الا غرورا و اذ قالت طائفة منهم یا أهل یثرب لا مقام [صفحه ۱۷] لکم فارجعوا و یستأذن فریق منهم النبی یقولون ان بیوتنا عورة و ما هی بعورة ان یریدون الا فرارا) [۹] .تری کیف یکشف القتال و الصراع المنافقین. و کیف یدخل النفوس فی ساعة القتال الظن و الریب، و کیف یهتز المؤمنون - الضعاف - من الأعماق. و کیف یتحول دور المنافقین فی ساعة واحدة الی التهریج و التثبیط.و فی مقابل هؤلاء الصادقون من المؤمنین الذین تطمئن نفوسهم الی الله، و یثبتون للأعاصیر و العواطف و لا یدخل نفوسهم شک أو ریب، مهما اکفهرت الأجواء و مهما ضاقت الاحوال.(و لما رأی المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله و رسوله و صدق الله و رسوله و ما زادهم الا ایمانا و تسلیما من المؤمنین رجال صدقوا ما عاهدوا الله علیه فمنهم من نحی و منهم من ینتظر وما بدلوا تبدیلا لیجزی الله الصادقین بصدقهم و یعذب المنافقین ان شاء أو یتوب علیهم...) [۱۰] .و تتدخل المشیئة الالهیة، و یؤید المؤمنین بجنود لم یروها:(... اذکروا نعمة الله علیکم اذ جاء تکم جنود فأرسلنا علیهم ریحا و جنودا لم تروها...). [۱۱] .و یرد الله الذین کفروا بغیظهم، و یقذف فی قلوبهم الخوف، و یورث المؤمنین أرضهم و دیارهم:(ورد الله الذین کفروا بغیظهم لم ینالوا خیرا و کفی الله المؤمنین القتال و کان الله [صفحه ۱۸] قویا عزیزا و أنزل الذین ظاهروهم من أهل الکتاب من صیاصیهم و قذف فی قلوبهم الرعب فریقا تقتلون و تأسرون فریقا و أورثکم أرضهم و دیارهم و أموالهم و أرضا لم تطؤها و کان الله علی کل شیء قدیرا). [۱۲] .کل ذلک یتم فی أجواء الصراع و المواجهة و القتال. تهتز النفوس، و یصیبها الزلزال، و یکشف النفاق عن نفسه، و یجد المنافقون فرصة

للتهریج و التثبیط. و تثبت النفوس المؤمنة. و تطمئن الی وعد الله، و ینزل الله تأییده و نصره علی المؤمنین، و یقذف فی قلوب الذین کفروا الرعب و الخوف، و یهلکهم بأیدی المؤمنین، و یورث المؤمنین أرضهم و دیارهم... کل هذه التحولات، و الانقلابات، و السنن، و القوانین، و الصعود، و السقوط، و الثبات، و الانهیار یحدث فی ساحات المواجهة و القتال... و کل هذه الحرکة القویة التاریخیة و السنن و القوانین الالهیة، و الفرز، و التفریق، و الکشف یتم فی جو الصراع.اذن، الصراع الحضاری بین الحق و الباطل یکاد أن یکون نموذجا ممثلا لمساحة التاریخ و للسنن الالهیة الجاریة فی هذه المساحة بشکل کامل أو غالب. و ما یجده الانسان فی امتداد التاریخ الطویل و عرضه العریض. یجده بصورة مختزلة و مصغرة فی الصراعات الحضاریة الحقیقیة التی یقف جند الله فی مواجهة جند الشیطان.... تماما کما أن قدحا من ماء المحیط یستطیع أن یعکس لنا بصورة مصغرة و مختزلة معظم الخصائص الموجودة فی میاه المحیطات الکبیرة من التبخیر و التجمید و التموج و التحرک و ما یرسب فیه من الأحسام و ما یعوم فیه، و قانون المد و الجزر و العناصر التی تشکل الماء و ما الی ذلک من الخصائص الکیمیاویة [صفحه ۱۹] و الفیزیاویة لمیاه المحیطات، و المطالعة الدقیقة لقدح من الماء تغنی عن مطالعة المحیطات الواسعة فی معظم الخصائص الکیمیاویة و الفیزیاویة لمیاه البحار.و ما یصح عن قانون الاختزال و التمثیل فی الفیزیاء و الکیمیاء یصح فی التاریخ و المجتمع.فان شریحة ممثلة من المکان و الزمان یمکن أن تعکس معظم الخصائص و السنن القائمة فی التاریخ و المجتمع.و انما نقول شریحة زمانیة و مکانیة ممثلة، لأن من الشرائح الزمانیة و المکانیة و الاجتماعیة ما لا یحمل هذه الصفة التمثیلیة. فلیس کل الشرائح الفیزیاویة الکیمیاویة و الاجتماعیة تحمل هذه القوة التمثیلیة التی تستطیع أن تعکس بها الخصائص الموجودة فی کل المساحة التی اقتطفنا منها هذه الشریحة... و هذه هی الشرائح غیر الممثلة.أما الشریحة الممثلة من الزمان و المکان و التاریخ و المجتمع فانها تحمل هذه القوة التمثیلیة... و هی بالذات ما نقصده فی هذا الموضع.و لا شک أن الصراع الحضاری بین جند الله و الطاغوت من أفضل الشرائح (الزمانیة) التی تختزل و تمثل حرکة التاریخ، و تعکس هذه الحرکة بقوانینها و سننها الالهیة.و (عاشوراء) نموذج نادر من الصراع الحضاری الذی تتجسد فیها سنن التاریخ بشکل قوی و مرکز، و عینة ممثلة لمساحة التاریخ، بکل ما فی هذه الکلمة من معنی، و مرآة صافیة لحرکة التاریخ... یجد فیها الانسان الصراع القدیم بین جند الله و جند الشیطان، و أسباب و موجبات هذا الصراع، و قیم کل من طرفی المواجهة، و أسالیبهم فی هذا الصراع، و حتمیة هذا الصراع، و معاناة طرفی [صفحه ۲۰] الصراع فی هذه المعرکة التاریخیة، و ما یستتبع هذا الصراع من سقوط، و ثبات و ولادة و هلاک، و استبدال، و استدراج، و تساقط العناصر الضعیفة، و صعود، و تسامی العناصر القویة المؤمنة، و نصر الله للفئة القلیلة المؤمنة، و هلاک جند الشیطان... کل ذلک ینعکس فی مرآة عاشوراء... فی هذه الساعات القلیلة الحافلة بالأحداث الکبیرة من یوم عاشوراء... و الجمهور من المؤمنین یقرأون کل ذلک و غیر ذلک من قوانین و سنن التاریخ و المجتمع و الصراع فی مرآة عاشوراء... بل ماذا أقول. أن جمهور المؤمنین یرون أنفسهم فی مرآة عاشوراء فان الانسان المؤمن لیس نسیج وحده، و لیس نبتة طفیلیة مجتثة من فوق الأرض ما لها من قرار، و انما هو حصیلة هذا الصراع التاریخی بین الحق و الباطل، و کل هذا الصراع و ما استتبعه من معاناة، و آلام، و نصر، و تأیید، و ثبات، و صبر قد ساهم بصورة مرئیة أو غیر مرئیة فی ثباته و تکوین شخصیته، و عاشوراء امتداد لکل هذا الصراع، و تکریس لهذه المعرکة التاریخیة، و مرآة لهذا التاریخ الحافل بالصراع و المعاناة، و المؤمنون یرون أنفسهم فی مرآة عاشوراء رؤیة صافیة صادقة و واضحة و لذلک یجذبهم عاشوراء، و یشعرون بأنهم مدینون لعاشوراء، و ان عاشوراء تمثلهم و تساهم مساهمة فعالة فی تکوینهم، و تشکل المرآة الصافیة التی تعکس وجودهم و کیانهم.و هذا هو ما نعنیه عندما نقول ان عاشوراء نافذة علی التاریخ، یستطیع الجمهور بوعیه الفطری البسیط أن یطل علی التاریخ من خلال هذه الساعات القلیلة من یوم عاشوراء.أرأیت کیف تمثل صفحة الخارطة الجغرافیة، و تعکس اقلیما واسعا من مساحة الأرض... کذلک عاشوراء تمثل مساحة واسعة من التاریخ.و نحن، لکی نستوعب عینة ما استیعابا کاملا بصورة علمیة، نقوم عادة بواحد [صفحه ۲۱] من اثنین، سحب اختلاف العینة. أما أن نکبر العینة تحت المجهر حتی یمکن اکتشاف و فهم الجزئیات الدقیقة منها التی لا تخضع للعین المجردة، أو نصغر المساحة مع الاحتفاظ بکل مقوماتها و أرکانها و

نختزلها حتی یمکن استیعاب المساحة الواسعة بنظرة واحدة و فی دائرة صغیرة.و (عاشوراء) من النوع الثانی. اختزال شدید لحرکة التاریخ و ما فی هذه الحرکة من السنن و القوانین. و هذا الاختزال یتصف بالتمثیل الدقیق لمساحة التاریخ الکبیرة و سننها و قوانینها.ذلک ان (عاشوراء) من بین نماذج الصراع بین أولیاء الله و أولیاء الطاغوت نموذج نادر من الصراع الحقیقی الحاسم فی التاریخ.ففی هذه المعرکة التاریخیة یتقرر مصیر الاسلام، و بالتالی مصیر رسالات الله تعالی، الذی کاد أن یسقط فی أیدی السلاطین الرسمیین الذین کانوا یحکمون باسم الاسلام. و هذه المعرکة وحدها استطاعت أن تضع حدا للسلطة الزمنیة الحاکمة و تفصل بین (الاسلام) و ما کان فی قصور الخلفاء و أجهزتهم، من لهو و سقوط فی لذات الحیاة الدنیا، و من ظلم و اضطهاد و اعتداء و تجاوز لحدود الله تعالی و احکامه.فی (عاشوراء) یتقابل صفوة مؤمنة خالصة، و علی رأسهم ابن بنت رسول الله صلی الله علیه وآله و الصفوة الصافیة من أهل بیته و أصحابه، مع رؤوس الاجرام و النفاق. و فی هذا التقابل و المواجهة لا أدری ماذا یحس الانسان من بون شاسع و فاصل کبیر بین نمطین من الناس، و بین هذا السقوط الی الحضیض و الصعود الی القمة... بین النور و الظلمة.یشعر الانسان بوجود نمطین مختلفین تماما من الناس، و بالفاصل الکبیر [صفحه ۲۲] الشاسع الذی یفصل بینهما فی الأهداف و القیم و الاخلاق و التربیة و القرب و البعد من الله، ثم یجد هذین النمطین من الانسان فی مواجهة حقیقیة حاسمة فی ساحة الطف.یدعو أحدهما الی الله تعالی، و الی اقامة الصلاة و الی العودة الی الاسلام، و الی الأخذ بأسباب العبودیة و یدعو الآخر الی الطاغوت و الانقیاد له. یطلب أحدهما وجه الله و مرضاته فی هذه الحرکة و الصراع و یقول:ان کان دین محمد لم یستقم الا بقتلی یا سیوف خذینیو یقول:و الله ان قطعتم یمینی انی احامی أبدا عن دینیو یطلب الآخر سقط المتاع فی الحیاة الدنیا و یقول:املأ رکابی فضة أو ذهبا انی قتلت السید المهذبایجسد أحدهما فی سلوکه و قتاله أسمی القیم و أنبلها حتی فی القتال، و یجسد الطرف الآخر أحط ألوان السلوک فی ابتغاء الدنیا و فی الاجرام.ان التقابل العجیب بین هاتین الفئتین اللتین تقاتلا فی کربلاء و بین أهدافهما یعتبر واحدا من أغرب نماذج الصراع بین الحق و الباطل فی التاریخ.لقد کان أحد الطرفین حقا امتداد لابراهیم و موسی و عیسی و رسول الله و یحمل معه میراث هؤلاء الصدیقین و همومهم و طموحاتهم، و یعد الآخر حقا امتدادا لقابیل و فرعون و نمرود و القتلة و المجرمین فی التاریخ.و علی نتائج هذا الصراع یتوقف مصیر هذا الخط أو ذاک. لقد کان أحد الخطین یستجمع کل قیم و عطاء و تضحیات الأنبیاء، و الخط الآخر یستجمع کل ألوان الانحطاط و السقوط الذی یشهده الناس فی التاریخ لهذا الخط.لقد کان مشهد (عاشوراء) مشهد غریبا فی نوعه، و لم یکن یلتبس الأمر فی [صفحه ۲۳] تمییز الحق و الباطل و تشخیصهما علی أحد بین هذین المعسکرین، فقد بان الحق، و بان الباطل، و امتاز أمرهما، و لم یبق موضع للأ لتباس لأحد.فمن دخل مع هؤلاء دخل علی بینة و بصیرة، ما بعدها بینة و بصیرة، و من انساق من وراء اولئک، کان ممن أضله الله علی علم.فقد کان یوم عاشوراء یوما من أیام الفرقان فی التاریخ حقا، افترق فیه الحق و الباطل، و لم یعد لأحد فیها موضع للشک و اللبس.

کل أرض کربلاء و کل یوم عاشوراء

اذن عاشوراء مرآة لکل حرکة التاریخ، و امتداد للصراع القائم بین الحق و الباطل فی التاریخ.و العکس أیضا صحیح، فان کل صراع فی التاریخ بین الدعاة الی الله و أولیاء الطاغوت نسخة من عاشوراء علی درجات مختلفة من التمثیل و هذا هو معنی الکلمة المأثورة و الدقیقة المعروفة: (کل أرض کربلا و کل یوم عاشوراء).ففی کل أرض و فی کل یوم صراع بین الحق و الباطل بموجب قانون حتمیة الصراع بین أولیاء الله، و أولیاء الطاغوت،و لا تخلو أرض من هذا الصراع، و لا یخلو یوم من أیام التاریخ منه.و کل صراع فی هذه السلسلة الطویلة من الصراعات و الحروب و القتال یعتبر نسخة من (کربلا) و من (عاشوراء)، علی درجات مختلفة من التمثیل حسب سعة و عمق هذا الصراع، و أبعاده فی حیاة الانسان.فالزمان (: کل یوم) و المکان (: کل أرض) أکثر من وعائین لحضارة الانسان... أنهما و عاءان لحضارة الانسان، و مقومان لها أیضا، یتفاعلان مع الانسان، [صفحه ۲۴] یمنحانه و یأخذان منه. و الانسان فی تفاعل

مستمر مع الزمان و المکان، یأخذ منهما و یمنحها و یؤثر فیهما و یتأثر بهما.فالزمان و المکان - اذن - لا یعتبران وعاءین لحضارة الانسان فقط، بالمعنی المعروف للوعاء، الذی لیس لها أی تأثیر فیما تحتویة. ان الزمان و المکان جزءان مقومان لحضارة الانسان و یحملان شحنة و طاقة حضاریة معینة فی تاریخ الانسان، و عندما نقول (کل أرض کربلا و کل یوم عاشوراء) یعنی أن الصراع جزء حتمی لا یتجزأ من حضارة الانسان.و هذا الصراع یمتد زمانا و مکانا مع حضارة الانسان، و فی کل مراحله یعتبر نسخة ممثلة لکربلاء و عاشوراء علی درجات مختلفة من التمثیل. فهذه ثلاثة اصول و ثلاثة قوانین:۱- حتمیة الصراع.۲- استمراریة الصراع علی خطی الزمان و المکان.۳- تمثیل عاشوراء بدرجات مختلفة.اذن عاشوراء مرآة للتاریخ و التاریخ مرآة لعاشوراء و من خلال عاشوراء نطل علی حرکة التاریخ، و من خلال حرکة التاریخ نطل علی عاشوراء.ان عاشوراء تصغیر و اختزال شدید لمساحة التاریخ الکبری، و حرکة التاریخ الممتدة علی بعدی الزمان و المکان، تکبیر لعینة عاشوراء، و تمدید لها. ولو وضعنا هذه العینة (: عاشوراء) تحت المجهر شاهدنا حرکة التاریخ، ولو اختزلنا حرکة التاریخ و صغرناها بدرجة عالیة جدا التقینا بعاشوراء.ان (عاشوراء) ینبغی أن یدرس من خلال هذا الأفق التاریخی الواسع، من [صفحه ۲۵] خلال حرکة التاریخ، و سنن الله فی التاریخ، و سقوط الامم و صعودها، و صراع الحق و الباطل الممتد فی أعماق التاریخ، و فی ساحة التاریخ الکبری... و أعتقد أن الجمهور یعی (عاشوراء) بمثل هذه الرؤیة الشاملة من خلال وعیه الفطری البسیط، و من خلال تفاعله الروحی و الوجدانی العمیق مع عاشوراء... أما طریقة بعض الباحثین فی دراسة عاشوراء... فی اقتطاع هذا الیوم العجیب من مساحة التاریخ، و دراسته بمعزل عن مساحة التاریخ و حرکة التاریخ الکبری، و بتره عما قبله و بعده، و تکلیس عاشوراء، و تعتیم هذه الرؤیة النافذة التی تنفذ بنا من خلال عاشوراء الی مساحة التاریخ الواسعة، فهو من الظلم لهذا الیوم و قیمته التاریخیة. و لابد من الاعتراف بأن جمهور الناس أوعی لقیمة هذا الیوم من بعض الباحثین الذین تناولوا هذا الیوم بهذه الطریقة التجزیئیة.و یبلغ السذاجة ببعض الکتاب أن یتصور أن جذور معرکة الطف تکمن فی قضیة أرینب و ما تلف هذه القضیة من ظروف. أو الخلاف و التنافس التاریخی بین (هاشم) و (أمیة).ان عاشوراء أعمق بکثیر من المستوی الذی یتناوله هؤلاء الکتاب و أمثالهم. [صفحه ۲۹]

ثارالله

رؤیة قرآنیة للنصر و الهزیمة

اشاره

من المفاهیم العمیقة الواردة فی زیارة الحسین علیه السلام مفهوم«ثارالله» و هذا المفهوم یفتح علینا آفاقا واسعة للتفکیر و التأمل و یطرح علینا مسائل من صلب الرسالة و العمل و الحرکة و الجهاد، و هی مسائل بالغة الحساسیة و الأهمیة مما تواجهها امتنا الیوم، و لذلک فسوف نتوقف قلیلا عند هذه الکلمة لنتأمل معطیاتها و ایحاءاتها.

الجذور اللغویة للثار

یقول ابن سیده:«الثار الطلب بالدم» [۱۳] ، و الثائر: الطالب بالدم، و قیل الثار طلب المکافأة بالجنایة، و الثائر: الطالب بالمکافأة بالجنایة و الدم.و منه حدیث محمد بن مسلم یوم خیبر:«أنا له یا رسول الله الموتور الثائر»أی طالب الثار، و هو طالب الدم [۱۴] ، و لهذه الکلمة جذور تأریخیة و أصل قرآنی؛ فقد کان الدم یستثیر أولیاء المقتول و ذویه للقصاص و الانتقام من القاتل، و هذه [صفحه ۳۰] سنة تاریخیة قدیمة، و العرب قبل الاسلام کانوا من أکثر الأمم و الشعوب اهتماما بمسألة القصاص و الانتقام (الثار)، و ملاحقة المجرم و کانوا یعتقدون أن الرجل اذا قتل تمثلت روحه بشکل طیر یقال له:«الهامة»و وقفت علی قبره و صاحت«اسقونی»: أی أسقونی من دم

قاتلی، و لا یزال کذلک حتی یثار أهل القتیل من قاتله،و من المعیب علی ذوی المقتول أن یترکوا القاتل ینعم بالحیاة، دون أن یثاروا منه و یقتلوه؛ یقول السموأل فی مفاخر قومه:و ما مات منا سید حتف أنفه و لا طل منا حیث کان قتیلأی لم یذهب دم قتیل منا هدرا دون أن نثار له.و العرب فی الجاهلیة کانوا یتجاوزون فی الثار الحدود المعقولة حتی قتل (مهلهل) بأخیه کلیب من بکر بن وائل مقتلة کبیرة و کاد یفنی بکر بن وائل، حتی جاء الاسلام و شرع القصاص و المساواة و العدل فی الأخذ بالثار.

المعنی الاجتماعی للدم

و لمسألة (الثار) تأریخ ینفنا أن نلم به فی هذا العرض، فقد کان الدم فی حیاة العرب القبلیة قبیل الاسلام مسألة اجتماعیة تخص کرامة القبیلة کلها ضد القبیلة التی صدر العدوان منها کلها؛ فاذا اعتدی فرد من قبیلة علی فرد من قبیلة أخری لم یکن الدم یخص ولی المقتول و القاتل فقط، و انما کانت القبیلة التی وقعت علیها الظلامة هی صاحبة الدم؛ و القبیلة التی کان المعتدی منها هی التی تتحمل مسؤولیة الدم، و لیس شخص المعتدی فقط، و کان کل فرد من القبیلة الاولی یعطی لنفسه الحق أن یثار من کل فرد من القبیلة الثانیة، و ان کان الثائر بعیدا عن المقتول و الفرد الذی یقتل به لا علاقة له قریبة بالقاتل.و السر فی هذا الاهتمام و التعمیم فی مسألة الدم، أن القبیلة العربیة کانت تعتبر [صفحه ۳۱] الدم حقا للجمیع، و علی الجمیع أن یعملوا لحمایة دمائهم و للثار من القاتل أو القبیلة التی تؤوی القاتل و تمنحه الحمایة، فالدم للقبیلة و لیس للفرد، و الدفاع عن الدم یقع علی القبیلة و لیس مسألة فردیة.و لهذا التصور لمسألة الدم أصل صحیح فی الاسلام فی بعض الحدود، و ان کان الاسلام یختلف فی أمر الدفاع عن الدم و حمایته و الثار من القاتل اختلافا کبیرا عن قوانین الثار فی الجاهلیة، فالدم مسألة تخص الجمیع، و لا تخص المقتول فقط، یقول القرآن الکریم فی التعقیب علی أول عدوان وقع علی ید قابیل ضد أخیه هابیل:(و من أجل ذلک کتبنا علی بنی اسرائیل أنه من قتل نفسا بغیر نفس أو فساد فی الأرض فکأنما قتل الناس جمیعا و من أحیاها فکأنما أحیا الناس جمیعا...) [۱۵] .فالعدوان علی شخص عدوان علی جمیع أو کأنه عدوان علی الجمیع.الا أن الاسلام هذب قانون الثار، و لم یسمح للجمیع بالثار و انما خص أولیاء الدم بذلک، فان لم یکن للمقتول ولی تولی ولی الأمر هذا الأمر، و ذلک لئلا یکون الأمر فوضی، و لم یسمح مطلقا بالقصاص و الثار من غیر القاتل؛ یقول تعالی:(... و من قتل مظلوما فقد جعلنا لولیه سلطانا فلا یسرف فی القتل انه کان منصورا). [۱۶] .فجعل الله تعالی لولی الدم الذی اریق بغیر حق سلطانا ینتقم من الظالم و یقتص منه، علی أن لا یسرف فی القتل و لا یتجاوز حدود الله تعالی؛ یقول تعالی:(یا أیها الذین آمنوا کتب علیکم القصاص فی القتلی الحر بالحر و العبد بالعبد [صفحه ۳۲] و الانثی بالانثی فمن عفی له من أخیه شیء فاتباع بالمعروف وأداء الیه باحسان ذلک تخفیف من ربکم و رحمة فمن اعتدی بعد ذلک فله عذاب ألیم.) [۱۷] .فلکل دم اریق بغیر حق - اذن - ثار، و لولی الدم أن یطالب بانزال العقوبة علی المعتدی مقابل الجریمة فیوکل الأمر الی ولی الدم لیثار للمقتول، و ان لم یکن للمقتول ولی فولی الأمر، لأن هذا الدم من حق الأسرة، و ولی الدم ینوب من الاسرة فی الثار، و اذا لم یوجد فولی الأمر یقوم بالثار للأسرة و القصاص من القاتل، و هذا کله یؤکد الصبغة الاجتماعیة أو العائلیة للدم، و حق الأسرة فی المطالبة بالثار من خلال ولی الدم أو ولی الأمر.

الثار فی أسرة التوحید

و عندما تکون اراقة دم من أجل قضیة التوحید و العبودیة لله و تحکیم رسالة الله فی الأرض فان الأمر یختلف؛ فالدم هنا اریق فی قضیة رسالیة و لیس فی قضیة شخصیة، و الأمر یتعلق باسرة التوحید، و لا یتعلق بالأسرة العائلیة، بمعناها الضیق.و اسرة التوحید بمجموعها ثائرة لهذا الدم، و لیس ذوو الدم من الأسرة الشخصیة للمقتول بمعناها المحدود و الضیق، و کما أن الظلامة تقع علی کل أفراد أسرة التوحید، کذلک العدوان یصدر من أسرة الشرک بأسرها و لیس من فرد أو أفراد بخصوصهم مادام یجمعهم الرضا بذلک، فان الآمر بالعدوان و المنفذ له، و الذی یعد له أسبابه و مقدماته، و المشاهد لساحة الظلم الراضی به. کل اولئک یجمعهم الرضا بالظلم، و کل

اولئک مطالبون بهذا الدم:«لعن الله امة قتلتک و لعن الله [صفحه ۳۳] امة ظلمتک و لعن الله امة سمعت بذلک فرضیت به».فالثار - فی مثل هذه القضیة - لا یخص الأیدی التی تلطخت بالجریمة مباشرة، و انما یعم کل الراضین بذلک،و الناس یجمعهم و یفرقهم الحب و البغض و الولاء و البراءة و الرضا و السخط فی مثل هذه الامور التی ترتبط بالعقیدة و الجهاد.و الناس فی هذا الأمر ینقسمون الی شطرین و ولاءین و عقیدتین، و اسرتین: أحدهما: أسرة (التوحید).و الاخری: اسرة (الشرک).و الدم الذی یراق من أجل قضیة التوحید دم لایخص ذوی المقتول فقط، و انما یعم کل أعضاء هذه الاسرة کما أن المطالبة بهذا الدم لا تتوقف عند القاتل و المعتدی فقط من اسرة الشرک و الجاهلیة، و انما تعم کل أطراف العدوان من تلک الاسرة: الآمر و المنفذ و المعد و حتی المشاهد الراضی بذلک؛ فالجریمة اذن من اسرة الشرک علی اسرة التوحید، و الثار لاسرة التوحید من اسرة الشرک.و حق الثار هنا لا یتحدد بعصر أو جیل، فما دامت الظلامة باقیة، و مادام هناک دم اریق ظلما و عدوانا من اسرة التوحید، و اسرة الشرک تتبنی هذا العدوان و تدافع عنه و ترضی به، فان الثار حق لهذه الاسرة من اسرة الشرک و الجاهلیة. و کل جیل من أجیال التوحید لابد أن یطالب بالثار و یسعی له لیرفع الظلامة، و الدم - و هو هنا دم الشهید - لا یفتأ یستصرخ الضمائر و یستثیر الهمم فی أعضاء الأسرة للثار، و لا یزال یغلی فی ضمائر المؤمنین من کل جیل حتی یثاروا له.

ثارالله

و اذا کان دم الشهید یستصرخ کل الضمائر المؤمنة فی کل الأجیال للثار، و کانت مسؤولیة دم الشهید علی عهدة کل عضو فی هذه الاسرة، و من کل [صفحه ۳۴] الأجیال حتی یتم الثار فان ولی الدم هنا لیس من قبیل ولی الدم فی الدماء التی تراق فی القضایا الشخصیة، فهناک ولی الدم الأب و الجد و اذا فقدا فولی الأمر، و هنا - فی دم الشهید - الذی یراق من أجل قضیة توحید الله و حاکمیته تعالی فان ولی الدم هو الله تعالی، و هو ولی اسرة التوحید کلها: (الله ولی الذین آمنوا یخرجهم من الظلمات الی النور و الذین کفروا أولیاؤهم الطاغوت یخرجونهم من النور الی الظلمات اولئک أصحاب النار هم فیها خالدون). [۱۸] .و الله تعالی هو الذی یتولی الثار لدم الشهید و یضمن له أن یأخذ بثاره من بین سائر الدماء. و هذا هو معنی«ثار الله»الوارد فی زیارة وارث: أی أن الله تعالی هو ولی الدم و المتصدی للثار للشهید، و أن دم الشهید ثارالله، فان الدم هنا لکل اسرة التوحید و لکل الأجیال، والله تعالی هو عمید هذه الاسرة و ولیها الذی یطالب بالثار لدمها.و من هذا الباب نخاطب الحسین بن علی علیه السلام فی زیارة«وارث»فنقول: (السلام علیک یا ثار الله و ابن ثاره).و قد کان من عادة العرب قبل الاسلام أن تنصب رایة حمراء علی قبر القتیل حتی یتم الثار له، و تبقی هذه الرایة لتذکر أفراد القبیلة بالدم الذی اریق ظلما و لتستصرخ ضمائر أفراد القبیلة.و الذین یزورون مرقد الامام الحسین علیه السلام الیوم یرون علی قبة المرقد هذه الرایة الحمراء ترفرف لتذکر الأجیال من أسرة التوحید بالثار، لئلا تنام هذه الأمة علی الظلم، و لئلا تقر لها عین، و لما یثار المؤمنون بعد للدم الذی اریق بکربلاء ظلما و عدوانا. [صفحه ۳۵]

موقع الثار فی الصراع الحضاری بین التوحید و الشرک

و لنقف قلیلا عند هذه الکلمة لننظر کیف یکون هذا الدم«ثارالله»من دون سائر الدماء.لیس المقصود ب(الثار) هنا القصاص القصاص فانه تشریع عام لکل من قتل بغیر حق، اذا طالب أولیاء الدم بذلک، و لیس للشهید خصوصیة فی هذا المجال، کما لیس المقصود بذلک معاقبة القاتل و المعتدی فی الآخرة فهو أیضا حکم عام لا یخص عدوانا دون عدوان، فلابد أن یکون للثار هنا معنی آخر غیر المعنی المألوف الذی یعرفه الناس، فالثار هنا الله، و هو تعالی ولی الثار، فما عسی أن یکون معنی (الثار) هنا؟و کیف یتولی الله تعالی المطالبة بدم الشهیدین الولد و الوالد:«ثار الله و ابن ثاره»؟و ما هو المقصود من کلمة«ثار الله»الواردة فی هذه الزیارة؟ان الصراع هنا لیس صراعا شخصیا لیکون ثارا من شخص - کما هو المألوف فی الدماء و الثارات - و انما الصراع صراع حضاری، فیکون الثار ثارا

للقضیة و الرسالة، و انتقاما من الخط الحضاری الذی یرید أن ینال من خط الرسالة. فالشهید یقاتل فی سبیل الله و لتثبیت کلمة الله علی وجه الأرض، و لاسقاط الطاغوت، و احباط دوره و عمله فی الأرض و فی المجتمع و لازالة الفتنة التی تعیق الناس عن سبیل الله، و الجریمة هنا لیست جریمة علی شخص و انما جریمة علی الخط و الرسالة، التی یقاتل من أجلها الشهید و هی تحکیم شریعة الله فی الحیاة.فلابد أن یکون (الثار) اذن من جنس الجریمة و من جنس القضیة: ثارا [صفحه ۳۶] للقضیة و انتقاما من الخط الحضاری المناوىء لسبیل الله و للصراط المستقیم، و انتصارا للرسالة التی ضحی من أجلها الشهید، و احباطا لدور الطاغیة و سعیه فی الأرض.فکما أن انزال العقوبة المکافئة للاجرام بشخص المجرم من الثار و الانتقام، کذلک تسقیط الطاغیة و (المجرم) و احباط دوره فی الأرض و الانتصار للرسالة و تأییدها و دعمها و اسنادها یعد انتقاما من الطاغیة و ثارا للشهید، و الثائر الذی یطلب بدماء الشهداء من اسرة التوحید، الابراهیمیة، و یتولی الانتقام من الظالمین و المجرمین، و الانتصار للشهداء، هو الله تعالی فهو ولی الثار، و ولی الدم،و المنتقم الثائر.

کربلاء الساحة النموذجیة للصراع بین الحق و الباطل

هذا المعنی من الثار و الانتقام الالهی قد تحقق فی الصراع التأریخی الذی حدث فی کربلاء سنة) ۶۱ ه) بین سیدالشهداء الحسین علیه السلام و یزید بن معاویة و جیشه.لقد کانت هذه المعرکة علی صغر مساحتها العسکریة تجسد صراعا ضخما بین معسکرین، و حضارتین، و فکرتین و مدرستین، بین الاسلام و الجاهلیة، و الذی ینظر الی هذه المعرکة من بعید تتراءی له أن المعرکة کانت بین طائفتین من المسلمین، و لخلافات و مسائل داخلیة و سیاسیة تتعلق بالحکم و السلطان فی الحیاة الدنیا.ولکن الأمر أعمق بکثیر من هذا البعد؛ لقد اتخذت الجاهلیة الاولی - بعد هزیمتها أمام انطلاقة الرسالة الاسلامیة - دولة بنی‌امیة مظلة اسلامیة واقیة لها لتعود من جدید الی صلب الحیاة و لتصادر کل مکاسب الاسلام فی الحکم [صفحه ۳۷] و الادارة و الاقتصاد و التربیة و التعلیم و الأخلاق و العقیدة، و نجحت هذه المحاولة الجاهلیة نجاحا کبیرا، حتی استطاعت أن تتسلل من خلال آل امیة الی الخلافة و هو قمة النجاح السیاسی و الحضاری؛ و الذی ینظر بامعان فی تأریخ معاویة و ابنه یزید من غیر تعصب، لا یحتاج الی عناء کبیر لیلمس عودة الجاهلیة الاولی من خلال و لا- یتهما علی المسلمین فی البذخ و تبذیر أموال المسلمین و فی استعمال المحرمات، من غناء، و خمرة، و قمار، و فی الاستهانة بحدود الله. و فی تصفیة قادة الامة (الحسین علیه السلام و أهل بیته و أصحابه) و فی الاعتداء علی معاقل العالم الاسلامی (مکة المکرمة و المدینة المنورة) و عشرات النماذج الاخری التی تکشف عن هذه الحقیقة، و التی لا- یحتاج فهمها الی أکثر من التجرد عن التعصب.و کان الحسین علیه السلام یدرک هذه الحقیقة ادراکا جیدا و یری رؤیة واضحة عودة الجاهلیة الی صلب المجتمع من جدید تحت مظلة بنی‌امیة، و یری غفلة الامة عن هذه المأساة فلم یجد بدأ من أن ینهض بأهل بیته و أصحابه، لیکافح هذا التیار الجاهلی و یصبغ هذه المقاومة بدمه و دماء الثلة المؤمنة التی و اکبته فی هذه المسیرة و لینبه الامة الی ضخامة الجریمة و المؤامرة تنسج خیوطها فی قصور بنی‌أمیة ضد الاسلام.فکانت (واقعة کربلاء) مقاومة جریئة و فدائیة و خالصة دارت رحاها حول مسألة حضاریة مهمة هی (ایقاف الردة الجاهلیة) الی صلب المجتمع - بعد أن أزاحها و عزلها الاسلام عنه - و ایقاف التیار الجاهلی، و صده من التقدم، و فضحه، و کشف أبعاد هذه الجریمة، و تنبیه الامة الی عمق المأساة، و خطورة تلک الردة التی تسللت الی موقع الخلافة من خلال یزید بن معاویة، و من قبله أبوه معاویة ابن ابی سفیان. [صفحه ۳۸] ان الانتقام الحقیقی لدماء شهداء کربلاء، لیس فی انزال عقوبة مادیة مماثلة بالقتلة و انما الانتقام الحقیقی و المکافیء للجریمة هو: تحقیق الغایة التی قاتل من أجلها أهل البیت علیهم السلام و کشف حقیقة و نوایا الجهاز الحاکم، و ایقاف تیار الردة الجاهلیة، و احباط المؤامرة الجاهلیة.هذه النقاط فی الحقیقة هی النقاط الأساسیة للانتقام من الظالم و الانتصار للمظلوم و تحقیق ارادة الشهید واحباط ارادة (الطاغیة).و الله تعالی هو الذی یتولی تحقیق هذه الغایات و توفیر هذه الضمانات جمیعا للشهید، فهو ولی الدم و صاحب الثار و المنتقم من الطاغیة، و المنتصر للشهید.و (هذا

الثارالالهی) من الظالم یعم کل الشهداء بدرجات مختلفة: فکل دم اریق فی سبیل الله دم مضمون القضیة، والله تعالی ولی کل دم اریق فی سبیله و هذه الضمانة الالهیة لدم الشهید تعطی دم الشهید قیمة حرکیة کبری فی التأریخ، فهو الدم المضمون و المؤمن الذی یتولی الله تعالی الثار له، و تحقیق قضیته و رسالته و دحض أعدائه و اسقاطهم و فضحهم؛ وقلما یتمتع شیء فی حیاة الانسان بمثل هذه الحرکیة التی یمنحها الله تعالی لدم الشهید.

الضمانة الالهیة لدم الشهید

و هذه الضمانة الالهیة لمسیرة الدعوة یرسمها القرآن الکریم فی أکثر من آیة بطریقته الخاصة، لیبعث فی نفوس المؤمنین الثقة و الطمأنینة بالعاقبة، و لیثبتهم علی طریق ذات الشوکة.و آیات القرآن تتناول هذه الحقیقة - الضمانة الالهیة للمسیرة بتعابیر و صیغ مختلفة - و بصورة مؤکدة و واثقة، و ذلک اذا أخلص المؤمنون لله، و صدقوا و ثبتوا، و انتزعوا من قلوبهم حب الدنیا و آثروا رضوان الله علی کل شیء، و ابتغوا طاعة [صفحه ۳۹] الله وحده؛ یقول تعالی:(یا أیها الذین آمنوا ان تنصروا الله ینصرکم و یثبت أقدامکم) [۱۹] .(انا لننصر رسلنا و الذین آمنوا فی الحیاة الدنیا...) [۲۰] .(قاتلوهم یعذبهم الله بأیدیکم و یخزهم و ینصرکم علیهم...) [۲۱] .(... و لینصرن الله من ینصره ان الله لقوی عزیز) [۲۲] .(بل الله مولاکم و هو خیر الناصرین) [۲۳] .(و ان تولوا فاعلموا أن الله مولاکم نعم المولی و نعم النصیر) [۲۴] .(.. و اعتصموا بالله هو مولاکم فنعم المولی و نعم النصیر) [۲۵] .(... فان حزب الله هم الغالبون) [۲۶] .(.. و کفی بالله ولیا و کفی بالله نصیرا) [۲۷] .(.. و کفی بربک هادیا و نصیرا) [۲۸] .و لیست هذه الآیات المبارکات ضمانات اعتباطیة، و خارجة عن دائرة السنن الالهیة، التی لا تتبدل و لا تتغیر، و انما تأتی هذه الضمانات الالهیة بموجب [صفحه ۴۰] سلسلة من الأسباب و العلل، منها ما یرتبط بالقلب و الجوانح، و منها ما یرتبط بالجوارح؛ و جملة هذه الأسباب هی التی تستنزل النصر و القوة من عند الله تعالی للجماعة المؤمنة فی صراعها مع قوی الکفر و الجاهلیة علی وجه الأرض.و أهم هذه الأسباب هی الایمان، و التوکل علی الله و الثقة به، و الجهاد، و العمل فی سبیله، و الاخلاص و ابتغاء وجهه الکریم، و الانتصار لدینه، و الصبر، و الثبات، و الصدق فی الموقف، و الاعداد المیدانی للمعرکة و غیر ذلک من الأسباب التی تستنزل النصر من الله تعالی، و تؤمن الضمانة الالهیة للنصر فی ساحات القتال و المواجهة.و الشهداء فی طلیعة المؤمنین، ایمانا، و ثقة بالله، و جهادا، و تضحیة، و عطاء، و بذلا فی سبیل الله تعالی، و ابتغاء لوجهه الکریم، و ثباتا، و صدقا فی القول و العمل، و صبرا فی مواجهة التحدیات.هذه کلها مفاتیح النصر، و الأسباب التی تستنزل النصر من عند الله تعالی، و دم الشهید یجمع هذه الخصال جمیعا، و یشهد للشهید بالصدق و الصبر و العطاء.

معنی النصر و الهزیمة

و قبل أن نسترسل فی الحدیث عن الضمانة الالهیة لدم الشهید و مواکب الشهداء فی التأریخ، و وعد الله تعالی لهم بالنصر و التأیید و الغلبة علی معسکر الجاهلیة، لابد أن نقف هنا وقفة قصیرة لنقول:ان هذا النصر لیس بالمعنی العسکری للنصر، فقد کان بنوأمیة هم المنتصرین یوم الطف علی معسکر الحسین علیه السلام، لو کنا نقصد بالنصر هذا المعنی الذی یفهمه الناس من النصر عادة، ولکننا عندما نتجاوز الشعاع المنظور للمعرکة، و الأبعاد العسکریة و السیاسیة القریبة لها نجد أن الحسین علیه السلام قد تمکن من [صفحه ۴۱] اسقاط یزید و اسقاط القناع عن وجهه کأمیرللمؤمنین، و فضحه، و مصادرة الشرعیة التی حاول أن یسبغها علی نفسه، و القواعد التی کان یستند الیها، و انهاء خطه السیاسی فی تحریف الاسلام عن مجراه الصحیح.و هذا هو کل ما کان یریده سیدالشهداء علیه السلام فی صراعه مع یزید، فلم یکن الحسین علیه السلام یطلب حکما أو سلطانا عاجلا، و قد کان علی بینة من أمره هذا، عندما خرج من الحجاز الی العراق، و انما کان یرید أن یعری یزید أمام المسلمین، و یسقط القناع عن وجهه، لئلا یتمکن من تحریف مسیرة الاسلام و تحویله الی ملک عضوض - کما یقول رسول الله صلی الله علیه وآله - و قد استطاع الحسین علیه السلام أن یحقق بالدقة

کلما یبتغیه من خروجه علی یزید.ان المعرکة التی خاضها سیدالشهداء الحسین علیه السلام لم تکن تستهدف أهدافا عسکریة أو اقتصادیة لنقیس نجاح المعرکة و فشلها بما حقق من أغراض عسکریة أو اقتصادیة، و انما کانت معرکة حضاریة، فقد استطاعت الجاهلیة الامویة التی هزمها الاسلام أن تتسلل الی مراکز القیادة فی المجتمع الاسلامی من جدید بکل أبعادها و تراثها الجاهلی، و کان هدف الحسین علیه السلام هو ایقاف هذا المد الجاهلی الذی بدأ یمتد الی جسم الاسلام و باسم الاسلام، و صده، و فضحه و تعریته، و قد حققت ثورة الحسین علیه السلام کل ما کان یریده فی هذه الحرکة المبارکة.لقد أسقطت شهادة أبی‌الشهداء علیه السلام و أهل بیته و أصحابه القناع عن وجه یزید، و عرته تماما للمجتمع الاسلامی و للتأریخ، و انتزعت منه و ممن خلفه الشرعیة التی کان یحرص علیها هؤلاء، فلم یعد یزید و خلفه من حکام بنی‌امیة یشکلون خطرا علی اصول هذا الدین و فروعه و خطه، و مقاییسه و تراثه.و قد تولی الله تعالی قضیة هذه الدماء و رسالتها و ثار لها و حقق قضیتها، لو أننا [صفحه ۴۲] فهمنا النصر بمعناه العمیق الحضاری و التأریخی، و لیس الفوز فی جولة عسکریة، و لیس من الصحیح أن نقیس النصر و الهزیمة بمقیاس النجاح و الفشل فی جولة عسکریة، و لو أردنا أن نفهم النصر و الهزیمة فی هذه الدائرة الضیقة و بمثل هذا الفهم المحدود لم نستطع أن نفهم حرکة التأریخ و سنن الله فی التأریخ؛ فقد یربح أحد الاطراف جولة من المعرکة و لا یکون منتصرا بالمعنی البعید و الحضاری لهذه الکلمة؛ و قد یخسر أحد الاطراف الجولة و الجولتین فی المعرکة و لن یکون مهزوما؛ و قد یربح الطرف الذی یحسن اللعب علی الحبال، و یحسن شراء و بیع الضمائر و یحسن الخیانة و تجاوز القیم، ولکنه لن یکون منتصرا؛ و قد یخسر الطرف الذی یثبت عند القیم و المبدأ الجولة الواحدة و الثانیة و الثالثة فی المعرکة و تکون له العاقبة المحمودة و النصر.اذن لا یقاس النصر بهذه المقاییس الآنیة و الوقتیة و انما بتحقیق الأهداف و الغایات الحضاریة؛ و الحسین علیه السلام بهذا المقیاس قد انتصر علی یزید، و قبله أخوه الحسن المجتبی علیه السلام علی معاویة، و قبلهما أبوهما علی بن أبی‌طالب علیه السلام علی معاویة، و هذا هو المقیاس الصحیح لمعرفة النصر و الهزیمة،و هذا الذی نقصده نحن من النصر فی الصراع الخالد بین الاسلام و الجاهلیة الذی یضمنه الله تعالی للصالحین من عباده. [صفحه ۴۳]

القیمة الذاتیة للشهادة

اشاره

فی هذه النقطة نتناول قیمة الدم و دوره فی تکامل شخصیة الشهید و سلوکه الی الله تعالی.ان (الدم) فی الوقت الذی یعتبر من أقوی عوامل التحریک فی المجتمع، یعد من أهم عوامل بناء شخصیة المؤمن و تکامله و سلوکه الی الله تعالی.و لکی نفهم قیمة الدم و دوره فی تکامل شخصیة الانسان و سلوکه الی الله لابد أن نلم المامة سریعة بهذه الرحلة الطویلة و العسیرة التی تنقل الانسان من محور (الأنا) و (الذات) و (الهوی) الی محور (ولایة الله) و تمثل حرکة الانسان و سیره التکاملی الی الله.

رحلة الانسان الی الله

اشارة

و یوجز القرآن الکریم هذه الرحلة بقوله تعالی: (یا أیها الانسان انک کادح الی ربک کدحا فملاقیه) [۲۹] ، و بالتأمل فی هذه الآیة الکریمة نلتقی بالنقاط التالیة: [صفحه ۴۴] ۱- ان هذه المسیرة و النقلة، هی الهدف و الغایة من خلق الانسان، و لذلک یتوجه الخطاب فی الآیةالکریمة الی (الانسان)، علی غیر طریقة القرآن فی الخطابات التی تترتب علی الایمان بالله، حیث یوجه القرآن فیها الخطاب الی (الذین آمنوا)، و توجیه الخطاب هنا الی الانسان دون تخصیص بالذین آمنوا فقط، ینم عن أن هذه المسیرة و الرحلة هی الهدف و الغایة من خلق الانسان. و من دون أن یدخل الانسان فی هذه المسیرة، و یتعرض لکدحها و عنائها لا یمکن أن یحقق الغایة و الهدف

من تکوینه و خلقه، و لا یتحقق النضج و الرشد و الکمال المطلوب منه.۲- و تبدأ هذه المسیرة ب(الأناء)؛ بما تکتنف الأنا من الشهوات و الأهواء و الغرائز، بصورة طبیعیة، و تنتهی الی الله: (الی ربک...) و هذا القوس الصعودی من الأنا الی الله هو مسار حرکة الانسان و نموه و تکامله.۳- و لابد أن تتم هذه الحرکة بصورة اختیاریة و طوعیة فی حیاة الانسان، و قیمة هذه الحرکة أنها تتم بصورة اختیاریة و طوعیة و بارادة الانسان. ولو أن هذه الحرکة کانت تتم بصورة قهریة لم تکن تحقق للانسان هذا التکامل و النمو الذی سوف نشیر الیه.ان الموت ینتزع الانسان بصورة قهریة من محور الأنا، و لذاته، و شهواته، و أهوائه، و ما یملک من متاع الحیاة الدنیا، و من الأبناء، و الأزواج، و الأموال، الا أن هذا الانفصال حیث یتم بصورة قهریة لا یحقق للانسان لقاء الله الذی تشیر الیه الآیة الکریمة.و لعل صعوبة (النزع) نابعة من هذا الانتزاع القهری من الحیاة الدنیا و کلما تکون علاقة الانسان بالحیاة الدنیا أکثر و أعمق تکون نزعات الموت علیه أصعب و أقسی. و ان الانسان لیفقد دراهم معدودات من المال أو بعض أعزائه، أو [صفحه ۴۵] بعض ما یملک من حطام الدنیا فیشق علیه ذلک مشقة بالغة، فیکف اذا قهره الموت لینتزعه من کل علاقاته فی الحیاة الدنیا علی الاطلاق، و مرة واحدة.و هذا الانتزاع القهری الذی یحققه الموت لا یرفع من درجة الانسان و لا یحقق للانسان کمالا. لأنه تم بصورة قهریة و من دون ارادة الانسان و انما یتکامل الانسان عندما یسعی لانتزاع نفسه من التعلق بالحیاة الدنیا، و متاعها، و لذاتها، بصورة اختیاریة، و بشکل تدریجی، حتی یتحرر من حب الدنیا و التعلق بها و من (الأنا) و (الهوی) بشکل کامل.و لعل الحدیث المعروف:«موتوا قبل أن تموتوا» [۳۰] یشیر الی هذه الحقیقة، و یکون المقصود بالموت الأول هو الموت الاختیاری و بالموت الثانی هو الموت القهری و الطبیعی. و هذه الحرکة الطوعیة الی الله تتطلب من الانسان الکثیر من الجهد و المعاناة، و ربما تشیر الآیة الکریمة الی هذه الحقیقة فی قوله تعالی: (... انک کادح الی ربک کدحا...).۴- و هذه المسیرة مسیرة کمال الانسان و عروجه الی الله. و الغایة من هذه المسیرة هی أشرف الغایات و أسماها فی حیاة الانسان علی الاطلاق و هی: لقاء الله، و الی هذه الغایة العالیة العلیا تشیر الآیة الکریمة: (فملاقیه).فان لقاء الله هو النتیجة التی تترتب علی مسیرة الانسان لکادحةالی الله، و حسب الانسان فی هذه الرحلة الشاقة و الکادحة أن ینال (لقاء الله) و تلک غایة لا ینالها الا القلیل ممن ارتضاهم الله تعالی و اختارهم.۵- و هذه المسیرة بقدر ما تحقق للانسان الکمال و التسامی و نیل لقاء الله - الذی هو أشرف ما یناله الانسان فی دنیاه و آخرته - تتطلب منه الجهد و العناء [صفحه ۴۶] و الکدح، و هذه الضریبة الحتمیة فی الطریق الی الله هی التی تشیر الیها الآیة الکریمة: (... کادح الی ربک کدحا...)

دراسة للمنطلق و الغایة فی حرکة الانسان

اشاره

منطلق الانسان فی هذه الحرکة هو (الأناء)، و غایة الانسان فی هذه الحرکة هو (الله) تعالی، و الانسان یکدح بین هذا المنطلق و تلک الغایة و المنطلق (الأنا) محفوف دائما بالشهوات و الأهواء، و یتطلب من الانسان الرکون الی متاع الحیاة الدنیا و لذاتها، و التسلیم لها، و یسعی لفرض سلطانه علی الانسان، و حبسه عن العروج و الصعود الی الله.و الغایة فی هذه الرحلة هی الله تعالی و هو سبحانه یطلب من عباده الطاعة و الانقیاد و التسلیم و الرضا و الحب و النصر و تجتمع هذه المعانی جمیعا فی کلمة (الولاء).و الانسان یتحرک کادحا بین هذا المنطلق و تلک الغایة، بین جاذبیة المنطلق بما تحفه من الشهوات و الغرائز، و بین الکدح الشاق و العسیر الی الله تعالی.و لابد أن نقف وقفة قصیرة عند هذا المنطلق و تلک الغایة، لنعرف قوانین و سنن هذه الحرکة الصاعدة (الکادحة) الی الله تعالی من (الأنا).

المنطلق

اشاره

أول شیء یوقفنا فی هذه المسیرة نقطة المنطلق و هی (الأناء) و الذات الانسانیة، و تکتنف (الأنا) ثلاثة أنواع من العوامل: اثنان منهما یتجاذبان الانسان و یسحقانه کحجری الرحی، و یشدان الانسان الی الحیاة الدنیا شدا وثیقا و یقیدانه، و یعرقلان تحرکه و انطلاقه، و یثقلانه بحب الدنیا و متاعها و لذاتها. [صفحه ۴۷] و أجمل تعبیر عن هذا الانشداد هو قوله تعالی: (یا أیها الذین آمنوا ما لکم اذا قیل لکم انفروا فی سبیل الله اثا قلتم الی الأرض أرضیتم بالحیاة الدنیا من الآخرة فما متاع الحیاة الدنیا فی الآخرة الا قلیل) [۳۱] و هذان العاملان اللذان یضغطان علی الانسان، و یشدان الانسان الی الأرض هما:

الشهوات و الغرائز و الأهواء

اشارة

الشهوات و الغرائز و الأهواء و المیول النفسیة. و هذا النوع یکمن داخل النفس و یصطلح علیه القرآن ب(الهوی).

المغریات و المثیرات

اشاره

المغریات و المثیرات التی تحرک الشهوات و تهیج الغرائز، و هذا النوع قائم فی ساحة الحیاة؛ و یثیر الشهوات و الغرائز فی نفس الانسان، کالبنین و النساء و القناطیر المقنطرة من الذهب و الفضة و یصطلح القرآن علیه ب (الفتنة).و بین هذا العامل و ذاک یقع ابلیس اللعین و جنوده من شیاطین الجن و الانس، الذین یقومون بدور الوساطة بین (الأهواء) و (الفتن) بتحریک الشهوات فی نفس الانسان بالمغریات و المثیرات، و جذب الشهوات الی هذه المثیرات. و الانسان فی نقطة (المنطلق) هذه یقع تحت تأثیر هذه العوامل الثلاثة التی تضغط علیه، و تحدد حرکته، و تقیده عن الانطلاق و الصعود.

مثلث الابتلاء فی القرآن الکریم

اشاره

و نعود مرة اخری الی القرآن الکریم لنتعرف علی دور (الأهواء) و (الفتن) و (الشیطان) فی حیاة الانسان.و نبدأ الحدیث عن الشهوات و الأهواء: [صفحه ۴۸]

الهوی

عن الهوی و دوره التخریبی فی حیاة الانسان یقول تعالی: (و اتل علیهم نبأ الذی آتیانه آیاتنا فانسلخ منها فأتبعه الشیطان فکان من الغاوین و لو شئنا لرفعناه بها ولکنه أخلد الی الأرض و اتبع هواه فمثله کمثل الکلب ان تحمل علیه یلهث أو تترکه یلهث ذلک مثل القوم الذین کذبوا بآیاتنا فاقصص القصص لعلهم یتفکرون). [۳۲] .و فی الروایة ان هذه الآیات نزلت فی بلعم بن باعوراء من علماء بنی‌اسرائیل الذی آتاه الله تعالی آیاته فانسلخ منها باتباعه الهوی.و سواء صحت هذه الروایة أم لم تصح فان الآیة الکریمة تشیر الی الدور التخریبی الواسع لسلطان الهوی علی حیاة الانسان و أول هذه الآثار هو الخلود الی الأرض (ولکنه أخلد الی الأرض) و المقصود

بالأرض الحیاة الدنیا، و الخلود: السقوط. و هذا هو الأثر الأول لسلطان الهوی علی النفس و هو السقوط فی لذات الدنیا و حطامها، و الالتصاق بها، و هذا السقوط بطبیعة الحال فی مقابل العروج الی الله، یحبس الانسان عن الله.و الأثر الثانی: هو الانسلاخ عن آیات الله (فانسلخ منها) کما تنسلخ الحیة من جلدها، و ینفصل و یبین عنها تماما، فلم تعد لها علاقة به، و لم یعد له علاقة بها، کذلک الانسان اذا تمکن منه الهوی ینسلخ عن آیات الله و تبین عنه، و یصبح غریبا عنها و تصبح غریبة عنه، و یفقد کل بصیرة و وعی بآیات الله، و یرفضها، کما یرفض المریض الطعام الشهی اللذیذ.و الأثر الثالث: اتباع الشیطان (فاتبعه الشیطان) أی أدرکه، و تمکن منه، و من تمکن منه الشیطان و نشبت فیه مخالبه، سلب منه عقله و قلبه و ضمیره و فطرته [صفحه ۴۹] و کل ما آتاه الله تعالی من القیم و ذلک أقصی درجات السقوط فی حیاة الانسان.و الأثر الرابع: الغوایة و الضلالة (فکان من الغاوین)، و کیف یمکن أن یستقیم علی هدی الله من تمکن منه الشیطان، و سلب منه عقله و قلبه و ضمیره و فطرته و مسخه فلا محالة یکون سعیه کله فی ضلال وغی.و الأثر الخامس: الجشع و الحرص علی حطام الدنیا (فمثله کمثل الکلب ان تحمل علیه یلهث أن تترکه یلهث) فلا یروی ظمأهم الی حطام الحیاة الدنیا و زخرفها شیء و مهما أکثروا منها ازدادوا الیها جشعا. کما یصیب الکلاب داء (الکلب) فلا یرویها ماء، فهی تلهث علی کل حال، کذلک هؤلاء الذین اتبعوا أهواءهم فأخلدوا الی الأرض فلا یزیدهم السعی الی الدنیا الا لهاثا و ظمأ و لست أقول لا تزیدهم الدنیا، و انما أقول لا یزیدهم السعی الی الدنیا، فقد یسعی المؤمن الی الدنیا فیصیب منها ما یشاء الله قل أو کثر، ولکنه لا یلهث خلف الدنیا و لا یزیده السعی الی الدنیا ظمأ و لهاثا من ورائها.روی أن الامام الصادق علیه السلام قال لرجل اشتکی الیه حرصه علی الدنیا:«ان کان ما یکفیک یغنیک، فأدنی ما فیها یغنیک و ان کان ما یکفیک لا یغنیک، فکل ما فیها لا یغنیک». [۳۳] .تلک صورة عن سلطان الهوی علی الانسان و دوره التخریبی فی حیاة الانسان... من القرآن الکریم و یرسم القرآن، علی لسان مرأة العزیز، فی سورة یوسف لوحة اخری لسلطان الهوی علی الانسان، و هی لوحة معبرة و ناطقة و ذلک فی قوله تعالی: (.. ان النفس لأمارة بالسوء...) [۳۴] و تحمل هذه الآیة المبارکة – من معانی تأکید سلطان الهوی علی النفس – الشیء العظیم و کان [صفحه ۵۰] أساتذتنا عندما کنا نقرأ (النحو) یستشهدون بهذه الآیة الکریمة فی تکرار التأکید و توکیدها.فالجملة اسمیة، و مصدرة بأن و الامارة صیغة مبالغة معروفة، و مصدرة باللام لتأکید المبالغة و التأکید.و کل هذه التأکیدات لتثبت الدور التخریبی السیء للهوی (الأمارة بالسوء) و نکتفی بهاتین الآیتین من کتاب الله فی تقریر الدور السلبی لسلطان الهوی فی حیاة الانسان.

الفتنة

و هذا هو الضلع الثانی من مثلث الابتلاء، و الفتنة و الفتن هی المغریات و المثیرات التی تغری الانسان و تثیر النفس، و هی تقع خارج النفس، و فی الحیاة الدنیا، بعکس الهوی الذی یکمن داخل النفس. و الدنیا فتنة، و حطامها فتنة، و ما فیها من الذهب و الفضة و الأموال و الأولاد و الأزواج فتنة. و هذه الفتن تأسر الانسان و تسلبه ارادته، و تستذله.یقول تعالی: (... أنما الحیاة الدنیا لعب و لهو و زینة و تفاخر بینکم و تکاثر فی الأموال و الأولاد کمثل غیث أعجب الکفار نباته ثم یهیج فتراه مصفرا ثم یکون حطاما و فی الآخرة عذاب شدید و مغفرة من الله و رضوان و ما الحیاة الدنیا الا متاع الغرور). [۳۵] .و هذه النقاط التی تذکرها الآیة الکریمة هی کل اهتمامات الانسان عندما یحوم حول محور (الدنیا). و للشیخ بهاء الدین العاملی رحمه الله التفاتة طریفة فی [صفحه ۵۱] تفسیر هذه الآیة الکریمة کما ینقل ذلک العلامة الطباطبائی فی المیزان [۳۶] یقول الشیخ: ان الله تعالی استعرض هذه الحالات الخمس بترتیب و موازاة مراحل عمر الانسان المختلفة. فالانسان یبدأ المرحلة الاولی من عمره باللعب، ثم تعقب هذه المرحلة مرحلة المراهقة و هی مرحلة اللهو، ثم بعد ذلک تأتی مرحلة الزینة و الاناقة فی حیاة الانسان، و هی مرحلة اکتمال و نضج الشباب ثم فی نهایة مرحلة الشباب تبرز فی الانسان حالة حب التفاخر و الرئاء و التظاهر، فاذا تقدم السن بالانسان و أشرف علی الشیخوخة ظهرت فیه حالة التکاثر فی الأموال و الأولاد.و یقول تعالی: (زین للناس حب الشهوات من النساء و البنین و القناطیر المقنطرة من الذهب و الفضة و الخیل

المسومة و الأنعام و الحرث ذلک متاع الحیاة الدنیا و الله عنده حسن المآب). [۳۷] .و هذه النقاط هی أهم المسائل التی تستثیر غرائز الانسان و تهیجها و تشد الانسان الی هذه المغریات التی یحصی القرآن طرفا منها فی هذه الآیة.

الشیطان

و ابلیس و جنوده من الشیاطین هم الضلع الثالث من (مثلث الابتلاء) یقرب البعید للانسان، و یبعد القریب، و یوسوس فی النفس، و یزین للانسان القبیح، و یقبح له الجمیل، و یعرض علیه الفتن عرضا لیزید فی اثارتها و اغرائها، و یحرک أهواء الانسان و شهواته و یفتنه بها: (یا بنی آدم لا یفتننکم الشیطان کما أخرج [صفحه ۵۲] أبویکم من الجنة ینزع عنهما لباسهما لیریهما سوآتهما...) [۳۸] ، (... و لا تتبعوا خطوات الشیطان انه لکم عدو مبین انما یأمرکم بالسوء و الفحشاء و أن تقولوا علی الله ما لا تعلمون) [۳۹] ، (الشیطان یعدکم الفقر و یأمرکم بالفحشاء والله یعدکم مغفرة منه و فضلا...) [۴۰] ، (... و قال لأتخذن من عبادک نصیبا مفروضا و لأضلنهم و لأمنینهم...) [۴۱] ، (استحوذ علیهم الشیطان فأنساهم ذکر الله...) [۴۲] ، (فوسوس الیه الشیطان قال یا آدم هل أدلک علی شجرة الخلد و ملک لا یبلی). [۴۳] .تلک هی الاضلاع الثلاثة لمثلث الابتلاء الرهیب الذی یشد الانسان الی الحیاة الدنیا، و تلک هی نقطة المنطلق فی حیاة الانسان.

اعراض التعلق بالدنیا فی نقطة الانطلاق

و ینشأ من تعلق الانسان بالدنیا، و انشداده الیها ثلاثة أنواع من الأعراض المرضیة الصعبة:منها: ما یتعلق بعلاقته بالدنیا.و منها: ما یتعلق بعلاقته بالله تعالی.و منها: ما یتعلق بعلاقته بالآخرین.و النوع الأول هو: الأمراض الأخلاقیة التی تخص علاقة الانسان بالدنیا مثل [صفحه ۵۳] (الحرص) و (الطمع) و (الجشع) و (الرکون الی الدنیا) و (البطر) و (طول الأمل)... و غیر ذلک.و النوع الثانی: الأعراض التی تخص علاقة الانسان بالله تعالی و هی کثیرة و مما لا شک فیه أن علاقة الانسان بالدنیا لها انعکاس مباشر و نسبة عکسیة علی علاقة الانسان بالله تعالی و کلما کان اقبال الانسان و انشغاله بالدنیا أکثر قل اقباله علی الله تعالی و ذکره ایاه. و القرآن الکریم یشیر الی هذه الحقیقة فی قوله تعالی: (کلاّ ان الانسان لیطغی أن رآه استغنی) [۴۴] أن الاحساس بالاستغناء و هم کاذب ناتج عن تعلق الانسان بالدنیا و اقباله علیها و اعتماده علیها و هو لیس من الاستغناء فان الانسان لا یستغنی عن الله تعالی فی کل حال، یقول تعالی: (یا أیها الناس أنتم الفقراء الی الله...) [۴۵] ، و انما هو توهم کاذب للاستغناء و تعبیر القرآن عن ذلک دقیق (أن رآه استغنی) و لیس (أن استغنی) و بین هذا و ذاک فرق. اذن المسألة نفسیة، و لیست موضوعیة. و بتعبیر آخر لیس الغنی والتمکن من أسباب الحیاة الدنیا هی التی تؤدی بالانسان الی الطغیان، اذا کان الانسان یشعر فی قرارة نفسه فی کل الحالات بفقره و حاجته الی الله، و انما الذی یؤدی الی الطغیان فی علاقته بالله هو و هم الاکتفاء بالدنیا عن الله و الاستغناء بالدنیا عن الله، و هو یؤدی الی الشره و الحرص و یؤدی الی الطغیان و الاعراض عن الله تعالی فی وقت واحد.اذن الاقبال علی الدنیا، و الاعتماد علیها، و التعلق بها یؤدی بالانسان الی الاعراض عن الله بدرجات مختلفة علی قدر اقباله علی الدنیا، و تعلقه بها، [صفحه ۵۴] و انشداده الیها، و یؤدی به الی ضعف الثقة بالله و ضعف التوکل علی الله، و ضعف الیقین بالله، و ینعکس انعکاسا سلبیا علی یقینه و ثقته و اقباله و توکله علی الله و هذا هو النوع الثانی من الأعراض النابعة عن تعلق الانسان بالدنیا.و النوع الثالث من هذه الأعراض: هی الأعراض الناجمة عن الاحتکاک و التنافس، و التزاحم فیما بین الناس علی حطام متاع الدنیا، کالحسد و البغضاء و سوء الظن، و الغیبة، و الکذب، و المماراة، و الجدال، و التقاطع، و التسقیط و العدوان.و هذه الأمراض الثلاثة نابعة من حب الدنیا، و هی من عوامل انحراف الانسان و سقوطه، و لذلک ورد فی الحدیث الشریف«حب الدنیا رأس کل خطیئة». [۴۶] .هذا هو - علی نحو الایجاز الشدید - المحور الأول أو المنطلق فی حیاة الانسان، و هو

(الأنا). و الأعراض المرضیة الناجمة عن ارتباط الانسان بهذا المحور و التی تجره الی السقوط و الهلاک.

الغایة

اشاره

و المحور الآخر فی حیاة الانسان هو (الله)؛ فعندما ینتقل الانسان الی هذا المحور یضع نفسه بشکل کامل تحت تصرف حکم الله و ارادته و سلطانه، و أمره، و نهیه، و ینقاد لسلطان الله انقیادا کاملا فی کل أمر یرتبط بحیاته، فیما یتعلق بجوارحه و أعضائه، و ما یتعلق بجوانحه و حبه، و بغضه، و یخرج بشکل کامل من [صفحه ۵۵] سلطان الهوی و الأنا، و ینتزع نفسه انتزاعا کاملا من سلطان هذا المحور، و یدخل فی دائرة سلطان ولایة الله بشکل مطلق، و من دون حدود و قیود فلا یحب الا ما یحب الله، و لا یبغض الا ما یبغض الله، و یحب الله، و یحب لله، و یحب فی الله، و یبغض فی الله، و ینقاد لأمر الله و نهیه، و یستسلم لمشیئة الله و حکمه، استسلاما کاملا.و الآیة الکریمة التالیة من سورة الأنعام تعطی تصورا واضحا و دقیقا لهذا المحور الذی نتحدث عنه، و الذی هو دین ابراهیم علیه السلام: (قل اننی هدانی ربی الی صراط مستقیم دینا قیما ملة ابراهیم حنیفا و ما کان من المشرکین قل ان صلاتی و نسکی و محیای و مماتی لله رب العالمین لا شریک له و بذلک امرت و أنا أول المسلمین). [۴۷] .فلن یکون الانسان داخلا فی دائرة ولایة الله، و خاضعا للمحور الربانی فی الحیاة الا عندما یکون کل شیء فی حیاته لله تعالی من دون استثناء: صلاته و نسکه، و حیاته، و مماته.

الطاعة و التسلیم و الذکر و الرجاء و الرهبة و الحب

و من أهم مقومات هذا الارتباط:الطاعة و التسلیم و الذکر، و الرجاء و الرهبة و الحب و رأس کل ذلک (الیقین)، و هو من أعز ما أنعم الله تعالی علی عباده من النعم. و لابد أن تجتمع هذه الامور جمیعا حتی یخرج الانسان من دائرة الأنا، و یدخل فی دائرة ولایة الله تعالی. [صفحه ۵۶] و من الطاعة التبعیة لأحکام الله، و الالتزام بحدوده تعالی و القیام بفرائضه، و التقوی.و من التسلیم: الرضا بقضائه و قدره، و التسلیم لمشیئته و ارادته.ومن الذکر وعی حضور الله تعالی، و استحضار سلطان الله فی کل الحالات، و المراقبة و المحاسبة، و انفتاح القلب علی الله و الانصراف الی الله و انشغال القلب بالله تعالی و صفاته و أسمائه الحسنی عن کل شیء آخر الا أن یکون فی امتداد ذکر الله و أمره.و من الرجاء الدعاء و السؤال و الاستغفار.و من الرهبة التضرع و البکاء و التقوی و الخشیة و الخشوع.و من الحب الانس بالله و الحب فی الله و البغض فی الله، و الحنین و الشوق الی لقاء الله و الابتهاج بذکر الله و قضائه.و سبیل الانسان الی حب الله تعالی: الطاعة والتبعیة و التقوی و الانقیاد لأحکام الله و اذا أحب الانسان ربه أحبه الله، یقول تعالی: (قل ان کنتم تحبون الله فاتبعونی یحببکم الله...) و اذا أحب الله عبدا رزقه نورا فی بصره، و سمعه، و قلبه، و قوة فی بطشه، و تسدیدا فی کلامه و نطقه و فعله.فقد ورد فی الحدیث القدسی:«ما یتقرب الی عبدی بشیء أحب الی مما افترضته علیه، و انه لیتقرب الی بالنوافل حتی أحبه، فاذا أحببته کنت سمعه الذی به یسمع و بصره الذی یبصر به و لسانه الذی ینطق به و یده التی یبطش بها ان دعانی أجبته و ان سألنی أعطیته». [۴۸] . [صفحه ۵۷] و اذا خرج الانسان من سلطان الهوی و دخل فی دائرة ولایة الله رزقه الله، کما فی هذا الحدیث، نورا فی بصره، و سمعه، و تسدیدا فی کلامه و منطقه و فعله، و قوة فی بطشه. فیسمع بالله و یبصر بالله و ینطق بتسدید الله و یبطش بحول الله و قوته.

کیف یأخذ الانسان و یعطی بالله؟

و بالتأمل فی هذا الحدیث نجد أن الانسان عندما یتحول بشکل کامل الی محور الولایة الالهیة یتحول الی أداة طیعة لتنفیذ مشیئة الله،

فی الأخـذ و العطاء معا، فهو فی الجانب الأول (الأخـذ و التلقی) یسـمع بالله و یبصـر بالله. و فی الجانب الثانی (العطاء و الارسال) ینطق بتسدیـد الله، و یبطش بحول الله و قوته. والله تعالی یختار الانسان فی هـذه الحالـة لیکون أداة لتنفیذ مشـیئته و ارادته علی وجه الأرض. یأخذ بالله و یعطی بالله ولله، فلا یکون للأنا، و الذات، و الهوی دور فی عمله و حبه و بغضه و تحرکه و کلامه، و موقفه و سکوته، و لا یکون للأنا و الهوی أی درجة من درجات السـلطان و النفوذ و التأثیر علی حیاته، و سـلوکه و فکره و رأیه.و هذا هو معنی الانسـلاخ و الانتزاع الکامل من سـلطان الأنا و الخضوع و الارتباط التام بولایـة الله تعالی و هو معنی الانفصال الکامل عن المحور الأول و الانتقال الکامل الی المحور الثانی.و لهذا الانفصال و الانتقال من محور الی محور آیات و علامات فی حیات الانسان یشیر الی بعضها حدیث الولایة القدسـی السابق:«ان دعانی أجبته و ان سألنی أعطیته».هذه هی خلاصة شدیدة الاختصار عن المحور الثانی فی حرکة الانسان. [صفحه ۵۸] و الآن نریـد أن نتحـدث عن حرکـة الانسان من نقطـة البدایـة (محور الذات) الی نقطة النهایة و الغایة فی حرکته و نموه و تکامله (محور الولایة الالهیة).

الحرکة من الأنا الی الله

اشاره

و خلاصـة هـذه الرحلـة: الانطلاـق من الشـهوات و الأـهواء(المحور الأـول) الی الله (المحور الثـانی) و الصـعود من حضـیض الـذات و الشهوات الی قمة الحب و الارتباط بالله و الولاء له.و هذه الحرکة ذات شطرین:شطر یتعلق بالانطلاق من (الأنا).و الآخر یتعلق بالصعود و العروج الی الله.و علی القاعـدة العامـة فـان الانطلاـق أصـعب من الصـعود و الحرکـة. و المعروف أن أکثر ما تحتاجه الصورایـخ من الوقود و الطاقة فی الانطلاق من الأرض و التحرر من نفوذ جاذبیة الأرض.و الانطلاق هنا من الذات، و ما تکتنف الذات من الشـهوات. و فی هـذا الانطلاـق یتحرر الانسـان من الشـهوات و الأهواء، و یخرج من دائرة نفوذ الشـهوات و الأهواء و هـذه الـدائرة تطوق الانسان عادة، و تطبق علیه، و تحصـره فی نطاقها، بین الأضـلاع الثلاثة لمثلث الابتلاء الذی تحدثنا عنه، فلا یستطیع الانسان أن ینفلت من قبضة سلطان هذا المثلث الرهیب، ولن یتحرر منه الا بمشـقة بالغة.فان الشـهوات و الغرائز الکامنة فی النفس تشد الانسان شدا وثیقا و محکما بالمال و البنین و الأزواج و المواقع و ما یشبه ذلک من زینة الحیاة الدنیا، و لا یستطیع أن ینطلق الی لقاء الله و یدخل فی دائرة ولایة الله قبل أن یتحرر من هـذه [صـفحه ۵۹] القیود التی تعیق تحرکه و انطلاقه.و لـذلک فالشـطر الأول من مهمـة الانسان هو التحرر من هـذه القیود و التعلقات، و الشطر الثانی هو الصعود و التحرک الی الله، و الدخول فی دائرة ولایة الله و من دون أن یتحرر الانسان من المحور الأول لایسـتطیع أن یرتبط بالمحور الثانی من دون أن ینتزع نفسه من سـلطان الأنا و الهوی، لا یستطیع أن یدخل فی دائرة سلطان ولایة الله.

التقوی و ذکر الله فی شطری الحرکة

و اذا عرفنا أن لسـفر الانسان من محور (الأنا) الی محور (ولایـة الله) مرحلتین: مرحلـة التحرر من (الأنا) و مرحلـة الارتباط بمحور ولایة الله، فلابد أن نعرف الأداة التی تمکن الانسان فی کل من هاتین المرحلتین من العمل و هما أداتان اثنتان: (التقوی) فی التحرر من أسـر الشـهوات و مکافحة الأهواء (للمرحلة الاولی).(و الذکر) فی السیر الی الله و الارتباط بالله و الانضـمام الی محور (ولایة الله)، (للمرحلة الثانیـة). و هاتـان الأداتـان همـا قوام کـل التعلیمـات الاسـلامیة لاعـداد الانسان و تربیته و تأهیله للتکامل.و قـد ورد فیما أوصـی الامام أمیرالمؤمنین ابنه الحسن علیه السلام:«اوصیک (بتقوی) الله یا بنی و لزوم أمره و عمارة قلبک بذکره)» [۴۹] .و لنتحدث أولا عن الأداة

التی تمکننا من التحرر من الهوی و الذات فی المرحلة الاولی و هی (التقوی) و بعد ذلک نتکلم عن الأداة التی تربطنا بمحور الولاء لله تعالی، و تقربنا من الله. [صفحه ۶۰]

التقوی للتحرر من الهوی

أن العقبة الکبری التی یواجهها الانسان فی حرکته الی الله هی (الهوی).قال الله تعالی: (... و لا تتبع الهوی فیضلک عن سبیل الله). [۵۰] .یقول الصادق علیه السلام:«احذروا أهواءکم کما تحذرون أعداءکم فلیس شیء أعدی للرجال من اتباع أهوائهم و حصائد السنتهم». [۵۱] .و یقول أمیرالمؤمنین علیه السلام:«ان أخوف ما أخاف علیکم اثنان: ابتاع الهوی و طول الأمل فأما اتباع الهوی فیصد عن الحق و أما طول الأمل فینسی الآخرة». [۵۲] .و کما أن تجاوز الهوی هو المرحلة الاولی و الأهم فی حرکة الانسان التکاملیة الی الله... کذلک فی الاستجابة للهوی السقوط و التردی الکامل للانسان. و درجة سقوط الانسان و انحطاطه الروحی و الخلقی تتناسب تناسبا طردیا مع درجة استجابته و استسلامه للهوی. یقول أمیرالمؤمنین علیه السلام:«أنکم ان أمرتم علیکم الهوی أصمکم و أعمامکم و أرداکم». [۵۳] .و عن الامام الجواد علیه السلام:«من أطاع هواه أعطی عدوه (الشیطان) مناه». [۵۴] .و قد عد الاسلام مکافحة (الهوی) الجهاد الأکبر، فی الوقت الذی یعد فیه مکافحة (الطاغوت) الجهاد الأصغر.عن موسی بن جعفر علیهماالسلام:«قال: ان رسول الله صلی الله علیه وآله بعث سریة فلما رجعوا [صفحه ۶۱] قال مرحبا بقوم قضوا الجهاد الأصغر، و بقی علیهم الجهاد الأکبر، قیل یا رسول الله و ما الجهاد الأکبر؟ قال: جهاد النفس». [۵۵] .

المقارنة بین الهوی و الطاغوت

و المقارنة هنا بین مکافحة الهوی و مکافحة الطاغوت تلفت الأنتباه، فان العقبة فی طریق الانسان الی الله عقبتان: الهوی و الطاغوت. و کلاهما یعیقان طریق الانسان الی الله... و للطاغوت دور بارز و فاعل و مؤثر فی تحدی الأنبیاء و رسالات الله و اعاقة حرکة الأنبیاء علیهم‌السلام. و الصراع بین الأنبیاء و الطاغوت أبرز أحداث التأریخ بل هو التأریخ، و ما عدا ذلک أحداث علی هامش التأریخ... و مع ذلک فان رسول الله صلی الله علیه وآله یقول أن مواجهة (الطاغوت) من (الجهاد الأصغر) و مواجهة (الهوی) من (الجهاد الأکبر).

الصیغة الایجابیة للتقوی

و الأداة المفضلة و القویة فی مکافحة الهوی و مجاهدة النفس فی الاسلام هی التقوی. و (التقوی) هی ضبط النفس علی حدود الله و أحکامه، و تحکیم حدود الله، و شریعة الله علی تصرفات الانسان و تحرکه و عمله، و لیست التقوی کبتا للنفس، و لا ـ حظرا علی الانسان من الاستجابة لرغبات النفس و مشتهیاتها... و انما هی ضبط النفس فقط علی حدود الله من الحلال و الحرام، و فرض سلطان الحدود الالهیة علی النفس.لیست التقوی حرمان النفس من الاستجابة لمتطلباتها و رغباتها و مشتهیاتها [صفحه ۶۲] المحرمة فقط و انما التقوی قبول سلطان الحدود الالهیة، و تحکیمها علی النفس، و التمکن من نزوات النفس و رغباتها، و التحرر من سلطان الهوی، و انتزاع النفس من قبضة (الأهواء) و(الفتن).و التقوی بهذا المعنی معنی ایجابی، و هو التمکن من النفس، و القدرة علی انتزاع النفس من سلطان الأهواء و الشهوات، و لیس معنی سلبیا بمعنی ترک الحرام، و هی بهذا المعنی الشوط الأول لحرکة الانسان الی الله.

الشوط الثانی من حرکة الانسان

و المرحلة الثانیة من هذه الرحلة، هی العروج و الصعود الی الله، و الدخول فی دائرة ولایة الله تعالی، بعد أن یتمکن الانسان من انتزاع

نفسه من محور الأنا و الـذات و الهوی، و لابـد فی الشوطین جمیعا من الطاعة، فهو العنصـر المشترک فی کل من هاتین المرحلتین، الا أن المرحلة الاولی تتمیز بالتحرر من محور الهوی و الأنا، و المرحلة الثانیة تتمیز بالتحرک للدخول فی دائرة نفوذ و سـلطان ولایة الله و الارتبـاط بـالمحور الالهی.و معنی الارتباط بالله: أن یجعل الانسان وجه الله تعالی هـدفا له فی کل أعماله و تصـرفاته و یخلص فی کل أعمـاله لله: (قـل ان صـلاتی و نسـکی و محیـای و مماتی لله رب العالمین)، و یجعل مرضاة الله محورا ثابتا لکل حیاته و تصـرفاته، و لا یبتغی غیر مرضـاة الله شیئا، و أن یـدخل بشـکل کامـل فی دائرة ولایـة الله، فلا یکون له رأی أو حکم، أو هوی أو حب، أو بغض، أو عمل، أو حرکة، أو کلمة، فی غیر ما یحکم الله تعالی و یرید. و یحب و یبغض فی الله، و یحکم ارادة الله و مشیئته و حبه و بغضه علی قلبه و صدره و عقله و عواطفه و أحاسیسه و جوارحه و أعضائه. و یتجرد عن کل صبغة، و رأی، و هوی، و یتخذ صبغة الله تعالی صبغة لنفسه، [صفحه ۶۳] و یوجه نفسه، و رأیه، و هواه، و حبه، و بغضه، حیث یریـد الله، و یرضـی به الله، و یمکن حب الله من قلبه و نفسه، فلاـ یکون هنـاک شـیء أحب الیه من الله و رسوله. فلن یکون الانسـان ذائبـا فی هـذا المحور الربـانی، و لن یکون ایمـانه من الایمـان الکامـل، و لن یـأمن عـذاب الله و مکره اذا کـان هنـاک فی حیـاته شـیء أحب الیه من الله و رسوله. (قـل ان کان آباؤکم و أبناؤکم و اخوانکم و أزواجکم و عشیرتکم و أموال اقترفتموها و تجارة تخشون کسادها و مساکن ترضونها أحب الیکم من الله و رسوله و جهاد فی سبیله فتربصوا حتی یـأتی الله بـأمره والله لا یهـدی القوم الفاسـقین.) [۵۶] ذلـک أن هؤلاـء لم یتمکنوا بعـد من الانتقال من المحور الأول، و لم یتوفقوا فی انتزاع أنفسـهم من سـلطان الآباء، و الأبناء، و الاخوان و الأزواج، و العشائر، و الأموال، و التجارة، و المساکن، و مـا زالوا تحت سـلطان و نفوذ هـذه المغریـات و المثیرات من متاع الحیاة الـدنیا، و علاقاتها و (فتنها).أما الـذین آمنوا، و الـذین انتزعوا أنفسـهم من سـلطان الهوی، و ارتبطوا بمحور الایمان بالله، و ولایـة الله فانهم أشد حبا لله من کل ذلک... و هذا هو معنی الانفصال من محور الأنا و الانتقال الی محور ولایـة الله، (... و الذین آمنوا أشد حبا لله...) [۵۷] .و قد ورد عن الامام الصادق علیه السلام:«لا یمحض رجـل الایمـان بـالله حتی یکون الله احب الیه من نفسه، و أبیه، و أمه، و ولـده، و أهله، و من الناس کلهم» [۵۸] .وعن الفضیل بن یسار قال سألت أباعبدالله الصادق علیه السلام عن الحب و البغض أمن الایمان هو؟ فقال:«و هل الایمان الا الحب و البغض.» [۵۹] . [صفحه ۶۴] و فی الحدیث الشریف:«الدین هو الحب و الحب هو الدین» [۶۰] .

ذکر الله للعروج الی الله

و الأـداة المفضـلة و المؤثرة فی تحکیم و توثیق الارتباط بین المؤمنین و بین الله عزوجل، و تعمیق الصـلة و العلاقـة بین العبـد و ربه، و ربط الانسان بهـذا المحور الربانی فی الحیاة و اخلاص عمله و جهـده لله تعالی... أقول ان الأداة التربویـة المفضـلة فی الاسـلام لتحقیق هذه الغایة هو (الذکر)، و ان للذکر دورا کبیرا و أساسیا فی ربط الانسان بالله و فی انشداده بهذا المحور الالهی الذی تحدثنا عنه، وفی حرکته التکاملیـة الی الله.فـان (الـذکر) هو الصـلة القلبیـة التی تربـط الانسان بالله و تجعله علی ذکر منه، و یجعل الانسان واعیا و شاعرا لحضور الله سـبحانه و تعالی بصفاته و أسمائه الحسنی...و مستحضرا لعظمة الله و جلاله و جماله، و ینبه الانسان الی حضور الله، و یزیل عـن نفسه الغفلـة، یقـول تعـالی: (و اذکر ربـک فی نفسـک تضـرعا و خیفـة و دون الجهر من القـول بالغـدو و الآصـال و لاـ تکن من الغافلین). [۶۱] .و یعصم صـاحبه عن الـذنب. روی عن البـاقر علیه السـلام: ثلاـث من أشـد مـا عمـل العباد! انصاف المرء من نفسه، و مواساة المرء أخاه، و ذکر الله علی کل حال، و هو أن یذکر الله عزوجل عند المعصـیة یهم بها فیحول ذکر الله بینه و بین تلک المعصیة و هـو قول الله عزوجـل: (ان الـذین اتقوا اذا مسـهم طـائف من الشـیطان تـذکروا فـاذا هم مبصـرون). [۶۲] . [صـفحه ۶۵] و سـر هذه (العصـمة) و (الحصانة): ان الذکر اسـتحضار لسلطان الله و حضوره الدائم، و استحضار لحضور العبد فی کل حالاته بحضور الله تعالی، و هذا الاحساس و الوعی لحضور الله یعمق فی النفس حالة المراقبة الدائمة و الانتباه الدائم، و یحجز الانسان عن الانزلاق مع الشـهوات و الأهواء الی معصیة الله تعالی.و (الذکر) انفتاح العبد علی جلال الله تعالی و جماله، و هذا الانفتاح یشد الانسان بالله تعالی و یملأ قلب

العبد حبا له و شوقا اليه و انسا به.عن أميرالمؤمنين عليه السلام:«الذكر نور العقول و حياة النفوس و جلاء الصدور» [۶۳] و«ذكر الله مجالسة المحبوب» [۶۴] و«الذكر يؤنس اللب» [۶۵] ، اذن (الذكر) يؤنس الانسان بالله تعالى، و يشوقه، و يحببه اليه، و يقرب الانسان من الله كما يقرب الجليس من جليسه و يأنس به، و حاشاه و سبحانه من مشابهة خلقه و مجالستهم. و قد روى عن رسول الله صلى الله عليه وآله:«ان موسى بن عمران عليه السلام لما ناجى ربه عزوجل، قال: يا رب أبعيد أنت منى فاناديك أم قريب فاناجيك؟ فأوحى الله جل جلاله: أنا جليس من ذكرنى». [۶۶] .و من الذكر الذكر الخفى و منه الدعاء، و المناجاة، و الأذكار الواردة، و الصلاة: (أقم الصلاة لذكرى) [۶۷] ، و فى الحج الكثير من الذكر، و الجهاد لا يتم الا بذكر الله و استحضار صفاته الجلالية و الجمالية و الشوق اهلى لقاء الله، و ايثار لقاءه على الحياة الدنيا. [صفحه ۶۶] و على نحو الاجمال فان العبادات فى الاسلام تشتمل على الكثير من أبواب الذكر و ألوانه، و لأهمية الذكر بشكل خاص فقد ورد الأمر بالاكثار من الذكر المداومة على الذكر فى النصوص الاسلامية.يقول تعالى فى الاكثار من الذكر: (يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا و سبحوه بكرة و أصيلا) [۶۸] ، و فى الحديث الشريف عن رسول الله صلى الله عليه وآله:«عليك بتلاوة القرآن و ذكر الله كثيرا فانه ذكر لك فى السماء و نور لك فى الأرض» [۶۹] .و روى عن الامام الصادق عليه السلام:«أكثروا ذكر الله ما استطعتم فى كل ساعة من ساعات الليل و النهار فان الله أمر بكثرة الذكر له» [۷۰] .و روى عن أميرالمؤمنين عليه السلام فى دوام الذكر: المؤمن دائم الذكر كثير الفكر».و فى وصية الامام لابنه الحسن عليه السلام:«و كن لله ذكرا على كل حال» [۷۱] ، و ورد فى الدعاء:«الهى فألهمنا ذكرك فى الخلأ و الملأ، و الليل و النهار، و الأعلان و الأسرار، و فى السراء و الضراء و آنسنا بالذكر الخفى» [۷۲] .و بعد: فهذا هو المنهج العلمى فى الاسلام لحركة الانسان من محور (الأنا) الى (الله) و يتم هذا المنهج ضمن مرحلتين: المرحلة الاولى فى الاقلاع عن محور الذات و الهوى، و أداة هذه المرحلة (التقوى)، و المرحلة الثانية فى الارتباط بالمحور الالهى و الدخول فى دائرة ولاية الله، و أداة هذه المرحلة (الذكر). [صفحه ۶۷]

المنهج الأخلاقى فى حركة الانسان الى الله

و الى جنب هذا المنهج العملى هناك منهج تربوى و أخلاقى فى الاسلام يعين الانسان فى هذه المرحلة فى الحركة من الأنا الى الله، و يسرع عملية الانفصال و الانتقال التى تحدثنا عنها.و الفصل الأول من هذا المنهج يعين الانسان على التغلب على النفس و أهوائها و نزواتها، مثل (الايثار) و (الزهد) و (الجود) و (حسن الظن) الذى يكافح حالات (الحرص) و (الطمع) و (البخل) و (سوء الظن) فى نفس الانسان و غير ذلك من الوسائل الأخلاقية التى تمكن الانسان من أهوائه و شهواته.و الفصل الثانى يعين الانسان على الارتباط بالله كالشكر، و التسليم لله، (و الرضا بأمر الله)، و الانس بالله، و الحب، و ما الى ذلك من أبواب و فصول الأخلاق التى تعين الانسان على الارتباط بالمحور الالهى. و بهذه الطريقة المزدوجة (العملية - الأخلاقية) يسعى الاسلام لنقل الانسان من محور الأنا الى محور ولاية الله.و لا يمكن أن يستغنى الانسان بأحد من المنهجين (العملى أو الأخلاقى) عن الآخر فان طريق الانسان فى الانتقال من الأنا الى الله طريق شاق عسير، و كادح: (يا أيها الانسان انك كادح الى ربك كدحا فملاقيه) [۷۳] ، و لا يتيسر للانسان أن يسلك هذا الطريق الكادح و المتعب الا بالتنفيذ الكامل لهذا المنهج الاسلامى المزدوج (المنهج العملى و الأخلاقى). [صفحه ۶۸]

و استعينوا بالصبر و الصلاة

و مع كل هذا الاعداد التشريعى و التربوى للانسان، فان مشقة الطريق، و عناء الرحلة، و المزالق الخطرة على الطريق، و بعد الشقة، و طول المعاناة، و المراصد المبثوثة للشيطان على امتداد الطريق، هنا و هناك، و وعورة السير فيما بين هذين المحورين يؤدى بالكثير من الناس الى التباطؤ، و الضعف عن مواصلة السير، و ايثار العافية و الراحة على و عثاء الحركة و السير، و التراجع، و التساقط أثناء السير، و

لـذلک یأمرنـا القرآن الکریم بـالصبر و الصـلاة فی هـذه المسـیرة الکادحـة دائمـا: (و اسـتعینوا بـالصبر و الصـلاة و انها لکبیرة الا علی الخاشعین) [۷۴] ، الصبر علی عنـاء الطریق، و وعثاء السـفر، و مواجهـة المتاعب.و الصـلاة و الـدعاء، و الاسـتعانة بالله، و الاسـتمداد من حول الله و قوته فی هذه المسـیرة الصـعبة و الطریق الطویل فاذا استسلم الانسان للضعف و العجز و حب العافیة و الراحة فلن یتمکن من مواصـلة السـیر، و اذا اطمأن الی حوله و قوته، دون حول الله و قوته، و وثق بقـدرته علی الاسـتمرار فی الطریق، دون أن یطلب العون و المـدد فی هـذا الطریق من الله، فلا یکاد یتمکن من الاسـتمرار و المضـی فی هـذه الرحلـة الکادحـة. فلابـد اذن فی هـذه المرحلـة من (الصبر) و من (الصلاة) معا حتی یتمکن الانسان من الاستمرار و المضی علی هذا الطریق الطویل.

ضریبة الحرکة الی الله

و بعـد: فهذه النبذة اجمال شدید الاختصار لمسـیرة الانسان الکادحة من محور [صـفحه ۶۹] (الأنـا) الی محور (الله) و التی یقول عنها القرآن الکریم: (... انک کادح الی ربک کـدحا فملاقیه)، و هـذه الرحلـة یقطعها الانسان فی عناء و مشـقة بالغة: (لا اقسم بهذا البلد و أنت حل بهـذا البلد و والد و ما ولد لقد خلقنا الانسان فی کبد) [۷۵] ، فقد خلق الله تعالی الانسان لهذه المسیرة الکادحة فی وسط من العناء و الجهـد و المشـقة و الکبـد، و لن ینال الانسان حظه من الکمال الـذی أعده الله تعالی له الا فی هذه الرحلة المحفوفة بالابتلاء و العناء و الآلام و الکدح.و لیست هذه السـنة الالهیة فی الابتلاء خاصة بهذه الامة دون سائر الأمم، و انما هی سـنة لله تعالی عامة، شملت من قبلنا من الامم، کما شـملتنا، و أحاطت مسیرتهم بالعناء و الابتلاء، کما حفت مسیرتنا: (أم حسبتم أن تدخلوا الجنة و لما یأتکم مثل الذین خلوا من قبلکم مستهم البأساء و الضراء...) [۷۶] .

الشهادة اختزال للحرکة من الأنا الی الله

و الشـهداء – و هنا نرید أن ننتقل الی صلب الموضوع بعد هذه الجولة الواسعة فی مسیرة الانسان – یقطعون هذه المسیرة بحرکة سریعة و قویة و خفیفة واحدة بالشـهادة و التضـحیة، فتنقلهم الشهادة و التضحیة مرة واحدة من محور الأنا و الهوی و الی محور الله، و تنتزعهم انتزاعا کاملا من الأهواء و الشـهوات، و من کل العلاقات التی تربطهم بهـذه الـدنیا الی محور ولایـة الله نقلـة واحدة من حب النفس و حب الـدنیا الی حب الله، و من ولایـة الطاغوت الی ولایـة الله، و من الانهماک فی لذات الدنیا الی الاسـتغراق فی رضوان الله تعالی، و من ألوان التعلقات و الحب [صفحه ۷۰] و البغض التی تصبغ مشاعر الانسان فی هذه الدنیا الی صبغة الله الفریدة.هذه القفزة السریعة و الخفیفـة التی تنقل الانسان مرة واحـدة من محور الی محور هی من خصائص الشـهادة. و الشـهید عنـدما یقـدم علی الشـهادة، بوعی و بصـیرة من أمره، ینتزع نفسه بحرکـة قویـة و خفیفة واحدة من وسط کل العلاقات و الصـلات و الأواصـر التی تشده الی هذه الدنیا من مال و بنین، و زوج، و متاع الدنیا، و لذات، و شـهوات، و جاه و اعتبارات اجتماعیة، و بحرکة واحدة یقطع کل هذه الجبال، و الخیوط، و الوشائـج التی الی الـدنیا و یخف للصـعود الی الله.أرأیت المنطاد عنـدما تتقطع الحبال التی تشده الی الأرض کیف یخف للصـعود و یرتفع الی السـماء؟ کـذلک الشـهید... لا یعیقه شـیء بعـد أن ینتزع نفسه من وسط هـذه الأواصـر الدنیویة عن التحرک و الصـعود الی الله.ان الشـهادة عملیة مبارکة مزدوجة: انتزاع النفس من أواصـرها التی تشدها بهذه الدنیا، و التی قوامها فی هذه النفس، و الصعود الی الله ثم التحرک الی رضوان الله و قوامه الحب، و التسلیم، و الرضا، و الطاعة، و الذکر، و الیقین.

نقلة الحر من محور الطاغوت الی محور الله

فقد کان الحر بن یزید الریاحی رحمه الله قائدا فی جیش عمر بن سـعد و کان یقع تماما فی الجهة المقابلة للحسین علیه السلام، فأنتقل

فی أحرج اللحظات بحرکة سریعة و خاطفة الی جبهة الحسین علیه السلام یقول أصحاب السیر: أن الحر أقبل علی عمر بن سعد و قال له: أمقاتل أنت هذا الرجل؟ قال: أی والله قتالا ـ أیسره أن تسقط فیه الرؤوس و تطیح الأیدی. قال: ما لکم فیما عرضه علیکم من الخصال؟فقال عمر بن سعد: لو کان الأمر الی لقبلت، و لکن أمیرک (ابن‌زیاد) أبی ذلک [صفحه ۷۱] فترکه و وقف مع الناس، و کان الی جنبه قرة بن قیس فقال لقرة: هل سقیت فرسک الیوم؟ قال: لا.قال: فهل تریدأن تسقیه؟ فظن قرة انه یرید الاعتزال، و یکره أن یشاهده، فترکه. فأخذ الحر یدنو من الحسین قلیلا، فقال له المهاجر بن اوس: أتریدأن تحمل؟ فسکت و أخذته الرعدة، فارتاب المهاجر من هذا الحال، و قال له: لو قیل لی من أشجع أهل الکوفة لما عدوتک، فما هذا الذی أراه منک؟فقال الحر: انی أخیر نفسی بین الجنة و النار، والله لا أختار علی الجنة شیئا و لو احرقت، ثم ضرب جواده نحو الحسین علیه السلام، منکسا برأسه حیاء من الحسین حیث جعجع بهم فی هذا المکان. [۷۷] .هکذا، فی لحظات قصیرة، و سریعة، و بحرکة خفیفة، ینتقل الحر من محور الی محور، و من موقع الی موقع معاکس للأول تماما، و یهاجر من امارة جیش عمر بن سعد الی جند الحسین، و من الأنا الی الله تعالی، و تلک هجرتان تتمان فی اللحظات الأخیرة من حیاته فی لحظة قصیرة و سریعة.

نقلة زهیر من ولایة الطاغوت الی ولایة الله

و مثال آخر علی هذه الحرکة السریعة الی الله تعالی - عبر الشهادة - هجرة زهیر بن القین رحمه الله. فقد کان عثمانی الهوی. و لم یکن هواه مع آل محمد صلی الله علیه وآله و قد حج البیت فی عام (۶۰ ه)، و کان یساير موکب الحسین علیه السلام فی الطریق الی العراق الا ـ أنه کان یحرص ألا ـ ینزل بالقرب من خیام الامام، مخافة الاجتماع به، حتی انتهت قافلة الامام الی (زرود)، فلم یجد زهیر رحمه الله أبدا من أن ینزل بخیامه [صفحه ۷۲] بالقرب من خیام الحسین علیه السلام. فأرسل الیه الحسین علیه السلام رسولا یدعوه الیه و کان زهیر مع صحبه یتناولون الطعام، فابلغه الرسول دعوة الحسین فطرحوا ما فی أیدیهم من طعام، و کأن علی رؤوسهم الطیر، فأنکرت علیه زوجته - رحمها الله - ذلک. وقالت:«سبحان الله، یبعث الیک ابن بنت رسول الله ثم لا تأتیه! لو اتیته فسمعت کلامه!». فانطلق زهیر علی کراهیة منه الی الامام، فلم یلبث أن عاد مسرعا، و قد تهلل وجهه و امتلأ غبطة و سرورا ثم أمر بفسطاطه و ما کان عنده من ثقل و متاع، فحوله الی خیام الامام. و قال لزوجته:«أنت طالق»، ثم قال لأصحابه ساحدثکم حدیثا:«غزونا (بلنجر) [۷۸] ففتح الله علینا، و أصبنا غنائم، ففرحنا و کان معنا سلمان الفارسی. فقال لنا: أفرحتم بما فتح الله علیکم و أصبتم من الغنائم؟ فقلنا: نعم، فقال: اذا أدرکتم سید شباب آل محمد، فکونوا أشد فرحا بقتالکم معه مما أصبتم الیوم من الغنائم». [۷۹] .و ینقلب زهیر رحمه الله، و ینقلب هواه من بنی أمیة الی آل علی، و ینتزع نفسه من کل ما تربطه بهذه الدنیا، حتی زوجته التی أنکرت علیه تباطؤه عن استجابة دعوة الحسین علیه السلام، حتی یستطیع أن یخف للقاء الله.و لما جمع الحسین علیه السلام أصحابه و أهل بیته قرب المساء قبل مقتله بلیلة، فقال لهم:«انی قد أذنت لکم فانطلقوا جمیعا فی حل، لیس علیکم منی ذمام، و هذا اللیل قد غشیکم فاتخذوه جملا، و لیأخذ کل رجل منکم بید رجل من أهل بیتی [صفحه ۷۳] و تفرقوا فی سوادکم و مدائنکم فان القوم انما یطلبونی، و لو أصابونی لذهلوا عن غیری، قال زهیر بعد ما سمع کلام الحسین علیه السلام: والله لوددت أنی قتلت، ثم نشرت، ثم قتلت، حتی اقتل کذا ألف مرة، و ان الله عزوجل یدفع بذلک القتل عن نفسک و عن أنفس هؤلاء الفتیان من أهل بیتک». [۸۰] .هکذا تحرر الشهادة الانسان من کل القیود، و الأواصر التی تربطه بالحیاة الدنیا مرة واحدة، و بقوة و خفة، و تدفعه الی لقاء الله.فالشهادة اذن اختزال شدید، و اختصار للطریق بین هذین المحورین. و المسافة التی یقطعها عامة الناس بتکلف، و تعثر، و مشقة، یتعثر فیها اناس، و یتساقط فیها آخرون، و یضعف عن السیر فیها قوم و یقوی علیه آخرون... یقطعها الشهید بوعی، و بصیرة، و قوة، و ثبات، فی لحظات قصیرة، و حرکة خفیفة، تنتزعه من الدنیا، و تعرج به الی لقاء الله. [صفحه ۷۴]

القیمة الحرکیة للشهادة

اشاره

تحدثنا فی الفصل السابق بشیء من التفصیل عن القیمة الذاتیة للشهید و دور الشهادة فی نمو و تکامل شخصیة الشهید. و الآن نتحدث من البعد الثانی (الافقی) للشهادة: دور الشهید فی تحریک المجتمع، و القیمة الحرکیة للشهادة فی حیاة الأمة.و نبدأ حدیثنا عن الشهید من مادة اشتقاق هذه الکلمة و منها نسترسل فی الحدیث عن دور الشهید فی تحریک المجتمع.(الشاهد) و (الشهید) بمعنی واحد تقریبا فان الشاهد اسم الفاعل من هذه الکلمة، و الشهید فعیل بمعنی الفاعل کالنصیر و الناصر.

وقفة عند اشتقاق کلمة الشهید

و أصل الاشتقاق فی هذه الکلمة: (الشهود)، و (الشهادة) و هما بمعنی الحضور؛ یقال: شهد المعرکة: أی حضرها. و فی المصطلح الشرعی الشهادة تستعمل فی معنیین:۱- تحمل (الشهادة) بمعنی الحضور و الرؤیة؛ فان الشخص الذی یحضر [صفحه ۷۵] وقعة ویراها عن قرب، رؤیة حسیة واضحة یتحمل مسؤولیة هذا الحضور و الرؤیة، فاذا حضر جریمة و شهدها، تحمل مسؤولیة هذه الرؤیة و الشهادة، و کأنما تحمله هذه الشهادة مسؤولیة شرعیة یجب علیه أن یبرىء ذمته منها.۲- أداء الشهادة: و هذا المعنی شائع أیضا فی استعمالات الشهادة، فاذا بلغ الشهاد ما شهده أدی ماتحمله من مسؤولیة الشهادة، و لا یتحلل الشاهد من مسؤولیة الشهادة حتی یؤدیها و یبلغها.و الشهادة بهذا المعنی هی معیار و ملاک الحکم للقاضی اذا کان الشاهد عدلا. ففی کل واقعة یختلف فیها الأطراف قد یجنح فیها بعض الأطراف أو کل الأطراف عن الحق، فیأخذ القاضی بشهادة الشاهد، فان أمانة الأداء تتطلب منه أن یؤدی ما رآه بالحس من الواقعة، و یعتبر القاضی هذه الشهادة ملاکا للقضاء و یحکم بموجبها، اذا تمت الشهادة بالموازین الشرعیة، فیکون الشاهد بهذا المعنی ملاکا للحکم و دلیلا علیه.

الشهید مقیاس للتقییم

و أحتمل أن تکون تسمیة الشهید بالشهید متأثرة بالمعنی الثانی و هو أداء الشهادة.فان (الشاهد) و (الشهید) یستعملان بمعنی الدلیل و المیزان و المعیار و المقیاس الذی نزن به الأحکام و الأمور کثیرا. و هو معنی قریب من المعنی الثانی للشهادة الذی أشرنا الیه قریبا.و القرآن، و ان کان لم یستعمل هذه الکلمة فی معناها المصطلح الا أنه استعمل هذه الکلمة فی هذا السیاق بالذات. یقول تعالی: (و کذلک جعلناکم امة وسطا [صفحه ۷۶] لتکونوا شهداء علی الناس و یکون الرسول علیکم شهیدا...) [۸۱] .و هذه الآیة تصرح بأن الامة المؤمنة بالله - المعتدلة - شهیدة علی الناس، و الرسول شهید علی هذه الامة، فماذا یمکن أن یکون معنی الشهید فی هذه الآیة الکریمة فی الشهادتین جمیعا: شهادة الامة المؤمنة علی الناس، و شهادة رسول الله صلی الله علیه وآله علی الامة؟و بأی ملاک تکون هذه الامة شهیدة علی الناس جمیعا، و یکون الرسول صلی الله علیه وآله شهیدا علیها؟أعتقد أن الاجابة علی التساؤل الثانی یفتح الطریق للاجابة علی السؤال الأول. ان الملاک الذی جعل هذه الامة شهیدة علی سائر الناس هو الاعتدال و الوسطیة و عدم الجنوح الی الیمین و الیسار، و هذا الاعتدال و الوسطیة یؤهلها، لتکون شهیدة علی الناس، و نفس الملاک - بالتأکید و بدلالة السیاق - هو السبب فی شهادة الرسول صلی الله علیه وآله علی الامة و هذا التفسیر واضح من متن الآیة الکریمة: (و کذلک جعلناکم امة وسطا لتکونوا شهداء علی الناس...).اذن، سر الشهادة کامن فی حالة الاعتدال و الوسطیة بالذات، و هذه الحالة هی التی تؤهل الامة لکی تکون شهیدة علی الناس.ان الناس یجنحون لیمین و الیسار فی الأکثر، و تری هذه الکتل البشریة تمتد من أقصی الیمین الی أقصی الیسار، و تتلاعب بهم أمواج الفتن و الشهوات و الأهواء و الأنفعالات النفسیة و المصالح و العواطف فی اتجاهات شتی، و لابد لهذه الکتل

البشریة التائهة و الضائعة فی هذا الخضم البشری الواسع من (معالم محسوسة) و ملموسة فی الطریق، تستهدی بها و تمیز بها الصحیح من السقیم، [صفحه ۷۷] و الاستقامة من الاعوجاج و الهدی من الضلال کما لابد لها من (کتاب) و وحی و شریعة و تعالیم، و لا یغنی أحدهما عن الآخر.لابد لها من تعالیم و دروس و توجیهات، و لابد لها کذلک من معالم ملموسة و قائمة علی الطریق.و الخاصیة المطلوبة فی هذه المعالم: أن تکون معتدلة و متوسطة و علی الطریق تماما، لیس علی الیمین و لا علی الیسار، و لا تنجح الی یمین أو یسار.و عند ذلک یمکن أن تکون (معالم) علی الطریق، یهتدی الناس بمواقعهم و مواقفهم قبل أن یهتدوا بکلامهم و توجیهاتهم.فمن الناس من یکون موقفه و موقعه حجة علی الآخرین، فیهتدی الناس بمواقفه و مواقعه و أعماله کما یهتدون بکلامه و رأیه و توجیهه، و هؤلاء هم (القدوات) فی حیاة الناس و (معالم الطریق) علی الطریق.و هؤلاء سکوتهم و کلامهم و حرکتهم و سکونهم و غضبهم و ثورتهم و قیامهم و قعودهم قدوة للآخرین و حجة علیهم.و هؤلاء هم الشهداء لأنهم مقاییس للآخرین و معالم علی الطریق، و معاییر للحکم و للحق، کما یکون (الشاهد) معیارا للقاضی فی معرفة الحق من الباطل، و تمییز الصحیح من السقیم، و فرز الردیء عن الجید.

هذه الامة شهیدة علی سائر الامم

و بهذا المعنی: فان هذه الامة – بما هداها الله تعالی الی الوسط من الطریق، و بما منحها الله من الاعتدال فی الرأی و الحیاة – شهیدة علی سائر الناس و قدوة لهم، و معلم علی الطریق و مقیاس للناس فی تصحیح أعمالهم و حرکاتهم.ان هذه الامة – المتوسطة – تصلح لأن تکون المقیاس الذی یقیس به الناس أنفسهم، و یصححون به أعمالهم و تحرکاتهم. [صفحه ۷۸] لقد أراد الله تعالی لهذه الامة أن تکون قدوة للناس جمیعا، و أن تکون شهیدة علی الناس جمیعا، و معلما علی طریق الناس، و أن تکون أفعالهم و مواقعهم مثالا و نموذجا للناس جمیعا. و الذی یؤهل هذه الأمة لهذا الموقع الرائد هو؛ الاعتدال و التوسط فی التفکیر و العمل: (و کذلک جعلناکم أمة وسطا لتکونوا شهداء علی الناس...)و کما أن الله تعالی أراد لهذه الامة أن یکون لها موقع السیادة و القیادة و الحاکمیة علی وجه الأرض و علی الناس کذلک، أراد الله تعالی لهذه الامة أن یکون لها موقع القدوة و الریادة علی وجه الأرض و بین الناس.

و رسول الله شاهد علی هذه الامة

و بنفس الملاک فان الرسول صلی الله علیه وآله یحتل موقع القدوة و الریادة من هذه الامة: (... و یکون الرسول علیکم شهیدا...) (و لقد کان لکم فی رسول الله أسوة حسنة...). [۸۲] کما یحتل موقع القیادة و الامامة و الحاکمیة من حیاة هذه الامة: (النبی أولی بالمؤمنین من أنفسهم...) [۸۳] هذا الی موقع التبلیغ و الرسالة: (...و ما أتاکم الرسول فخذوه و ما نهاکم عنه فانتهوا...) [۸۴] .

عودة الی مصطلح الشهید

و الآن نعود الی الشهید فی المصطلح الاسلامی ضمن هذه الصورة القرآنیة؛ [صفحه ۷۹] فالشهید ضمن هذا التصور یعتبر مقیاسا فی حیاة الامة، یقیسون به أنفسهم، و أساسا لمعرفة الحق و الباطل و تمییز الردیء عن الجید. ان الشهید تبلور للصدق و العطاء و الوعی و البصیرة، یقیس به الناس أنفسهم، و عطاءهم و وعیهم، و صدقهم، و بصیرتهم، و استقامتهم و... الشهید المثل الأعلی دائما فی حیاة الناس و هو القمة فی کل ذلک.

التوجیه ب(التثقیف) و القدوة

لابد فی هذه المسیرة الربانیة علی وجه الأرض، و فی حیاة الناس من (قدوات) للاقتداء و التأسی کما لابد من معلمین و موجهین للتعلیم و التوجیه و التثقیف، و لا یغنی أحدهما عن الآخر.فان التحرک علی طریق ذات الشوکة یکلف الانسان الکثیر، و یتطلب منه

العناء و العطاء، و التضحیة و الصدق، و لا یتیسر للانسان أن یتجرد لهذه المسیرة الالهیة بسهولة و یسر. و لابد من توجیه و اعداد و تربیة، و تثقیف مرکز للدعاة الی الله تعالی و للمؤمنین عامة، لیتمکنوا من مواصلة السیر و الاستمرار علی الطریق، و لئلا یتیهوا فی متاهات الطریق، و یخضعوا لاغراءات الشیطان و مزالق النفس... و هذا الاعداد و التوجیه یتم علی شکلین هما:۱- (الالقاء) و التثقیف.۲- (القدوة).و لا تقل قیمه التوجیه و الاعداد ب (القدوة) عن قیمة التوجیه و الاعداد ب (التثقیف).و القرآن الکریم یشیر الی کل من هذین النحوین من التوجیه. یقول تعالی:(هو الذی بعث فی الأمیین رسولا منهم یتلو علیهم آیاته و یزکیهم و یعلمهم [صفحه ۸۰] الکتاب و الحکمة...) [۸۵] .لقد کان رسول الله صلی الله علیه وآله یتلو علی الناس آیات الله و یزکیهم و یعلمهم الکتاب و الحکمة. و هذا یدخل فی حقل التعلیم و التثقیف، و هو الشطر الأول. من شطری عملیة الاعداد، و الشطر الآخر هو التربیة ب(القدوة الصالحة)، علی طریق ذات الشوکة (و لقد کان لکم فی رسول الله أسوة حسنة)ان دور (التثقیف) فی اعداد الناس هو دور التوجیه و (الدلالة)؛ بینما دور القدوة هو دور القیادة الی الله تعالی. المعلم المربی یدلک الی الله تعالی دلالة، بینما (القدوة الصالحة) یأخذک معه الی الله.و ان الانسان لیعطی للمعلم سمعه و عقله ولکنه عندما یجد قدوة صالحة یعطیه سمعه و عقله و قلبه جمیعا، و یمکنه من عقله و قلبه لیقوده الی الله تعالی.

القدوة و الأسوة علی طریق ذات الشوکة

ان حضور القدوة الصالحة علی أرض المعرکة، ینفع العاملین فی أمرین، یأخذون منهم صبرهم و جهادهم و عطائهم، و ترفعهم عن الدنیا من جانب، و من جانب آخر یشهدون امداد الله تعالی لهم، و تمکینهم من المجابهة و تثبیتهم علی أرض المعرکة و یشهدون معیة الله تعالی لهم.و هذه الایحاءات الرسالیة التی تعطیها حیاة القدوات الصالحة لا تتأتی دائما من الدرس و التعلیم.ان (القدوة الصالحة) توطیء طریق ذات الشوکة الطویل للعالمین و السائرین.فعلی رأس کل منعطف، و عند کل صعود و هبوط، و عند ملتقی کل طریق، [صفحه ۸۱] و فی کل غمرة من غمرات السیر و الحرکة، و عندما تهب العواصف العاتیة فی وجوه العاملین، و کلما یتغلب الیأس و التعب و الخوف علی نفوس المؤمنین السائرین یلتقی العاملون السائرون علی طریق ذات الشوکة بهذه القدوات الربانیة. یلتقون بأنبیاء الله علیهم‌السلام ابراهیم و یحیی و عیسی و موسی و أیوب و هود و صالح و نوح و زکریا، فیطمئنون الی معیة الله تعالی و امداده لهم فی وحشة الطریق و التباس الامور؛ و ظروف الارهاب و الملاحقة و المطاردة... یطمئنون الی معیة الله و امداده من خلال حرکة و عمل هؤلاء الربانیین السائرین علی الدرب الطویل باطمئنان و ثقة و صدور منشرحة.یقول تعالی لنبیه صلی الله علیه وآله و هو یرید أن یثبت قدمه علی أرض المعرکة: (اولئک الذین آتیناهم الکتاب و الحکم و النبوة فان یکفر بها هؤلاء فقد وکلنا بها قوما لیسوا بها بکافرین اولئک الذین هدی الله فبهداهم اقتده...) [۸۶] .و یقول تعالی لنبیه صلی الله علیه وآله بعد أن یذکره بمعاناة الأنبیاء و قصصهم و صبرهم و دأبهم علی السیر و العمل فی سورة هود: (و کلا نقص علیک من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادک و جاءک فی هذه الحق و موعظة و ذکری للمؤمنین) [۸۷] .فیثبت الله فؤاد نبیه صلی الله علیه وآله بسیرة هؤلاء الصالحین.یالله ما هذا الأمر العظیم الذی یثبت تعالی به فؤاد نبیه صلی الله علیه وآله؟ذلک هو القدوة الصالحة و الحضور الرسالی الحی للربانیین علی ساحة المعرکة و عمارة الطریق الطویل بنجوم الهدی، و معالم الطریق: (قد کانت لکم اسوة حسنة فی ابراهیم و الذین معه...) [۸۸] (لقد کان لکم فیهم اسوة حسنة لمن کان [صفحه ۸۲] یرجو الله و الیوم الآخر...) [۸۹] .و قد جعل الله تعالی من أنبیاء السلف قدوات صالحة لنبیه صلی الله علیه وآله، یثبت بهم فؤاده صلی الله علیه وآله و أفئدتنا، و جعل لنا من رسول الله صلی الله علیه وآله قدوة صالحة نستهدی به و تطمئن به قلوبنا، و أقئدتنا و نفوسنا فی زحمة الصراع، و مخاوف الطریق: (لقد کان لکم فی رسول الله اسوة حسنة...) [۹۰] . ان حیاة رسول الله صلی الله علیه وآله و عناؤه و جهاده و مثابرته و صبره و استقامته قدوة لکل العاملین.و علی الدعاة الی الله یقرؤوا بامعان علی سیرة رسول الله صلی الله علیه وآله و حیاته العامة و الخاصة، و عناءه، و حرکته فی مکة، و بعد الهجرة، و سیرته فی الحرب و السلم، و قبل اعلان

الدعوة و بعدها، و قبل اعلان الحرب علی المشرکین و بعدها و مع المؤمنین و مع الأعداء، فانها للعاملین نور و هدی و قدوة صالحة و مثل أعلی یحتذی به المؤمنون.

الشهید قدوة

و (الشهید) قدوة صالحة فی طریق العاملین، و هذه الکلمة علی و جازتها تشکل کل قیمة الشهید فی حرکة التأریخ و تحریک الأمة.و القیمة الحرکیة للشهید تعود الی هذه الحقیقة بالذات، فان الشهید عندما یتحول الی (قدوة) للعمل الصالح و للعطاء و التضحیة فی حیاة الناس یستطیع أن ینقل هذه القیم من جیل الی جیل.و هذه خاصة من خصائص (القدوة) فی الحیاة الاجتماعیة، أنه یسهل و یسرع [صفحه ۸۳] عملیة نقل القیم الحضاریة من جیل الی جیل، و یعمق هذه القیم فی حیاة الناس. و هذه القیم کلما تنتقل من جیل الی جیل تتسع دائرتها من الناحیة الکمیة، و تتعمق و تترسخ من الناحیة الکیفیة.و هذه الحقیقة تصح بشکل دقیق فی أصل التضحیة و العطاء فقد یتصور بعض الناس أن الشهادة تفقد الأمة النخبة الصالحة من أبنائها، و ما تحمل هذه النخبة من قیم و مزایا ایمانیة و أخلاقیة و جهادیة.و الأمر علی العکس تماما فان الشهادة لا تعتبر خسارة مهما کانت قیمة الشهید، و حجم الشهداء و عددهم، بل هی ربح و نمو و برکة فی حیاة الامة، و حتی فی الحسابات المادیة.و الحدیث التالی عن رسول الله صلی الله علیه وآله یوضح لنا هذه الرؤیة الایجابیة للشهادة.خطب النبی صلی الله علیه وآله المسلمین فی المدینة فی الیوم الذی أستشهد فیه زید، و جعفر و عبدالله بن رواحة رحمهم الله فی حرب مؤتة مع الروم، و أخبرهم باستشهاد زید، و جعفر، و عبدالله، فقال صلی الله علیه وآله:«أخذ اللواء زید، فقاتل به فقتل، رحم الله زیدا، ثم أخذ اللواء جعفر، و قاتل، و قتل رحم الله جعفرا. ثم أخذ اللواء عبدالله بن رواحة و قاتل، فقتل، فرحم الله عبدالله.»فبکی أصحاب رسول الله صلی الله علیه وآله و هم حوله فقال لهم النبی صلی الله علیه وآله: و ما یبکیکم؟ قالوا: و ما لنا لا نبکی و قد ذهب خیارنا، و أشرافنا، و أهل الفضل منا؟ فقال لهم صلی الله علیه وآله:«لا تبکوا فانما مثل امتی مثل حدیقة قام علیها صاحبها فأصلح رواکبها، و بنی مساکنها، و حلق سعفها، فاطعمت عاما فوجا، ثم عاما فوجا، فلعل آخرها طمعا أن یکون أجودها قنوانا و أطولها شمراخا، و الذی بعثنی بالحق نبیا، لیجدن عیسی بن مریم فی امتی خلفا من حواریه». [۹۱] . [صفحه ۸۴]

الوعی و العطاء

و یتساءل السائل: و فیم یکون الشهید قدوة؟ و کیف؟دم الشهید یجسد نقطتین أساسیتین فی حیاة الانسان و فی مسیرة الحرکة الاسلامیة، و هما: (الوعی) و (العطاء).و هاتان النقطتان تعتبران أساسین لقیمة دم الشهید و بهما یکون الشهید قدوة للآخرین، فهذا الدم یجسد أولا مستوی رفیعا من الوعی و البصیرة و الیقین.و هذه هی النقطة البارزة الاولی فی قیمة دم الشهید، و لا قیمة للدم من دون هذا الیقین و الوضوح، و الدم الذی یراق من غیر یقین من الانتحار و لیس من الشهادة فی شیء.ان لدم الشهید جذورا تأریخیة ضاربة فی عمق التاریخ، و أهدافا و غایات حضاریة یرتبط بها الدم.أما الغایات و الأهداف التی یحققها دم الشهید فهی تحکیم شریعة الله و ارادته تعالی علی وجه الأرض، و مجاهدة الهوی و الطاغوت، و تعمیق خط الحضارة الربانیة فی الأرض، و فی حیاة الانسان، و انقاذ الانسان من شرک الهوی و الطاغوت.أما الاصول و الجذور التأریخیة لدم الشهید، فانه یجری فی امتداد تیار عمیق و واسع من الدماء و الدموع و الجهود و المعاناة و الآلام و العذاب و الصمود و الصبر و الجهاد فی التاریخ.و فی هذا الاطار التأریخی و الرسالی یکتسب دم الشهید قیمته الرسالیة و الحرکیة.و هذه الأهداف و الغایات و العمق الحضاری هی التی تمنح الشهید هذا الوعی [صفحه ۸۵] و البصیرة و الیقین الذی تحدثنا عنه، و الا فکثیر من الناس یبذلون أموالهم و دماءهم، و لن تعود علیهم هذه التضحیة بجدوی، و لن تخرجهم من دائرة نفوذ الهوی، و لن تدخلهم فی دائرة الهدی. (قل هل ننبئکم بالأخسرین أعمالا الذین ضل سعیهم فی الحیاة الدنیا و هم یحسبون أنهم یحسنون صنعا) [۹۲] .و لا یشک أحد فی صدقهم فی العطاء و التضحیة، و أی عطاء و تضحیة أکثر من التضحیة بالنفس، ولکن

من دون أن یکون نابعا من نبع الوعی و الوضوح و الیقین، بل هو الهوی یزین لهم أعمالهم و یخدعهم و یریهم الحق باطلا و الباطل حقا، و یسلبهم الرؤیة و البصیرة و هؤلاء هم ضحایا علی مذابح الهوی، و هم یتصورون أنهم أصحاب مبادیء و قضایا.فالیقین و الوعی هو الأساس الأول فی تقییم دم الشهید، و من دون ذلک لا قیمة للدم مهما کانت التضحیة؛ و قد ورد فی الحدیث عن أمیرالمؤمنین علی علیه السلام:«نوم علی یقین خیر من صلاة فی شک». و عن الامام الصادق علیه السلام:«ان العمل الدائم القلیل علی الیقین أفضل عند الله من العمل الکثیر علی غیر یقین». [۹۳] .

ضحایا انعدام الوعی

و من ضحایا انعدام الوعی و الیقین، فی تأریخ الأسلام (الخوارج) کانوا یلتزمون بالحلال و الحرام و یتقیدون بأحکام الله، و یتورعون عن الحرام، ولکن ذلک کله من دون وعی و لا بصیرة و لا یقین، و لقد کانوا یریقون الدماء المحرمة الزاکیة من دون ورع و لا تقوی، ثم یتورعون عن أن یأخذ أحدهم ثمرة سقطت من [صفحه ۸۶] نخلة؛ یقول ابن أبی‌الحدید فی شرح نهج‌البلاغة:و لقیهم (أی الخوارج) عبدالله بن الخباب (من أصحاب أمیرالمؤمنین و ابن الصحابی الجلیل الخباب رحمهما الله) و هو راکب علی حمار و معه امرأته و هی حامل، فقالوا: ان هذا الذی فی عنقک بأمرنا بقتلک (و کان یحمل معه قرآنا) فقال لهم: ما أحیاه القرآن فاحیوه، و ما أماته فأمیتوه، فوثب رجل منهم علی رطبة سقطت من نخلة، فوضعها فی فیه، فصاحوا به، فلفظها تورعا.و عرض لرجل منهم خنزیر فضربه فقتله، فقالوا: هذا فساد فی الأرض و أنکروا قتل الخنزیر.ثم قالوا لابن الخباب: حدثنا عن أبیک، فقال: انی سمعت أبی یقول سمعت رسول الله صلی الله علیه وآله یقول: ستکون بعدی فتنة، یموت فیها قلب الرجل، کما یموت بدنه، یمسی مؤمنا، و یصبح کافرا، فکن عبدالله المقتول، و لا تکن القاتل، قالوا: فما تقول فی علی علیه السلام بعد التحکیم و الحکومة؟ قال: ان علیا أعلم بالله و أشد توقیا علی دینه و أنفذ بصیرة، فقالوا: انک لست تتبع الهدی، انما تتبع الرجال علی أسمائهم، ثم قربوه الی شاطیء النهر، فاضجعوه فذبحوه.قال أبوالعباس: و ساوموا رجلا نصرانیا بنخلة له، فقال: هی لکم. فقالوا: ما کنا لنأخذه الا بثمن. فقال: واعجبا! أتقتلون مثل عبدالله بن الخباب و لا تأخذون نخلة الا بثمن. [۹۴] .و کان أمیرالمؤمنین یخاطب الخوارج فیقول لهم:«فأنا نذیر لکم أن تصبحوا صرعی بأثناء هذا النهر، و بأهضام هذا الغائط، علی غیر بینة من ربکم و لا سلطان مبین معکم...». [۹۵] . [صفحه ۸۷] و مر أمیرالمؤمنین بقتلی الخوارج یوم النهروان فقال: بؤسا لکم لقد ضرکم من غرکم. فقیل له: من غرهم یا أمیرالمؤمنین؟ فقال: الشیطان المضل، و الأنفس الأمارة بالسوء، غرتهم بالأمانی و سمحت لکم بالمعاصی، و وعدتهم الاظهار فاقتحمت بهم النار.» [۹۶] .و قتل رجل من الأصحاب فعرف بقتیل الحمار، و ذلک أنه رأی مشرکا علی حمار فأعجبه الحمار، و برز له لیقتله و یسلب منه حماره، فقتل فعرف بقتیل الحمار، فلم یظفر بالحمار و لا بالشهادة؛ و هذا هو الأساس الأول فی تقییم دم الشهید.

العطاء

و الأساس الثانی فی تقییم دم الشهید: العطاء و التضحیة؛ فالشهید یعتبر قمة فی العطاء و التضحیة، و لیس بعد هذه القمة قمة، فان الجود بالنفس أقصی غایة الجود.و الشهید یبذل لله تعالی کلما یملک، و لا یدخر لنفسه شیئا -، فحقیق أن یرزقه الله کل ما یتمنی من رحمته.و ما أروع ما نقل عن السید مهدی بحر العلوم رحمه الله حیث لفت نظره کثرة ما یروی من الثواب لمن زار الحسین علیه السلام فسأل استاذه عن سر ذلک. فقال له:ان الحسین علیه السلام عبد فقیر من عباد الله، أعطی کل ما یملک لله من غیر تردد، و حقیق بالله و هو الغنی المطلق الذی لا حدود لخزائن رحمته، أن یعطیه من خزائن رحمته من غیر حساب و فوق حساب الحاسبین. [صفحه ۸۸] و العطاء هو التصدیق العملی للایمان. فمن الناس من لا تصدق أعمالهم ایمانهم... اذا وقفوا فی مواجهة أئمة الکفر و فی مواجهة المنکرات، و لیس دائما ینشأ هذا التخالف بین الایمان و العمل من الغموض و الشک - و ان کان یؤدی الیه دائما - و انما ینشأ أحیانا

عن ضعف فی النفس، و حب للدنیا، و ایثار للعافیة، فیتخلف الموقف العملی للانسان عن ایمانه و عقیدته، و تکون نتیجته الشح و البخل.و القرآن الکریم دقیق فی تعبیره عن العلاقة بین الایمان النظری و الصدق فی الموقف العملی، حیث یقول تعالی: (من المؤمنین رجال صدقوا ما عاهدوا الله علیهم فمنهم من قضی نحبه و منهم من ینتظر و ما بدلوا تبدیلا). [۹۷] .فلیس کل المؤمنین صادقین فی العمل، و الفعل، فی عهودهم مع الله تعالی، بل منهم الصادقون و منهم غیر ذلک، رغم انهم مؤمنون، لکنهم لم یصدقوا ما عاهدوا الله علیه، و تخلفوا فی العمل عن الایمان، و هذا النموذج من الناس شائع فی مجتمعنا الیوم، و فی التأریخ.ان التضحیة تعتبر أعلی درجات التفاعل النفسی و العاطفی مع الایمان و العقیدة.ان الایمان قد یکون ایمانا عقلیا مجردا ذا صبغة عقلیة ریاضیة خالصة، ایمانا أکادیمیا لا- یغیر شیئا من واقع حیاة الانسان و لا یصنع حبا و لا بغضا و لا ولاء و لا براءة، و لیس له جذب و لا دفع فی حیاة الناس، و هذا هو ایمان الفلاسفة، الذین یعرفون الله من خلال المعادلات و القوانین الفلسفیة، ایمان الفارابی و ابن سینا و دیکارت و ایمانوئیل کانت. [صفحه ۸۹] أما ایمان الشهداء فشیء آخر یختلف عن هذا الایمان، انه عملة ذات وجهین: وجه للعقل و وجه آخر للعاطفة و الحب و الشوق و الولاء و الحب و العطاء و الایثار و الفعل و الانفعال.ترق العاطفة حتی تکون حبا، و یسمو البذل حتی یکون تضحیة. و ما أجمل کلام هذا الشاعر الذی یحدثنا علی لسان الحسین علیه السلام فی مناجاة و الهة مع الله تعالی یوم عاشوراء علی مسرح الحب و الشهادة:ترکت الخلق طرا فی هواکا و ایتمت العیال لکی أراکافلو قطعتنی فی الحب ارب لما مال الفؤاد الی سواکاایمان الشهید خلیط من هذین الأمرین معا: ایمان وحب، ایمان یصدق الحب، و حب یصدق الایمان، مزیج من العقل و العاطفة یمزج بین منطق الفلاسفة و الحکماء و عاطفة المحبین الوالهین.دم الشهید تعبیر رائع عن هذا المزیج المقدس من العقل و الحب، من منطق الحکماء، و وله المحبین، و من استحکام العقل و قوته و جاذبیة الحب و فورانه.و هذا التفاعل النفسی هو الذی یؤهل النفس للعطاء و التضحیة. ان العقل وحده، و الایمان وحده لا یکفی لیبلغ الانسان هذا المستوی الرفیع من تجاوز الذات، و الایثار، و التضحیة.ولکی یبلغ الانسان هذه القمة من الکمال لابد له من مدرسة اخری و منطق آخر و اعداد آخر؛ و هی مدرسة الحب و منطق المحبین. و العطاء الذی یکون الشطر الآخر من شخصیة الشهید: نابع من هذا النبع.و هذان الأساسان (الیقین و العطاء) هما الأساس و المفتاح لفهم قیمة الشهید و دوره فی تحریک المجتمع، و لابد من أن نبسط القول فی هذه النقطة بعض البسط. [صفحه ۹۰]

التخلف فی الوعی و العطاء

قلنا: ان الشهید قدوة للمجتمع و للأجیال فی مسألتین أساسیتین هما: الوعی و العطاء.و التخلف عن الأول یعرض الامة للانحراف عن طریق الله، و التخلف عن الثانی یصیب الامة بالعجز عن التحرک، و الضعف و التعب و الیأس.و أکثر مشاکلنا السیاسیة و الفکریة و الحضاریة و الحرکیة تنبع من هذین: التخلف فی الوعی، و التخلف فی العطاء.و الشهید قدوة رفیعة للوعی و العطاء معا.و قد لا یتبین فی النظرة الاولی أثر کل شهید فی مسیرة الحرکة، ولکن الذین یرزقهم الله القدرة علی رؤیة المسیرة الربانیة الکبری علی وجه الأرض یرون دائما – الی جنب کل مسیرة حاشدة بالمؤمنین الی الله – نهرا من الدم و مسیرة حافلة بالشهداء یمون هذه المسیرة و یمدها بالعزم و القدرة علی المواصلة و تحدی بالصعاب.ان دماء الشهداء تهب الأحیاء عزما علی الاستمرار، و مواصلة الحرکة و السیر، و قوة علی تجاوز العقبات و الصعاب، و تهبهم القدرة علی نکران الذات، و تجاوز النفس، و الترفع عن صغائر الامور، و انتزاع حب الدنیا من النفوس، و ایثار الآخرة علی الدنیا، و استرخاص الحیاة الدنیا فی سبیل مرضاة الله.ان دماء الشهداء تعلم الأحیاء الکثیر، و من أغرب ما فی هذه المدرسة العجیبة فی حیاة الانسان: أن تلامیذها أحیاء و أساتذتها أموات، ولکن لاکما یتصور الناس الأموات، و انما کما یقول ربنا سبحانه: (... أحیاء عند ربهم یرزقون). [۹۸] . [صفحه ۹۱] ان کل شهید – فی النظرة الکونیة الشاملة لحرکة الدم – یربی أجیالا من العاملین المخلصین لله، و کل قطرة من دم الشهید تتحول الی أنهار من دم یفجر براکین من المقاومة و الثورة و التمرد علی الظالمین فی نفوس المؤمنین.ان الشهادة تعلمنا کیف ینتصر المظلوم من الظالم، و کیف یستعید المظلوم حقه و مکانه فی التأریخ، و

کیف ینتصر المستضعفون من المستکبرین و یستعیدون مواقعهم فی الحیاة، و کیف ینتصر الدم علی السیف، و الحق علی الباطل، و کیف یرزق الله القلة المستضعفة التی تخاف أن یتخطفها الناس علی الکثرة القویة من المستکبرین و أضرابهم و جنودهم؛ و الشهادة تعلمنا کیف نکسر الأغلال و القیود من أیدینا، و نتمرد علی ارادة الذین یریدون أن یسلبونا الأمن و الارادة و القدرة؛ و الشهادة تعلمنا کیف نعیش أحرارا، و کیف نتحرر من القیود و الأغلال، و کیف نسترجع کرامتنا و حریتنا و مواقعنا و مراکزنا علی وجه الأرض، و کیف نتحول من عبودیة الطغاة و المستکبرین الی عبودیة الله رب العالمین.الشهادة: عقیدة، و ایمان، و حب، و عطاء، و تضحیة، و ایثار فی سبیل الله، و اخلاص، و اقدام، و شجاعة، و حیاة جدیدة، و حاشا أن تکون الشهادة عقیمة أو تکون موتا کما یفهم الناس الموت.

الطاقة الحرکیة لدم الشهید

للدم قابلیة کبیرة فی تحریک الضمائر الخاملة، و لا تهتز الضمائر المیتة و الخاملة لأمر کما تهتز للتضحیة و الدم.ان التضحیة توقظ العقول، و تنبه الضمائر، و تحرک النفوس، و تهز الانسان من الأعماق، و تبعث فیه الحیاة، و تفتح مغالیق القلوب؛ و تشرح الصدور، و تفجر کل الطاقات الخیرة الکامنة فی نفس الانسان، و تقتلع الانسان من مستنقع الحیاة [صفحه ۹۲] الراکد، و تدفعه الی قمم الحیاة العلیا، و تمزق حجب التعلق بالدنیا من علی عینیه، و سمعه، و فؤاده، لیفتح أمامه آفاق الحیاة الواسعة و التی تمتد الی مرضاة الله؛ ذلک أن الانسان بفطرته ینزع الی الله تعالی و مرضاته. و لیست حقیقة الانسان هی هذه الکتلة من الأعصاب و العظام و اللحم و الجلد و الغرائز و الشهوات فقط.الا أن التعلق بالحیاة الدنیا، و أعراضها القریبة، و متاعها یحجبه عن تلک الأهداف و الغایات العلیا فتحبسه الحیاة الدنیا و تعلقاتها و تثقله، کما تثقل الجاذبیة الأشیاء، فتعیق تحرکه و صعوده؛ و التعبیر القرآنی بهذا الصدد دقیق: (... ما لکم اذا قیل لکم انفروا فی سبیل الله أثا قلتم الی الأرض أرضیتم بالحیاة الدنیا من الآخرة فما متاع الحیاة الدنیا فی الآخرة الا قلیل) [۹۹] .و کأن التعلق بالحیاة الدنیا یثقل الانسان، و یجره الی الأسفل (الأرض)، و یعیق تحلیقه الی الله تعالی، و یرضیه من تلک القمم الرفیعة و الآفاق الواسعة فی الآخرة بهذا العرض الزائل القریب من الدنیا: (أرضیتم بالحیاة الدنیا من الآخرة...).ولکی یحلق الانسان و یرتفع لا یحتاج کثیرا الی زخم أو دفع، و انما یحتاج الی من یمزق عنه هذه الحجب التی تحجبه عن الآخرة، و یحرره، و یکسر عن یدیه و رجلیه هذه الأغلال التی تعیق تحرکه، فیفتح علیه آفاق الآخرة، و یطلق یدیه و رجلیه للتحرک.و دم الشهید له هذا الدور الکبیر فی حیاة الناس، ان دم الشهید یزیل الخوف عن القلوب الضعیفة، و یقضی علی رهبة الموت، و یعطی للموت معنی الانتقال الی لقاء الله تعالی، و یهبه نکهة لقائه. ان دم الشهید یرفع من قیمة الموت الی قمة لقاء الله تعالی، و یضع من قیمة الحیاة الدنیا حتی لا تعد تستهوی أحدا من المؤمنین، الا بقدر ما یکون متجرا للآخرة و طریقا الیها. [صفحه ۹۳] و أکثر ما یعیق حرکة الانسان الی الله تعالی الخوف من الموت و التعلق بالدنیا، فاذا حل محله الاقبال علی لقاء الله: (الشهادة)، و الزهد فی الدنیا (بالمعنی الایجابی من الزهد) تغیر وجه الحضارة و التاریخ.ان التضحیات الکبیرة تمزق حجب التعلق بالدنیا عن عینی الانسان، و تفتح عینیه فجأة علی الآفاق الواسعة المترامیة من وراء هذه الحجب...ان هناک من وراء هذه الحیاة الیومیة الرتیبة، بما تحتویه من تجارة و عمل و معیشة و معاشرة و مشاکل صغیرة، و خلافات و حساسیات، و صراعات... - أن هناک من وراء هذا المستنقع - آفاقا واسعة و قمما عالیة لتحرک الانسان و صعوده، تکشفها تضحیة الشهداء و دماؤهم، و کأن الانسان کان فی غفلة منها فی حیاته الیومیة، فینبهه الیها الشهداء بتضحیاتهم.فدم الشهید اذن یبعث الحیاة و التحرک من جدید فی المجتمع، و یمنح النور، و الرؤیة، و البصیرة للقلوب التی تبلدت فی الحیاة الدنیا.و عندما یمتلک الانسان الرؤیة الکافیة ینکشف له الهدف و الغایة فیسعی الیه و یتحرک نحوه. فدم الشهید اذن یمنح الانسان الرؤیة و الهدف و التحرک و فی مساحة واسعة من المجتمع، و یخلق من الأجواء الخاملة، و البلیدة أجواء حرکیة و ثوریة.و لذلک فلیس فی دم الشهید خسارة اطلاقا، حتی بالمعنی المادی من الخسارة، بل الدم ربیح دائما حتی بالمعنی التجاری للربح؛ ذلک ان الشهید، و ان کان یرحل عنا، و نخسر به عنصرا فاعلا مخلصا؛ الا أن تضحیة و ایثار شهید واحد یخلق روح الایثار و التضحیة عند العشرات من الناس، و یکون

قدوة لهم فی الایثار و التضحیة، و یبعث القوة و الفاعلیة و الاخلاص فی نفوسهم؛ فالشهادة موت للفرد و ولادة للامة، و مثل هذا الموت مربح و لن یعد خسارة حتی فی الحسابات التجاریة من الربح و الخسارة. [صفحه ۹۴]

دم الشهید یوسع رقعة التضحیة داخل الامة

ان تنامی موجة الاستعداد للتضحیة و الایثار فی الثورة الاسلامیة المعاصرة - و علی مساحة واسعة جدا - دلیل واضح علی خصوبة الشهادة و عطائها؛ فلقد بدأ الوعی الاسلامی یتنامی فی هذه المنطقة، یرافقه الاستعداد للتضحیة و الشوق الی الشهادة فی سبیل الله، الا أن هذا الاستعداد و الشوق کان ضمن رقعة اجتماعیة محدودة، هی المساحة الواعیة من هذه الامة، و واضح لدینا ان المساحة الواعیة من الامة، و التی انطلقت منها الحرکة فی مواجهة الطاغوت - کانت مساحة محدودة جدا - ولکن کلما کان یزداد عدد الشهداء فی الساحة الاسلامیة کانت تتسع رقعة الاستعداد للتضحیة و الشهادة، و تجاوز الاستعداد للتضحیة المساحة الواعیة التی انطلقت منها الحرکة و الثورة الی الشارع، و ارتفع ابن الشارع و الریف فی حرکة نامیة سریعة الی مستوی الاستعداد للتضحیة و الشهادة.و معنی ذلک ان دماء الشهداء استطاعت أن توسع رقعة الوعی و التحرک و الایثار و التضحیة و الشهادة خلال هذه المدة القصیرة بدرجة عالیة جدا، تفوق تصوراتنا الحسابیة، و هذا النمو المتصاعد لحرکة الایثار و التضحیة داخل الامة من أهم مصادیق الضمان الالهی لانجاح رسالة دم الشهید و قضیته.

دم الشهید یحسم الخلاف و یقطع التردد

و دم الشهید یقطع طریق العودة علی المهزومین سیاسیا و فکریا، انه أداة الحسم فی القضیة الاسلامیة فکریا و سیاسیا و عسکریا، و قبل أن یصبغ الشهداء ساحة المواجهة بدمائهم، تتوفر الفرص بشکل واسع دائما للصلح و التفاهم مع الکفر، و النزول عن المبادیء و الحلول النصفیة لترضیة أئمة الکفر. [صفحه ۹۵] أما عندما یراق دم الشهداء فی الساحة فان الأمر یختلف تماما، و تنقطع الجسور بین هاتین الجبهتین، و تبقی المبادیء هی سیدة الموقف.و المجتمع الاسلامی لا یخلوا - علی کل حال - من حالات و لحظات ضعف تدفع المجتمع غالبا باتجاه الترضیة و التفاهم، و تجنب المواجهة ایثارا للعافیة و الاستقرار، و تحت غطاء من التبریرات الشرعیة و السیاسیة، و لو لا دم الشهید لکان هذا الاتجاه هو الاتجاه السائد و الغالب، الا أن دم الشهید یستلم الموقف السیاسی و العسکری دائما بالحسم الثوری، و یشکل فی المجتمع الاسلامی بؤرة القوة و الثورة فی مقابل بؤرة الضعف التی أشرنا لها.و لا نذهب بعیدا فی أعماق التاریخ، فالثورة الاسلامیة المعاصرة فی ایران بمعطیاتها الثوریة و السیاسیة فی متناول أیدینا، و لم تغب عنا أحداثها بعد، لقد کانت قیادة الامام الخمینی رضی الله عنه حاسمة منذ المراحل الاولی للثورة، و کانت هذه القیادة تتجه من الأول باتجاه اسقاط النظام - مرة واحدة - و اقامة الحکم الاسلامی و بصورة قاطعة، ولکن المساحة الواسعة من الامة لم تکن بهذا المستوی من التفکیر الثوری، و کانت هناک قطاعات کبیرة من الامة تمیل الی التفاهم مع النظام، للمحافظة علی النظام و الاسلام معا بقدر الامکان، و تجمیع النظام القائم و الاسلام (فی الحد الأدنی) و کانوا یعتقدون بضرورة ایقاف الثورة عندما یتحقق الحد الأدنی من المصلحة للاسلام.و بدأ (الشاه) فی اخریات أیامه یمیل الی هذا الرأی، و یعتقد بضرورة تقدیم تنازلات شکلیة و مؤقتة للثورة، للابقاء علی عرشة ریثما تتم له فرصة الانقضاض من جدید علی الاسلام، و لو کان یحدث شیء من هذا القبیل لحلت بالاسلام کارثة، یصعب علینا تقدیر سلبیاتها و أضرارها الآن.و قد کان لدماء الشهداء رضوان الله علیهم دور حاسم و مصیری فی هذه [صفحه ۹۶] المرحلة من حیاة الثورة، قطعت الطریق علی الحلول النصفیة الضعیفة، و قطعت جسور التفاهم مع النظام، و صادرت کل الحلول المطروحة للترضیة و التفاهم.و کلما کان یکثر عدد الشهداء فی الساحة کانت ترتفع درجة مقاومة الثورة و قدرتها علی المضی و الاستمرار، و کانت الفجوة بین الجبهتین تتسع أکثر من ذی قبل، و تقل فرص اللقاء و التفاهم الذی کان الجناح الوطنی لا یخفی رغبته الیه، حتی بلغ الأمر حدا لم یکن من

الممکن اللقاء و التفاهم مع الشاه، علی کل المستویات الاجتماعیة المواکبة للثورة، و انقطعت الجسور بصورة نهائیة، و لم یعد لأحد أمل معقول من الناحیة السیاسیة، فی امکانیة الابقاء علی الشاه، حتی السفیر الأمریکی فی طهران، فقد کان یراسل حکومته لیؤکد لهم أن فکرة المحافظة علی الشاه فی الظروف الموجودة فی ایران لم یعد الا وهما سیاسیا و سرابا خادعا... و من الأفضل لأمریکا أن تعید النظر فی حساباتها السیاسیة تجاه قضیة ایران، لتفکر تفکیرا واقعیا ینسجم مع الواقع الاسلامی القائم فی ایران.و بالتأکید کان لدم الشهداء الدور الکبیر البارز و الفاعل فی الحسم السیاسی فی هذه المرحلة الحساسة و المصیریة من التأریخ، الی جانب الموقف التأریخی الحاسم الجریء الذی کان یمتلکه الامام فی مواجهة الأحداث.و لیس هذا فقط، بل کان لدم الشهداء رضوان الله علیهم فی ساحة المواجهة دور فی قطع طریق العودة علی أمریکا و حلفائها الی ایران من خلال المؤامرات العسکریة و الالتفافات السیاسیة، لقد کان من الممکن أن تفکر امریکا - بعد أن فقدت الأمل فی المحافظة علی الشاه - فی مؤامرة عسکریة من خلال العناصر الموالیة لها من العسکر، لکن التضحیات الکبیرة التی قدمتها الامة فی مواجهة النظام، بقیادة الامام قطعت الطریق علیهم أیضا، فلم یکن من الممکن أن تسکت الامة - بعد تلک التضحیات و الدماء المبارکة - عن بدیل أمریکی آخر، [صفحه ۹۷] مقنع بقناع جدید من الدیمقراطیة و الوطنیة و الدین، من خلال حرکة العسکر أو حرکة السیاسیین القدامی.لقد منحت دماء الشهداء فی (ساحة الشهداء) فی طهران و فی سائر سوح المواجهة هذه الامة الوعی و الذکاء السیاسیین و الحذر من لعبة تبدیل الأقنعة و الوجوه و قوة الحسم فی الموقف.و هذه جمیعا و غیرها هی الأدوات التی یضمن الله تعالی بها قضیة دم الشهید و التی تساهم - باذن الله - فی انجاح رسالة الشهید. فدم الشهید اذن یقود المسیرة الحضاریة باتجاه المواقف القویة و الحاسمة، و یفتح مغالیق القلوب المعتمة و المنغلقة، و یفجر الطاقات الکامنة فی أعماق النفوس، و یهب النفوس البلیدة و الضعیفة ذکاء و وعیا و قوة... و لا شک أن هذه النقاط المضیئة فی دم الشهید جمیعا مواضع یهبط علیها نصر الله تعالی و تأییده.

الامداد الغیبی و الضمان الالهی لدم الشهید

و بعد فلیس معنی ما ذکرنا من نقاط حسیة لهبوط النصر و التأیید من الله تعالی أن الضمانة الالهیة لقضیة الشهداء فی هذه النقاط، فان دائرة الامداد الالهی الغیبی لدم الشهید أوسع من هذه الدائرة الحسیة التی رسمناه هنا، و مصادر النصر و منابعه فی خزائن رحمة الله تعالی لا تنحصر فیما ذکرنا من نقاط و وجوه، فان خزائن رحمة الله تعالی و نصره و تأییده لمسیرة الشهداء واسعة و کثیرة لا یحددها ما ذکرنا من أسباب و أسالیب.فقد نصر الله تعالی أنبیاءه بطرق غیبیة لا تنالها ید الانسان و قدرته، فنصر الله تعالی نوحا علیه السلام ففجر الأرض ینابیع، و أنزل من السماء أمطارا غزیرة و أغرق قومه الذی کذبوه: [صفحه ۹۸] (ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر و فجرنا الأرض عیونا فالتقی الماء علی أمر قد قدر) [۱۰۰] الی قوله تعالی: (و لقد ترکناها آیة فهل من مدکر) [۱۰۱] .و لقد أرسل الله تعالی علی قوم عاد ریحا صرصرا فی یوم نحس مستمر، فأبادتهم و أهلکتهم.(انا أرسلنا علیهم ریحا صرصرا فی یوم نحس مستمر تنزع الناس کأنهم أعجاز نخل منقعر فکیف کان عذابی و نذر) [۱۰۲] .و أمر الله تعالی الملائکة أن ینزلوا الی ساحة بدر لنصرة المسلمین و تثبیتهم:(اذ یوحی ربک الی الملائکة أنی معکم فثبتوا الذین آمنوا سالقی فی قلوب الذین کفروا الرعب فاضربوا فوق الأعناق و اضربوا منهم کل بنان) [۱۰۳] .و کذلک یثبت الله عباده الصالحین فی المواجهة مع الکافرین، و علی أرض المعرکة، و یضمن الله تعالی فی هذه المواجهة الحضاریة العنیفة أن العاقبة للمتقین:(... ان الأرض لله یورثها من یشاء من عباده و العاقبة للمتقین). [۱۰۴] .و علی نحو من ذلک نفهم نحن الضمان الالهی لدم الشهید و هذه الضمانة الالهیة جزء من هذه الحقیقة و السنة الالهیة الشاملة فی تأیید و دعم و نصر المؤمنین المتقین، و (الثار) لدماء الشهداء. [صفحه ۹۹]

رحلة الشهادة فی القرآن الکریم فی سورتی التوبة و آل عمران

اشاره

(ان الله اشتری من المؤمنین أنفسهم و أموالهم بأن لهم الجنة...) [۱۰۵] .(و لا تحسبن الذین قتلوا فی سبیل الله أمواتا بل أحیاء عند ربهم یرزقون). [۱۰۶] .یشیر القرآن الکریم الی هذه النقلة الایمانیة فی حیاة المؤمنین من محور الأنا الی محور الله فی أروع صورة و تمثیل:

آیة التوبة

اشاره

(ان الله اشتری من المؤمنین أنفسهم و أموالهم بأن لهم الجنة یقاتلون فی سبیل الله فیقتلون و یقتلون وعدا علیه حقا فی التوراة و الانجیل و القرآن و من أوفی بعهده من الله فاستبشروا ببیعکم الذی بایعتم به و ذلک هو الفوز العظیم التائبون العابدون الحامدون السائحون الراکعون الساجدون الآمرون بالمعروف و الناهون عن المنکر و الحافظون لحدود الله و بشر المؤمنین). [۱۰۷] .و الآیة الکریمة تعبر عن تجرد الانسان من ذاته و علاقاته بالله تعالی [صفحه ۱۰۰] باستخدام تعبیر البیع و الشراء و هو تعبیر ینطبق علی الموضوع الذی نحن بصدده بشکل دقیق.و کل بیع یتطلب امورا خمسة: المشتری، و البائع، و الثمن، و المثمن، و وثیقة البیع. و المشتری: هنا هو الله عز اسمه؛ و البائع: الانسان؛ و الثمن: الجنة؛ و المثمن: هی النفس و علاقاتها و متعلقاتها، و لذاتها و غرائزها، و حبها، و بغضها، و میولها؛ و وثیقة البیع: التوراة، و الانجیل، و القرآن.

البیع و الشراء

و یستوقفنا هنا هذا التعبیر الرائع: (ان الله اشتری من المؤمنین أنفسهم و أموالهم...) ان المؤمنین یبیعون أنفسهم و أموالهم لله، و الله یشتری منهم أنفسهم و أموالهم، و لیس للبائع - بعد أن یتخلی عن نفسه و عن الأنفس العزیزة علیه و عن ماله لله، و یقبض الثمن - أن یتراجع أو یتردد فی تسلیم البضاعة، أو یتحفظ فی التسلیم، أو یستقطع منها شیئا، أو تحن نفسه الی شیء منها، فقد باع، و قبض الثمن، و لا خیار و لا رجوع و لا عودة و لا استقطاع.و عملیة البیع هنا شاملة، و مستوعبة، لا تترک للانسان شیئا: (.. أنفسهم و أموالهم...) و الأنفس هی أنفس المؤمنین، و الأنفس العزیزة علیهم، من أبناء و أزواج و أخوة و أعزاء؛ و الأموال هی کل ما یملکونه من متاع و عقار و نقد. فلا تبقی لهم بقیة فی هذه الدنیا یتعلقون بها، أو تحن الیها نفوسهم، ما داموا قد قبلوا البیع، و أتموا الصفقة، و قبضوا الثمن، فهی عائدة جمیعا لله، یتصرف بها کیفما یشاء، و کما یحب و کما یرید، و لیس للمؤمن أن یتلکأ فی التسلیم، و العطاء، أو یتردد، فان عملیة التخلی عن الأنفس و الأموال تتم طواعیة باختیار الانسان و رغبته. و قیمة هذه العملیة فی أنها تتم باختیار الانسان و رغبته و من المعیب أن [صفحه ۱۰۱] یتم الانسان صفقة بیع، و یقبض الثمن ثم لا تسمح له نفسه بالتخلی عن البضاعة أو یتردد فی تسلیمها أو تساوره نفسه بالفسخ و التراجع.

النقلة الکاملة

و عملیة البیع - و هذا هو موضع استشهادنا بهذه الآیة الکریمة - تعبر عن کل المسیرة و الرحلة، و تطوی کل المسافة الفاصلة بین المحورین: محور (الأنا) و (المحور الالهی)، فیتخلی المؤمن عن نفسه و مشتهیاتها، و علاقاتها، و لذاتها و متعها، و عن کل علاقاته فی هذه الدنیا لله تعالی، بصورة کاملة و ینتزع نفسه من هذا المحور انتزاعا کاملا، لینقلها الی المحور الآخر و لیضعها تحت سلطان الله تعالی و أمره و نهیه.و هذه النقلة أو البیعة هی کل المسیرة الانسانیة الی الله و المؤمنون فی هذه البیعة یطوون کل تلک الرحلة الطویلة

و الشاقة.

امثلة عن النقلة الكبرى فى حياة المسلمين الاولى

و لقد كان المسلمون فى صدر الاسلام يتلقون هذه الحقائق و الآيات من كتاب الله و يفهمونها بوضوح و بساطة، و من غير تعقيد أو التواء، و تتحول هذه الآيات و المفاهيم القرآنية الجديدة فى نفوسهم الى وعى عميق، و ايمان و سلوك.و اليكم بعض الصور المشرقة من هذا التأريخ:۱- فى بيعة العقبة الثانية و هى التى أناف فيها رجال الأنصار على السبعين، اجتمع رجال الأنصار الى رسول الله صلى الله عليه وآله عند العقبة لمبايعته صلى الله عليه وآله و الاتفاق معه على قرار بخصوص الهجرة و النصرة، فقال عبدالله بن رواحة رحمه الله للنبى صلى الله عليه وآله: اشترط لربك و لنفسك ما شئت. [صفحه ۱۰۲] فقال النبى صلى الله عليه وآله: اشترط لربى أن تعبدوه، و لا تشركوا به شيئا و اشترط لنفسى: أن تمنعونى مما تمنعون منه أنفسكم و أموالكم.قالوا: فاذا فعلنا ذلك فما لنا؟قال: الجنة.قالوا: ربح البيع لا نقيل و لا نستقيل. [۱۰۸] .فنزلت: (ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم و أموالهم...) [۱۰۹] .۲- و عن جابر بن عبدالله الأنصارى رحمه الله قال: نزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وآله و هو فى المسجد: (ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم و أموالهم...) فكبر الناس فى المسجد فأقبل رجل من الأنصار، ثانيا طرفى ردائه على عاتقه؛ فقال:يا رسول الله أنزلت هذه الآية؟ قال: نعم. فقال الأنصارى: بيع ربيح لا نقيل و لا نستقيل. [۱۱۰] .۳- و صورة ثالثة من هذا التفاعل المباشر و الفهم الواضح الصافى لمفاهيم الاسلام و تصوراته الجديدة على حياة الناس و هى ما جاء عن عبادة بن الصامت: أن أسعد بن زرارة أخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وآله ليلة العقبة، فقال: أيها الناس هل تدرون علام تبايعون محمدا صلى الله عليه وآله؟انكم تبايعونه على أن تحاربوا العرب و العجم و الجن و الانس كافة.فقالوا: نحن حرب لمن حارب، و سلم لمن سالم.فقال اسعد بن زرارة: اشترط على. [صفحه ۱۰۳] فقال صلى الله عليه وآله: تبايعونى على أن تشهدوا أن لا اله الا الله و أنى رسول الله، و تقيموا الصلاة، و تؤتوا الزكاة، و السمع و الطاعة، و لا تنازعوا الأمر أهله، و تمنعونى مما تمنعون أنفسكم و أهليكم.قالوا: نعم.قال قائل من الأنصار: نعم، هذا لك يا رسول الله. فما لنا؟قال: الجنة و النصر. [۱۱۱] .۴- و صورة اخرى: و هى ما أخرجه ابن سعد عن الشعبى قال: انطلق النبى صلى الله عليه وآله بالعباس بن عبدالمطلب، و كان ذا رأى، الى السبعين من الأنصار عند العقبة، فقال العباس: ليتكلم متكلمكم، و لا يطيل الخطبة، فان عليكم للمشركين عينا، و ان يعلموا بكم يفضحوكم.فقال قائلهم و هو أبوأمامة أسعد: يا محمد صلى الله عليه وآله سل لربك ما شئت، ثم سل لنفسك و لأصحابك ما شئت، ثم أخبرنا ما لنا من الثواب على الله، و عليكم، اذا فعلنا ذلك؟فقال صلى الله عليه وآله: أسألكم لربى أن تعبدون و لا تشركوا به شيئا، و أسألكم لنفسى و أصحابى أن تؤونا، و تنصرونا و تمنعونا مما تمنعون منه أنفسكم.قال: فما لنا اذا فعلنا ذلك؟قال: (الجنة). فكان الشعبى اذا حدث هذا الحديث قال: ما سمع الشيب و الشبان بخطبة أقصر و لا أبلغ منها. [۱۱۲] .و لهذه الصور أمثلة كثيرة فى تأريخ الاسلام، عن التفاعل المباشر مع مفاهيم و تصورات الاسلام، و الانصهار و الذوبان الكامل فى هذه المفاهيم، و التصورات، [صفحه ۱۰۴] و الفهم الواضح لها.لقد كان المسلمون الأوائل يفهمون هذه الآية الكريمة بهذه البساطة و الوضوح، و يتفاعلون معها بمثل هذه القوة و العزم، و لعلنا لا نبعد عن الحقيقة اذا قلنا ان أبناءنا من هذا الجيل بدؤوا يستعيدون تلك البساطة و الوضوح فى فهم آيات الله؛ و أحداث الثورة الاسلاميةالمعاصرة فى ايران و العراق و لبنان. و جبهات القتال الدامية مع النظام العراقى السفاح شاهدة على هذه الحقيقة. [۱۱۳] .

تكريم الانسان بالبيع و الشراء

و من عجب فى هذا الشراء أن الشارى سبحانه و تعالى له ملك السماوات و الأرض، و له الانسان و ما بيده من أموال، و له أن يتصرف فى كل ذلك من غير بيع و لا شراء و من غير سؤال و لا استئذان، و العبد و ما فى يده لمولاه.ولكنه عزوجل شاء أن يكرم هذا

الانسان، و یرفعه الی موضع التعاقد و المبایعة معه، و ذلک تکریم من لدن الله تعالی لعباده بما یناسب لطفه و کرمه بهم؛ و قد کان الحسن اذا قرأ هذه الآیة: (ان الله اشتری من المؤمنین أنفسهم و أموالهم...) قال:«أنفس هو خلقها و أموال هو رزقها».فهو سبحانه خلق الانسان و خلق له ما شاء من الطیبات و تلک کرامة، ثم ملکه ذلک، و تلک کرامة اخری، ثم اشتری منه ما وهبه و ما ملکه، و تلک کرامة ثالثة أن یرفعه الی موضع التعاقد و المبایعة معه، ثم جعل ثمن ما یأخذه منه من المتاع الفانی الجنة و الخلود فی رحمته و رضوانه و تلک کرامة رابعة. [صفحه ۱۰۵] و العطاء جمیل علی کل حال ولکن أجمل العطاء و أفضله ما یقترن بالتکریم و قد قرن الله تعالی عطاءه لعباده بالتکریم و تلک غایة فی الکرم و التکریم، و الحمدلله ربنا الذی أکرمنا بکل هذه الکرامات و أکرمنا بالاسلام و التقوی.

البیعة

و البیع و الشراء من الله یستدرجنا للحدیث عن مصطلح اسلامی عریق یتصل بهذا المفهوم من قریب و ذلک هو (البیعة).و البیعة مشتقة من مادة البیع، و لا نعلم ما اذا کان له فی الجاهلیة أصل قریب أم لا؟ الا أن الاسلام اتخذ هذه الکلمة مصطلحا للالتزام و التعهد الکامل بالطاعة من قبل الامة للامام فیکون معنی الکلمة الالتزام الکامل بالطاعة.و ذکروا فی المناسبة التی اقتضت تسمیة هذا الالتزام بالبیعة أن العرب کانوا اذا تبایعوا تصافقوا و ضرب أحد المتبایعین بکفه علی کف الآخر، و کان ذلک علامة رضاهما بالبیع و التزامهما به.و قد أمضت السنة هذه الطریقة فی التعبیر عن التعهد و الالتزام بالطاعة تجاه الامام؛ فکان المسلمون اذا بایعوا رسول الله استلموا کفه ایذانا بالالتزام بالطاعة، و یسمی هذا الالتزام بهذه المناسبة: بیعة و مبایعة؛ و من غیر المستبعد أن تکون المناسبة فی هذا المصطلح أن هذا الالتزام من مقولة البیع، ففی البیع یتخلی البائع عن المتاع الذی یملکه بشکل کامل فی مقابل ما یتلقاه من الثمن، و اذا أوجب البیع فلا یحق له أن یتراجع عما أمضاه.و کذلک الأمر فی الالتزام بالطاعة (البیعة) فان المرء اذا دخل البیعة و التزم بالطاعة فلیس له أن یتراجع أو یتخلی عن عهده و التزامه؛ فقد أمضی البیع و قبض [صفحه ۱۰۶] الثمن (الجنة) و أعطی الله ما له و نفسه، و الأنفس العزیزة علیه، فلا یحق له أن یتراجع أو یتردد أو یفسخ الالتزام؛ و رحم الله ذلک الرجل الأنصاری الذی قال لرسول الله صلی الله علیه وآله: بیع ربیح لا نقیل و لا نستقیل.

البیعة التجرد الکامل عن الأنفس و الأموال

ان حقیقة البیعة التخلی الکامل عن الأنفس و الأموال و الالتزام الکامل بالتسلیم و الطاعة فی مقابل الثمن الکبیر و هو الجنة؛ فان حقیقة الطاعة هی (الولاء) و التسلیم لله، و لا یتم الولاء لله و التسلیم لأمر الله و رسوله و الانقیاد و الطاعة لهما الا عندما یتخلی الانسان المسلم عن کل شیء یتعلق به من الأنفس و الأموال، و یتجرد من ملکیة کل شیء وضعه الله تحت تصرفه و ملکه، و لا یری لنفسه حقا فی شیء منه و یری أن الله و رسوله أولی بهما منه، و هی عنده ودیعة الی حین یسترجعها الله تعالی منه و هذا هو جوهر البیعة؛ و عجیب أمر هذه الودیعة الالهیة، و عجیب کرم الله تعالی و فضله و رحمته بعباده.فما بأیدینا من الأنفس و الأموال لله تعالی و لیس لنا منه شیء، أودعها عندنا و هو أولی بها، و هو خالقها و مالکها، ثم یشتریها من عباده بعد ذلک، ویعدهم بالجنة ثمنا لها، ثم یودعها لدینا الی حین الدعوة و الطلب.ثم اذا شاء بعد ذلک أن یسترجع ودیعته قال عز من قائل: (من ذا الذی یقرض الله قرضا حسنا فیضاعفه له...) [۱۱۴] سبحانک ما أکرمک، و أکرم عطایاک! و ما أجملک و أجل أسماءک و صفاتک الحسنی! و ما أبخلنا و ألأمنا فنحن عبادک الذین نضن بأنفسنا و أموالنا عنک! فتول اللهم لؤمنا بکرمک و شحنا برحمتک. [صفحه ۱۰۷]

البیعة میثاق (الدعوة) و الدولة

و البیعة میثاق، و هذا المیثاق یحمل الانسان المسلم مسؤولیتین کبیرتین:الاولی: مسؤولیة الدعوة الی الله تعالی و القیام بأعبائها و تحمل الخسائر المترتبة علیها و توطین النفس لذلک.الثانیة: مسؤولیة الدولة الاسلامیة و بناؤها و الدفاع عنها.و هاتان المهمتان شاقتان عسیرتان و لا ینتهی دور الانسان و مسؤولیة تجاه الایمان بالله و برسوله ما لم یتعهد أمر الدعوة و الدولة معا؛ و هذه المهمة المزدوجة هی أساس معاناة و ابتلاء و متاعب الأنبیاء علیهم‌السلام، فلن تستقر الدعوة، و لن تتمکن من العقول و القلوب و الحیاة من دون التصدی و المواجهة و لن تشق طریقها الا علی أنقاض الدعوات التجاهلیة و علی أجساد الطغاة و الجبابرة الذین یحولون بین الناس و الاستجابة لدعوة الله.و ما یقال فی الدعوة یقال فی الدولة بشکل أقوی و أوضح، فان (الدولة) هی سیادة الدعوة و سلطانها علی الأرض و کلمتها النافذة، و لا تستطیع الدولة أن تفرض سلطان الدعوة علی الحیاة الاجتماعیة، دون أن تواجه صنوفا من العقبات و التحدیات، و هذه المواجهة فی طریق تمکین الدعوة و الدولة و تذلیل العقبات تتطلب البذل و التضحیة و الصبر، و توطین النفس لکل ذلک من قبل الامة حاملة رسالة الدعوة و الدولة؛ فلابد من مبایعة قائد المسیرة علی البذل و العطاء و التضحیة و الفداء، و أن یجاهدوا خفافا و ثقالا و ألا یعیقهم عن الجهاد فی سبیل الله الأزواج و البنون و الأموال و التعلقات و المواقع، و أن یتجردوا لله تبارک و تعالی من کل ارتباط و تعلق عدا الارتباط بالله و التعلق بالدعوة و همومها و آلامها. [صفحه ۱۰۸]

البیعة طاعة و تضحیة

و لابد فی البیعة من أمرین:۱- الطاعة و الانقیاد.۲- التضحیة و العطاء.قال ابن‌عمر:«کنا نبایع رسول الله صلی الله علیه وآله علی السمع و الطاعة». [۱۱۵] .و عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلی الله علیه وآله:«علی المرء المسلم السمع و الطاعة فیما أحب و أکره، الا أن یؤمر بمعصیته فاذا امر بمعصیته فلا سمع و لا طاعة». [۱۱۶] .و عن یزید بن أبی عبید مولی سلمة بن الأکوع قال قلت لسلمة: علی أی شیء بایعتم رسول الله صلی الله علیه وآله یوم الحدیبیة؟قال: علی الموت. [۱۱۷] .فلا تستقیم الدعوة و مسیرتها، و لا تحقق أهدافها من دون هذین الأمرین.و الطاعة و التضحیة أمران متلازمان و هما یساویان التخلی الکامل عن النفس و رغباتها و مشتهیاتها لله تبارک و تعالی؛ و الجنة هی الثمن الذی یتقاضاه الانسان المؤمن ازاء ذلک.

آیة البیعة

اشارة

و البیعة بهذا المحتوی الرفیع لن تکون الا مع الله تعالی، و أما الذین یبایعون [صفحه ۱۰۹] النبی صلی الله علیه وآله فانما یبایعون الله: (ان الذین یبایعونک انما یبایعون الله ید الله فوق أیدیهم فمن نکث فانما ینکث علی نفسه و من أوفی بما عاهد علیه الله فسیؤتیه أجرا عظیما) [۱۱۸] .فلا تکون البیعة بالمحتوی الذی شرحناه مع طرف آخر غیر الله، ولا یصح أن یتجرد الانسان مما آتاه الله تعالی لغیر الله.و کلمة«انما»فی قوله تعالی: (ان الذین یبایعونک انما یبایعون الله...) ذات دلالة عمیقة؛ فهی تأتی لحصر البیعة و الولاء بالبیعة لله تعالی و نفی أیة بیعة اخری غیر البیعة لله.(.. ید الله فوق أیدیهم...) فالید التی یصافحونها فی البیعة و ان کانت ید النبی صلی الله علیه وآله ولکنها تمثل ید الله، و علوها من علو ید الله، و هذه الجملة تقرر عدة حقائق ایمانیة و سیاسیة فی وقت واحد، فلابد هذه البیعة من ید أعلی فوق أیدیهم، و من دون هذا العلو لا تتم الولایة و البیعة و الطاعة. و لابد أن یکون هذا العلو علوا حقیقیا، فاستعلاء بعض الناس علی بعض لیس من ذلک، و انما هو من الاستکبار الذی یمقته الله تعالی.و«ید الله»هی العلیا فی هذه البیعة (... ید الله فوق أیدیهم...) و هی وحدها الحریة بالبیعة و الطاعة و الولاء؛ أما ید النبی صلی الله علیه وآله فلیست هی المقصود بالذات فی هذه البیعة، و انما المقصود ید الله،و تکتسب العلو و الولایة من الله.و هذه الحقائق بمجموعها ترسم لنا الأبعاد الکاملة لتوحید الولاء، و هو بعد

(توحید الایمان بالله) یعتبر الأساس و الرکیزة لبناء المجتمع الاسلامی، و تنظیم شبکة العلاقات داخل المجتمع؛ فالذی یتأمل فی نسیج (العلاقات) داخل [صفحه ۱۱۰] المجتمع الاسلامی، سواء ما یتعلق منها بالعلاقة بالله و رسوله و أولیائه و القیادة الاسلامیة (العلاقة العمودیة) أو العلاقات التی تربط أعضاء المجتمع الاسلامی بعضهم ببعض (العلاقات الافقیة) یجد أن هذه العلاقات تکون جمیعا شبکة واحدة و نظاما واحدا یسمی ب«الولاء»، و لیست مجموعة من الشبکات و الأنظمة، و أن هذه الشبکة الواحدة تنبع من مصدر واحد و هو الارتباط بالله تعالی، و الولاء له (بمعنی الطاعة و النصرة و الحب) و من هذا المصدر تتشعب و تنبع العلاقات العمودیة و الافقیة الاخری. و هذا هو الذی نقصده بتوحید الولاء.و لابد من هذه البیعة فی کل جولة للدعوة و فی کل مرة تتصدی فیها الدعوة لاقامة الدولة و تتعرض فیها الدولة لتحدیات الجاهلیة، و ذلک لتعمیق العلاقة بالقیادة و تعمیق الاحساس بالمسؤولیة الکبیرة فی قیام الدعوة و الدولة، و توطین النفوس للطاعة و التضحیة و التجرد لله.

اربع بیعات فی حیاة رسول الله

اشاره

و قد دعا رسول الله صلی الله علیه وآله المسلمین الی البیعة أربع مرات فی حیاته المبارکة:۱- بیعة العقبة الاولی.۲- البیعة الکبری بالعقبة.۳- بیعة الرضوان أو بیعة الشجرة. [۱۱۹] .۴- بیعة الغدیر.و البیعة الاولی کانت تخص أمر التعهد بالدعوة و التزامها و تبنیها، و البیعة [صفحه ۱۱۱] الثانیة و الثالثة و الرابعة، کانت تتعلق بأمر الدولة و بنائها و حمایتها.

البیعة ۱

قال عبادة بن الصامت«... بایعنا رسول الله صلی الله علیه وآله بیعة النساء، و ذلک قبل أن یفترض علینا الحرب، علی أن لا نشرک بالله شیئا، و لا نسرق، و لا نزنی، و لا نقتل أولادنا، و لا نأتی ببهتان نفتریه، من بین أیدینا و أرجلنا، و لا نعصیه فی معروف. فان وفیتم فلکم الجنة، و ان غشیتم من ذلک شیئا فأخذتم بحده فی الدنیا فهو کفارة له، و ان سترتم علیه الی یوم القیامة فأمرکم الی الله عزوجل، ان شاء عذب، و ان شاء غفر». [۱۲۰] .

البیعة ۲

قال کعب بن مالک:«خرجنا من المدینة للحج و تواعدنا مع رسول الله صلی الله علیه وآله ب(العقبة) أواسط أیام التشریق، و خرجنا بعد مضی ثلث اللیل متسللین مستخفین، حتی اجتمعنا فی الشعب عند العقبة و نحن ثلاثة و سبعون رجلا و امرأتان، فجاء رسول الله و معه عمه العباس فتکلم رسول الله صلی الله علیه وآله فتلی القرآن، و دعا الی الله و رغب فی الاسلام ثم قال: أبایعکم علی أن تمنعونی مما تمنعون نساءکم و أطفالکم، فأخذ البراء بن معرور بیده، ثم قال: نعم و الذی بعثک بالحق لنمنعک مما نمنع به ازرنا (نساءنا). فبایعنا یا رسول الله فنحن والله أهل الحروب.فقال أبوالهیثم بن التیهان: یا رسول الله ان بیننا و بین الرجال حبالا، و انا قاطعوها (یعنی الیهود) فهل عسیت ان نحن فعلنا ذلک ثم أظهرک الله أن ترجع الی [صفحه ۱۱۲] قومک و تدعنا؟ فتبسم رسول اله صلی الله علیه وآله ثم قال: بل الدم الدم و الهدم الهدم، أی ذمتی ذمتکم و حرمتی حرمتکم». [۱۲۱] .قال ابن قتیبة:«کانت العرب تقول عند الحلف و الجوار دمی دمک و هدمی هدمک، أی: ما هدمت من الدماء هدمته أنا.»

البیعة ۳

و هی بیعة الرضوان أو«بیعة الشجرة»فی سنة سبع من الهجرة استنفر رسول الله صلی الله علیه وآله أصحابه للعمرة، فخرج معه ألف و ثلاثمائة أو ألف و ستمائة، و معه سبعون بدنة، و قال: لست أحمل السلاح انما خرجت معتمرا، و أحرم من ذی الحلیفة و صاروا حتی دنوا من الحدیبیة علی تسعة أمیال من مکة، فبلغ الخبر أهل مکة، فراعهم و استنفروا من أطاعهم من القبائل حولهم، و قدموا مائة فارس علیهم خالد بن الولید أو عکرمة بن أبی‌جهل، فاستعد لهم رسول الله صلی الله علیه وآله و قال: ان الله أمرنی بالبیعة، فأقبل الناس یبایعونه علی الا یفروا، و قیل بایعهم علی الموت. [۱۲۲] .

البیعة ۴

و هی بیعة الغدیر المعروفة، و منها أخذ رسول الله صلی الله علیه وآله البیعة من المسلمین [صفحه ۱۱۳] - و قد روی أنهم یومذاک فی غدیر خم مائة و عشرون ألف شخص - لعلی بن أبی‌طالب علیه السلام من بعده بالامامة و قیادة الدولة من بعده و الحادث معروف یرویه عدد کبیر من أرباب الحدیث و السیر و التأریخ.

یقاتلون فی سبیل الله

نعود مرة اخری للحدیث عن آیة الشهادة فی القرآن: (... یقاتلون فی سبیل الله فیقتلون و یقتلون وعدا علیه حقا فی التوراة و الانجیل و القرآن...) و هذه ثلاث قضایا مقترنة ببعضها لا- یمکن تفکیکها و تجزئتها و لا- یمکننا أن نفهمها فهما صحیحا الا بهذه الصورة المتصلة، و ضمن هذا الاطار الواحد الذی یرسمه القرآن (... یقاتلون... فیقتلون و یقتلون...) و تلک هی القضیة الاولی.و فی سبیل الله و لیس فی سبیل الطاغوت، و علی طریق الدعوة الی الله. و من أجل تقریر الوهیة الله علی وجه الأرض و بلوغ رضوانه و مرضاته، و تلک القضیة الثانیة فی هذه الکلیة.و هذا الوعد بالجنة، و هذه الدعوة الی القتال و هذه المبایعة لا تخص الذین قاموا مع النبی الامی صلی الله علیه وآله لتطهیر الأرض من الطاغوت و تقریر الوهیة الله علی وجه الأرض و انما هی سنة قدیمة لله تعالی فی عباده منذ التوراة و الانجیل، و منذ حیاة الأنبیاء السابقین علیهم‌السلام الی الیوم.و شأن هذه الامة الیوم شأنها فی زمن موسی و عیسی علیهماالسلام و من قبلهما من الأنبیاء و المرسلین، لن تنال رحمة الله و رضوانه الا بتحکیم الوهیة الله، و حاکمیته علی وجه الأرض، و لن تحقق حاکمیة الله علی وجه الأرض الا- من خلال هذه المعاناة و القتال و الدماء: (أم حسبتم أن تدخلوا الجنة و لما یأتکم مثل الذین خلوا [صفحه ۱۱۴] من قبلکم مستهم البأساء و الضراء...) [۱۲۳] ، مسیرة واحدة مخضبة بالدم، منذ عهد موسی و عیسی علیهماالسلام، و من قبلهما من الأنبیاء الی أن یتولی المهدی من آل محمد علیه السلام تطهیر الأرض من رجس الطغاة و عبثهم و فسادهم و الی أن تقوم القیامة، و ینشر الناس للحساب و تلک القضیة الثالثة فی هذه الکلمة التی یعرضها هذا النص العجیب من کتاب الله تعالی.

حتیمة القتال فی مسیرة الدعوة

و من هذه النقاط الثلاث نستطیع ان ندرک التصور الاسلامی الکامل لمسألة القتال، ضرورة حتمیة من ضرورات الدعوة الی الله تعالی، و لا یمکن تفکیک مسیرة الدعوة الی الله عنه، و هذه الضرورة و الحتمیة لیست قضیة جدیدة فی مسیرة الدعوة، و انما هی ضرورة تأریخیة و حتمیة من الحتمیات التأریخیة للدعوة الی الله.فان الدعوة الی الله لا یمکن أن تشق طریقها علی وجه الأرض الی قلوب الناس و عقولهم، و لا یمکن أن تتحرک الدعوة الی الله لتحریر عقول الناس و قلوبهم من«الاصر»و«الأغلال»، دون أن تواجه سخط الجاهلیة و

تحدیها، و غضبها، ذلک ان الدعوة لا- تتحرک فی خلاء سیاسی و اقتصادی و اجتماعی، و انما تتحرک فی المساحة التی تحتلها الجاهلیة من قبل، أو ترید احتلالها، و تتحرک علی حساب نفوذ و سلطان و طموحات الجاهلیة فی هذه المساحات، و لا یمکن أن تواجه الجاهلیة تقدم الدعوة و مسیرتها بالسکوت و الاستسلام و تفسح الطریق لها.ان الذین یتصورون أن الدعوة تتحرک فی منطقة فراغ سیاسیة و اجتماعیة [صفحه ۱۱۵] و اقتصادیة بعیدون عن الواقع و علی درجة عالیة من السذاجة و البساطة فی فهم الامور، و الأمر الواقع أن الانسان الذی تحرره الدعوة من الاصر و الأغلال یخسره الطاغوت و لن یعود أداة طیعة له، و موضعا لاستثماره. و علیه فلا یمکن أن تتقدم الدعوة علی وجه الأرض من دون أن تواجه تحدیا قویا من الجاهلیة، و مواجهة حاده من الطاغوت و معارضة بکل الوسائل الممکنة من قبل أقطاب الجاهلیة و أئمة الکفر.و للجاهلیة محاور و ولاءات کثیرة، لکنها جمیعا تجتمع عند هذه النقطة فی مواجهة محور الولاء لله، و تتناسی کل ما لدیها من خلافات قدیمة و حدیثة، لمواجهة العدو المشترک الذی یصادر وجودها جمیعا.ان الجاهلیة فیما بینها ولاءات متعددة و متقاطعة أحیانا ولکنها فی مواجهة الاسلام کتلة واحدة و براءة واحدة، و هذه الحقیقة تجعل من الجاهلیة مواجهة صارمة و عنیفة لمسیرة الدعوة.

المواجهة المصیریة بین الاسلام و الجاهلیة

هذا هو التصور الواقعی لمسیرة الدعوة و المواجهة الجاهلیة لها، و لا تنتهی هذه المواجهة و التحدی الجاهلی الا عند التصفیة الکاملة لحرکة الدعوة و المصادرة الکاملة لارادة الانسان، و السیطرة الکاملة علی کل مساحات الدعوة، و الانهاء الکامل لکل مراکز و مواقع الدعوة الی الله، و کل مراکز و مواقع الاستجابة لدعوة الله تعالی و الی هذه الحقیقة فی ترکیب و بنیة الجاهلیة یشیر القرآن الکریم: (... و لو لا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع و بیع و صلوات و مساجد یذکر فیها اسم الله کثیرا...) [۱۲۴] ، لا تتوقف الجاهلیة الا عند تصفیة هذه [صفحه ۱۱۶] المراکز جمیعا: البیع، و الصلوات، و المساجد، و کل موقع و مرکز یذکر فیه اسم الله و یدعی فیه الی الله تعالی.و لا سبیل الی ایقاف الجاهلیة و صدها عن العدوان و عن الفتنة فی طریق الدعوة الا بالقتال و الجهاد و استئصال الکفر و الجاهلیة (و قاتلوهم حتی لا تکون فتنة و یکون الدین لله...) [۱۲۵] .فالقتال اذن ضرورة من ضرورات الدعوة، و لا یمکن أن تنطلق مسیرة الدعوة علی وجه الأرض من دون قتال و دم، و لا- یمکن أن تؤدی الدعوة رسالتها علی وجه الأرض، دون أن تعد الاعداد الکامل لهذه الحرب المصیریة و الحضاریة، و دون أن توطن نفسها لهذه المواجهة العنیفة التی لا ترحم صغیرا و لا کبیرا؛ و التفکیر فی المصالحة و الهدنة و التفاهم مع الجاهلیة تفکیر ساذج، و غیر واقعی و غیر مبدئی فی نفس الوقت. فلیس لنا مع الجاهلیة، و الطاغوت غیر خیار واحد، و قرار واحد، و هو الاستمرار فی القتال (ضمن مراحل العمل و الحرکة) حتی یتم القضاء الکامل علی الجاهلیة و بها یتم القضاء الکامل علی الفتنة علی وجه الأرض: (و قاتلوهم حتی لا تکون فتنة و یکون الدین لله...).

العلاقة العضویة بین أطراف الجاهلیة

ان الجاهلیة المعاصرة کالجاهلیة فی أی وقت آخر ذات ولاءات و محاور مختلفة، لکنها قبالة الاسلام تجمعها علاقة عضویة واحدة، و هذه الحقیقة التأریخیة هی التی تفسر لنا کیف اجتمعت أمیرکا و روسیا و انکلترا و فرنسا و المانیا و غیرها من الدول الکبری علی دعم النظام العراقی فی ضرب الثورة الاسلامیة و الکید للدولة الاسلامیة. [صفحه ۱۱۷] ان هذه المسائل السیاسیة تکشف عن طبیعة الجاهلیة و ارتباطها العضوی، و وحدة الموقف السیاسی عندها فی البراءة، و ان کانت هی فی داخلها ذات محاور و ولاءات متعددة و متخالفة.

شراسة الجاهلیة فی صراعها مع الاسلام

ان الفتک و البطش و الشراسة من خصائص الجاهلیة فی صراعها مع الاسلام، و تحاول الکیانات الجاهلیة فی صراعها السیاسی و

العسکری مع الاسلام أن تتقنع بقناع الانسانیة و الأخلاق، فاذا طال الصراع و استنفذت الجاهلیة وسائلها الممکنة، و وجدت نفسها فی خطر حقیقی ألقت هذا القناع جانبا، و ظهرت بکل بشاعتها للساحة و للرأی العام.و یطول هذه الصراع و لا یمکن الوصول فیه الی تفاهم أو مصالحة، و لا أمد للحرب غیر سقوط الجاهلیة و نهایتها و اخلاء الساحة الانسانیة لحرکة الدعوة الی الله؛ فالصراع هنا لیس صراعا علی أرض و ماء أو حقل من حقول النفط و انما الصراع هنا (صراع حضاری) بکل ما تحمل هذه الکلمة من دلالة و عمق.و بکلمة موجزة جدا: ان الصراع هنا صراع الولاءات و لیس صراع المصالح، حتی یمکن فیه التفاهم، و الصلح و اللقاء.

الایمان بالله یساوی النخلی عن الأنفس و الأموال

و لابد أن نقف وقفة اخری عند کلمة: (ان الله اشتری من المؤمنین أنفسهم و أموالهم...) فان الآیة الکریمة تقرر قضیة هذا البیع و الشراء بصیغة الماضی، و لیس بصیغة المضارع (ان الله اشتری من المؤمنین...) من کل المؤمنین دون تخصیص.انها لآیة عجیبة حقا تهز الانسان من الأعماق و تشعر الانسان بعمق معنی [صفحه ۱۱۸] الایمان و بثقل الایمان الکبیر، فکل ایمان بیعة مع الله، و کل من آمن فقد باع نفسه لله و تخلی عن نفسه و ماله له تعالی من دون تردد، ان القضیة أعمق من الاستعداد للتخلی، انه هو التخلی الفعلی عن النفس. و المال لله، و هذا هو معنی (البیع) و (الشراء) و لیس الاستعداد للتنازل عن الأنفس و الأموال، و انما التخلی الفعلی عن کل شیء یملکه الله تعالی من دون تردد، و لا تراجع، و لا نظرة الی الوراء، فقد تم البیع و تمت الصفقة و حسم الأمر، فلا اقالة و لا رجعة.و هکذا کان یفهم المسلمون الأوائل هذه الآیة الکریمة عندما کبروا لما تلا رسول الله صلی الله علیه وآله هذه الآیة علیهم، و قال قائلهم:«بیع ربیح لا نقیل و لا نستقیل».

وثیقة البیع

و أما الوفاء بالثمن و وثیقة البیع فان الشاری هو الله تعالی و هو المتعهد بالثمن، و من أوفی بعهده من الله؟و ان المؤمن لیتصور هذا الثمن الکبیر الباقی لهذه البضاعة النافذة، ثم یعلم أن الله تعالی هو الذی یتولی الوفاء بهذا العهد فتمتلیء نفسه غبطة و راحة و یقینا و یطمئن قلبه بعهد الله تعالی و میثاقه.و من عجیب أمر هذا البیع و الشراء وثیقة هذا البیع، فان وثائق البیوع تختلف باختلاف أهمیة درجة البیع و قیمته، و اذا کان المشتری فی هذا البیع هو الله تعالی و البضاعة هی الأنفس و الأموال و الثمن الجنة، فلابد أن تکون وثیقة هذا البیع علی قدر قیمته، وأعز الوثائق کتب الله تعالی و ألواح الوحی المرسلة الی أنبیائه؛ و وثیقة هذا البیع من هذا النوع: التوراة و الانجیل و القرآن، و ناهیک بها من وثائق تبعث الطمأنینة و الثقة فی أضعف النفوس.و لأمر ما یأتی فی هذه الآیة الکریمة تأکید الموثق فی هذا البیع و یأتی ذکر المواثیق الذی سجل الله تعالی فیه عهده لعباده بالجنة و یأتی قوله تعالی: [صفحه ۱۱۹] (... ومن أوفی بعهده من الله...). [۱۲۶] .فان القلوب کلما کانت تطمئن أکثر لوعد الله قدمت علی هذه المبایعة مع الله بثقة و یقین أکبر. و الضعف فی الاطمئنان لا ینافی الایمان، فقد یکون الانسان مؤمنا ولکن لم یبلغ فی تعامله مع الله تعالی درجة عالیة من الیقین و الاطمئنان، و مثل هذا الایمان یشوبه الکثیر من الضعف و التخلف عند المبایعة و الاستجابة لدعوة الله تعالی.و أما عندما ترتفع درجة ثقة الانسان بوعد الله تعالی الی مستوی (الطمأنینة) و (الیقین) فان الأمر یختلف بالنسبة الیه اختلافا کبیرا و تکاد تکون (الجنة) ثمنا مقبوضا و البیع نقدا، و لیس الثمن موعودا.ان الذین رزقهم الله الطمأنینة و الیقین یرون وعد الله حاضرا و یرون الجنة ماثلة أمام أعینهم، فلا یشکون، و لا یترددون، و لا یحجمون، و لا یساورهم شک و لا ریب، و یقدمون علی المبایعة مع الله، من دون خوف، أو تراجع، أو نظر الی الوراء، و یقدمون أنفسهم و أموالهم لله ببساطة و ارتیاح و من غیر معاناة.روی مسلم أن رسول الله صلی الله علیه وآله قال لأصحابه یوم بدر:«قوموا الی جنة عرضها السماوات و الأرض.قال عمر بن حمام الأنصاری: یا رسول الله جنة عرضها السماوات و الأرض؟قال: نعم.قال: بخ بخ.فقال رسول الله صلی الله علیه وآله: ما یحملک علی قولک بخ بخ.قال: لا والله یا رسول الله الا رجاء أن أکون من أهلها. [صفحه ۱۲۰] قال:

فانک من أهلها.فأخرج تمرات من قربه، فجعل یأکل منهن.ثم قال: لئن أنا حییت حتی آکل تمراتی هذه انها لحیاة طویلة.قال: فرمی بما کان معه من التمر ثم قاتلهم حتی قتل». [۱۲۷] .و روی مسلم بن أبی‌بکر بن عبدالله بن قیس عن أبیه قال:«سمعت أبی، و هو بحضرة العدو یقول: قال رسول الله صلی الله علیه وآله: ان أبواب الجنة تحت ظلال السیوف، فقام رجل رث الهیئة فقال: یا أباموسی أنت سمعت رسول الله صلی الله علیه وآله یقول هذا؟ قال: نعم، قال: فرجع الی أصحابه، فقال: أقرأ علیکم السلام، ثم کسر جفن سیفه فألقاه، ثم مشی بسیفه الی العدو، فضرب به حتی قتل». [۱۲۸] .بمثل هذه البساطة و الثقة و الطمأنینة کانوا یتعاملون مع الله تعالی.و قد هازل بریر عبدالرحمن الأنصاری (لیلة عاشوراء)، فقال له عبدالرحمن الأنصاری: ما هذه ساعة باطل! فقال بریر: لقد علم قومی ما أحببت الباطل کهلا و لا شابا، ولکنی مستبشر بما نحن لاقون؛ والله ما بیننا و بین الحور العین الا أن یمیل علینا هؤلاء بأسیافهم، و لوددت أنهم مالوا علینا الساعة. [۱۲۹] .و خرج حبیب بن مظاهر یضحک، فقال له یزید بن الحصین: ما هذه ساعة ضحک یا حبیب!قال حبیب: و أی موضع أحق بالسرور من هذا؟ ما هو الا أن یمیل علینا [صفحه ۱۲۱] هؤلاء بأسیافهم فنعانق الحور. [۱۳۰] .روی عن جابر أن رجلا قال (فی ساحة المعرکة):«أین أنا یا رسول الله ان قتلت؟ قال: فی الجنة. فألقی تمرات کن فی یده، ثم قاتل حتی قتل». [۱۳۱] .

و الثمن هو الجنة

ثم ان الجنة هی الثمن فی هذه المبایعة (... بأن لهم الجنة) و یستتبع الوعد بالجنة البشری السارة التی یزفها القرآن الی المجاهدین: (... فاستبشروا ببیعکم الذی بایعتم به و ذلک هو الفوز العظیم): الجنة و البشری و الفوز العظیم.و تنتهی الآیة الکریمة مرة أخری و بالبشارة (... و بشر المؤمنین) ان جو الآیة یطفح بالبشری و السرور و الفوز، و هکذا یشعر الانسان عندما یقرأ هذه الآیة المبارکة انه ینتقل فیها من الجنة الی البشری، و من البشری الی الفوز العظیم، و من الفوز العظیم الی البشری ثانیة.

الفوز العظیم

و أود أن أقف قلیلا عند هذه الکلمة (... الفوز العظیم)، فهو مصطلح محدد فی کتاب الله و الذی یتتبع مواضع استعمال هذه الکلمة فی القرآن یجد أنها تستعمل فی موارد متقاربة مفهوما و مترابطة أو متحدة مصداقا، فالجنة من الفوز العظیم (لکن الرسول و الذین آمنوا معه جاهدوا بأموالهم و أنفسهم و أولئک لهم الخیرات و أولئک هم المفلحون أعد الله لهم جنات تجری من تحتها الأنهار خالدین فیها [صفحه ۱۲۲] ذلک الفوز العظیم). [۱۳۲] و المبایعة مع الله من الفوز العظیم: (فاستبشروا ببیعکم الذی بایعتم به و ذلک هو الفوز العظیم). [۱۳۳] .و طاعة الله و طاعة رسوله (ولایة الله) من الفوز العظیم: (... و من یطع الله و رسوله فقد فاز فوزا عظیما). [۱۳۴] .و رضوان الله و تبادل الرضا بین العبد و ربه من الفوز العظیم: (... رضی الله عنهم و رضوا عنه ذلک الفوز العظیم). [۱۳۵] .ویطلق علی الجنة و رضوان الله معا: (وعد الله المؤمنین و المؤمنات جنات تجری من تحتها الأنهار خالدین فیها و مساکن طیبة فی جنات عدن و رضوان من الله أکبر ذلک هو الفوز العظیم). [۱۳۶] .و یطلق علی المغفرة و الرحمة الالهیة، و الوقایة من السیئات: (وقهم السیئات و من تق السیئات یومئذ فقد رحمته و ذلک هو الفوز العظیم). [۱۳۷] .و اجمال هذه المعانی: الرحمة و المغفرة الالهیة و رضوان الله و طاعة الله و رسوله (ولایة الله و الجنة).و هذه النقاط کما هی واضحة تعتبر بمجموعها المحور الثانی الذی تحدثنا عنه فی هذه التأملات فی مسیرة الانسان الی الله و الذی یقابل محور (الأنا) و (الذات). [صفحه ۱۲۳] و علیه فان الثمن فی هذه الآیة الکریمة من جنس المبیع و هو (الفوز العظیم) و لیس من نوع آخر کما فی سائر البیوع، حیث یختلف المبیع عن الثمن و هذه من لطائف و رقاق القرآن فی هذه الآیة الکریمة.فالفوز العظیم فی الحقیقة هو التجرد من محور الأنا و الارتباط بمحور ولایة الله، و الخروج من دائرة نفوذ سلطان الأنا و الدخول فی دائرة ولایة الله و طاعته و رحمته و مغفرته.و هذا هو الفوز العظیم - فی رحلة الانسان الکبری الی الله - فی الدنیا و فی

الآخرة، و هو یشمل الانسان فی الآخرة کما یناله فی الدنیا علی نحو سواء.و المتأمل فی هذه الآیة المبارکة: (الذین آمنوا و کانوا یتقون لهم البشری فی الحیاة الدنیا و فی الآخرة لا تبدیل لکلمات الله ذلک هو الفوز العظیم) [۱۳۸] یجد أن الفوز العظیم هو تحرر الانسان و انطلاقه من أسر (الأنا) و الشهوات و ارتباطه بالله تعالی، و هو لا یخص الآخرة و انما یشمل الانسان فی الدنیا و الآخرة.فان الجنة هی الفوز العظیم، و هی مآل الفائزین برحمة الله و المنزل الذی أعده الله تعالی لهم فی الآخرة، فالفوز العظیم اذن هو مبایعة الله تعالی و تسلیم الأنفس و الأموال له و هو فی نفس الوقت ثمن هذا البیع. [۱۳۹] .

صفة الذین باعوا أنفسهم لله

ثم تصف الآیة الکریمة هؤلاء الذین باعوا أنفسهم لله بأنهم: (التائبون [صفحه ۱۲۴] العابدون الحامدون السائحون الراکعون الساجدون الآمرون بالمعروف و الناهون عن المنکر و الحافظون لحدود الله و بشر المؤمنین). [۱۴۰] .تائبون عائدون الی الله، أقلعوا عن الذنوب و فروا الی الله تعالی.عابدون حامدون شوقا الی الله تعالی، و انسا بذکره و عبادته، لأنهم وجدوا لله أهلا للعبادة فعبدوه و أهلا للحمد و الثناء فحمدوه.و سائحون: وقد اختلف المفسرون فی تفسیر هذه الکلمة فقالوا: انها بمعنی الصیام، و قیل: انها بمعنی الجهاد، و قیل: انها بمعنی التأمل و السیاحة الفکریة فی آیات الله، و هو المعنی الذی ارجحه هنا.الراکعون الساجدون لله، و الرکوع و السجود أقصی درجات الخضوع و التذلل بین یدی الله یجسدان حالة الخشوع و الخضوع و الاخبات و الانابة عند المؤمنین: (... الآمرون بالمعروف و الناهون عن المنکر...) (و الحافظون لحدود الله...) و الأمر بالمعروف و النهی عن المنکر هو الرقابة علی تنفیذ أحکام الله و مراقبتها. و حفظ حدود الله هو تنفیذها، و العمل بها.فهؤلاء المجاهدون اذن منفذون لأحکام الله، عاملون بحدود الله، و فی نفس الوقت یراقبون تنفیذها، ینفذون أحکام الله بأنفسهم، و یراقبون تنفیذها فی حیاة الآخرین، فهم یشعرون بالمسؤولیة تجاه حدود الله و أحکامه فی حیاتهم و فی حیاة الآخرین. [صفحه ۱۲۵]

آیة آل عمران

اشاره

و فی سورة آل عمران نلتقی هذه اللوحة القرآنیة الرائعة عن الشهید و التی تستوقف الانسان طویلا و تخرجه من دائرة تصوراته البشریة المحدودة عن الموت و الحیاة الی افق واسع جدید لم تعهده تصوراتنا المحدودة عن الموت و الحیاة و تعطی للحیاة معنی جدیدا لا تعرفه التصورات الجاهلیة للانسان.وها نحن نتلو معا هذه الآیات المبارکات من سورة آل عمران: (و لا تحسبن الذین قتلوا فی سبیل الله أمواتا بل أحیاء عند ربهم یرزقون فرحین بما آتاهم الله من فضله و یستبشرون بالذین لم یلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف علیهم و لا هم یحزنون یستبشرون بنعمة من الله و فضل و أن الله لا یضیع أجر المؤمنین الذین استجابوا لله و الرسول من بعد ما أصابهم القرح للذین أحسنوا منهم و اتقوا أجر عظیم الذین قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لکم فاخشوهم فزادهم ایمانا و قالوا حسبنا الله و نعم الوکیل فانقلبوا بنعمة من الله و فضل لم یمسسهم سوء و اتبعوا رضوان الله و الله ذو فضل عظیم انما ذلکم الشیطان یخوف أولیاء فلا تخافوهم و خافون ان کنتم مؤمنین). [۱۴۱] . [صفحه ۱۲۶]

الحیاة الطیبة

الحقیقة الاولی فی هذه اللوحة القرآنیة:ان الذین قتلوا فی سبیل الله أحیاء و لیسوا باموات، و النهی عن تصور أن الشهداء أموات: (و لا تحسبن الذین قتلوا فی سبیل الله أمواتا...)، ان المسألة لیست من المجاز فی التعبیر، و انما هی حقیقة داخلة فی حیز النفی و الاثبات:

النهی عن حسبان الشهداء أمواتا، و اثبات أنهم أحیاء، و هذا تصور جدید علی الذهنیة المادیة تماما.لیست الحیاة هی فقط هذه الفرصة و هذه الرقعة الضیقة التی یعیشها الانسان فی هذه الدنیا.و لیست الحرکة الحیوانیة التی یمارسها الانسان فی هذه الدنیا من أکل و شرب، و تسابق علی متاع الحیاة الدنیا و زخرفها، و نشاط و حرکة فی حقل الغرائز الحیوانیة هی المؤشر و المقیاس الوحید للحیاة. فهذه رقعة صغیرة للحیاة، محدودة الأمد، قصیرة المدی، حافلة باللهو و اللعب. ان ما بأیدی الناس هنا سراب بقیعة یحسبه الظمآن ماء، و لیس من الحیاة فی شیء، أما النبع الصافی و الزلال للحیاة فشیء آخر، یختلف تماما عما یعرفه الناس، والله تعالی و رسوله یدعوانا الی الحیاة الطیبة الحقیقة: (یا أیها الذین آمنوا استجیبوا لله و للرسول اذا دعاکم لما یحییکم...). [۱۴۲] .و هذا الذی یدعونا الیه الله تعالی و رسوله من الحیاة شیء آخر غیر ما یتنافس علیه الناس؛ من اللهو و اللعب، و التفاخر، و الزینة، و ما یشوبه من البعد عن الله [صفحه ۱۲۷] و البغضاء و المعاصی و الذنوب، و الاستغراق فی متاع الحیاة الدنیا، و التعلق بها، و حیاة الذل و الهوان و العبودیة لغیر الله، و الاستسلام للأهواء و الشهوات.ان الحیاة فی التصور الاسلامی انطلاق من القیود و الأغلال، و تحرر من أسر الهوی و الشهوات، و خروج من ذل الانقیاد و الاستسلام للطغاة الی عز العبودیة لله تعالی؛ و الحیاة فی هذا التصور الجدید علی البشریة تحرر من کل تعلق بالدنیا، لا بمعنی ترک الدنیا و لذاتها، فان الانسان المؤمن یأخذ نصیبه مما خلق الله من الطیبات کالآخرین أو أفضل من الآخرین، الا أنه لا یقع فی قبضة التعلق بالدنیا و لا تتحکم فیه و لا یکون مصداقا لقوله علیه السلام:«حب الدنیا رأس کل خطیئة». [۱۴۳] .ان ما بأیدی الناس من الحیاة لیس من الحیاة فی شیء، و انما هی أقرب الی حیاة البهائم منها الی حیاة الانسان. أما الحیاةالحقیقیة فهی التی اختارها الله للصالحین من عباده فی الدنیا و الآخرة و هی (الحیوان) فی الآخرة. (... و ان الدار الآخرة لهی الحیوان لو کانوا یعلمون) [۱۴۴] و الحیوان مبالغة فی الحیاة، انها الحیاة الحافلة بلقاء الله و الایمان، و الحب، و الشهود، و الصدق، و الطیبات، و فی افق واسع عریض، و علی مدی الخلود و الأبدیة، حیاة الروح و الجسم و العقل معا. و الشهید فی حرکته الصاعدة الی الله ینتقل من هذه الرقعة الضیقة من الحیاة الفانیة و المؤقتة الی ذلک الافق الرحیب من الحیاة، و من هذه المشوبة بالأکدار و الابتلاءات الی النبع الصافی الزلال من الحیاة، و لیس الی الموت و الرکود و الغیاب کما یتصوره الناس. [صفحه ۱۲۸]

اعلی درجات القرب من الله

(عند ربهم) وهذه الفقرة تدخل لتکمل صورة هذه الحیاة الحقیقیة التی ینتقل الیها الشهید فی مسیرته الی الله تعالی. ان غایة حرکة الشهید الی الله، و هذه الغایة هی کل قیمة الحیاة، و تکتسب الحیاة قیمتها الحقیقیة عندما تقترن بالقرب من الله و توصل الانسان الیه و تجعله بجواره، أما عندما تنقطع الحیاة من التحرک الی الله، و من قربه، ومن التوجه الیه، فهی سراب و ضیاع له فی متاهات الدنیا، و استغراق فی متاعها و حطامها.ان غایة الانسان فی مسیرته و حرکته الکادحة الکبری فی الدنیا هی القرب من الله و لقاء الله، و هی الغایة التی یسعی الیها الشهید (یا أیها الانسان انک کادح الی ربک کدحا فملاقیه). [۱۴۵] .و ما یحقق الانسان فی الدنیا من هذه الغایة هو قیمته و درجته، و القرب من الله هو المقیاس الذی یقیس به الاسلام أقدار الناس و مراتبهم؛ و الناس فی القرب و البعد من الله درجات و مراتب... حتی یکون الانسان (عند الله)، فلا تکون ثمة درجة أقرب الی الله منه الی لله. و لا تجد فی اللغة تعبیرا أقوی و أبلغ فی(القرب) من کلمة(عند) و کأن الفواصل تنعدم فی هذه الدرجة من القرب، و حاشا ربنا من ملابسة خلقه و عباده و تبارک و تعالی من أن یرتفع عباده الی مستوی کبریائه و عزه و جلاله، ولکنه تعبیر بلیغ عن أقرب درجات القرب الی الله؛ و قد ورد فی الحدیث عن رسول الله صلی الله علیه وآله:«فوق کل بر بر حتی یقتل الرجل فی سبیل الله، فاذا قتل فی سبیل الله عزوجل، فلیس فوقه بر». [۱۴۶] و روی عنه صلی الله علیه وآله:«فوق کل ذی بر بر [صفحه ۱۲۹] حتی یقتل الرجل فی سبیل الله فلیس فوقه بر». [۱۴۷] .ان کلمة (عند ربهم) لتستوقف الانسان طویلا! أیبلغ الأمر بالعبد الوضیع أن یکون (عند ربه) هکذا من دون فواصل و مراحل، و بمثل هذه الدرجة من القرب (عند ربه)، و تعالی الله عن ملابسة مخلوقاته علوا کبیرا. و قد ورد مثل هذا التعبیر فی القرب من الله فی سورة القمر بالنسبة

الی المتقین: (ان المتقین فی جنات و نهر فی مقعد صدق عند ملیک مقتدر) [۱۴۸] و فی المناجاة الشعبانیة: (... الهی هب لی کمال الانقطاع الیک، و أنر أبصار قلوبنا بضیاء نظرها الیک، حتی تخرق أبصار القلوب حجب النور، فتصل الی معدن العظمة...» [۱۴۹] .و حالة«کمال الانقطاع الی الله تعالی»هی التی توصل الانسان الی معدن العظمة، و تخرق له حجب الظلمة و النور الی الله تعالی؛ و فی المناجاة:«الهی فاسلک بنا سبل الوصول الیک، و سیرنا فی أقرب الطرق للوفود علیک». [۱۵۰] .و لیس من أحد تنطبق علیه هذه الفقرات أکثر من الشهید، فهو یسلک الی الله تعالی أقرب الطرق، و لیس من طریق أقرب الی الله من الشهادة ثم یفد علی الله تعالی.یقول أمیرالمؤمنین علیه السلام:«ان لله عبادا فی الأرض کأنما رأوا أهل الجنة فی جنتهم، و أهل النار فی نارهم، یجأرون الی الله سبحانه بأدعیتهم، قد حلا فی أفواههم، و حلا فی قلوبهم طعم مناجاته، و لذیذ الخلوة به، قد أقسم الله علی نفسه بجلاله و عزته لیورثنهم المقام الأعلی فی مقعد صدق عنده». [۱۵۱] هؤلاء هم الذین یورثهم [صفحه ۱۳۰] الله المقام الأعلی، و یرزقهم الله جواره فی الجنة، و یسکنهم فی مقعد صدق عنده، و هم الذین یفدون علی الله.

یرزقون

وهذه الکلمة تشخص نوع الحیاة، انها حیاة حقیقیة معنویة خالصة، بل هی الحیاة بکل أبعادها المادیة و المعنویة، و هذه الجملة لا تبقی لأحد مجالا للشک فی تشخیص هذه الحیاة بعد حیاة الدنیا. و من العجب أن بعض المفسرین یترددون فی تفسیر هذه الآیة بالحیاة الحقیقیة، و الآیة الکریمة ترسم الحیاة بصورة واضحة؛ فالشهداء أحیاء عند ربهم یرزقون فی حیاتهم الجدیدة، و یفرحون بما آتاهم الله من فضله، و یستبشرون بالذین من خلفهم، و هل بعد کل هذه النقاط غموض فی معنی الحیاة التی تلی هذه الحیاة و التی تسبق الحیاة الآخرة، ان هذه الثانیة لیست هی الحیاة الآخرة، فالحیاة الآخرة لیست موضع انکار أحد من المؤمنین، و الآیة حیث تنهی عن حسبان الشهداء من الأموات فانها تکاد تکون صریحة فی أن المقصود من هذه الحیاة: حیاة اخری غیر حیاة الآخرة؛ فان أحدا من المؤمنین لا یشک فی حیاة الآخرة للشهید و لغیر الشهید، فلابد أن یکون المقصود حیاة اخری بین حیاة الدنیا و حیاة الآخرة، و هی التی یجهلها الکثیر من المؤمنین، ینتقل الیها الشهید من الحیاة الدنیا مباشرة، و یعیش فیها بجوار ربه تبارک و تعالی، و الناس ینظرون الی الشهید جثة هامدة فیتصورون أنه میت، و لیس هو بمیت، و انما ینعم فی جوار ربه بما أعد الله للصالحین من عباده من فضل و رحمة فی الجنة، حتی ینتقل فی الآخرة الی حیث یختار الله تعالی له من مراتب رحمته و فضله فی جنة عرضها السماوات و الأرض.و فی أحادیث رسول الله صلی الله علیه وآله و أهل بیته شواهد کثیرة علی هذه الحیاة [صفحه ۱۳۱] البرزخیة التی یحیاها الشهداء و الصالحون من عباد الله فی الجنة، و ینعمون فیها برحمة الله قبل الحشر و الحیاة الآخرة، ففی الحدیث عن جابر بن عبدالله الأنصاری عن رسول الله فیما جری للمسلمین فی حرب مؤتة بعد استشهاد زید ابن‌حارثة و جعفر بن أبی‌طالب، و عبدالله بن رواحة الأنصاری رحمهم الله الذین عینهم النبی صلی الله علیه وآله قادة للجیش علی التوالی، ان استشهد منهم أحد، تولی الآخر محله، یقول جابر رحمه الله:«فلما کان الیوم الذی وقع فیه حربهم صلی النبی صلی الله علیه وآله بنا الفجر ثم صعد المنبر فقال: قد التقی اخوانکم مع المشرکین للمحاربة فأقبل یحدثنا بکرات بعضهم علی بعض، الی أن قال: قتل زید بن حارثة و سقطت الرایة، ثم قال: قد أخذها جعفر بن أبی‌طالب و تقدم للحرب، ثم قال: قد قطعت یده، و قد أخذ الرایة بیده الاخری، ثم قال: قطعت یده الاخری، و قد أخذ الرأیة فی صدره، ثم قال: قتل جعفر بن أبی‌طالب و سقطت الرایة، ثم أخذها عبدالله بن رواحة، و قد قتل من المشرکین کذا، و قتل من المسلمین کذا، فلان و فلان الی أن ذکر جمیع من قتل من المسلمین بأسمائهم، ثم قال: قتل عبدالله بن رواحة، و أخذ الرأیة خالد بن الولید فانصرف المسلمون، ثم نزل عن المنبر و صار الی دار جعفر، فدعا عبدالله بن جعفر فأقعده فی حجره و جعل یمسح علی رأسه، فقالت والدته أسماء بنت عمیس: یا رسول الله انک لتمسح علی رأسه کأنه یتیم قال: قد أستشهد جعفر فی هذا الیوم، و دمعت عینا رسول الله صلی الله علیه وآله و قال: قطعت یداه قبل أن یستشهد و قد أبدله الله بجناحین من زمرد أخضر، فهو الآن یطیر بهما فی الجنة

مع الملائکة کیف یشاء». [۱۵۲] . [صفحه ۱۳۲]

فرحین بما آتاهم الله من فضله...

آل عمران / ۱۷۰.:ان فرح الشهید بما یؤتیه الله تعالی من فضله و رحمته الواسعة لا حد له، أنه یستقبل الرحمة الالهیة الواسعة، و یری ما أعـد الله تعالی من فضل و رحمـة قبل أن تفارق الروح جسده و قبل أن یلفظ آخر أنفاسه. روی زید بن علی عن أبیه علی بن الحسین زین العابدین علیهماالسـلام، عن آبائه، قال: قال رسول الله صـلی الله علیه وآله:«للشهید سبع خصال من الله:أول قطرة من دمه: مغفور له کـل ذنب.و الثانیـة: یقع رأسه فی حجر زوجتیه من الحور العین و تمسـحان الغبـار عن وجهه، و تقولانـن: مرحبـا بک، و یقول: هو مثل ذلک لهما.و الثالثـة: یکسـی من کسوة الجنـة.و الرابعـة: تبتـدره خزنة الجنة بکل ریح طیبة أیهم یأخذه معه.و الخامسة: أن یری منزله.و السادسة: یقال لروحه اسرح فی الجنة حیث شئت.و السابعة: أن ینظر فی وجه الله، و انها لراحة لکل نبی و شهید». [۱۵۳] .

و یستبشرون بالذین لم یلحقوا بهم من خلفهم...

آل عمران / ۱۷۰.ان الشـهداء لم یموتوا و لم ینـال الموت منهم وعیـا و درکـا؛ أنهم یرون اخوانهم [صـفحه ۱۳۳] المؤمنین الذین لم یلحقوا بهم بعد، و یتابعون حرکتهم و مسیرتهم، و یدعون الله تعالی لهم، و یستبشرون بوفود اخوانهم الذین لم یلحقوا بهم بعد علیهم، و ان لکل لقاء جدید فرحة جدیدة و بشری جدیدة، و فی کل یوم لهم بشری جدیدة بلقاء أخ جدید فی الله، یفد علی الله من بین لظی المعرکـة، و یقبـل علیهم فیسـتقبلونه بالابتهاج و السـرور.انهم حاضـرون (و شـهداء) المعرکـة، لم یغیبوا عنها بالموت و لم یکن الموت بالنسبة الیهم غیابا، انهم عند ربهم یشهدون المعرکة و یتابعون أحداثها، و یدعون للمقاتلین و یستبشرون بالقادمین منهم الیهم، و حاشا أن یکون اولئـک أمواتا بل هم من شـهداء المعرکـة و حضارها، انما الأموات هم اولئک الغائبون عن مسـیرة التأریـخ و حیاة الناس، و صراع الحق و الباطل، و جهاد المؤمنین، و هم اولئک الـذین یؤثرون الحیاة الدنیا و عافیتها، و یخلدون الی الراحة و یعتزلون تیار العمل و الحرکـة و الجهـاد، و یعیشون علی هـامش الحیـاة و التأریـخ، یتفرجون علی الصـراع من بعیـد، اولئک هم الأموات، بالرغم من أنهم یستنشـقون الهواء و یتحرکون، اولئک أحیاء الأموات الذین لا یعرفون للحیاة معنی غیر هذه الحیاة التی یعیشها البهائم، و لا یعرفون فی الحیاة لذة و متاعا الا ما یعرفه الحیوان من اللذة و المتاع، و لا تتجاوز اهتماماتهم و طموحاتهم شـهوات الحیوانات و اهتماماتها، اولئک هم الغائبون الأموات.أما الشهداء فلا یغیبون عن هذه الساحة لحظة واحدة، و یشهدون عن کثب من عند ربهم کل تطورات المسیرة، و حرکتهـا، و تقـدمها، و انتصاراتهـا، و انتکاساتهـا، و آلامهـا، و آمالهـا، و تطلعاتهـا، و طموحاتهـا، و معاناتهـا، ولکن بنفس یختلف عن أنفاسنا و رؤیة تختلف عن رؤانا و تصور یختلف عن تصوراتنا المحدودة. [صفحه ۱۳۴]

لا خوف و لا حزن

و ذلـک قوله تعـالی: (.. و لا خوف علیهم و لا هم یحزنون). [۱۵۴] فهم ینظرون الی اخوانهم الـذین لم یلحقوا بهم بعد والی المسیرة الحافلـة بالـدماء و الجهاد و الانتصارات و الانتکاسات و الآلام و المرارات. بهـذه الرؤیـة الربانیة: (لا خوف علیهم و لا هم یحزنون).أما نحن، هنـا فی هـذه الـدنیا، فرؤیتنـا تختلف، اننـا ننظر الی المسیرة من خلال تصوراتنا البشـریة التی یشوبها الضـعف و قصـر المـدی و التشویش، و ینتابنـا القلق و الارتبـاک کلما توقعنا مصـیبة تنزل بنا فی حرکتنا، و کلما توقعنا عاصـفة تعصف بنا، و لا تـذر لنا رطبا و لا یابسـا، و ینتابنـا الحزن و الألم کلما نزلت بنا داهیـة، أو عمتنا مصـیبة فتضـیق بنا الأرض بسـعتها، و تعتصـرنا الآلام: آلام الفراق و مرارة الانتکاسات و شـدة الابتلاء فی الأنفس و الأموال و الأرزاق و الأمن، فالمسـیرة بالنسـبة الینا – و من خلال تصوراتنا – حافلة بالخوف و الحزن؛ الخوف علی مـا نتوقعه من الابتلاء، و الحزن علی ما نزل بنا من ابتلاء و شـدة، و قلیل من عباد الله الـذین تصـفو لهم الرؤیـة فی

وسط هذه المسيرة الحافلة بالدماء و الآلام، فلا يعيشون خوفا و لا حزنا.أما الشهداء فرؤيتهم و تصورهم لهذه المسيرة يختلف عن رؤيتنا و تصوراتنا البشرية المشوبة بضعف الانسان، أنها رؤية اكتسبوها من عند الله صافية، بعيدة المدى، ملؤها الثقة و الطمئنان بالله تعالى، رزقهم الله تعالى اياها من عنده، فهم يرون المسيرة الربانية على وجه الأرض بهذه الثقة و الطمأنينة و بهذه الرؤية الصافية من غير خوف و لا قلق و لا حزن، و من ثم يستبشرون باخوانهم الذين لم [صفحه ۱۳۵] يلحقوا بهم بعد، و الذين يخوضون غمار المعركة ألا خوف عليهم و لا هم يحزنون، ألا يخافوا من شيء يستقبلهم و لا يحزنوا على شيء فاتهم، فلن يتجاوزهم نصر الله الذى وعد الله به الصالحين من عباده، و لن يتخطاهم النصر و التأييد و الدعم و الامداد من الله، فى وسط هذا الصراع الحافل بالدماء و الآلام و المرارات و المعاناة.(و نريد أن نمن على الذين استضعفوا فى الأرض و نجعلهم أئمة و نجعلهم الوارثين و نمكن لهم فى الأرض و نرى فرعون و هامان و جنودهما منهم ما كانوا يحذرون). [۱۵۵] .فعلام الخوف و القلق و الارتباك من المستقبل؟ فلن يصيبهم أذى أو تعب فى سبيل الله، و لن تقسو عليهم الابتلاءات، الا- كتب الله تعالى لهم بكل ذلك عملا صالحا و أجرا.(... ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ و لا نصب و لا مخمصة فى سبيل الله و لا يطئون موطئا يغيظ الكفار و لا ينالون من عدو نيلا الا كتب لهم به عمل صالح...). [۱۵۶] .فعلام الحزن مما يصيبهم من ابتلاءات و محن و آلام و مما يعانون فى سبيل الله؟اذن: (لا خوف و لا حزن) فى هذه المسيرة، و ليس على العاملين فى هذه المسيرة الكادحة ذات الشوكة حزن أو خوف مما أصابهم أو يصيبهم من ابتلاء. تلك هى الرؤية الربانية الصافية الواثقة، بعيدة المدى للمسيرة، و ان علينا - نحن العاملين فى سبيل الله على خطى الشهداء - أن نتسلح بهذه الرؤية و نبدل رؤيتنا القلقة و المرتكبة الخائفة بالرؤية الربانية الواثقة و المطمئنة بعيدة المدى لنتمكن من حمل عبء المسؤولية الشاقة و مواصلة السير على طريق الأنبياء و المرسلين. [صفحه ۱۳۶]

رحلة الشهادة فى السنة الشريفة

باقة عطرة من الحديث الشريف فى قيمة الشهيد

و اليكم هذه الباقة العطرة من الروايات فى فضل الشهادة و قيمتها:عن الصادق عليه السلام: قال رسول الله صلى الله عليه وآله:«فوق كل بربر حتى يقتل الرجل فى سبيل الله، فليس فوقه بر، و ان فوق كل عقوق عقوقا حتى يقتل الرجل أحد والديه، فاذا فعل ذلك فليس فوقه عقوق». [۱۵۷] .عن المقدام بن معد يكرب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله:«للشهيد عند الله ست خصال: يغفر له من عذاب القبر، و يأمن من الفزع الأكبر، و يوضع على رأسه تاج الوقار: الياقوتة منها خير من الدنيا و ما فيها، و يزوج اثنين و سبعين زوجة من الحور، و يشفع فى سبعين من أقاربه». قال أبوعيسى الترمذى: هذا حديث حسن صحيح غريب. [۱۵۸] . [صفحه ۱۳۷] سأل أبوذر النبى صلى الله عليه وآله: أى الأعمال أحب الى الله عزوجل؟فقال صلى الله عليه وآله:«ايمان بالله و جهاد فى سبيله.قال: فقلت: أى الجهاد أفضل؟قال: من عفر جواده، و اهريق دمه فى سبيل الله». [۱۵۹] .العياشى فى تفسيره عن جابر عن أبىجعفر قال: أتى رجل رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: انى راغب نشيط فى الجهاد. قال فجاهد فى سبيل الله فانك ان تقتل كنت حيا عند الله، و ترزق، و ان مت فقد وقع أجرك على الله و ان رجعت خرجت من الذنوب الى الله. هذا تفسير (و لا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا). [۱۶۰] .عن مسعدة بن صدقة عن الصادق عليه السلام عن آبائه عليهمالسلام: أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال:«ثلاثة يشفعون الى الله عزوجل فيشفعهم: الأنبياء، ثم العلماء، ثم الشهداء». [۱۶۱] .و كان الامام الحسين عليه السلام يقول فى مسيرته الى كربلاء:«انى لا أرى الموت الا سعادة و الحياة مع الظالمين الا برما». [۱۶۲] .و عن أنس بن مالك عن النبى صلى الله عليه وآله:قال: ما من عبد يموت له عند الله خير، يسره أن يرجع الى الدنيا، و أن له الدنيا و ما فيها الا الشهيد لما يرى من فضل الشهادة فانه يسره أن يرجع الى الدنيا [صفحه ۱۳۸] فيقتل مرة اخرى. [۱۶۳] .و عن سعيد بن المسيب عن أبىهريرة قال: سمعت النبى صلى الله عليه وآله يقول:«و الذى

نفسی بیده لو لا أن رجالا من المؤمنین لا تطیب أنفسهم أن یتخلفوا عنی، و لا أجد ما أحملهم علیه ما تخلفت عن سریة تغزو فی سبیل الله. و الذی نفسی بیده لوددت أن اقتل فی سبیل الله ثم أحیا ثم اقتل ثم أحیا ثم اقتل ثم أحیا ثم اقتل.» [۱۶۴] .و عن جابر بن عبدالله: قال له رجل: أین أنا یا رسول الله ان قتلت؟ قال فی الجنة. فألقی تمرات کن فی یده ثم قاتل حتی قتل. [۱۶۵] .عن ابن اسحاق عن البراء قال: جاء رجل من النبیت، قبیل من الأنصار. فقال أشهد أن لا اله الا الله و أنک عبده و رسوله، ثم تقدم فقاتل حتی قتل. فقال النبی صلی الله علیه وآله: عمل هذا یسیرا و اجر کثیرا. [۱۶۶] .و عن انس بن مالک فی حوادث معرکة بدر قال:«قال رسول الله صلی الله علیه وآله:«قوموا الی جنة عرضها السماوات و الأرض. قال: یقول عمیر بن الحمام الأنصاری: یا رسول الله جنة عرضها السماوات و الأرض؟ قال: نعم. قال: بخ بخ فقال رسول الله ما یحملک علی قول بخ بخ قال: لا والله یا رسول الله الا رجاء أن أکون من أهلها. قال: فانک من أهلها. فأخرج تمرات من قرنه یأکل منهن. ثم قال: لئن أنا حییت حتی آکل تمراتی هذه أنها لحیاة طویلة قال فرمی بما کان معه من التمر ثم قاتلهم حتی قتل». [۱۶۷] . [صفحه ۱۳۹] و قال محمد بن المنکدر: انه سمع جابرا یقول: جیء بأبی الی النبی صلی الله علیه وآله و قد مثل به و وضع بین یدیه فذهبت أکشف عن وجهه فنهانی قومی. فسمع صوت صائحة فقیل ابنة عمر أو اخت عمر. فقال: لم تبکی؟ أو لا تبکی مازالت الملائکة تظلله بأجنحتها. [۱۶۸] .عن مسروق قال سألنا عبدالله [۱۶۹] عن هذه الآیة (و لا تحسبن الذین قتلوا فی سبیل الله أمواتا بل أحیاء عند ربهم یرزقون) قال: أما انا قد سألنا عن ذلک. فقال أرواحکم فی جوف طیر خضر لها قناطیل معلقة بالعرش تسرح فی الجنة حیث شاءت ثم تأوی الی تلک القنادیل. [۱۷۰] .و کان أمیرالمؤمنین یقول:«أیها الناس ان الموت لا یفوته المقیم، و لا یعجزه الهارب، لیس عن الموت محید و لا محیص. من لم یقتل مات، ان أفضل الموت القتل.و الذی نفس علی بیده لألف ضربة بالسیف أهون من موتة واحدة علی الفراش». [۱۷۱] .و عن الامام الصادق علیه السلام عن آبائه علیهم‌السلام عن رسول الله صلی الله علیه وآله:«ثلاثة یشفعون الی الله یوم القیامة: الأنبیاء، ثم العلماء ثم الشهداء». [۱۷۲] .عن علی بن الحسین زین العابدین علیه السلام:قال:«ما من قطرة أحب الی الله عزوجل من قطرتین، قطرة دم فی سبیل الله، [صفحه ۱۴۰] و قطرة دمعة فی سواد اللیل، لا یرید بها عبد الا الله عزوجل». [۱۷۳] .و عن أبی‌جعفر الباقر علیه السلام قال:«ما من قطرة أحب الی الله من قطرة دم فی سبیل الله، أو قطرة من دموع عین فی سواد اللیل من خشیة الله. و ما من قدم أحب الی الله من خطوة الی ذی رحم أو خطوة یتم بها زحفا فی سبیل الله. و ما من جرعة أحب الی الله من جرعة غیظ أو جرعة ترد بها العبد مصیبة». [۱۷۴] .عن موسی بن جعفر علیه السلام عن آبائه علیهم‌السلام عن رسول الله صلی الله علیه وآله:«ان أبخل الناس من بخل بالسلام، و أجود الناس من جاد بنفسه و ما له فی سبیل الله». [۱۷۵] .عن الرضا علیه السلام عن آبائه عن علی بن الحسین علیه السلام قال: بینما أمیرالمؤمنین علی بن أبی‌طالب علیه السلام یخطب الناس، و یحضهم علی الجهاد اذ قام الیه شاب فقال: یا أمیرالمؤمنین أخبرنی عن فضل الغزاة فی سبیل الله فقال علی علیه السلام: کنت ردیف رسول الله صلی الله علیه وآله علی ناقته العصباء، و نحن قافلون من غزوة ذات السلاسل، فسألته عما سألتنی فقال: ان الغزاة اذا هموا بالغزو کتب الله لهم براءة من النار، فاذا تجهزوا لغزو باهی الله تعالی بهم الملائکة، فاذا ودعهم أهلوهم بکت علیهم الحیطان و البیوت و یخرجون من ذنوبهم کما تخرج الحیة من سلخها، و یوکل الله عزوجل بهم بکل رجل منهم أربعین ألف ملک یحفظونه من بین یدیه و من خلفه و عن یمینه و عن شماله. و لا یعمل حسنة الا ضعفت له، و یکتب له کل یوم عبادة ألف رجل یعبدون ألف سنة، کل سنة ثلاثمائة و ستون یوما، و الیوم مثل عمر الدنیا، و اذا صاروا بحضرة عدوهم انقطع علم أهل الدنیا عن ثواب الله ایاهم، و اذا برزوا لعدوهم و أشرعت الأسنة و فوقت السهام و تقدم الرجل الی الرجل حفتهم الملائکة بأجنحتهم، و یدعون الله لهم بالنصر، و التثبت [صفحه ۱۴۱] فینادی مناد: الجنة تحت ظلال السیوف، فتکون الطعنة و الضربة علی الشهید أهون من شرب الماء البارد فی الیوم الصائف، و اذا زل الشهید عن فرسه بطعنة أو ضربة لم یصل الی الأرض حتی یبعث الله عزوجل زوجته من الحور العین، فتبشره بما أعد الله له من الکرامة، و اذا وصل الی الأرض تقول له: مرحبا بالروح الطیبة التی أخرجت من البدن الطیب، أبشر فان لک ما لا عین رأت و لا اذن سمعت و لا خطر علی قلب بشر، و یقول الله عزوجل: أنا خلیفته فی أهله، و من أرضاهم فقد أرضانی، و

من أسخطهم فقد أسخطنی، و یجعل الله روحه فی حواصل طیر خضر تسرح فی الجنة حیث تشاء تأکل من ثمارها. و تأوی الی قنادیل من ذهب معلقة بالعرش. [۱۷۶] .و یقول أمیرالمؤمنین علیه السلام: لما أنزل الله سبحانه قوله: (الم أحسب الناس أن یترکوا أن یقولوا آمنا و هم لا یفتنون) [۱۷۷] علمت أن الفتنة لا تنزل بنا، و رسول الله صلی الله علیه وآله بین أظهرنا. فقلت یا رسول الله أو لیس قد قلت لی یوم أحد حیث استشهد من المسلمین و حیزت عنی الشهادة، فشق ذلک علی فقلت لی: أبشر فان الشهادة من ورائک. فقال لی: ان ذلک لکذلک، فکیف صبرک اذن؟ فقلت: یا رسول الله لیس هذا من مواطن الصبر، ولکن من مواطن البشری و الشکر.یقول ابن أبی‌الحدید [۱۷۸] فی شرح هذه الفقرة من نهج‌البلاغة: و هذا الخبر مروی عن رسول الله صلی الله علیه وآله قد رواه کثیر من المحدثین عن علی علیه السلام أن رسول الله صلی الله علیه وآله قال له:«ان الله قد کتب علیک جهاد المفتونین کما کتب علی جهاد [صفحه ۱۴۲] المشرکین»قال فقلت یا رسول الله ما هذه الفتنة التی کتب علی فیها الجهاد؟ قال: قوم یشهدون أن لا اله الا الله و أنی رسول الله و هم مخالفون للسنة، فقلت یا رسول الله فعلام اقاتلهم و هم یشهدون کما أشهد؟ قال: علی الأحداث فی الدین و مخالفة الأمر. قلت یا رسول الله: انک کنت وعدتنی الشهادة فاسأل الله أن یعجلها لی بین یدیک. قال: فمن یقاتل الناکثین و القاسطین و المارقین، أما انی وعدتک الشهادة و ستستشهد تضرب علی هذه فتخضب هذه، فکیف صبرک اذن؟ قلت یا رسول الله: لیس ذا بموطن صبر. هذا موطن شکر، قال: أجل أصبت. [۱۷۹] .و یقول أمیرالمؤمنین علیه السلام:«فو الله لو لا طمعی عند لقاء عدوی الشهادة و توطینی نفسی عند ذلک لأحببت ألا أبقی مع هؤلاء یوما واحدا». [۱۸۰] .و لما ضرب ابن‌ملجم لعنة الله أمیرالمؤمنین علیه السلام علی رأسه قال علیه السلام:«فزت و رب الکعبة». [۱۸۱] .و قال أمیرالمؤمنین علیه السلام بعد ما ضربه ابن‌ملجم:«و الله ما فجأنی من الموت وارد کرهته و لا طالع انکرته و ما کنت الا کقارب ورد و طالب وجد». [۱۸۲] .عن أبی‌بکر بن عبدالله بن قیس عن أبیه قال: سمعت أبی و هو بحضرة العدو یقول: قال رسول الله صلی الله علیه وآله:«ان أبواب الجنة تحت ظلال السیوف». فقام رجل رث الهیئة فقال: یا أباموسی أأنت سمعت رسول الله صلی الله علیه وآله یقول هذا؟ قال [صفحه ۱۴۳] نعم. قال فرجع الی أصحابه فقال أقرأ علیهم السلام، ثم کسر جفن سیفه، فألقاه، ثم مشی بسیفه الی العدو فضرب به حتی قتل. [۱۸۳] .عن أنس بن مالک قال جاء ناس الی النبی صلی الله علیه وآله فقالوا أن ابعث معنا رجالا یعلمونا القرآن و السنة، فبعث الیهم سبعین رجلا من الأنصار یقال لهم القراء، فیهم خالی حرام یقرؤون القرآن و یتدارسون باللیل یتعلمون و کانوا بالنهار یجیئون بالماء فیضعونه فی المسجد و یحتطبون فیبیعونه و یشترون به الطعام لأهل الصفة و الفقراء. فبعثهم النبی صلی الله علیه وآله الیهم، فعرضوا لهم فقتلوهم قبل أن یبلغوا المکان. فقالوا اللهم بلغ عنا نبینا أنا قد لقیناک فرضینا عنک و رضیت عنا. و أتی رجل حراما، خال أنس، من خلفه فطعنه برمح حتی أنفذه فقال حرام: فزت و رب الکعبة. فقال رسول الله لأصحابه: ان اخوانکم قد قتلوا و انهم قالوا: اللهم بلغ عنا نبینا انا قد لقناک فرضینا عنک و رضیت عنا. [۱۸۴] .و عن ثابت قال: قال أنس: عمی الذی سمیت به لم یشهد مع رسول الله صلی الله علیه وآله بدرا فشق علیه، قال: أول مشهد شهده رسول الله صلی الله علیه وآله غیبت عنه، و ان أرانی الله مشهدا فیما بعد مع رسول الله صلی الله علیه وآله لیرانی الله ما أصنع. قال: فهاب أن یقول غیرها. قال فشهد مع رسول الله صلی الله علیه وآله یوم أحد فاستقبل سعد بن معاذ. فقال له أنس یا أباعمرو أین؟ فقال واها لریح الجنة، أجده دون أحد... قال فقاتلهم حتی قتل فوجد فی جسده بضع و ثمانون من بین ضربة و طعنة و رمیة قال: فقالت اخته: عمتی الربیع بنت النضر: فما عرفت اخی الا ببنانه، و نزلت هذه الآیة: (رجال صدقوا ما عاهدوا الله علیه فمنهم من قضی و منهم من ینتظر و ما [صفحه ۱۴۴] بدلوا تبدیلا). [۱۸۵] .و عن أنس قال رسول الله صلی الله علیه وآله: یؤتی بالرجل من أهل الجنة فیقول الله له یا ابن آدم کیف وجدت منزلک؟ فیقول: أی رب خیر منزل فیقول سل و تمنه.فیقول: و ما أسألک و أتمنی؟ أسألک أن تردنی الی الدنیا فاقتل فی سبیلک عشر مرات لما یری من فضل الشهادة. [۱۸۶] .و عن رسول الله صلی الله علیه وآله قال:«یغفر للشهید کل ذنب الا الدین». [۱۸۷] .و عن رسول الله صلی الله علیه وآله قال:«ان أول قطرة تنزل من دم الشهید یکفر بها ذنوبه و الثانیة یکسی من حلل الایمان و الثالثة یزوج من حور العین». [۱۸۸] .و عن أبی‌هریرة قال: ذکر الشهید عند النبی صلی الله علیه وآله فقال: لا یجف

الأرض من دم الشهید حتی تبتدره زوجتاه کأنهما ظئران اظلتا فصیلیهما فی براح من الأرض، و فی ید کل واحدة منهما حلة خیر من الدنیا و ما فیها. [۱۸۹] .قال المنذری فی الترغیب فی التعلیق علی الحدیث، الظئر هی المرضع، و معناه أن زوجیته من الحور العین تبتدرانه و تحنوان علیه و تظللانه کما تحنو الناقة المرضع علی فصیلها.و عن ابن‌عباس، قال: قال رسول الله صلی الله علیه وآله:«الشهداء علی بارق یهز بباب الجنة، فی قبضة خضراء یخرج علیهم رزقهم من الجنة بکرة و عشیا». [۱۹۰] .و عن أنس بن مالک أن النبی صلی الله علیه وآله قال: اذا وقف العباد للحساب جاء قوم [صفحه ۱۴۵] واضعی سیوفهم علی رقابهم تقطر دما، فازدحموا علی باب الجنة، فقیل من هؤلاء؟ قیل هؤلاء الشهداء کانوا أحیاء مرزوقین. [۱۹۱] .وعن نعیم بن عمار أن رجلا سأل رسول الله صلی الله علیه وآله: أی الشهداء أفضل؟ قال الذین ان یلقوا فی الصف الأول لا یلفتون وجوههم حتی یقتلوا اولئک ینطلقون فی الغرف العلا من الجنة. [۱۹۲] .و عن أنس قال: قال رسول الله صلی الله علیه وآله: ألا أخبرکم عن الأجود، الله الأجود الأجود، و أنا أجود ولد آدم، و أجودهم من بعدی رجل علم علما فنشر علمه، یبعث یوم القیامة امة واحدة، و رجل جاد بنفسه لله عزوجل حتی یقتل. رواه أبویعلی و البیهقی. [۱۹۳] .عن رجل من أصحاب النبی صلی الله علیه وآله أن رجلا ـ قال: یا رسول الله ما بال المؤمنین یفتنون فی قبورهم الا الشهید؟ قال:«کفی ببارقة السیوف علی رأسه فتنة». رواه النسائی. [۱۹۴] .عن أنس بن مالک أن رجلا أسود أتی النبی صلی الله علیه وآله فقال: یا رسول الله انی أسود منتن الریح قبیح الوجه لا مال لی. فان أنا قاتلت هؤلاء حتی اقتل فأین أنا؟ قال: فی الجنة. فقاتل حتی قتل، فأتاه النبی صلی الله علیه وآله فقال:«قد بیض الله وجهک و طیب ریحک و أکثر مالک». [۱۹۵] .جاء النبی صلی الله علیه وآله الی جسد شهید نجدی فقعد عند رأسه مستبشرا یضحک ثم [صفحه ۱۴۶] أعرض عنه، فقلنا یا رسول الله رأیناک مستبشرا تضحک ثم أعرضت عنه. فقال أما ما رأیتم من استبشاری فلما رأیت من کرامة روحه علی الله عزوجل، و أما اعراضی عنه فان زوجته من الحور العین الآن عند رأسه. رواه البیهقی باسناد حسن. [۱۹۶] .عن عامر بن سعد عن أبیه: أن رجلا جاء الی الصلاة و النبی صلی الله علیه وآله یصلی. فقال حین انتهی الصف: اللهم آتنی أفضل ما تؤتی عبادک الصالحین. فلما قضی النبی صلی الله علیه وآله الصلاة قال: من المتکلم آنفا؟ فقال الرجل: أنا یا رسول الله. قال:«اذا یعفر جوادک و تستشهد». رواه أبو یعلی و البزاز و ابن‌حیان فی صحیحه و قال صحیح علی شرط مسلم. [۱۹۷] .عن رسول الله صلی الله علیه وآله:«الشهداء عند الله علی منابر من یاقوت فی ظل عرش الله یوم لا ظل الا ظله، علی کثیب من مسک فیقول لهم الرب: ألم أوف لکم و اصدقکم؟ فیقولون: بلی و ربنا». [۱۹۸] .عن رسول الله صلی الله علیه وآله: أول ما یهراق من دم الشهید یغفر له ذنبه کله الا الدین. [۱۹۹] .یعطی الشهید ثلاثا: أول دفعة من دمه یغفر له ذنوبه و أول من یمسح التراب عن وجهه زوجته من الحور العین و اذا وجب جنبه فی الأرض وقع فی الجنة. [۲۰۰] (الدار قطنی فی الافراد و الدیلمی و الرافعی عن أنس). [صفحه ۱۴۹]

خطاب الاستنصار الحسینی

الاستعراض، و الدلالات

اشارة

(فلما أحس عیسی منهم الکفر قال من أنصاری االی الله قال الحواریون نحن أنصار الله آمنا بالله و اشهد بأنا مسلمون)آل عمران / ۵۲.(یا أیها الذین آمنوا کونوا أنصار الله کما قال عیسی بن مریم للحواریین من أنصاری الی الله قال الحواریون نحن أنصار الله فآمنت طائفة من بنی‌اسرائیل و کفرت طائفة فأیدنا الذین آمنوا علی عدوهم فأصبحوا ظاهرین)الصف / ۱۴

الاستنصار الحسینی

اشاره

یقول الشیخ جعفر التسترى رحمه الله فی الخصائص الحسینیة - ان الحسین علیه السلام (استنصر) الناس سبع مرات و (استغاث) سبعا.ثم یقول رحمه الله:«ان التلبیات السبعة الواردة فی زیارة الحسین علیه السلام (لبیک داعی الله) اجابة و اشارة الی هذه الاستنصارات و الاستغاثات». [۲۰۱] . [صفحه ۱۵۰] و فیما یلی نستعرض طائفة من استنصارات الحسین علیه السلام و استغاثته بالمسلمین منذ خروجه من المدینة الی الیوم العاشر من المحرم سنة ۶۱ ه فی کربلاء.ثم نقوم بدراسة دلالات الاستنصار الحسینی. [صفحه ۱۵۱]

الاستعراض

نماذج من الاستنصار الحسینی

فی المدینة

۱- خرج الحسین علیه السلام من المدینة متوجها نحو مکة لیلة الأحد لیومین بقیا من رجب، و معه بنوه و اخوته و بنو أخیه الحسن علیه السلام و أهل بیته، و کتب قبل أن یخرج من المدینة، وصیته التی یستنصر فیها المسلمین، و أودعها عند أخیه محمد بن الحنفیة.قال فیها:بسم الله الرحمن الرحیم: هذا ما أوصی به الحسین بن علی علیهماالسلام الی أخیه محمد بن الحنفیة: أن الحسین یشهد أن لا اله الا الله، وحده لا شریک له، و أن محمدا عبده و رسوله، جاء بالحق من عنده، و أن الجنة حق، و النار حق و الساعة آتیة لا ریب فیها، و أن الله یبعث من فی القبور... و انی لم أخرج أشرا، و لا بطرا، و لا مفسدا، و لا ظالما، و انما خرجت لطلب الاصلاح فی امة جدی صلی الله علیه وآله ارید أن آمر بالمعروف، و أنهی عن المنکر، و أسیر بسیرة جدی و أبی علی بن أبی‌طالب.فمن قبلنی بقبول الحق، فالله أولی بالحق، و من رد علی هذا أصبر حتی یقضی الله بینی و بین القوم، و هو خیر الحاکمین. [صفحه ۱۵۲] ثم طوی الکتاب و ختمه، و دفعه الی أخیه محمد. [۲۰۲] .۲- و استنصر الحسین عبدالله بن عمر بن الخطابو قال لعبدالله بن عمر لما طلب منه البقاء فی المدینة:«یا عبدالله ان من هوان الدنیا علی الله أن رأس یحیی بن زکریا یهدی الی بغی من بغایا بنی اسرائیل و ان رأسی یهدی الی بغی من بنی امیة». [۲۰۳] .و لما عرف ابن‌عمر من الحسین العزم علی مغادرة المدینة قال له: یا أباعبدالله اکشف لی عن الموضع الذی لم یزل رسول الله صلی الله علیه وآله یقبله منک، فکشف له عن سرته فقبلها ثلاثا و بکی. [۲۰۴] .فقال له: اتق الله یا أباعبدالرحمن، و لا تدعن نصرتی. [۲۰۵] .

فی مکة

۳ - و کتب الحسین نسخة واحدة (تعمیما) الی رؤساء الأخماس بالبصرة، و هم مالک بن مسمع البکری، و الأحنف بن القیس، و الجارود بن المنذر، و مسعود بن عمرو، و قیس بن الهیثم، و عمرو بن عبید بن معمر، و أرسله مع مولی له یقال له سلیمان [۲۰۶] و فیه:«أما بعد فان الله اصطفی محمدا صلی الله علیه وآله علی خلقه و أکرمه بنبوته و اختاره لرسالته ثم قبضه الیه و قد نصح لعباده و بلغ ما [صفحه ۱۵۳] ارسل به صلی الله علیه وآله، و کنا أهله و أولیاؤه و أوصیاؤه و ورثته، و أحق الناس بمقامه فی الناس، فستأثر علینا قومنا بذلک، فرضینا و کرهنا الفرقة و أحببنا العافیة، و نحن نعلم أنا أحق بذلک الحق المستحق علینا ممن تولاه. و قد بعثت رسولی الیکم بهذا الکتاب، و أنا أدعوکم الی کتاب الله و سنة نبیه، فان السنة قد امیتت و البدعة قد احییت، فان تسمعوا قولی أهدکم الی سبیل الرشاد.»فسلم الجارود بن المنذر العبدی رسول الحسین الی ابن‌زیاد فصلبه عشیة اللیلة التی خرج فی صبیحتها الی الکوفة لیسبق الحسین الیها [۲۰۷] ، و کانت ابنة الجارود بخریة زوجة ابن‌زیاد فزعم أن یکون الرسول دسیسا من ابن‌زیاد. و أما الأحنف فانه کتب

الی الحسین علیه السلام: أما بعد فاصبر ان وعد الله حق و لا یستخفنک الذین لا یوقنون. [۲۰۸] .و أما یزید بن مسعود [۲۰۹] فانه جمع بنی تمیم و بنی حنظلة و بنی سعد فلما حضروا قال: یا بنی تمیم کیف ترون موضعی فیکم و حسبی منکم؟ قالوا: بخ بخ! أنت والله فقرة الظهر و رأس الفخر حللت الشرف وسطا و تقدمت فیه فرطا قال: فانی قد جمعتکم لأمر ارید أن اشاورکم فیه و أستعین بکم علیه فقالوا: [صفحه ۱۵۴] انا والله نمنحک النصیحة، و نجهد لک الرأی، فقل حتی نسمع.فقال: ان معاویة مات. فأهون به والله هالکا و مفقودا، ألا و انه قد انکسر باب الجور و الاثم و تضعضعت أرکان الظلم. و کان قد أحدث بیعة عقد بها أمرا ظن أنه قد أحکمه، و هیهات الذی أراد. اجتهد والله ففشل، و شاور فخذل، و قد قام یزید شارب الخمور و رأس الفجور یدعی الخلافة علی المسلمین، و یتآمر علیهم بغیر رضا منهم، مع قصر حلم، و قلة علم، لا یعرف من الحق موطأ قدمیه، فأقسم بالله قسما مبرورا لجهاده علی الدین أفضل من جهاد المشرکین، و هذا الحسین بن علی و ابن رسول الله صلی الله علیه وآله، ذو الشرف الأصیل، و الرأی الأثیل، له فضل لا یوصف، و علم لا ینزف، و هو أولی بهذا الأمر لسابقته و سنه و قدمه و قرابته، یعطف علی الصغیر، و یحسن الی الکبیر، فأکرم به راعی رعیة، و امام قوم و جبت لله به الحجة، و بلغت به الموعظة، فلا تعشو عن نور الحق، و لا تکسعوا فی وهد الباطل، فقد کان صخر بن قیس انخذل بکم یوم الجمل، فاغسلوها بخروجکم الی ابن رسول الله صلی الله علیه وآله و نصرته، والله لا یقصر أحدکم عن نصرته الا أورثه الله تعالی الذل فی ولده، و القلة فی عشیرته، وها أنا ذا قد لبست للحرب لامتها، و أدرعت لها بدرعها. من لم یقتل یمت، و من یهرب لم یفت، فأحسنوا رحکمم الله رد الجواب.فقالت بنو حنظلة: یا أباخالد نحن نبل کنانتک، و فرسان عشیرتک، ان رمیت بنا أصبت، و ان غزوت بنا فتحت، لا تخوض والله غمرة الا خضناها، و لا تلقی والله شدة الا لقیناها، ننصرک بأسیافنا و نقیک بأبداننا اذا شئت.و تکلمت بنو عامر بن تمیم فقالوا: یا أباخالد نحن بنو أبیک و حلفاؤک، لا نرضی ان غضبت، و لا نبقی ان ظعنت، و الأمر الیک فادعنا اذا شئت.و قالت بنواسعد بن زیاد: أباخالد ان أبغض الأشیاء الینا خلافک و الخروج عن [صفحه ۱۵۵] رأیک، و قد کان صخر بن قیس أمرنا بترک القتال یوم الجمل، فحمدنا ما أمرنا، و بقی عزنا فینا، فأمهلنا نراجع المشورة و نأتیک برأینا.فقال لهم لئن فعلتموها لا رفع الله السیف عنکم أبدا، و لا زال سیفکم فیکم.ثم کتب الی الحسین علیه السلام: أما بعد فقد وصل الی کتابک، و فهمت ما ندبتنی الیه، و دعوتنی له من الأخذ بحظی من طاعتک، و الفوز بنصیبی من نصرتک، و ان الله لم یخل الأرض قط من عامل علیها بخیر، و دلیل علی سبیل نجاة، و أنتم حجة الله علی خلقه، و ودیعته فی أرضه، تفرعتم من زیتونة أحمدیة هو أصلها و أنتم فرعها، فاقدم سعدت بأسعد طائر فقد ذللت لک أعناق بنی تمیم، و ترکتهم أشد تتابعا فی طاعتک من الابل الظمأ لورود الماء یوم خمسها، و قد ذللت لک رقاب بنی‌سعد، و غسلت درن قلوبها بماء سحاب مزن حین استهل برقها فلمع.فلما قرأ الحسین علیه السلام کتابه قال:«آمنک الله من الخوف و أعزک و أرواک یوم العطش الأکبر.»و لما تجهز ابن‌مسعود الی المسیر بلغه قتل الحسین علیه السلام فاشتد جزعه و کثر أسفه لفوات الامنیة من السعادة بالشهادة. [۲۱۰] .و کانت«ماریة»ابنة سعد أو منقذ من الشیعة المخلصین، و دارها مألفا لهم یتحدثون فیه فضل أهل البیت علیهم‌السلام،فقال یزید بن نبیط و هو من عبدالقیس لأولاده و هم عشرة: أیکم یخرج معی، فانتدب منهم أثنین عبدالله و عبیدالله، و قال له أصحابه فی بیت تلک المرأة: نخاف علیک أصحاب بن زیاد، قال: والله لو قد استوت أخفافها بالجدد لهان علی طلب من طلبنی [۲۱۱] و صحبه مولاه عامر [صفحه ۱۵۶] و سیف بن مالک والأدهم بن امیة [۲۱۲] فوافوا الحسین بمکة و ضموا رحلهم الی رحله حتی وردوا کربلاء و قتلوا معه.۴- و خطب الحسین علیه السلام فی المسلمین عشیة خروجه من مکة، و قال:خط الموت علی ولد آدم مخط القلادة علی جید الفتاة، و ما أولهنی الی أسلافی اشتیاق یعقوب الی یوسف و خیر لی مصرع أنا لاقیه.کأنی بأوصالی تقطعها عسلان الفلواة بین النواویس و کربلاء، فیملأن منی أکراشا جوفا، و أجربة سغبا، لا محیص من یوم خط بالقلم.رضا الله رضانا أهل البیت. نصبر علی بلائه، و یوفینا اجور الصابرین.لن تشذ عن رسول الله صلی الله علیه وآله لحمته، بل هی مجموعة له فی حظیرة القدس، تقر بهم عینه، و ینجز بهم وعده. ألا- و من کان فینا باذلا مهجته، و موطنا علی لقاء الله نفسه، فلیرحل معنا، فانی راحل مصبحا ان شاء الله. [۲۱۳] .و فی هذه الخطبة، ینعی الامام نفسه، و یستنصر المسلمین، و یطلب منهم مهجهم،

و یطلب ممن یرید أن یخرج معه أن یوطن نفسه للقاء الله، و یعلن للمسلمین أنه یخرج غدا الی العراق، و من أراد أن یلتحق به فلیعد نفسه للخروج منذ اللیلة.و هی دعوة غریبة من نوعها فی تاریخ الثائرین و الخارجین. فلا یمنیهم الحسین علیه السلام بملک و لا سلطان، و انما یدعوهم الی القتل.و هذه الدعوة بهذه الخصوصیة مما تتمیز بها ثورة الحسین علیه السلام فی التاریخ عن غیرها من الثورات و الحرکات. [صفحه ۱۵۷] ان الحسین علیه السلام یطلب من الناس مهجهم، و یطلب منهم أن ینتزعوا أنفسهم من الدنیا و یوطنوا أنفسهم للقاء الله.و الحسین علیه السلام یقصد ما یقول.ولو خرج یومئذ مع الحسین علیه السلام ناس یریدون الدنیا، و لیس وجه الله، و یطلبون المال و السلطان فی خروجهم مع الحسین علیه السلام لأخلوا بهذه الحرکة، و أفقدوها قیمتها و تأثیرها العمیق الخالد فی التاریخ.و بهذه الطریقة یعلن الحسین علیه السلام من بدء خروجه عن رفضه لاولئک الذین یریدون أن یلتحقوا به للمال و السلطان و الدنیا.هذه الخطبة عجیبة فی لهجتها، عجیبة فی مضامینها و دعوتها، و تتضمن الاستنصار، و الاستماتة، و الترغیب و التزهید، و الدعوة، و الرفض.

فی الحاجر

و لما بلغ الحاجر [۲۱۴] من بطن الرمة، کتب الی أهل الکوفة جواب کتاب مسلم ابن‌عقیل، و بعثه مع قیس بن مسهر الصیداوی [۲۱۵] و فیه:«أما بعد فقد ورد علی کتاب مسلم بن عقیل یخبرنی باجتماعکم علی نصرنا و الطلب بحقنا، فسألت الله [صفحه ۱۵۸] أن یحسن لنا الصنع، و یثیبکم علی ذلک أعظم الأجر، و قد شخصت الیکم من مکة یوم الثلاثاء لثمان مضین من ذی الحجة، فاذا قدم علیکم رسولی فانکمشوا فی أمرکم، فانی قادم فی أیامی هذه.»و لما وصل قیس الی القادسیة أخذه الحصین بن نمیر التمیمی - و کان صاحب شرطة ابن‌زیاد - أمره أن ینظم الخیل ما بین القادسیة الی خفان [۲۱۶] و منها الی القطقطانة فأراد أن یفتشه فأخرج قیس الکتاب و خرقه.و لما مثل بین یدی ابن‌زیاد قال: لما خرقت الکتاب؟ قال: لئلا تطلع علیه، فأصر ابن‌زیاد علی الاخبار بما فیه فأبی قیس، فقال: ان لم تخبرنی فاصعد المنبر و سب الحسین و أباه و أخاه، و الا قطعتک اربا اربا.فصعد المنبر، فحمد الله و أثنی علیه، و صلی علی النبی وآله، و أکثر من الترحم علی أمیرالمؤمنین و الحسن و الحسین، و لعن عبیدالله بن زیاد و أباه و بنی‌امیة.ثم قال: أیها الناس أنا رسول الحسین الیکم، و قد خلفته فی موضع کذا فأجیبوه. فأمر ابن زیاد أن یرمی من أعلی القصر فتکسرت عظامه و مات. [۲۱۷] .و یقال أمر ابن زیاد أن یرمی مکتوفا فرمی من أعلی القصر [۲۱۸] و کان به رمق، فقام الیه عبدالملک بن عمیر اللخمی فذبحه فعیب علیه قال: أردت أن أریحه. [۲۱۹] . [صفحه ۱۵۹]

فی زرود

و نزل الحسین فی زرود، و نزل بالقرب منه زهیر بن القین البجلی، و کان غیر مشایع له و یکره النزول معه، ولکن الماء جمعهم فی المکان.روی السدی عن رجل من بنی فزارة کان یرافق زهیرا رحمه الله فی السفر الذی التحق فیه بالحسن:قال کنا مع زهیر بن القین البجلی رحمه الله حین أقبلنا مکة نسایر الحسین علیه السلام، فلم یکن شیء أبغض الینا من أن نسایره فی منزله، فاذا سار الحسین علیه السلام تخلف زهیر بن القین، و اذا نزل الحسین تقدم زهیر، حتی نزلنا یومئذ فی منزل لم نجد بدا من أن ننازله فیه، فنزل الحسین علیه السلام فی جانب و نزلنا فی جانب، فبینا نحن جلوس نتغذی من عطام لنا، اذ أقبل رسول الحسین علیه السلام حتی سلم ثم دخل، فقال: یا زهیر بن القین ان أباعبدالله الحسین بن علی علیهماالسلام بعثنی الیک لتأتیه قال: فطرح کل انسان ما فی یده حتی کأننا علی رؤوسنا الطیر.قال أبومخنف: فحدثتنی دلهم بنت عمرو امرأة زهیر بن القین قالت: فقلت له: أیبعث الیک ابن رسول الله ثم لا تأتیه، سبحان الله، لو أتیته فسمعت من کلامه ثم انصرفت. قالت: فأتاه زهیر بن القین، فما لبث أن جاء مستبشرا قد أسفر وجهه. قالت: فأمر بفسطاطه و

ثقله و متاعه فقدم (فقوض ظ) و حمل الی الحسین علیه السلام ثم قال لامرأته: أنت طالق الحقی بأهلک فانی لا احب أن یصیبک بسببی الا خیر. [۲۲۰] .و فی روایة الملهوف قال: قد عزمت علی صحبة الحسین علیه السلام لأفدیه بنفسی [صفحه ۱۶۰] و أقیه بروحی. ثم أعطاها مالها و سلمها الی بعض بنی عمها لیوصلها الی أهلها، فقامت الیه و بکت و ودعته و قالت: کان الله عونا و معینا، خار الله لک، أسألک أن تذکرنی فی القیامة عند جد الحسین علیه السلام. [۲۲۱] .قال الطبری: ثم قال لأصحابه: من أحب منکم أن یتبعنی و الا فانه آخر العهد، انی ساحدثکم حدیثا. غزونا بلنجر [۲۲۲] ففتح الله علینا و أصبنا غنائم، فقال لنا سلمان الباهلی - و فی روایات اخر سلمان الفارسی رضی الله عنه - أفرحتم بما فتح الله علیکم و أصبتم من المغانم؟ فقلنا: نعم. فقال: اذا أدرکتم سید شباب آل محمد علیهم‌السلام فکونوا أشد فرحا بقتالکم معهم بما أصبتم من الغنائم. فأما أنا فانی أستودعکم الله. قال: ثم والله ما زال فی أول القوم حتی قتل (رضوان الله علیه). [۲۲۳] . [صفحه ۱۶۱]

فی قصر بنی مقاتل

و فی قصر بنی مقاتل رأی فسطاطا مضروبا و رمحا مرکوزا و فرسا واقفا فسأل عنه فقیل هو لعبیدالله بن الحر الجعفی، و بعث الیه الحجاج بن مسروق الجعفی فسأله ابن الحر عما وراءه؟قال: هدیة الیک و کرامة، ان قبلتها. هذا حسین یدعوک الی نصرته، فان قاتلت بین یدیه اجرت و ان قتلت استشهدت فقال ابن الحر: والله ما خرجت من الکوفة الا لکثرة ما رأیته خارجا لمحاربته وخذلان شیعته فعلمت أنه مقتول و لا أقدر علی نصره و لست احب أن یرانی و أراه. [۲۲۴] .فأعاد الحجاج کلامه علی الحسین فقام صلوات الله علیه و مشی الیه فی جماعة من أهل بیته و صحبه فدخل علیه الفسطاط فوسع له عن صدر المجلس. یقول ابن الحر: ما رأیت أحدا قط أحسن من الحسین و لا- أملأ- للعین منه، و لا- رققت علی أحد قط رقتی علیه حین رأیته یمشی و الصبیان حوله، و نظرت الی لحیته فرأیتها کأنها جناح غراب، فقلت له أسواد أم خضاب؟ قال: یا ابن الحر عجل علی الشیب فعرفت انه خضاب. [۲۲۵] .و لما استقر المجلس بأبی عبدالله حمد الله و أثنی علیه ثم قال:«یابن الحر ان أهل مصرکم کتبوا الی أنهم مجتمعون علی نصرتی، و سألونی القدوم علیهم، و لیس الأمر علی ما زعموا [۲۲۶] ، و ان علیک ذنوبا کثیرة، فهل لک من توبة تمحی به ذنوبک؟ [صفحه ۱۶۲] قال: و ما هی یا ابن رسول الله؟ فقال:«تنصر ابن بنت نبیک و تقاتل معه». [۲۲۷] .فقال ابن الحر: والله انی لأعلم أن من شایعک کان السعید فی الآخرة ولکن ما عسی أن اغنی عنک و لم أخلف لک بالکوفة ناصرا؟ فأنشدک الله أن تحملنی علی هذه الخطة فان نفسی لا تسمح بالموت، ولکن فرسی هذه«الملحقة»والله ما طلبت علیها شیئا قط الا لحقته، و لا طلبنی أحد و أنا علیها الا سبقته، فخذها فهی لک.قال الحسین:«أما اذا رغبت بنفسک عنا فلا- حاجة لنا فی فرسک [۲۲۸] و لا- فیک، و ما کنت متخذ المضلین عضدا [۲۲۹] . و انی أنصحک کما نصحتنی، ان استطعت أن لا تسمع صراخنا و لا تشهد وقعتنا فافعل، فوالله لا یسمع واعیتنا أحد و لا ینصرنا الا أکبه الله فی نار جهنم». [۲۳۰] .و ندم ابن الحر علی ما فاته من نصرة الحسین علیه السلام فأنشأ:أیا لک حسرة مادمت حیا تردد بین صدری و التراقیغداة یقول لی بالقصر قولا أتترکنا و تعزم بالفراقحسین حین یطلب بذل نصری علی أهل العداوة و الشقاقفلو فلق التلهف قلب حر لهم الیوم قلبی بانفلاقو لو اسیته یوما بنفسی لنلت کرامة یوم التلاقمع ابن محمد تفدیه نفسی فودع ثم أسرع بانطلاقلقد فاز الالی نصروا حسینا و خاب الآخرون ذووا النفاق [۲۳۱] . [صفحه ۱۶۳] و فی هذا الموضع اجتمع به عمرو بن قیس المشرقی و ابن عمه فقال لهما الحسین:«جئتما لنصرتی، قالا له انا کثیروا العیال، و فی أیدینا بضائع للناس، و لم ندر ماذا یکون، و نکره أن نضیع الأمانة.فقال لهما علیه السلام: انطلقا فلا- تسمعا لی واعیة و لا- تریا لی سوادا، فانه من سمع واعیتنا أو رأی سوادنا فلم یجبنا، کان حقا علی الله عزوجل أن یکبه علی منخریه فی النار». [۲۳۲] .

فی منزل شراف

و فی (شراف) طلع علیهم الحر الریاحی بألف فارس، بعثه ابن‌زیاد لیحبس الحسین علیه السلام عن الرجوع الی المدینة أینما یجده، أو یقدم به الی الکوفة.فسقاهم الحسین علیه السلام ماء و کانوا عطاشی، ثم خطب فیهم الحسین علیه السلام و قال:«انها معذرة الی الله عزوجل و الیکم، و انی لم آتکم حتی أتتنی کتبکم، و قدمت بها علی رسلکم أن أقدم علینا فانه لیس لنا امام، و لعل الله أن یجمعنا بک علی الهدی، فان کنتم علی ذلک فقد جئتکم فاعطونی ما أطمئن به من عهودکم و مواثیقکم، و ان کنتم لمقدمی کارهین انصرفت عنکم. [۲۳۳] .

فی منزل البیضة

و فی منزل البیضة خطب الحسین علیه السلام فی أصحاب الحر فقال:أیها الناس ان رسول الله صلی الله علیه وآله قال:«من رأی سلطانا جائرا، مستحلا لحرام الله، [صفحه ۱۶۴] ناکثا عهده، مخالفا لسنة رسول الله، یعمل فی عباد الله بالاثم و العدوان فلم یغیر علیه بفعل و لا قول کان حقا علی الله أن یدخله مدخله.ألا و أن هؤلاء قد لزموا طاعة الشیطان و ترکوا طاعة الرحمن، و أظهروا الفساد، و عطلوا الحدود، و أستأثروا بالفیيء و أحلوا حرام الله، و حرموا حلاله، و أنا أحق من غیر و قد أتتنی کتبکم، و قدمت علی رسلکم أنکم لا تسلمونی و لا تخذلونی، فان تممتم علی بیعتکم تصیبوا رشدکم، فأنا الحسین بن علی و امی فاطمة بنت رسول الله. نفسی مع أنفسکم و أهلی مع أهلیکم، و لکم فی أسوة، و ان لم تفعلوا، و نقضتم عهدکم، و خلعتم بیعتی من أعناقکم، فلعمری ما هی لکم بنکر. لقد فعلتموها، بأبی و أخی و ابن عمی مسلم. فالمغرور من اغتر بکم. فحظکم أخطاتم، و نصیبکم ضیعتم، و من نکث فانما ینکث علی نفسه، و سیغنی الله عنکم و السلام علیکم و رحمة الله و برکاته». [۲۳۴] .

فی کربلاء

اشارة

و فی کربلاء أقبل حبیب بن مظاهر الأسدی الی الحسین بن علی علیهماالسلام فقال: هاهنا حی من بنی أسد بالقرب منا أتأذن لی أن أسیر الیهم أدعوهم الی نصرتک؟ فعسی الله أن یدفع بهم عنک بعض ما تکره، فقال له الحسین علیه السلام: قد أذنت لک یا حبیب. قال: فخرج حبیب بن مظاهر فی جوف اللیل متنکرا حتی صار الی اولئک القوم، فحیاهم و حیوه و عرفوا انه من بنی اسد؛ فقالوا: ما حاجتک؟ یا ابن‌عم! فقال: حاجتی الیکم قد أتیتکم بخیر ما أتی به وافد الی قوم، أتیتکم أدعوکم الی نصرة ابن بنت رسول الله صلی الله علیه وآله فانه فی عصابة من المؤمنین، الرجل منهم خیر [صفحه ۱۶۵] من ألف رجل، لن یخذلوه و لن یسلموه و فیهم عین نظرت، و هذا عمر [۲۳۵] بن سعد قد أحاط به فی اثنین و عشرین ألف، و أنتم قومی و عشیرتی، و قد جئتکم بهذه النصیحة فأطیعونی الیوم فی نصرته تنالون غدا شرفا فی الآخرة، فانی اقسم بالله أنه لا یقتل منکم رجل مع ابن‌بنت رسول الله صلی الله علیه وآله صابرا محتسبا الا کان رفیق محمد صلی الله علیه وآله فی أعلی علیین. قال: فوثب رجل من بنی اسد یقال له بشر بن عبیدالله فقال: والله أنا أول من أجاب الی هذه الدعوة؛ ثم أنشأ یقول:قد علم القوم اذا تواکلوا و أحجم الفرسان أو تناصلواانی شجاع بطل مقاتل کأننی لیث عرین باسلقال: ثم تبادر رجال الحی مع حبیب بن مظاهر الأسدی.قال: و خرج رجل من الحی فی ذلک الوقت حتی صار الی عمر [۲۳۶] بن سعد فی جوف اللیل فخبره بذلک، فأرسل عمر رجلا من أصحابه یقال له الأرزق بن حرب الصیداوی، فضم الیه أربعة آلاف فارس، و وجه به فی اللیل الی حی بنی أسد مع الرجل الذی جاء بالخبر.قال: فبینما القوم فی جوف اللیل قد أقبلوا یریدون معسکر الحسین اذ استقبلهم جند عمر بن سعد علی شاطیء الفرات، قال: فتناوش القوم بعضهم[بعضا] و اقتتلوا قتالا شدیدا؛ صاح به

حبیب بن مظاهر. ویلک یا أزرق ما لک و لنا دعنا؟ قال: و اقتتلوا قتالا شدیدا.فلما رأی القوم ذلک انهزموا راجعین الی منازلهم، فرجع حبیب بن مظاهر الی الحسین علیه السلام فأعلمه بذلک الخبر فقال: لا حول و لا قوة الا بالله العلی العظیم. [۲۳۷] . [صفحه ۱۶۶] ۱۱- و فی کربلاء دعا الحسین علیه السلام بدواة و بیضاء، و کتب الی أشراف الکوفة ممن کان یظن أنه علی رأیه:«بسم الله الرحمن الرحیم، من الحسین بن علی الی سلیمان بن صرد الخزاعی [۲۳۸] .اما بعد فقد علمتم أن رسول الله صلی الله علیه وآله قد قال فی حیاته من رأی سلطانا جائرا الی آخر ما ذکره فی خطبة الاصحاب».

یوم عاشوراء

اشاره

و للحسین علیه السلام یوم عاشوراء استنصاران و استغاثه:و فیما یلی تفصیل کان من الاستنصارین و الاستغاثة الحسینیة فی یوم عاشوراء.

الاستنصار الأول یوم عاشوراء

دعا الحسین علیه السلام براحلته یوم عاشوراء فرکبها و نادی بصورت عال یسمعه جلهم:«أیها الناس اسمعوا قولی و لا تجعلوا حتی أعظکم بما هو حق لکم علی، و حتی اعتذر الیکم من مقدمی علیکم، فان قبلتم عذری و صدقتم قولی و أعطیتمونی النصف من أنفسکم، کنتم بذلک أسعد، و لم یکن لکم علی سبیل، و ان لم تقبلوا منی العذر و لم تعطوا النصف من أنفسکم». (فاجعلوا أمرکم [صفحه ۱۶۷] و شرکاءکم ثم لا یکن أمرکم علیکم غمة ثم اقضوا الی و لا تنظرون). [۲۳۹] (ان ولیی الله الذی نزل الکتاب و هو یتولی الصالحین). [۲۴۰] .فلما سمعن النساء هذا منه صحن و بکین و ارتفعت أصواتهم، فأرسل الیهن أخاه العباس و ابنه علی الأکبر و قال لهما:«سکتاهن فلعمری لیکثر بکاؤهن».و لما سکتن حمد الله و أثنی علیه و صلی علی محمد و علی الملائکة و الأنبیاء، و قال فی ذلک ما لا یحصی ذکره و لم یسمع متکلم قبله و لا بعده أبلغ منه فی منطقه. [۲۴۱] .ثم قال:«الحمد لله الذی خلق الدنیا فجعلها دار فناء و زوال، متصرفة بأهلها حالا بعد حال، فالمغرور من غرته و الشقی من فتنته، فلا تغرنکم هذه الدنیا فانها تقطع رجاء من رکن الیها، و تخیب طمع من طمع فیها، و أراکم قد اجتمعتم علی أمر قد أسخطتم الله فیه علیکم، و أعرض بوجهه الکریم عنکم، و أحل بکم نقمته، و جنبکم رحمته، فنعم الرب ربنا و بئس العبید، أنتم أقررتم بالطاعة و آمنتم بالرسول محمد صلی الله علیه وآله، ثم انکم زحفتم الی ذریته و عترته تریدون قتلهم، و قد استحوذ علیکم الشیطان فأنساکم ذکر الله العظیم، فتبالکم و لما تریدون انا لله و انا الیه راجعون هؤلاء قوم کفروا بعد ایمانهم فبعدا للقوم الظالمین». [۲۴۲] .«أیهاالناس، انسبونی من أنا ثم ارجعوا الی أنفسکم و عاتبوها، و انظروا هل یحل لکم قتلی و انتهاک حرمتی؟ ألست ابن بنت نبیکم و ابن وصیه و ابن عمه [صفحه ۱۶۸] و أول المؤمنین بالله و المصدق لرسوله بما جاء من عند ربه؟ أو لیس حمزة سیدالشهداء عم أبی، أو لیس جعفر الطیار عمی، أو لم یبلغکم قول رسول الله لی و لأخی: هذان سیدا شباب أهل الجنة؟ فان صدقتمونی بما أقول، و هو الحق فوالله ما تعمدت الکذب منذ علمت أن الله یمقت علیه أهله، و یضر به من اختلقه و ان کذبتمونی فان فیکم من ان سألتموه عن ذلک أخبرکم، سلوا جابر بن عبدالله الأنصاری، و أباسعید الخدری، و سهل بن سعد الساعدی، و زید بن أرقم، و أنس ابن مالک، یخبرونکم انهم سمعوا هذه المقالة من رسول الله لی و لأخی، اما فی هذا حاجز لکم عن سفک دمی».فقال الشمر: هو یعبدالله علی حرف ان کان یدری ما تقول.فقال له حبیب بن مظاهر: والله أنی أراک تعبد الله علی سبعین حرفا، و أنا أشهد أنک صادق، ما تدری ما یقول، قد طبع الله علی قلبک.ثم قال الحسین علیه السلام:«فان کنتم فی شک

من هذا القول أفتشكون أنی ابن بنت نبیكم؟ فوالله ما بین المشرق و المغرب ابن بنت نبی غیری فیكم و لا فی غیركم، ویحكم! أتطلبونی بقتیل منكم قتلته، أو مال لكم استهلكته، أو بقصاص جراحة؟ فأخذوا لا یكلمونه.فنادی: یا شبث بن ربعی، و یا حجار بن أبجر، و یا قیس بن الأشعث، و یا زید ابن الحارث، ألم تكتبوا الی أن أقدم قد أینع الثمار و اخضر الجناب و انما تقدم علی جند لك مجندة.فقالوا: لم نفعل.قال: سبحان الله، بلی و الله لقد فعلتم. ثم قال:«أیها الناس، اذا كرهتمونی فدعونی أنصرف عنكم الی مأمنی من الأرض، فقال له قیس بن الأشعث: أو لا تنزل علی حكم بنی عمك؟ فانهم لن یروك الا ما تحب، و لن یصل الیك منهم مكروه. [صفحه ۱۶۹] فقال الحسین علیه السلام: أنت أخو أخیك أتریدأن یطلب بنوا هاشم أكثر من دم مسلم بن عقیل؟ لا والله لا اعطیكم بیدی اعطاء الذلیل و لا أفر فرار العبید [۲۴۳] ، عباد الله (أنی عذت بربی و ربكم أن ترجمون) أعوذ بربی و ربكم من كل متكبر لا یؤمن بیوم الحساب. [۲۴۴] .

الاستنصار الثانی فی یوم عاشوراء

ثم ان الحسین علیه السلام ركب فرسه و أخذ مصحفا و نشره علی رأسه، و وقف بأزاء القوم و قال:«یا قوم، ان بینی و بینكم كتاب الله و سنة جدی رسول الله صلی الله علیه وآله». [۲۴۵] .ثم استشهدهم عن نفسة المقدسة و ما علیه من سیف النبی صلی الله علیه وآله و درعه و عمامته فأجابوه بالتصدیق فسألهم عما أقدمهم علی قتله قالوا: طاعة للأمیر عبیدالله بن زیاد، فقال علیه السلام:«تبا لكم أیها الجماعة و ترحا! أحین استصرختمونا و الهین فأصرخناكم موجفین، سللتم علینا سیفا لنا فی أیمانكم و حششتم علینا نارا اقتدحناها علی [صفحه ۱۷۰] عدونا و عدوكم؟ فأصبحم ألبا لأعدائكم علی أولیائكم بغیر عدل أفشوه فیكم، و لا أمل أصبح لكم فیهم فهلا، لكم الویلات، تركتمونا، و السیف مشیم، و الجأش طاعن، و الرأی لما یستصحف، ولكن أسرعتم كطیرة [۲۴۶] الدبا، و تداعیتم علیها، كتهافت الفراش، ثم نفضتموها، فسحقا لكم یا عبید الأمة و شذاذ الأحزاب، و نبذة الكتاب، و محرفی الكلم، و عصبة الاثم، و نفثة الشیطان و مطفئی السنن! و یحكم! أهؤلاء تعضدون و عنا تتخاذلون؟ أجل والله غدر فیكم قدیم و شجت علیه أصولكم، و تأزرت فروعكم فكنتم أخبث ثمر، شجی للناظر و أكلة للغاصب».«ألا و ان الدعی ابن الدعی قد ركز بین اثنتین بین السلة و الذلة، و هیهات منا الذلة یأبی الله لنا ذلك و رسوله و المؤمنون، و حجور طابت و طهرت و انوف حمیة و نفوس أبیة من أن نؤثر طاعة اللئام علی مصارع الكرام، ألا و انی زاحف بهذه الاسرة علی قلة العدد و خذلان الناصر». [۲۴۷] .

الاستغاثه الأخیرة الحسین یوم عاشوراء

و لما نظر الحسین علیه السلام كثرة من قتل من أصحابه، قبض علی شیبته المقدسة و قال:«اشتد غضب الله علی الیهود اذ جعلوا له ولدا، و اشتد غضبه علی النصاری اذ جعلوه ثالث ثلاثة، و اشتد غضبه علی المجوس اذ عبدوا الشمس و القمر دونه، و اشتد غضبه علی قوم اتفقت كلمتهم علی قتل ابن بنت نبیهم، أما والله لا اجیبهم [صفحه ۱۷۱] الی شیء یریدون حتی القی الله و أنا مخضب بدمی»ثم صاح أما من مغیث یغیثنا أما من ذاب یذب عن حرم رسول الله صلی الله علیه وآله [۲۴۸] فبكت النساء و علا صراخهن.و سمع الأنصاریان سعد بن الحارث و أخوه أبوالحتوف استنصار الحسین و استغاثته و بكاء عیاله و كانا مع ابن‌سعد فمالا بسیفهما علی أعداء الحسین و قاتلا حتی قتلا. [۲۴۹] .قال السید رضی الله عنه: و لما رأی الحسین علیه السلام مصارع فتیانه و أحبته عزم علی لقاء القوم بمهجته و نادی: هل من ذاب یذب عن حرم رسول الله صلی الله علیه وآله، هل من موحد یخاف الله فینا، هل مغیث یرجو الله باغاثتنا، هل من معین یرجو ما عند الله فی اعانتنا. فارتفعت أصوات النساء بالعویل، فتقدم الی باب الخیمة و قال لزینب: ناولینی ولدی الصغیر حتی

اودعه، فأخذه و أومأ اليه ليقبله، فرماه حرملة ابن كاهل الأسدى بسهم فوقع فى نحره فذبحه. [۲۵۰] .فقال عليه السلام لزينب: خذيه، ثم تلقى الدم بكفيه فلما امتلأت رمى بالدم نحو السماء ثم قال: هون على ما نزل بى انه بعين الله. [۲۵۱] .و حكى السبط فى التذكرة عن هشام بن محمد الكعبى قال: لما رأهم الحسين عليه السلام مصرين على قتله، أخذ المصحف و نشره و جعله على رأسه و نادى:«بينى و بينكم كتاب الله و جدى محمد رسول الله، يا قوم بم تستحلون دمى؟»فساق الكلام [۲۵۲] الى أن قال: فالتفت الحسين عليه السلام فاذا بطفل له يبكى عطشا، [صفحه ۱۷۲] فأخذه على يده و قال: يا قوم ان لم ترحمونى فارحموا هذا الطفل، فرماه رجل منهم بسهم فذبحه، فجعل الحسين عليه السلام يبكى و يقول:«اللهم احكم بيننا و بين قوم دعونا لينصرونا فقتلونا». فنودى من الهواء: دعه يا حسين فان له مرضعا فى الجنة.ثم قال: ورماه حصين بن تميم بسهم فوقع فى شفتيه، فجعل الدم يسيل من شفتيه و هو يبكى و يقول:«اللهم أشكو اليك ما يفعل بى و باخوتى و ولدى و أهلى - الخ». [۲۵۳] .

استنصار زهير يوم عاشوراء

و خرج اليهم زهير بن القين على فرس ذنوب، و هو شاك فى السلاح فقال:«يا أهل الكوفة نذار لكم من عذاب الله نذار، ان حقا على المسلم نصيحة أخيه المسلم، و نحن حتى الآن اخوة على دين واحد ما لم يقع بيننا و بينكم السيف، و أنتم للنصيحة منا أهل، فاذا وقع السيف انقطعت العصمة و كنا امة و أنتم امة. ان الله ابتلانا و اياكم بذرية نبيه محمد صلى الله عليه وآله لينظر ما نحن و أنتم عاملون، انا ندعوكم الى نصرهم و خذلان الطاغية يزيد و عبيدالله بن زياد، فانكم لا تدركون منهما الا سوء، عمر سلطانهما، ليسملان أعينكم و يقطعان أيديكم و أرجلكم، و يمثلان [صفحه ۱۷۳] بكم، و يرفعانكم على جذوع النخل، و يقتلان أماثلكم و قراءكم أمثال حجر بن عدى و أصحابه و هانى بن عروة و أشباهه». فسبوه و أثنوا على عبيدالله بن زياد و دعوا له و قالوا: لا نبرح حتى نقتل صاحبك و من معه، أو نبعث به و بأصحابه الى عبيدالله بن زياد سلما.فقال زهير: عباد الله ان ولد فاطمة أحق بالود و النصر من ابن سمية، فان لم تنصروهم فأعيذكم بالله أن تقتلوهم، فخلوا بين هذا الرجل و بين يزيد، فلعمرى انه ليرضى من طاعتكم بدون قتل الحسين عليه السلام.فرماه الشمر بسهم و قال: اسكت أسكت الله نامتك، أبرمتنا بكثرة كلامك.فقال زهير: يابن البوال على عقبيه ما اياك اخاطب، انما أنت بهيمة، والله ما أظنك تحكم من كتاب الله آيتين، فأبشر بالخزى يوم القيامة و العذاب الأليم.فقال الشمر: ان الله قاتلك و صاحبك عن ساعة.فقال زهير: أفبالموت تخوفنى؟ فوالله للموت معه أحب الى من الخلد معكم، ثم أقبل على القوم رافعا صوته و قال:عبادالله لا يغرنكم عن دينكم هذا الجلف الجافى و أشباهه، فوالله لا تنال شفاعة محمد صلى الله عليه وآله قوما هرقوا دماء ذريته و أهل بيته، و قتلوا من نصرهم و ذب عن حريمهم.فناداه رجل من أصحابه أن أباعبدالله يقول لك: أقبل، فلعمرى لئن كان مؤمن آل فرعون نصح قومه و أبلغ فى الدعاء، فلقد نصحت هؤلاء و أبلغت لو نفع النصح و الابلاغ. [۲۵۴] . [صفحه ۱۷۴]

الدلالات

الدلالات الاربعة لخطاب الاستنصار الحسينى

اشاره

لخطاب الاستنصار الحسينى أربع دلالات:۱- الدلالة السياسية ۲- الدلالة الحركية ۳- الدلالة الولائية ۴- الدلالة الشمولية. و فيما يلى توضيح و شرح لهذه الدلالات الأربعة التى يتضمنها الخطاب الحسينى.

المضمون السیاسی لخطاب الاستنصار الحسینی

الاستنصار، و التعبئة، و تحشید الرأی العام، و الاعلام ضد الطاغیة، من مقومات کل مواجهة سیاسیة ضد نظام حاکم، یحکم بالظلم.فان الصراع علی الحکم بین الحاکم و المعارضة صراع غیر متکافیء من الناحیة المیدانیة.ذلک أن الحاکم یملک من القوة و المال و الاعلام و السلطان ما لا یتملکه المعارضة.و لا غنی المعارضة، أیة معارضة، فی معرکة من هذا القبیل من أن تعمل کل جهدها، و تسعی لکسب الرأی العام الی جانبها، و کسب القوة و الاستنصار، [صفحه ۱۷۵] و تحشید الرأی العام و التعبئة.و نحن علی یقین أن الحسین علیه السلام لم یکن یفکر، یوم أقدم علی الخروج... فی أن یهزم طاغیة عصره فی مواجهة عسکریة میدانیة، و لا نحتاج الی محاسبات عسکریة و سیاسیة لنعرف أن الحسین علیه السلام لم یکن بصدد اسقاط یزید، و انتزاع السلطان و الملک و الحکم من یده، و هو أولی به من غیره.و انما کان الحسین علیه السلام یفکر فی أمرین أحدهما سیاسی، و الآخر حرکی.أما الهدف السیاسی من حرکة الحسین علیه السلام و هو الغاء شرعیة الخلافة الاموی و فضح یزید، و کسر هیبته و عزله سیاسیا و اجتماعیا.و أما الهدف الحرکی فهو توعیة الناس، و کسر حاجز الخوف، و تحریک الناس و تثویرهم لاسقاط نظام الطاغیة، و استنهاض الامة، و اعادة ارادتها المسلوبة و وعیها المسلوب الیها.و الهدف الأول هدف سیاسی بالتأکید، و الحسین علیه السلام یدخل فی مواجهة سیاسیة مع أعتی نظام سیاسی و أشرسه، و الاستنصار جزء من هذه المعرکة.و الاستنصار دعوة الی تطویق النظام الاموی و محاصرته و عزله، و تحجیم دوره و الغاء شرعیته... و هو جزء من رسالة الامام الحسین علیه السلام فی هذه المعرکة الشاملة.

المضمون الحرکی لخطاب الاستنصار الحسینی

اشاره

و الدلالة الاخری لخطاب الاستنصار الحسینی هی الدلالة الحرکیة.و لتوضیح ذلک لابد أن نرسم الاطار العام لخروج الحسین علیه السلام و عناصر هذا الاطار ثلاثة.۱- رفض البیعة لیزید: و قد أعلن السحین علیه السلام رفضه لبیعة یزید عندما أرسل [صفحه ۱۷۶] الولید والی بنی‌امیة فی المدینة، یطالبه بالبیعة بعد هلاک معاویة، و کان ذلک بحضور مروان بن الحکم، فامتنع الحسین علیه السلام من البیعة، و قال مثلی لا یبایع سرا فاذا دعوت الناس دعوتنا معهم.فاقتنع الولید، لکن مروان ابتدره قائلا: ان فارقک الساعة، و لم یبایع لم تقدر منه علی مثلها حتی تثکر القتلی بینکم، ولکن احبس الرجل حتی یبایع أو تضرب معهم.فقال الحسین علیه السلام یابن الزرقاء [۲۵۵] أنت تقتلنی أم هو، کذبت و أثمت.ثم أقبل علی الولید، و قال أیها الأمیر: انا أهل بیت النبوة و معدن الرسالة، و مختلف الملائکة، بنا فتح الله و بنا یختم، و یزید رجل شارب الخمور، و قاتل النفس المحترمة، معلن بالفسق، و مثلی لا یبایع مثله، ولکن نصبح و تصبحون. [۲۵۶] .و فی کربلاء خطب الحسین علیه السلام و قال:«ان الدعی ابن الدعی قد خیر بین السلة و الذلة، و هیهات منا الذلة یأبی الله لنا ذلک و رسوله و حجور طابت و طهرت».۲- اعلان الرفض: لم یتکتم الحسین علیه السلام برفضه البیعة، و عرف الناس جمیعا ان الحسین علیه السلام ممتنع عن البیعة و نصحه بعض الناس بالبیعة و آخرون أن یخفی نفسه عن الأمصار.ولکن الحسین علیه السلام أعلن أنة یرفض البیعة و یرید الخروج الی مکة، و ترک وصیته الی بنی‌هاشم و کافة المسلمین عند أخیه محمد بن الحنفیة و غادر المدینة [صفحه ۱۷۷] الی مکة، سالکا الطریق العام الذی یسلکه الناس، و یراه الناس فیه، فقیل له لو تنکبت الطریق الأعظم، کما فعل ابن الزبیر قال لا والله لا افارقه حتی یقضی الله ما هو قاض. [۲۵۷] .و دخل مکة، و هو یقرأ:(و لما توجه تلقاء مدین قال عسی ربی أن یهدینی سواء السبیل) [۲۵۸] .و نزل دار العباس بن عبدالمطلب [۲۵۹] ، و اختلف الیه أهل مکة و من بها من المعتمرین و أهل

الآفاق، و کان ابن الزبیر یأتی الی الحسین علیه السلام فیمن یأتیه.و کان بامکان الحسین علیه السلام أن یأخذ بنصیحة من ینصحه، باخفاء نفسه، فیخفی نفسه عن الأنظار، و یذهب الی بعض الثغور، و یبتعد عن الأضواء، و بذلک یسلم من أذی بنی‌امیة و کیدهم، و کان لا یخفی هذه الوجه علی الحسین علیه السلام، کما صرح بذلک لجملة من الذین نصحوه، ولکنه أصر أن یرفض البیعة، و أصر أن یعلن رفضه، و یبقی تحت الأضواء، و یصارح الناس برأیه فی یزید و بیعته، و بأنه أحق بذلک من کل انسان آخر علی وجه الأرض.۳- الخروج و الثورة: و أصر الحسین علیه السلام بعد ذلک أن یخرج من الحجاز الی العراق لیواجه فیه بنی‌امیة:و اذا أنعمنا النظر فی کلمات اولئک الذین نصحوا الحسین علیه السلام بالامتناع عن الخروج الی العراق نجد أن کلامهم یتضمن ثلاث نقاط.الاولی: ان خروج الحسین علیه السلام الی العراق بمعنی الثورة [۲۶۰] و المواجهة [صفحه ۱۷۸] بعینها لنظام بنی‌امیة.و الثانیة: ان شیعة الحسین علیه السلام فی العراق اذا وفوا للحسین علیه السلام بعهودهم و مواثیقهم، فلن یستطیعوا أن یدفعوا عن الحسین علیه السلام کید بنی‌امیة و مکرهم و شرهم، و لن یغلبوا سلطان بنی‌امیة علی العراق.و الثالثة: و بناء علی ذلک فان الحسین علیه السلام اذا خرج الی العراق فهو مقتول لا- محالة.و لم تکن هذه الحقائق تخفی علی الامام علیه السلام، و لم یکن یجهل الامام علیه السلام ان خروجه الی العراق بمعنی الخروج علی سلطان بنی‌امیة علانیة، و لم تکن تخفی علی الحسین علیه السلام عاقبة هذا الخروج.و لا یصح ما یرویه بعض الناس أن الحسین علیه السلام طلب منهم أن یخلوا له الطریق الی بعض الثغور، بعیدا عن الأضواء، و بعیدا عن التصدی و المواجهة، فلا یعطیهم یده للبیعة و لا یتصدی للخروج و المواجهة.روی الطبری و ابن الأثیر عن عقبة بن سمعان أنه قال: صحبت حسینا فخرجت معه من المدینة الی مکة و من مکة الی العراق، و لم افارقه حتی قتل علیه السلام، و لیس من مخاطبته الناس کلمة بالمدینة، و لا بمکة، و لا فی الطریق و لا بالعراق، و لا فی معسکر الی یوم قتله الا و قد سمعتها. لا والله ما أعطاهم ما یتذاکر الناس و ما یزعمون من أن یضع یده فی ید یزید بن معاویة، و لا أن [صفحه ۱۷۹] یسیروه الی ثغر من ثغور المسلمین، ولکنه قال:«دعونی فی هذه الأرض حتی ننظر ما یصیر أمر الناس». [۲۶۱] .و کان من رأی محمد بن الحنفیة أن یخفی الحسین علیه السلام نفسه عن الأنظار، و یبتعد عن أجواء المواجهة و التصدی، و یلتحق بالجبال و شعب الجبال، و یخرج من بلد الی آخر، حتی ینظر ما یصیر الیه أمر الناس. [۲۶۲] .فأبی الحسین علیه السلام و أصر علی الخروج و نصحه ابن‌عباس أن یسیر الی الیمن، فان بها حصونا و شعابا و هی أرض عریضة طویلة، و لأبیه علیه السلام بها شیعة، و هو عن الناس فی عزلة.فقال له الحسین علیه السلام:«یابن العلم انی والله أعلم انک ناصح مشفق، و قد أزمعت علی المسیر». [۲۶۳] .اذن فان الحسین علیه السلام کان یقصد الخروج و یریده، و هو علی بکل لوازمه و تبعاته و عواقبه.هذا هو الاطار العام لحرکة الامام الحسین علیه السلام و موقفه من المدینة الی کربلاء، و فی هذا الاطار نستطیع أن نفهم خطاب الاستنصار الحسینی.ان الحسین یعلم أنه ان خرج الی العراق یقتل لا- محالة، و کل القرائن و الدلائل تشیر الی هذه الحقیقة.اذن فان الحسین علیه السلام یطلب النصر بالقتل و الدم. و لم یکن یفطن یومئذ ابن‌عباس و عبدالله بن جفعر الطیار و محمد بن الحنفیة لهذه الوسیلة التی اتخذها [صفحه ۱۸۰] الحسین علیه السلام یومئذ طریقا الی النصر.لقد کان الحسین علیه السلام شاهدا لنجاح المؤامرة الامویة التی قادها آل أبی‌سفیان للانقلاب علی الأعقاب... و قد فقدت الامة فی عرضها العریض حصانتها تجاه هذه المؤامرة، و عاد الضمیر الاسلامی لا یملک الدرجة الکافیة من المناعة و المقاومة. و لا یختلف فی ذلک أهل العراق عن أهل الشام، و أهل مصر عن أهل الحجاز، فأراد الحسین علیه السلام أن یحدث هزة بشهادته و شهادة الثلة الطیبة من أهل بیته و أصحابه فی ضمیر الاسلامی، و یعید الیهم ما سلبه منهم آل أبی‌سفیان من ضمائرهم و عزائمهم و رشدهم.و قد کان الذی یریده الحسین علیه السلام بمصرعه و مصرع أهل بیته و أصحابه و المأساة التی یتناقلها أهل السیر فأحدث فی الضمیر الاسلامی هزة عنیفة، و صحوة ضمیر کانت مبدأ کثیر من البرکات و الثورات و الوعی و الیقظة السیاسیة فی تاریخ الاسلام.

المؤامرة الاموية على دم الحسين

و قد خطط آل أبی‌سفیان لاهدار دم الحسین علیه السلام فی مکة فی موسم الحج، و بلغ الحسین علیه السلام أن یزید أنفذ عمرو بن سعید بن العاص فی عسکر، و أمره علی الحج و ولاه أمر الموسم، و أوصاه بالفتک بالحسین أینما وجده [۲۶۴] ، فعجل الحسین بالخروج من مکة قبل الوقوف بعرفات یوم الترویة، و لم یمکن بنی‌امیة من اغتیاله فیذهب دمه هدرا، و بذلک أحبط المؤامرة التی خطط لها بنوامیة. [صفحه ۱۸۱] یروی أبومخنف عن أسدیین قالا: خرجنا من الکوفة حتی قدمنا مکة، فدخلنا یوم الترویة فاذا نحن بالحسین علیه السلام و عبدالله بن الزبیر قائمین عند ارتفاع الضحی فیما بین الحجر و الباب... فسمعنا ابن الزبیر یقول للحسین علیه السلام: ان شئت أن تقیم أقمت فولیت هذا الأمر؛ فآزرناک و ساعدناک و نصحنا لک و بایعناک.فقال الحسین علیه السلام:«ان أبی حدثنی أن بها کبشا یستحل حرمتها، فما أحب أن أکون ذلک الکبش». [۲۶۵] .و لما بلغ عمرو بن سعید أن حسینا قد خرج فقال أطلبوه. ارکبوا کل بعیر بین السماء و الأرض فاطلبوه. فعجب الناس من قوله هذا. [۲۶۶] .فاعترضه علیه السلام یحیی بن سعید بن العاص و معه جماعة أرسلهم عمرو بن سعید الیه فقالوا له علیه السلام: انصرف أین تذهب؟ فأبی علیهم و مضی و تدافع الفریقان و تضاربوا و امتنع الحسین علیه السلام و أصحابه امتناعا قویا. [۲۶۷] .و واضح لمن یعلم خفایا کید بنی‌امیة، أن بنی‌امیة کانوا لا یریدون أن یعطوا للحسین علیه السلام فرصة للخروج و الثورة، و کانوا یخططون لاغتیال الحسین علیه السلام.و قد جاء عمرو بن سعید بن العاص من عند یزید بخطة کاملة لاغتیال الحسین علیه السلام فی الموسم.فلما علم الامام بذلک غادر مکة الی العراق یوم الترویة، لیفوت علی آل أبی‌سفیان فرصة المؤامرة و یحبط علیهم خطتهم.و قد أزعج عمرو بن سعید بن العاص نبأ مغادرة الحسین علیه السلام للموسم یوم [صفحه ۱۸۲] الترویة بهذه الصورة، و أرسل الیه یحیی بن سعید بن العاص لیطلب من الحسین أن یعود الی الموسم، الا انه رجع من دون أن یحقق شیئا مما کان یریده عمرو بن سعید بن العاص، کما لم یصنع مروان بن الحکم قبله شیئا، عندما أنکر علی الولید أن یترک الحسین علیه السلام لیخرج من عنده منح غیر بیعة فی تلک اللیلة.و قال له بصراحة (ان فارقک الساعة و لم یبایع لم تقدر منه علی مثلها حتی تکثر القتلی بینکم، ولکن أحبس الرجل حتی یبایع أو تضرب عنقه).ولکن الحسین علیه السلام کان قد أعد العدة لمثل هذه المفاجأة من قبل، فصحب معه جمعا من الفتیان، و قفوا بسیوفهم علی باب الأمیر لیتدخلوا بالقوة اذا اقتضی الأمر، و کان کذلک.

عودة الی الدلالة الحرکیة للخطاب الحسینی

اذن، کان الحسین علیه السلام یعد نفسه للخروج و الثورة علی یزید، و هو لا یرید بهذه لثورة الحاق هزیمة عسکریة بیزید، و انما یرید أن یستنهض المسلمین و یحفزهم و یحرکهم لمقاومة الظالم، و یعید الیهم وعیهم و ضمائرهم و عزائمهم کما قلنا.فلست أدری ماذا دهی المسلمین حتی رضوا بیزید بن معاویة خلیفة لرسول الله صلی الله علیه وآله و لم یمض من وفاة رسول الله صلی الله علیه وآله أکثر من نصف قرن.و خطاب الاستنصار الحسینی یحمل الدعوة الی الثورة و المقاومة فی وجه الظالم، و الأمر بالمعروف و النهی عن المنکر.یقول علیه السلام فی منزل البیضة فی أصحاب الحر:«أیها الناس ان رسول الله صلی الله علیه وآله قال:«من رأی سلطانا جائرا مستحلا لحرام الله، [صفحه ۱۸۳] ناکثا عهده مخالفا لسنة رسول الله، یعمل فی عباد الله بالاثم و العدوان، فلم یغیر علیه بفعل و لا قول کان حقا علی الله أن یدخله مدخله.»و هذه هی الصفة البارزة الاولی فی خطاب الاستنصار الحسینی.

المضمون الولائی لاستنصار الحسین

اشاره

للاستنصار علاقة وثيقة بشبكة الولاء، فتجب النصرة فی شبكة الولاء عند الاستنصار. و شبكة الولاء ذات بعدين: البعد العمودی، و البعد الافقی، و هما سواء فی وجوب النصرة عند الاستنصار.

البعد العمودی من شبكة الولاء

اشارة

أما البعد العمودی فی هذه الشبكة فهو الولاء لله و لرسول الله صلی الله عليه وآله و لأئمة المسلمين و أولياء امورهم. يقول تعالی: (انما وليكم الله و رسوله و الذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة و يؤتون الزكاة و هم راكعون) [۲۶۸] و قد ورد فی تفسير هذه الآية المباركة باسانيد مستفيضة عن طرق الفريقين ان الآية الكريمة نزلت فی علی بن أبی‌طالب عليه السلام امام المسلمين، و هو المقصود بقوله تعالی: (الذين يقيمون الصلاة و يؤتون الزكاة و هم راكعون) عندما تصدق بخاتمه و هو راكع فی الصلاة خلف رسول الله صلی الله عليه وآله، و يقول تعالی: (و أطيعوا الله و أطيعوا الرسول و اولی الامر منكم). [۲۶۹] .

البعد الافقی من شبكة الولاء

اشاره

و أما البعد الافقی فی هذه الشبكة فهو الولاء للمؤمنين: (و المؤمنون بعضهم [صفحه ۱۸۴] أولياء بعض) و علی هذه البعد من شبكة الولاء: المؤمنون أسرة واحدة، تربطهم رابطة الولاء، مهما كانت لغاتهم و ألوانهم و أوطانهم و طبقاتهم.و يشترك البعد العمودی و البعد الافقی فی الولاء فی وجوب الحب و النصر و النصيحة و السلام، و يتميز البعد العمودی من الولاء بوجوب الطاعة، فتجب طاعة الله و طاعة رسوله و طاعة اولی الأمر، وطاعة من يأمر الله تعالی و رسوله و اولوا الامر بطاعتهم.

الصيغة التوحيدية فی شبكة الولاء

و كل ما يجب فی هذه الشبكة علی أعضائها من الحب و النصر و التعاون و النصيحة و السلام و التعاون و الطاعة، انما يجب بأمر الله تعالی.و يأتی فی امتداد طاعة الله تعالی وحده، فلا طاعة لرسول الله و لا لاولی الأمر من دون طاعة الله، و انما يجب طاعتهما بأمر الله.و لا يجب حب رسول الله و لا اولی الأمر و لا المؤمنين، و لا يجب نصرهم و لا تجب نصيحتهم الا بأمر الله تعالی.و هذه هی الصيغة (التوحيدية) لشبكة الولاء، و هی خصوصية بارزة و محورية فی كل هذه الشبكة، و فی كل ما يجب و يحرم فی هذه الشبكة الواسعة، و فی أعضاء اسرة التوحيد الكبيرة.

مقومات الولاء فی البعد الافقی

يقول تعالی: (ان الذين امنوا و هاجروا و جاهدوا بأموالهم و أنفسهم فی سبيل الله و الذين آووا و نصروا اولئك بعضهم أولياء بعض). [۲۷۰] . [صفحه ۱۸۵] و هذه المجموعة من العناصر هی التی تشد المؤمنين بعضهم ببعض بآصرة الولاء. و هذه المجموعة هی

الایمان، و الهجرة، و الجهاد، بالأموال و الأنفس و الایواء و النصرة.و الآیة الکریمة و ان کانت تشیر الی المهاجرین و الأنصار صدر الاسلام. ولکن تبقی هذه العناصر بروحها من ثوابت الولاء، ولا ولاء من دونها بین المؤمنین.ذلک أن اسرة التوحید الکبیرة کلها فی مواجهة الشرک و الکفر و الظلم و الاستکبار.و هذه المواجهة حتمیة من ناحیة، و مصیریة من ناحیة اخری. فلابد أن یدخل المؤمنون فی هذه المواجهة کتلة واحدة و صفا واحدا، تربطهم آصرة الولاء اولئک بعضهم من بعض کما ان الأمر کذلک فی اسرة الشرک و الکفر تدخل فی هذه المواجهة کتلة واحدة، تربطها علاقة الولاء العضویة بعضهم من بعض.

الولاء و الایمان الحق

و الایمان الحق، هو الایمان الفاعل المؤثر الذی یشد بعض المؤمنین ببعض، و یجعلهم فی مواجهة الکفر و الشرک و الاستکبار. و الایمان الحق خصیب و لیس بعقیم. یوصل و یفصل: یوصل المؤمنین بعضهم ببعض، و یفصل المؤمنین عن المشرکین و الکافرین.و الایمان الحق مصدر عطاء و ثورة و نصر و فعل فی حیاة الانسان المسلم. و لا یکون الایمان حقا الا ضمن شبکة الولاء بکل مقوماتها.یقول تعالی: (و الذین آمنوا و هاجروا و جاهدوا فی سبیل الله و الذین آووا [صفحه ۱۸۶] و نصروا اولئک هم المؤمنون حقا). [۲۷۱] .و هذه هی القضیة الاولی، و القضیة الثانیة أن المؤمنین حقا بعضهم من بعض.یعنی أن الایمان الحق یجمع شتات المؤمنین، و یجعلهم کتلة واحدة و صفا واحدا، و یجعل بعضهم من بعض کأعضاء الجسد الواحد.

خصائص و آثار شبکة الولاء

السلام و العصمة فی شبکة الولاءو من أهم خصائص شبکة الولاء حالة (السلام) و (العصمة). الانسان المسلم یتعامل مع الآخرین بسلام. و یتمتع تجاه تعامل الآخرین بالعصمة، یمنح الآخرین السلام فی تعامله معهم و علاقته بهم، و یتمتع هو بالعصمة فلا یحق له ان یعتدی علی أحد، و لا أن یؤذی أحدا من المسلمین و یظلمه، کما لا یحق لأحد أن یخترق العصمة التی منحها الله تعالی، و یهتکها.فهو یعیش مع الآخرین (بسلام) من طرف، و یطالب الآخرین (بالعصمة) من طرف آخر، و هذا أحد أهم بنود الولاء فی علاقة المؤمنین بعضهم ببعض داخل شبکة الولاء.و الیکم توضیحا موجزا لهاتین الکلمتین: (السلام) و (العصمة).معنی السلامروی عن رسول الله صلی الله علیه وآله: (المسلم من سلم المسلمون من لسانه و یده الا بالحق، و لا یحق أذی المسلم الا بما یجب.) [صفحه ۱۸۷] و عن أبی عبدالله الصادق علیه السلام: (المسلم أخو المسلم لا یظلمه، و لا یخذله، و لا یخونه، و یحق علی المسلمین الاجتهاد فی التواصل و التعاقد علی التعاطف و المواساة لأهل الحاجة، و تعاطف بعضهم علی بعض، حتی تکونوا کما أمرکم الله رحماء بینکم، متراحمین). [۲۷۲] .و شبکة الولاء علی متانتها و استحکامها و قوتها حساسة شدیدة الحساسیة تجاه الاساءة و الأذی.عن أبی عبدالله الصادق علیه السلام:«اذا قال رجل لأخیه المؤمن اف خرج من ولایته».و اذا قال:«أنت عدوی کفر أحدهما، و لا یقبل من مؤمن عملا، و هو مضمر علی أخیه سوءا». [۲۷۳] .و عن الصادق علیه السلام:«ان اللعنة اذا خرجت من صاحبها ترددت بینه و بین الذی یلعن، فان وجدت مساغا، و الا رجعت الی صاحبها، و کان أحق بها، فأحذروا أن تلعنوا، فیحل بکم». [۲۷۴] .معنی العصمةو فی العصمة روی عن رسول الله صلی الله علیه وآله:«المسلم علی المسلم حرام: دمه و عرضه و ماله». [۲۷۵] .و عن رسول الله صلی الله علیه وآله:«المسلم أخو المسلم، لا یخونه و لا یکذبه و لا یخذله. کل المسلم علی المسلم حرام عرضه و ماله و دمه». [۲۷۶] . [صفحه ۱۸۸] و عن رسول الله صلی الله علیه وآله قال:«کل مسلم علی مسلم محرم». [۲۷۷] .عن زید الشحام عن أبی عبدالله الصادق علیه السلام أنه قال: أن رسول الله صلی الله علیه وآله وقف بمنی حین قضی مناسکها فی حجة الوداع فقال:«أیها الناس اسمعوا ما أقول لکم و اعقلوا منی، فانی لا

أدری لعلی لا ألقاکم فی هـذا الموقف بعـد عامنا هذا ثم قال: أی یوم أعظم حرمة؟ قالوا هذا الیوم، قال: فأی شـهر أعظم حرمة؟ قالوا: هذا الشـهر. قال: فأی بلد أعظم حرمة قالوا: هذا البلد.قان: فان دماءکم و أموالکم علیکم حرام کحرمة یومکم هذا فی شـهرکم هذا فی بلـدکم هذا الی یوم تلقونه فیسألکم عن أعمالکم. ألا هل بلغت؟ قالوا نعم. [۲۷۸] .و عن أمیرالمؤمنین علیه السلام عن رسول الله صلی الله علیه وآله:«امرت أن اقاتل الناس حتی یقولوا لا اله الا الله، فاذا قالوا فقـد حرم علی دماؤهم و أموالهم». [۲۷۹] .و عن أبی‌هریرة قال: قال رسول الله صـلی الله علیه وآله:«امرت أن اقاتل الناس حتی یقولوا لا اله الا الله،فاذا قالوا لا اله الا الله. عصموا منی دماءهم و أموالهم الاـ بحقها و حسابهم علی الله». [۲۸۰] .علاقة النصـر بشـبکة الولاءو علاقة النصر بشبکة الولاء علاقة وثیقة و محکمة.یقول تعالی: (و ان استنصروکم فی الدین فعلیکم النصر). [۲۸۱] . [صفحه ۱۸۹] فاذا استنصر المسلمین مسلمون من مشارق الأرض أو مغاربها وجب علی المسـلمین – علی نحو الکفایـة – المبادرة الی نصـرهم.عن أبی عبـدالله الصادق علیه السـلام أن رسول الله صـلی الله علیه وآله قال:«من أصـبح و لم یهتم بـامور المسـلمین فلیس منهم، و من سـمع رجلا ینادی یا للمسـلمین فلم یجبه فلیس بمسـلم». [۲۸۲] .و عن البـراء بن العازب قال: أمر النبی صـلی الله علیه وآله بسبع و نهانا عن سبع. فذکر رد السلام و نصر المظلوم و اجابة الداعی و ابرار القسم. [۲۸۳] .و عن الصادق عن أبیه علیهماالسـلام قال:«لا یحضـرن أحدکم رجلا یضـربه سـلطان جائر ظلما و عدوانا و لا مقتولا و لا مظلوما اذا لم ینصـره، لأن نصـرة المؤمن علی المؤمن فریضـة واجبـة، اذا هو حضـره، و العافیـة أوسع ما لم یلزمک الحجـة الظاهرة». [۲۸۴] .و یحرم خذلان المسـلم اذا دعاه الی نصرته و هو قادر علی نصرته.عن موسی بن جعفر عن آبائه علیهم‌السلام قال: قال رسول الله صلی الله علیه وآلـه:«مـن أصـبح لاـ یهتم بـامور المسـلمین فلیس من الاسـلام فی شـیء، و من شـهد رجلاـ ینـادی یـا للمسـلمین فلم یجبه فلیس من المسلمین». [۲۸۵] .و قـد سـبق هـذا الحدیث بلفظ قریب.و عن أبی عبدالله علیه السـلام قال:«ما من مؤمن یخذل أخاه، و هو یقدر علی نصرته الا خذله الله فی الدنیا و الآخرة». [۲۸۶] . [صفحه ۱۹۰] و عن أبی عبدالله الصادق علیه السلام:«ما من مؤمن یعین مؤمنا مظلوما الا کان أفضل من صـیام شهر و اعتکافه فی المسجد الحرام.»«و ما من مؤمن ینصر أخاه و هو یقدر علی نصرته الا نصره الله فی الدنیا و الآخرة». [۲۸۷] .

استنصاران للحسین فی قصر بنی مقاتل

و اذا لم یسع المسلم تلبیة استنصار المسلمین و اجابة دعوتهم، و نصرهم فلا یحضر استغاثتهم و استنصارهم.و قد مر بنا قریبا قول الامام الصادق علیه السـلام، حسب الروایة:«لا یحضـرن أحدکم رجلا یضـربه سـلطان جائر ظلما و عدوانا».و قد کان الحسـین علیه السلام اذا استنصـر رجلا فأبی علیه ینصحه أن یبتعد عنه و یغیب عن مصرعه لئلا یسمع باستغاثته.و کان للحسین علیه السلام لقاءان فی منزل قصر بنی مقاتل [۲۸۸] فی طریقه الی کربلاـء:اللقاء الأول بعبیـدالله بن الحر الجعفی، و اللقاء الثانی بعمرو بن قیس المشـرقی و ابن‌عمه.و قد استنصـرهم الحسـین علیه السلام جمیعا، فاعتذروا و لم تطب نفسهم بالموت، فنصحهم الحسین علیه السلام أن یبتعدوا عنه و یغیبوا عن مصـرعه، لئلا یسـمعوا [صفحه ۱۹۱] اسـتغاثته فلاـ یجیبوه فیکبهم الله تعـالی فی النـار.فی اللقـاء الأول التقی بعبیـد الله بن الحر الجعفی فاستنصـره، فاعتـذر عبیـدالله کما ذکرنا ذلک من قبل، و قال له انه لا یشک أن من شایعه کان سـعیدا فی الآخرة، ولکن نفسه لا تطیب بالموت، و أهدی الی الحسـین علیه السـلام فرسه (الملحقة) و مدحها.فقال له الحسین علیه السلام:«أما اذا رغبت بنفسک عنا فلا حاجة لنا فی فرسک، و لا فیک، و ما کنت متخذ المضلین عضدا، و انی أنصحک کما نصحتنی أن استطعت أن لا تسمع صراخنا، و لا تشهد وقعتنا فافعل، فوالله لا یسمع و اعیتنا أحد و لا ینصرنا الا أکبه الله فی نار جهنم». [۲۸۹] .و اللقاء الثانی فی نفس المنزل بعمرو بن القیس المشـرقی و ابن عمه، رواه الصـدوق فی عقـاب الأعمـال.قـال: دخلت علی الحسـین أنا و ابن عم لی، و هو فی قصـر بنی مقاتل فسـلمنا علیه.فقـال له ابن عمی: یـا أبـا عبـدالله هـذا الـذی أراه خضاب أو شـعرک، فقال خضاب و الشـیب الینا بنی هاشم یعجل.ثم أقبل علینا.

فقال: جئتما لنصرتی فقلت: انی رجل کبیر السن، کثیر الدین کثیر العیال، و فی یدی بضائع الناس و لا أدری ما یکون، و أکره أن أضیع أمانتی. [صفحه ۱۹۲] و قال له ابن عمی مثل ذلک.قال لنا: فانطلقا فلا تسمعا لی واعیة، و لا تریا لی سوادا، فانه من سمع واعیتنا، أو رأی سوادنا فلم یجبنا، و لم یعبأ، کان حقا علی الله عزوجل أن یکبه علی منخره فی النار.

الاستنصار لاتمام الحجة

عاشوراء مفترق طریق، و من فارق الحسین علیه السلام فی عاشوراء عن علم و عمد، و سمع واعیته، و حضر استغاثته فسبیله نار جهنم، لا شک فی ذلک.و قد شطر الناس عاشوراء منذ سنة ۶۱ ه الی الیوم، شطرین: شطر الی الجنة و شطر الی النار.فمن کان رأیه من رأی الحسین علیه السلام و هواه مع الحسین و موقفه مع الحسین علیه السلام کان سبیله الجنة.و من کان رأیه من رأی یزید و هواه مع یزید و موقفه مع یزید کان سبیله النار.ذلک أن الحسین علیه السلام وارث الأنبیاء و الصدیقین و المرسلین فی مسیر التاریخ کله، فمن کان هواه مع الحسین علیه السلام، کان لا محالة مع حرکة الأنبیاء و المرسلین و الصدیقین، و من کان هواه مع آل أبی‌سفیان، کان موقفه لا محالة، مع أعداء الأنبیاء و خصومهم.و لذلک فان الحسین علیه السلام وارث الأنبیاء، و یزید وارث الطغاة و الجبابرة، و عاشوراء من أیام (الفرقان) فی التاریخ.و قد شطر عاشوراء الناس کما ذکرنا منذ سنة ۶۱ ه الی الیوم شطرین: (أنصارا) و (أعداء). [صفحه ۱۹۳] و لسنا نعرف شطرا وسطا بینهما الا أن یکون من المستضعفین الذین یرجون رحمة الله بالاستضعاف. اذن (عاشوراء) مفترق طریق.و قد کان الحسین علیه السلام یحرص یوم عاشوراء و قبله أن یتم الحجة علی کل اولئک الذین وقفوا مع آل أبی‌سفیان، (لئلا یکون للناس علی الله حجة)، و کان یحرص أن ینقذ من یمکن انقاذه، و یصلح من یمکن اصلاحه و یهدی من یمکن هدایته.کان الحسین علیه السلام یتم الحجة فی استنصاره و استغاثته الذی تکرر منه علی کل الذین قاتلوه و حاربوه و ظلموه، أو وقفوا من مصرعه موقف المتفرج الذی لا- یبالی ماذا حدث.فقد کان علیه السلام یعلم بأن لهذا الیوم شأنا کبیرا فی التاریخ، و أنه مفترق الطریق بین الحق و الباطل و الهدی و الضلال، فأراد أن یتم الحجة علی الناس لئلا یکون للناس حجة.

تنوع الخطاب الحسینی

و لذلک نجد أن الخطاب الحسینی للاستنصار خطاب متنوع.فهو علیه السلام حریص علی أن ینفذ الی تلک القلوب المغلقة، و یفتحها بأی اسلوب ممکن.فهو یخاطب عقولهم تارة، و یخاطب ضمائرهم تارة، و الضمیر آخر قلعة یقاوم الباطل فی نفس الانسان.و یخاطب قلوبهم و عواطفهم تارة، و العاطفة خزین مبارک من الخیر و الرحمة فی نفس الانسان، و آخر ما ینضب من نفس الانسان قلبه و عاطفته.لقد خاطب الحسین علیه السلام عقولهم یوم عاشوراء فقال لهم: (أحین [صفحه ۱۹۴] استنصرتمونا و الهین فأصرخناکم موجفین سللتم علینا سیفا لنا فی أیمانکم، وحشیتم علینا نارا اقتدحناها علی عدونا و عدوکم فأصبحتم البا لأعدائکم علی أولیائکم، من عدل أفشوه فیکم، و لا أمل أصبح لکم فیهم).و خاطب ضمائرهم فقال: (یا شیعة آل أبی‌سفیان ان لم یکن لکم دین فکونوا أحرارا فی دنیاکم).و خاطب عواطفهم ثالثا فقال فی آخر استغاثة له علیه السلام: (أما من مغیث یغیثنا أما من ذاب یذب عن حرم رسول الله صلی الله علیه وآله)، و من مشاهد الاستغاثة المؤثرة استسقاؤه للطفل الرضیع یوم عاشوراء و هو یتلظی عطشا، فرفع الیهم الرضیع و قال: (أما منکم من أحد یأتنا بشربة من الماء لهذا الطفل الرضیع؟) ثم قال لهم (اسقوا هذا الرضیع). [۲۹۰] .و العاطفة خزین مبارک من الخیر و الرحمة کما ذکرنا، و آخر ما ینضب فی نفس الانسان، تفیض بالرقة و الرحمة.و هذه الرقة و الرحمة التی تفیض بها العاطفة تطهر القلب مما یعلق به من الدرن و تلین القلب. و تفتح مغالیق القلوب.و قد تنغلق العقول و یتصامم الناس عن نداء العقل ولکنهم

یستجیبون لنداء العاطفة، و تنفتح له قلوبهم.

المعنی الشمولی لخطاب الحسین

اشاره

لا نجد مبررا للقول بأن خطاب الحسین علیه السلام بالاستنصار کان مقتصرا علی اولئک الذین عاصروا للحسین علیه السلام و شهدوا وقعة الطف. [صفحه ۱۹۵] و لیس ثمة دلیل فی خطاب الحسین لحجب هذا الخطاب عن الأجیال التی تعاقبت من بعده، ممن لبوا هذا الخطاب و أسرعوا فی الاستجابة له... فقد کان المجتمع الاسلامی یومئذ یمر بفترة رهیبة من التاریخ فقد فیها الکثیر من أخلاقیته و قیمه و کفاءاته.و لست أدری ماذا فعل معاویة، خلال سنی حکمه من افساد و ظلم، حتی بلغ المجتمع الاسلامی فی عصر ابنه یزید هذا المبلغ من ضعف الارادة و نضوب القیم، و فقدان الأخلاق، و لیس أدل علی ما نقول من أن ابن رسول الله صلی الله علیه وآله یدعوهم الی الخروج علی یزید، و هم یعرفون الحسین علیه السلام و یعرفون یزید. ثم لا یستجیب له من کل اولئک الذین خاطبهم الحسین علیه السلام أو بلغهم خطابه الا اثنین و سبعین رجلا فقط.و أصدق و صف لهذا العصر هو الوصف الذی یصفهم به الحسین علیه السلام، کما یرویه الطبری فی التاریخ، و هو أول خطبة له علیه السلام بعد وصوله الی کربلاء:یقول علیه السلام:«ان الدنیا قد تغیرت و تنکرت، و أدبر معروفها، و لم یبق منها الا صبابة کصبابة الاناء، و خسیس عیش کالمرعی الوبیل. ألا ترون الی الحق لا یعمل به و الی الباطل لا یتناهی عنه؟».و هو وصف دقیق لذلک العصر، و لاثبات هذا الوصف یقول الامام علیه السلام:«ألا ترون الی الحق لا یعمل به؟»و من أجل ذلک نعتقد أن خطاب الحسین علیه السلام لا یقتصر علی عصره، لیس من سبب لحجب هذا الخطاب عن العصور التی تلی ذلک العصر.ولسنا نرید أن ننفی مخاطبة الناس فی ذلک العصر من جانب الحسین علیه السلام، ولکنا نرید أن نقول ان روح هذا الخطاب أوسع من ذلک العصر.ان الصراع الذی خاضه علیه السلام فی سنة احدی و ستین هجریة حلقة متوسطة من [صفحه ۱۹۶] سلسلة طویلة من الصراع بین التوحید و الشرک و الهدی و الضلال، یتصل طرف منه بصراع الأنبیاء علیهم‌السلام مع أئمة الکفر، و الحسین علیه السلام وارث هذه السلسلة المتصلة من أئمة التوحید، و یتصل الطرف الآخر منه بسلسلة طویلة من الصراع، فی امتداد الطف یقوده أئمة التوحید، حتی یتسلم المهدی من آل محمد صلی الله علیه وآله لواء التوحید، و یطهر الأرض من رجس الشرک و الظلم.و عاشوراء من المفاصل الأساسیة فی هذه السلسلة الممتدة من الصراع بین التوحید و الشرک و الهدی و الضلال.و خطاب الحسین علیه السلام خطاب شامل لکل اولئک الذین بلغهم هذا الخطاب، و مکنهم الله تعالی. من وراثة تراث عاشوراء، و رزقهم الله الوعی و البصیرة.

التلبیة

و التلبیة الواردة فی نصوص الزیارات التی یزور المسلمین بها الحسین علیه السلام تشیر الی هذه الحقیقة التاریخیة.فان الحسین علیه السلام (داعی الله) و نداؤه و دعوته توحید الله.و خطابه الدعوة الی نصرة دین الله و شریعته و أحکامه و حدوده، و رفض الطاغوت و الکفر به.و هذه دعوة عامة، و خطاب شامل لتلک الأجیال الذین تعاقبوا بعد عاشوراء.و اذا حجبنا عصرنا عن التلبیة المباشرة لدعوة الحسین علیه السلام لاستنصاره، فنحن الیوم نلبی ذلک الخطاب، و نستجیب لتلک الدعوة فی ازالة الظلم و الشرک و مجاهدة الظالمین، و تثبیت أرکان التوحید فی الأرض، و هدم بنیان الشرک و الظلم و الاستکبار.و قد ورد فی نصول زیارة الحسین علیه السلام«لبیک داعی الله. ان کان لم یجبک بدنی [صفحه ۱۹۷] عند استغاثتک و لسانی عند استنصارک فقد أجابک قلبی و سمعی و

بصـری و رأسـی و هـوای»و التلبیـة مـن مقولـة (العزم) و (الفعـل)، و لیس مـن مقولـة (القـول). و القـول تعـبیر عـن عزم الانسـان علی الفعل.فالتلبیـة الحقیقیـة لخطاب الحسـین علیه السـلام أن یصف الانسان مع الحسـین علیه السـلام فی مواجهة الظالمین، و عدم الرکون الیهم، و رفضـهم، و البراءة منهم، و الصـمود و الثبات فی مواجهتهم.و لست أعتقد أن مرور ألف و ثلاثمائة عاما علی مصـرع الحسـین علیه السـلام و أصـحابه و أهل بیته الـذین لبوا دعوته... قـد خفف من قسوة الصـراع و ضـراوة المعرکـة، و لا أعتقـد أن التلبیـة لـذلک الخطاب أیسر فی عصرنا، من التلبیة لنفس الخطاب فی ذلک العصر.فالمعرکة هی المعرکة، و الخطاب هو الخطاب، و التلبیة هی نفس التلبیة، و ضریبة التلبیة هی نفسها.

حرکتان فی التاریخ النصر و الثار

اشاره

و لاـ تختلف مسؤولیتنـا الیوم تجاه اسـتنصار الحسـین. فان قضـیة عاشوراء هی رفض الظلم و الکفر بالطاغوت، و طالما یوجـد فی حیاة المسـلمین ظلم و شـرک و اسـتکبار، یبقی خطاب الحسـین فی یوم عاشوراء نافـذا فاعلا فی حیاة المسـلمین.و نحن الیوم مسؤولون عن نصـر الحسـین علیه السـلام، مخاطبون بالاسـتنصار، کما کان الناس مخاطبون بالاسـتنصار مطالبون بالنصر فی عصره علیه السلام.غیر انا نحمل بعد مصرع الحسین علیه السلام مسؤولیة اخری غیر مسؤولیة (النصر) و هی مسؤولیة (الثار) لدماء الحسین علیه السلام و اهل بیته و أصـحابه (رضوان الله علیهم)، و هی مسؤولیة اخری غیر مسؤولیة النصر. [صفحه ۱۹۸] فهاتان مسؤولیتان تتطلبان حرکتین فی تاریخ وارثی عاشوراء:حرکة باتجاه النصر، و اخری باتجاه الثار، لدماء الشهداء فی کربلاء.و قضیة (النصر) غیر قضیة (الثار)، ان (النصر) یعنی الاسـتنصار لدعوة الأنبیاء فی تشـیید أرکان التوحید و العدل، و هدم بنیان الشرک و الظلم، و نصر المسلمین المستضعفین و امدادهم و اغاثتهم، فی معاناتهم و عذابهم علی أیدی الظالمین.(و الثار) یعنی المطالبة بدماء الشـهداء من اسـرة التوحید، و بدماء الشـهداء فی یوم عـاشوراء. فهـذه دمـاء حرمهـا الله تعـالی، و أهـدرها الناس، و لابـد من الثار لها، شأن کل دم حرمه الله تعالی.غیر أن دماء الشـهداء لما کـانت فی سبیـل الله، فان الله تعالی هو الثائر الأول لها، و هی ثار الله قبل کل شـیء، و هـذه قیمـة کبیرة لـدم الشـهید فی هـذا الـدین و مفهوم رفیع من مفاهیم هذا الدین، و نحن نخاطب الحسین علیه السلام فی الزیارة بثار الله، فنقول السلام علیک یا ثار الله و ابن ثاره، و علینا نحن فی امتداد (ثار الله) أن نثار لهذه الدماء، و دماء کل الشـهداء التی اریقت ظلما و عدوانا فی سبیل الله.و لما کانت هذه الدماء قـد اریقت فی الصـراع بین الحق و الباطـل، فالمطالب بالـدم لیس هو شـخص المجرم القاتل، بل یطالب به کل من وقف معه فی تلک الجبهة، و کل من یقف معه بعد ذلک فی تلک الجبهة...شأن کل دم یهراق فی معرکة. فان المطالب بالدم فی ساحة المعرکة لا یکون هو القاتل فقط، و انما کل من یقف مع القاتل فی نفس الجبهـة فی نفس المعرکة.و لما کانت معرکة عاشوراء قائمة مسـتمرة و متصـلة الحلقـات الی الیـوم، فکـل من یقـف مع أعـداء الحسـین علیه السـلام، و یتعـاطف معهم، و یهواهم و یمیـل الیهم، و یرضـی بفعلهم، و یحبهم... یکون مطالبا بدماء الحسـین علیه السـلام و الثلة الطاهرة من أصحابه. [صفحه ۱۹۹] و هو شـأن (عاشوراء) کما ان ذلک شأن کل صـراع قائم بین الحق و الباطل، و کل دم یهراق ظلما فی وسط المعرکـة. حیث تعم مسؤولیة المطالبة بدم الشـهید کل الذین وقفوا معه و الی جنبه أو خلفه فی المعرکة (فهم أولیاء الدم جمیعا) و تعم الجریمة کل من وقف مع القاتل أو خلفه فی نفس الصـراع فیکون مطالبا بالدم الذی اهریق ظلما فی ذلک الصـراع، اذن نحن الیوم بعد مصـرع الحسین علیه السلام فی عاشوراء مسؤولون عن قضیتین، و لیست قضیة واحدة، و هما (النصر) و (الثار).و قضیة الحسین علیه السلام حلقة واحدة، ولکنها مفصلة، فی مسلسل الصراع التاریخی بین الأنبیاء و خصومهم من أئمـة الکفر.و الحسـین وارث کل ذلک التراث و حفیـده المهـدی من آل محمد (عجل الله فرجه) یرث جده و

ینهض بتلبیة خطاب جده الحسین لنصرة دین الله، کما ینهض بالثار لدماء الشهداء فی کربلاء و دماء الشهداء قبل کربلاء و بعده، و لذلک فهو الامام (الوارث) (الثائر) من آل محمد، (عجل الله فرجه).

تفسیر و تحلیل جملة من المضامین الواردة فی خطاب

الاستنصار الحسینی

و یستوقفنا فی خطابات الحسین علیه السلام خطابه المعروف فی مکة عشیة خروجه الی العراق، و قد تناقل أرباب السیر هذا الخطاب، و ورد فی أکثر المصادر التی دونت سیرة الحسین علیه السلام و خروجه الی العراق.و قد ذکرنا الخطاب فی بدایة هذه المقالة، و یبدأ الامام الخطاب بهذه الکلمة العجیبة:«خط الموت علی ولد آدم مخط القلادة علی جید الفتاة».و هذه البدایة تفسر کل حرکة الامام و خروجه، و توضح للناس الذین [صفحه ۲۰۰] یستنصرهم الحسین علیه السلام ما یؤول الیه أمره و أمر من معه لیخرج من یخرج معه، و هو علی بینة من أمره، و هو أمریهم الامام کثیرا، و یصر علیه فی کل مراحل حرکته بمقدار اصراره علی استنصار الناس و دعوتهم للخروج معه علی یزید.فهو یدعوهم و یعفیهم فی وقت واحد، یدعوهم اذا صح عزمهم علی لقاء الله فی خروجهم هذا، و طابت أنفسهم بالقتل فی سبیل الله.و یعفیهم، اذا لم تطب نفوسهم بالقتل فی سبیل الله، فان الحسین یسعی الی الموت، و لیس الی سلطان و لا مال.ویطلب من الأنصار من یصدق عزمه و تصدق نیته علی ابتغاء القتل فی سبیل الله.و مصیبة الناس فی دنیاهم اقبالهم علی الدنیا و تعلقهم بها و هروبهم و خوفهم من الموت.و هو سر ضعفهم، و سقوطهم، و خضوعهم للظالمین، و هوان أنفسهم علیهم، هو نقطة الضعف الکبری فی حیاتهم. فاذا هانت الدنیا فی أعین الناس، و زال الخوف من الموت عن نفوسهم لم یتمکن الظالم من ظلمهم، و لم یعطوا أنفسهم للظلم. و کیف یهرب الانسان من الموت و قد«خط الموت علی ولد آدم مخط القلادة علی جید الفتاة».فالموت یحاصر الانسان، و لا یستطیع ابن آدم أن یخرج من حصار الموت فلا ینفعه هروب.ثم لماذا یخاف الانسان من الموت و الموت جمال المؤمن و کماله، و یزدان به کما یزدان جید الفتاة بالقلادة... و لا ینقص من جمال الموت أنه یحاصر الانسان کما لا ینقص من جمال القلادة أنها تطوق جید الفتاة. فلیس کل طوق ذل و أسر. [صفحه ۲۰۱] و لست أعرف تصویرا للموت أجمل من هذا التصویر الذی یقدمه الحسین علیه السلام للموت عشیة خروجه الی العراق.ثم یقول علیه السلام:«و ما أولهنی الی أسلافی اشتیاق یعقوب الی یوسف».ان الموت عند الحسین علیه السلام لقاء الله، و لقاء أسلافه الصالحین ابراهیم و موسی و عیسی و رسول الله. و هو یشتاق الی هذا اللقاء اشتیاق یعقوب الی یوسف. فهو غصن من تلک الشجرة و ثمرة طیبة لها یحن الیها حنین الفرع الی أصله. فلیس بالموت یمکن ردع الحسین علیه السلام عن رسالته و قضیته.و هذه رسالة الحسین علیه السلام الی طاغیة عصره و الی أنصاره معا.ثم یقول علیه السلام:«لا- محیص عن یوم خط بالقلم. رضا الله رضانا أهل البیت». و هی صورة اخری لنفس المشهد ولکن بلون آخر... فقد کان المشهد السابق مشهد الشوق والوله الی لقاء الله و لقاء أحبائه، و هذا مشهد التسلیم و الرضا لأمر الله.و هو نفس المشهد، ولکن بصیغة اخری: و سواء عرض الامام هذه العاقبة من خلال الاشتیاق والوله أو من خلال التسلیم و الرضا، فالرسالة واحدة و النتیجة واحدة. ثم یقول علیه السلام:«لن تشذ عن رسول الله صلی الله علیه وآله لحمته، و هی مجموعة له فی حظیرة القدس.».انه من لحم رسول الله صلی الله علیه وآله و دمه و بضعة من رسول الله، من جسمه و روحه، و وعیه، و هداه، و بصیرته، و رسول الله صلی الله علیه وآله هو الخیر و الهدی کله، و ما تفرق من رسول الله صلی الله علیه وآله یجتمع له فی حظیرة القدس، و لا تشذ عن رسول الله صلی الله علیه وآله لحمة و لا بضعة له.و من أراد أن یجتمع برسول الله صلی الله علیه وآله مع الصدیقین و الصالحین فی حظیرة القدس فعلیه أن یلتحق بالحسین علیه السلام. و من شذ عنه علیه السلام شذ عن رسول الله صلی الله علیه وآله. ثم یختم علیه السلام کلامه بهذا الخطاب«ألا و من کان

باذلا فینا مهجته، موطنا علی لقاء الله [صفحه ۲۰۲] نفسه فلیرحل معنا، فانی راحل مصبحا ان شاء الله».ان السبط الشهید یسعی الی لقاء الله، و یطلب من الناس مهجهم و یدعو الناس الی أن ینتزعوا حب الدنیا من قلوبهم، و یوطنوا أنفسهم للقاء الله.و هو خطاب عجیب. قلما نعهد نظیرا له فی خطابات القادة السیاسیین و العسکریین اذا دعوا الناس للقتال.فهو علیه السلام لا یمنیهم بمال و لا سلطان، انما یمنیهم بلقاء الله، و یطلب منهم أن یوطنوا أنفسهم للقاء الله، و لا یرضی منهم بغیر (مهجهم).ثم یقول لهم أنه یتقدمهم فی هذه الرحلة«فانی راحل مصبحا غدا ان شاء الله»و لست أدری ماذا تستبطن هذه الجملة القصیرة«فانی راحل مصبحا ان شاء الله»من العزم، و الارادة، و القوة، و البصیرة، و الهدی، و التسلیم لمشیئة الله و ارادته.و قد شاء الله تعالی أن یکون هذا العزم و الارادة و البصیرة و التسلیم مبدأ لبرکات کثیرة فی تاریخ الاسلام.و فی منزل البیضة خطب الحسین علیه السلام فی أصحاب الحر فقال: أیها الناس ان رسول الله صلی الله علیه وآله قال:«من رأی سلطانا جائرا، ناکثا عهده مخالفا لسنة رسول الله، یعمل فی عباد الله بالاثم و العدوان فلم یغیر علیه بفعل و لا قول کان حقا علی الله أن یدخله مدخله».و هذا الحدیث الذی یرویه السبط الشهید عن جده رسول الله صلی الله علیه وآله منهجا فی العمل السیاسی و الحرکی للمسلمین، یختلف عن المنهج الذی تبناه بنوا امیة فی عصرهم، و یلخصه أبوعبدالرحمن عبدالله بن عمر بن الخطاب فی کلمته المعروفة«نحن مع من غلب».و قد عمل بنوامیة علی اشاعة هذا المنهج السیاسی بین المسلمین، و اختلقوا [صفحه ۲۰۳] فی ذلک الأحادیث، و بشروا به من علی المنابر لاجهاض کل معارضة سیاسیة و حرکیة فی وجوههم، و لا سباغ الشرعیة علی حکمهم.فمن هذه الأحادیث...روی الحجاج قال: قال لی أبوهریرة:ممن أنت؟ قلت: من أهل العراق. قال: یوشک أن یأتیک رجال من أهل الشام، فیأخذوا صدقتک. فاذا أتوک فتلقهم بها فاذا دخلوها، فکن فی أقاصیها، و خل عنهم و عنها، و ایاک و أن تسبهم فانک ان سببتهم ذهب أجرک و أخذوا صدقتک و ان صبرت جاءت فی میزانک یوم القیامة. [۲۹۱] .و عن زید بن وهب قال سمعت عبدالله قال: قال لنا رسول الله صلی الله علیه وآله: انکم سترون بعدی اثرة و امورا تنکرونها.قالوا: فماذا تأمرنا یا رسول الله؟ قال: أدوا الیهم حقهم، و سلوا الله حقکم. [۲۹۲] .و عن جنادة بن امیة قال: دخلنا علی عبادة بن الصامت، و هو مریض، فقلنا: (أصلحک الله حدثنا بحدیث ینفعک الله به، سمعته من النبی صلی الله علیه وآله فقال: دعانا النبی صلی الله علیه وآله فبایعناه، فقال فیما أخذ علینا أن بایعنا علی السمع و الطاعة فی منشطنا و مکرهنا و عسرنا و یسرنا و اثرة علینا، و أن لا ننازع الأمر أهله، الا أن تروا کفرا بواحا عندکم من الله فیه برهان). [۲۹۳] .و هذا أقصی ما یطلبه الحکام الظلمة من الناس، و فی کتب الحدیث الکثیر من هذه الروایات التی یأباها القرآن و یرفضها الاسلام. [صفحه ۲۰۴] و نحن من دون أن نناقش هذه الأحادیث مناقشة سندیة، نقطع بأنها منحلة موضوعة علی رسول الله صلی الله علیه وآله، و نتهم فی ذلک بنی‌امیة أولا. و قد خفی أمر ذلک علی کبار المحدثین الذین رووا هذه الأحادیث و أکثروا من روایتها.و دلیلنا علی ذلک هو القرآن.و نعتقد أن المنهج العلمی الصحیح فی نقد الروایة هو عرض الروایة علی القرآن.و النقد من حیث السند یأتی بعد العرض علی القرآن، فما خالف القرآن نرفضه و نرده صح سنده أم لم یصح. هذا هو منهج أهل البیت علیهم‌السلام فی نقد الروایة.و لذلک فنحن لا نطیل الوقوف عند مناقشة هذه الروایات و نقدها من حیث السند، فالأمر عندنا أوضح من ذلک. و دلیلنا علی ذلک آیات محکمات من کتاب الله تنهی عن الرکون الی الظالمین و عن طاعة المسرفین.و الیک اضمامة من آیات کتاب الله:یقول تعالی: (و لا ترکنوا الی الذین ظلموا فتمسکم النار). [۲۹۴] .و یقول تعالی: (و لا تطیعوا أمر المسرفین الذین یفسدون فی الأرض و لا یصلحون). [۲۹۵] .و یقول تعالی: (و لا تطع من أغفلنا قلبه عن ذکرنا و اتبع هواه و کان أمره فرطا). [۲۹۶] .و یقول تعالی: (ألم تر الی الذین یزعمون أنهم آمنوا بما انزل الیک، و ما انزل [صفحه ۲۰۵] من قبلک یریدون أن یتحاکموا الی الطاغوت و قد امروا أن یکفروا به و یرید الشیطان أن یضلهم ضلالا بعیدا). [۲۹۷] .و ینهض أبوعبدالله سیدالشهداء یومئذ لازالة هذا اللبس عن سنة رسول الله صلی الله علیه وآله، فیعلن فی الناس، أن رسول الله صلی الله علیه وآله قال:«من رأی سلطانا جائرا... فلم یغیر علیه بفعل و لا قول کان حقا علی الله أن یدخله مدخله».و هی مسؤولیة شاقة و صعبة، و انطلاقا من هذه المسؤولیة خرج الحسین علیه السلام علی طاغیة عصره.فاذا ابتلی الله تعالی المسلمین بسلطان جائر... فلا یسع المسلمین جمیعا الا أن

ینهضوا لتغییره، بفعل أو قول، و من یسکن الی الظالم و یسکت عنه«کان حقا علی الله أن یدخله مدخله»... و هی کلمة عجیبة، تستوقف الانسان طویلا، و تشعر الانسان بثقل المسؤولیة الصعبة فی ظروف الظلم و الاستبداد السیاسی. فلا یکفی ألا یرکن الانسان الی الظالم و لا یتعاون معه، و لا یسنده حتی لا یدخل مدخله فی النار، و انما یجب علیه أن یسعی الی تغییره بفعل أو قول، فان لم یفعل کان حقا علی الله أن یدخله مدخله.ثم یقول علیه السلام«و أنا أحق من غیر»، و من أولی من ابن رسول الله صلی الله علیه وآله أن ینهض بالتغییر و یقود حرکة التغییر و یدعوا الی التغییر.و هو علیه السلام فی هذه الرحلة قائد و قدوة، قائد یقود حرکة التغییر و یدعو الی التغییر«و أنا أحق من غیر».و (قدوة)، یتقدمهم فی کل محنة و عذاب، و یکون نصیبه منه الأوفی. یقول علیه السلام:«فان تممتم علی بیعتکم تصیبوا رشدکم. فأنا الحسین بن علی و ابن فاطمة بنت رسول الله. نفسی مع أنفسکم، و أهلی مع أهلیکم، و لکم فی اسوة». [صفحه ۲۰۶] ثم یقول:«و ان لم تفعلوا و نقضتم بیعتی... فحظکم أخطأتم، و نصیبکم ضیعتم، و من نکث فانما ینکث علی نفسه.»ان آل أبی‌سفیان أعداء الناس، و قد تمکنوا من رقاب الناس، و أفسدوا أخلاق الناس و دینهم و قیمهم و أذلوهم... و الحسین علیه السلام یخرج لیقود حرکة التغییر، و ان نقضوا عهدهم، فلم یضروا الا أنفسهم، و أمکنوا آل أبی‌سفیان من رقابهم، و وطئوا أنفسهم لظلم آل أبی‌سفیان و استکبارهم، و أورثوا أبناءهم ذلا، و من نکث فانما ینکث علی نفسه. [صفحه ۲۰۹]

الولاء و البراءة فی مرآة عاشوراء

اشاره

ل(عاشوراء) علاقة وثیقة ب(الولاء) و (البراءة).فهی حرکة سیاسیة کبری فی هذه الامة فی مواجهة الطاغوت نهض بها ابن بنت رسول الله صلی الله علیه وآله.و لهذه الحرکة عمق و امتداد. عمق فی حرکة الأنبیاء علیهم‌السلام فی مواجهة طغاة عصرهم، و امتداد فی مواجهة الصالحین من هذه الامة فی مواجهة أئمة الکفر.و هذه الحرکة بمالها من عمق و امتداد محفوفة ب (الولاء) و (البراءة).و فیما یلی توضیح لعلاقة (عاشوراء ب (الولاء و البراءة).

توحید الولاء

قبل أن ندخل فی تفاصیل الکلام عن الولاء و البراءة، نقول: ان الولاء من مقولة التوحید دائما، فلا یقبل الولاء الشرک مطلقا، و توحید الولاء من أهم مقولات التوحید.و لیس من الممکن أن یجمع الانسان الی ولاء الله ولاء آخر، مهما کان ذلک الولاء...و أی ولاء آخر، غیر ولاء الله فهو لا محالة یقع فی مقابل ولاء الله.و ان أکثر مصادیق الشرک الذی کان یحاربه الأنبیاء علیهم السلام، و ینقله [صفحه ۲۱۰] القرآن الکریم، هو من شرک الولاء، و لیس من الشرک بالخالق.فقلیل من الناس الذین یشرکون بالخالق، و یعتقدون بوجود آله خالق غیر الله لهذا الکون... ولکن الکثیر من الناس من یشرک بالله فی الولاء، و یشرک غیر الله تعالی مع الله فی ولائه، و یوزع ولاءه و طاعته الله تعالی و لغیر الله معا، و یعطی للطاغوت حظا من ولائه. و صراع التوحید و الشرک فی حیاة الأنبیاء، فی هذا الأمر بالذات فی أغلب الحالات.و هذا الصراع فی جوهره صراع عقائدی حضاری.و البشریة تنشطر شطرین حول هذه المسألة:- شطر یوحد الله بالولاء و الطاعة، و لا یقبل لله تعالی شریکا فی الولایة و الحاکمیة.- و شطر آخر یتخذ فی الحیاة محاور اخری للولایة، و ینقاد لها...و قد یکون الولاء للهوی، و قد یکون الولاء للطاغوت... و لا یختلف الأمر کثیرا.و الصراع بین هذین الشطرین فی حیاة البشریة یعتبر کبری قضایا الانسان، و أهم الأحداث التی عاشتها البشریة علی وجه الأرض فی التاریخ.

عناصر الولاء

الولاء: هو الارتباط بالله سبحانه و تعالی، و أهم عناصر الولاء هو:أولا: فی الطاعة و الانقیاد و التسلیم.(انما کان قول المؤمنین اذا دعوا الی الله و رسوله لیحکم بینهم أن یقولوا سمعنا و أطعنا). [۲۹۸] . [صفحه ۲۱۱] (و ان تطیعوا الله و رسوله لا یلتکم من أعمالکم شیئا ان الله غفور رحیم). [۲۹۹] .(و من یطع الله و رسوله یدخله جنات تجری من تحتها الانهار). [۳۰۰] .(و قل أطیعوا الله و الرسول). [۳۰۱] .(و أطیعوا الله و الرسول لعلکم ترحمون). [۳۰۲] .(یا أیها الذین آمنوا أطیعوا الله و أطیعوا الرسول و اولی الأمر منکم). [۳۰۳] .(قل أطیعوا الله). [۳۰۴] .و کما ان الولاء لله یتطلب الطاعة لله و للرسول و الانقیاد و التسلیم... کذلک یتطلب رفض الطاعة لغیر الله.(فاتقوا الله و أطیعونی و لا تطیعوا أمر المسرفین). [۳۰۵] .ثانیا: الحب و الاخلاص لله سبحانه و تعالی.(قل ان کان آباؤکم و ابناؤکم و اخوانکم و أزواجکم و عشیرتکم و أموال اقترفتموها و تجارة تخشون کسادها و مساکن ترضونها أحب الیکم من الله و رسوله و جهاد فی سبیله فتربصوا حتی یأتی الله بأمره والله لا یهدی القوم الفاسقین). [۳۰۶] .(و من الناس من یتخذ من دون الله أندادا یحبونهم کحب الله و الذین آمنوا [صفحه ۲۱۲] اشد حبا لله). [۳۰۷] .ثالثا: النصرة لله و لرسوله و للمؤمنین.(یا أیها الذین آمنوا ان تنصروا الله ینصرکم و یثبت أقدامکم). [۳۰۸] .(و لینصرن الله من ینصره ان الله قوی عزیز). [۳۰۹] .

قیمة الولایة

عن أبی جعفر علیه السلام قال:«بنی الاسلام علی خمس علی الصلاة و الزکاة و الصوم و الحج و الولایة، و لم ینادبشیء، کما نودی بالولایة». [۳۱۰] .و عن عجلان أبی صالح قال:«قلت لأبی عبدالله علیه السلام أوقفنی علی حدود الایمان. فقال: بشهادة أن لا اله الا الله، و أن محمد رسول الله، و الاقرار بما جاء من عند الله، و صلاة الخمس، و أداء الزکاة، و صوم شهر رمضان، و حج البیت، و ولایة ولینا، و عداوة عدونا، و الدخول مع الصادقین». [۳۱۱] .و عن أبیجعفر علیه السلام قال:«بنی الاسلام علی خمسة أشیاء: علی الصلاة و الزکاة و الصوم و الحج و الولایة».قال زرارة (راوی الحدیث): فقلت: و أی شیء من ذلک أفضل؟ قال الولایة أفضل، لأنها مفتاحهن، و الوالی هو الدلیل علیهن... ثم قال: ذروة الأمر، و سنامه و مفتاحه، و باب الأشیاء، و رضی الرحمن، الطاعة للامام بعد معرفته. [صفحه ۲۱۳] ان الله عزوجل یقول: (و من یطع الله و رسوله فقد أطاع الله و من تولی فما أرسلناک علیهم حفیظا). [۳۱۲] .أما لو أن رجلا قام لیله، و صام نهاره، و تصدق بجمیع ماله، و حج بجمیع دهره، و لم یعرف ولایة ولی الله فیوالیه، و یکون جمیع أعماله بدلالته الیه، ما کان له علی الله حق فی ثوابه و لا کان من أهل الایمان. ثم قال:«اولئک المحسن منهم یدخله الله بفضل رحمته». [۳۱۳] .و هذا الحدیث یوقف الانسان للتأمل طویلا فمن قام لیله و صام نهاره... و لم یعرف ولی الله لم یکن له علی الله حق فی ثواب، و لا کان من أهل الایمان.

الولایة و مسألة الحاکمیة و السیادة

و لا تتم الولایة، من دون ممارسة فعلیة للحاکمیة و السیادة فی حیاة الناس.فان الاسلام شریعة قائدة فی حیاة الانسان یتولی تنظیم و ادارة المجتمع، و توجیه المجتمع الاسلامی باتجاه تحقیق أهداف الدعوة و غایاتها، و لا یمکن أن یتحقق شیء من ذلک دون وجود ممارسة فعلیة للقیادة و الحاکمیة فی المجتمع الاسلامی.و هذه القیادة و الحاکمیة هی التی یسمیها القرآن الکریم ب«الامامة».و هی شیء آخر غیر الجانب التشریعی من هذا الدین، فان الطاعة فیما یبلغ النبی صلی الله علیه وآله من أحکام و تشریعات، انما هی طاعة لله تعالی، و لیس للأنبیاء فی ذلک دور غیر التبلیغ و التوجیه. [صفحه ۲۱۴] و القرآن یصرح بوجوب طاعة الرسول صلی الله علیه وآله و طاعة اولی الأمر من بعد الرسول صلی الله علیه وآله فی امتداد طاعة الله و من بعد طاعة الله.(اطیعوا الله و اطیعوا الرسول و اولی الأمر منکم).و هذه الطاعة لیست فی طاعة الله فی امتثال أحکامه، و الالتزام بالحلال و الحرام، و الا لم یکن شیئا آخر غیر طاعة الله... و لم یکن معنی لطاعة الرسول و اولی الامر، بعد طاعة الله تعالی و فی امتداده.فهی طاعة اخری اذن غیر طاعة الله، و ان کانت فی امتدادها...

تأتی فی مساحة الفراغ التی تترکها الشریعة لأولیاء امور المسلمین، و تتطلبه مصلحة الامة و الاسلام، مما لا یمکن ضبطها فی الشریعة بأحکام ثابتة. و لأجل أن یمارس هذا الدین دوره فی حیاة الانسان، لابد من وجود ممارسة فعلیة لهذه القیادة و الحاکمیة فی حیاة الناس.

البراءة و المفاصلة

ان طبیعة هذا الدین طبیعة حرکیة جهادیة، ذلک أن مهمة هذا الدین ابلاغ رسالة التوحید الی البشریة جمیعا، و تحریر الانسان من الطاغوت، و تبعیده لله تعالی. و تقریر الوهیة الله فی حیاة الناس. و هذا کله مما یغیظ الکفر، و یصادر نفوذهم و سلطانهم، و یدفعهم الی عرقلة مسیرة هذا الدین و تطویقه و اعاقة حرکته... ولکی تستطیع هذه الامة أن تحتفظ باصالتها فی هذا الصراع الحضاری و بموقعها الحضاری علی وجه الأرض فی الدعوة الی الله لابد لها من أن تقاوم کید أئمة الکفر و مکرهم، و تدخل معهم فی مواجهة حقیقته أولا، و تعلن المفاصلة عنهم ثانیا و الأول (الجهاد) و الثانی (البراءة).و هذه المفاصلة هی التی یقول تعالی عنها: (براءة من الله و رسوله الی الذین [صفحه ۲۱۵] عاهدتم من المشرکین... و آذان من الله و رسوله الی الناس یوم الحج الأکبر ان الله بریء من المشرکین و رسوله). [۳۱۴] .

المواصلة و المفاصلة فی المجتمع الاسلامی

ان طبیعة هذا الدین الحرکیة و رسالته تتطلبان من الامة حالتین فی الداخل و الخارج:التماسک و الترابط فی الداخل، (الذین أووا و نصروا اولئک بعضهم أولیاء بعض). [۳۱۵] .(و المؤمنون و المؤمنات بعضهم أولیاء بعض). [۳۱۶] .حتی کأن الامة جسم واحد متضامن الأعضاء و الأطراف.(مثل المؤمنین فی توادهم و تراحمهم و تعاطفهم مثل الجسد اذا اشتکی منه عضو تداعی له سائر الجسد بالسهر و الحمی). [۳۱۷] .(المؤمن للمؤمن کالبنیان، یشد بعضه بعضا). [۳۱۸] .(تواصلوا و تبارروا و تراحموا و کونوا اخوة برة کما أمرکم الله). [۳۱۹] .هذا فیما یتعلق بالعلاقة بین أطراف هذه الامة من الداخل، و أما العلاقة مع الخارج، مع أعداء الله و رسوله و أئمة الکفر و قادة الاستکبار فهی المفاصلة [صفحه ۲۱۶] و البراءة. و تحریم موالاتهم و مودتهم و التحبب الیهم.(لا یتخذ المؤمنون الکافرین أولیاء من دون المؤمنین). [۳۲۰] .(یا أیها الذین آمنوا لا تتخذوا الکافرین أولیاء من دون المؤمنین). [۳۲۱] .(یا أیها الذین آمنوا لا تتخذوا الیهود و النصاری أولیاء بعضهم أولیاء بعض و من یتولهم منکم فانه منهم). [۳۲۲] .(لا تتخذوا آبائکم و أخوانکم أولیاء ان استحبوا الکفر علی الایمان). [۳۲۳] .و هاتان الحالتان: الترابط و التماسک من الداخل و المفاصلة من الخارج، یتطلبان وجود قیادة مرکزیة، تربط هذه الامة بعضها ببعض فی کتلة متراصة واحدة من الداخل، و تفصلها عن أعدائها الذین یریدون بها سوءا من الخارج). [۳۲۴] .ثم توجه هذه الکتلة المجتمعة باتجاه تحقیق الاهداف الکبری لهذه الدعوة علی وجه الأرض.و هذه القیادة المرکزیة التی تمتلک من الامة الطاعة و النصرة و الحب (العناصر الثلاثة للولاء).. هی التی یصطلح علیها القرآن الکریم بأسم (الولی) أو (الامام).و ولایته علی الامة امتداد لولایة الله و رسوله، و طاعته و نصرته و حبه امتداد لما یجب علی المؤمنین من الطاعة و الحب و النصرة لله تعالی، و لیس محورا آخر فی عرض هذا المحور. [صفحه ۲۱۷]

التوحید و الشرک فی الولاء

ذلک أن الولاء من مقولة التوحید، و لا ولایة لأحد الا فی امتداد ولایة الله و بأمر و اذن من الله.و الولاء لله أما أن یکون أو لا یکون... فاذا کان فلابد أن یکون بوجهیه الایجابی و السلبی، و لا تقل قیمة الوجه السلبی عن الوجه الایجابی... و الوجه السلبی هنا، رفض الولاء لغیر الله... و لا یتم الولاء لله تعالی الا برفض أی ولاء آخر من دون اذن الله.و قبول أی ولاء بغیر اذن الله یعنی الشرک بالله

العظیم، و أکثر مصادیق الشرک فی القرآن لیس هو الشرک بالخالق، و انما هو الشرک فی الولاء.تأملوا فی قوله تعالی:(ضرب الله مثلا رجلا فیه شرکاء متشاکسون و رجلا سلما لرجل هل یستویان مثلا...). [۳۲۵] .یضرب الله لنا مثلا فی التوحید و الشرک برجلین: رجل یتنازعه شرکاء متشاکسون، کل له ولایة و سلطان علیه، و هم فیما بینهم متشاکسون مختلفون، و هو موزع بین هؤلاء الشرکاء المشاکسین. و رجل قد أسلم أمره الی رجل واحد آخر (و رجلا سلما لرجل) یطیعه فی کل شیء، و ینقاد له، و یتقبل ولایته و حاکمیته.کذلک التوحید و الشرک، فالموحدون من الناس کالرجل الذی أسلم أمره لرجل آخر فی راحة من أمره. و المشرکون من الناس کالذی یتنازعه شرکاء [صفحه ۲۱۸] متشاکسون... و واضح من هذا المثال أن المقصود بالشرک و التوحید، الشرک فی الولاء، و التوحید فی الولاء.یقول القرآن عن لسان یوسف علیه السلام:(یا صاحبی السجن ءأرباب متفرقون خیر أم الله الواحد القهار). [۳۲۶] .ان صاحبی یوسف علیه السلام لم یکونوا ینکرون الله الواحد القهار، و انما کانوا یشرکون أربابا متفرقین مع الله فی الولایة و الحاکمیة، فینکر علیهم یوسف علیه السلام ذلک، لأنهم لم یسلموا أمرهم کله لله الواحد القهار.یقول أمیرالمؤمنین علیه السلام فی أسباب البعثة:«بعث الله محمدا صلی الله علیه وآله، لیخرج عباده من عبادة عباده، الی عبادته، و من عهود عباده الی عهده، و من طاعة عباده الی طاعته، و من ولایة عباده الی ولایته». [۳۲۷] .فالولایة اذن لله سبحانه و تعالی، و تمتد الولایة الالهیة الی من یشاء و من یرتضی من عباده فلن تکون ولایة فی قبال ولایة الله، و لن تکون ولایة بغیر اذن الله.

مصدر الحاکمیة فی حیاة الانسان هو الله

و یجب أن نقف عند هذه النقطة قلیلا، فان الولایة المشروعة فی حیاة الامة لما کانت امتدادا لولایة الله لابد أن تکون الولایة باذن الله و أمره، و ما لم یأذن الله لاحد بأن یلی أمر عباده لن یکون له الحق فی أن یتولی شیئا من امور الامة.و بمراجعة القرآن الکریم نجد هذه الحقیقة واضحة، فیما یحکی الله تعالی لنا [صفحه ۲۱۹] من تنصیب عباد له لیکونوا أولیاء و أئمة علی الناس، و لا تتم لهم امامة و ولایة علی الناس، لو لا أن الله تعالی قد خصهم بذلک، و أناط الیهم هذا الأمر. ففی قضیة ابراهیم یقول تعالی:(قال انی جاعلک للناس اماما قال و من ذریتی قال لا ینال عهدی الظالمین). [۳۲۸] .و الامامة هنا بمعنی الولایة... و قد جعل الله تعالی ابراهیم علیه السلام اماما بعد ان کان نبیا.و فی قصة داود علیه السلام یقول تعالی:(یا داود انا جعلناک خلیفة فی الأرض فاحکم بین الناس بالحق). [۳۲۹] .و الخلافة هنا بقرینة«فاحکم بین الناس بالحق»هی الولایة و الحاکمیة.و یقول تعالی فی ذریة ابراهیم لما نجاه الله تعالی من القوم الظالمین:(و وهبنا له اسحاق و یعقوب نافلة و کلا جعلنا صالحین و جعلناهم أئمة یهدون بأمرنا و أوحینا الیهم فعل الخیرات و قام الصلاة و ایتاء الزکاة و کانوا لنا عابدین). [۳۳۰] .ولسنا نرید أن نسهب هنا فی هذا القول، فله مجاله الخاص به فی البحث، و انما نرید أن نشیر اشارة سریعة فقط الی ان مصدر الحاکمیة و السلطان فی حیاة الانسان هو الله تعالی، و لیست الامة کما تفسر ذلک النظم و الاتجاهات الدیمقراطیة... فلیس لأحد من دون ارادة الله أن یتولی أمرا من امور المسلمین.و الله عزوجل هو مصدر السلطة و الحاکمیة فی حیاة الناس، و لا یقتصر أمر [صفحه ۲۲۰] ولایة الله فی حیاة الناس علی نفوذ الأحکام الشرعیة المحددة من قبل الله فی عباده، و انما تشمل الممارسة الفعلیة للحاکمیة و الأمر و النهی فی حیاة الانسان من خلال الذین اتخذهم الله أولیاء و جعلهم أئمة و خلفاء علی الناس.

التحدی و الصراع

و هذه الحقیقة تقرر حتمیة الصراع بین محوری الولایة و الطاغوت بشکل دائم فی تاریخ الانسان.أن هذین المحورین یعملان باتجاهین متعاکسین فی حیاة الانسان، و کل منهما یعمل لاستقطاب ولاء الناس، و قطع الانسان من المحور الآخر.ان مهمة هذا الدین و رسالته هی استقطاب ولاء الناس لله تعالی، و انقاذ الناس من التشتت و التیه و الضیاع و الاختلاف، و تحریر الانسان من عبودیة

الطاغوت و الهوی، و ازالة العقبات من أمام طریق الانسان الی الله تعالی، و ربط الانسان بالله و تعبیده الله تعالی، و اخراجه من الظلمات الی النور.و فی قبال هذا المحور الربانی، یعمل الطاغوت علی استقطاب ولاء الناس، و وضع الحواجز و العقبات فی طریق الناس الی الله تعالی، و استعباد الانسان و اخراجه من النور الی الظلمات.و الی هذا الصراع بین المحورین، تشیر الآیة الکریمة:(الله ولی الذین آمنوا یخرجهم من الظلمات الی النور و الذین کفروا أولیاؤهم الطاغوت یخرجونهم من النور الی الظلمات اولئک أصحاب النارهم فیها خالدون). [۳۳۱] . [صفحه ۲۲۱]

الاستضعاف و الاستکبار

و لما کانت هذه المهمة التی یتولی أمرها الطاغوت لا تتحقق الا من خلال استضعاف الانسان، فان الطاغوت یتبع أسالیب کثیرة فی استضعاف الانسان، و انتزاع ما أودع الله تعالی فی نفسه من القیم.یقول تعالی عن فرعون و قوم فرعون:(فاستخف قومه فأطاعوه انهم کانوا قوما فاسقین). [۳۳۲] .و مهما یکن من أمر فان الصراع بین هذین المحورین، من کبریات قضایا التاریخ، و من أهم العوامل المحرکة لعجلة التاریخ.و من خلال فهم هذا الصراع نستطیع أن نفهم الکثیر من أحداث التاریخ و قضایاه الکبری و منعطفاته و ثوابته و متغیراته.

خصائص الصراع

و نشیر هنا الی بعض خصائص هذا الصراع التاریخی بین هذین المحورین: (الحق و الباطل).أن هذه المعرکة، معرکة عقائدیة تستبطن صراعا عقائدیا ضاریا حول الشرک و التوحید. و قد أشرنا قریبا، ان جوهر هذا الصراع یدور حول الشرک و التوحید، و ان أکثر معانی الشرک و التوحید فی القرآن الشرک فی الولاء و التوحید فی الولاء.و لهذا السبب فهی معرکة عقائدیة فی جوهرها. هذا أولا.و ثانیا: هی معرکة حضاریة لأنها تعتبر صداما بین حضارتین: الحضارة [صفحه ۲۲۲] الربانیة و الحضارة الجاهلیة، و لکل منهما خصائصها... و الانتماء الی أی من المحورین لیس انتماء سیاسیا فقط الی أحد محاور القوة و السیادة، و انما هو انتماء حضاری و یستتبع هذا الانتماء خصائص و میزات حضاریة فی اسلوب التفکیر، و الاخلاص، و العمل، و العلاقة مع الله تعالی، و مع النفس و مع الآخرین و مع الأشیاء... و الصراع بین هذین المحورین یعنی الصراع بین حضارتین بشکل دقیق.و ثالثا: ان هذا الصراع معرکة سیاسیة علی مراکز القوی.و لا شک أن کلا من هذین المحورین یعمل للاستیلاء علی مراکز القوی فی المجتمع: المال و السلطان، و القوی العسکریة، و ثقة الناس و مراکز التوحید، و الاعلام، و الثقافة.و کل منهما یعمل لاستخدام هذا المراکز فی تمکین محوره و خطه.رابعا: هذه المعرکة تدخل فی حتمیات التاریخ الکبری، و لا یمکن أن یتخلص منها الانسان بحال من الأحوال، فان تعاکس المحاور و الخطوط تستدعی بصورة حتمیة هذه المعرکة فی کل زمان و مکان. و لا یمکن أن یتخلص منها الانسان.ان هذا الدین یصادر کل مصالح الطاغوت و وجوده و مراکزه و مواقعه، و لا یمکن أن یتخلی الطاغوت من عن دوره فی الافساد علی وجه الأرض من دون أن یخوض هو و جنده صراعا مریرا مع هذا الدین. و هذا الصراع لم یخل منه عصر من العصور، منذ أن خلق الله تعالی الانسان بهذه الترکیبة الخاصة علی وجه الأرض الی الیوم الحاضر.و القرآن الکریم یقرر حتمیة الصراع بین هذین المحورین بشکل جازم، یقول تعالی:(الذین آمنوا یقاتلون فی سبیل الله و الذین کفروا یقاتلون فی سبیل الطاغوت فقاتلوا أولیاء الشیطان ان کید الشیطان کان ضعیفا). [۳۳۳] .خامسا: ان هذا الصراع معرکة مصیریة تدوم و تطول... و یعمل کل من المحورین علی استئصال المحور الآخر من علی وجه الأرض، و انهائه و تصفیة وجوده و مراکزه و مواقعه بشکل عام... و لیست معرکة علی قطعة من الأرض، أو حدود بریة أو بحریة، و لیست معرکة علی بضعة آبار من النفط، أو علی کمیة من الذهب و الفضة... انها معرکة علی الوجود و الکیان، و لا یرضی کل من الطرفین الا بالتصفیة الکاملة للطرف الآخر.(و لن ترضی عنک الیهود و لا النصاری حتی تتبع ملتهم). [۳۳۴] .(و قاتلوهم حتی

لا- تکون فتنة و یکون الدین کله لله فان انتهوا فان الله بما یعملون بصیر و ان تولوا فاعلموا أن الله مولاکم نعم المولی و نعم النصیر). [۳۳۵] .فهذه المعرکة تستمر حتی الاستئصال الکامل للفتنة من علی وجه الأرض... و بطبیعة الحال لن تکون معرکة بسیطة، و انما هی معرکة شرسة، لا- یعرف التاریخ نظیرا لها فی الحروب من حیث الشراسة و القسوة.و لذلک فالتفکیر فی اللقاء و التفاهم و الحلول النصفیة مع الکفر و الطاغوت تفکیر فیه کثیر من الفجاجة و البساطة و الضعف و الهزیمة النفسیة.و ان بدایة کل هزیمة میدانیة، هزیمة فی النفس... و بدایة الهزیمة النفسیة التفکیر فی امکان اللقاء و التفاهم مع الطاغوت، و انهاء الصراع، و الجلوس مع الطاغوت علی موائد الصلح. [صفحه ۲۲۴] ان المعرکة مع الطاغوت علی الوجود، و لیس علی اختلاف الحدود أو اختلاف فی الاعتبار، حتی یمکن التفاهم و التصافی و التعایش بسلام و تطبیع العلاقات.و سادسا: ان هذه المعرکة التاریخیة تتطلب من الامة المؤمنة مواقف واضحة و حدیة و صارخة فی اعلان الولاء و البراءة... الولاء لله و لرسوله و لأولیاء امور المسلمین، و البراءة من أعداء الله و رسوله و أولیائه.فلابد من موقف...و لابد أن یکون الموقف جدیا...و لابد أن یکون الموقف واضحا و معلنا...لأن المعرکة مع أئمة الکفر جد لا هزل فیه، و لا- یکفی أن یضمر الانسان الحب لله و لرسوله، و لأولیائه، من دون موقف،و من دون أن یعرف الناس عنه ذلک،... و لا- یکفی أن یکون قلبه مع الله و رسوله و أولیائه، و سیفه و حرابه علیهم. [۳۳۶] .و لا- یکفی أن یعطی لله و رسوله و أولیائه بعض وقته و ماله... لیعطی للطاغوت البعض الآخر... ان الولاء کل لا یتجزأ، فاما أن یکون الکل لله، أو لا یکون لله منه شیء، فان الله غنی عن العالمین.ان الولاء، یتطلب الموقف المحدد، و الاشهار بالموقف فی الانتماء [صفحه ۲۲۵] و الانفصال... و فی الحب و البغض... و فی المودة و المعاداة.. و فی السلم و الحرب....و سابعا: أن الولاء و البراءة وجها حقیقة واحدة فی هذه المعرکة... و لا ینفع ولاء من دون براءة، و لا یؤدی الولاء دوره الفاعل فی حیاة الامة ما لم یقترن بالبراءة من أعداء الله و رسوله و أولیائه.و لا یتکون الموقف هنا من الولاء فحسب، ان للموقف وجهین: وجه ایجابی و وجه سلبی، سلم و حرب، و انتماء و انفصال، و حب و بغض، و ما لم یجتمع هذا و ذاک لن یکون الموقف موقفا حقیقیا و انما یکون شعبه من شعب النفاق و طورا من أطوار المجاملة السیاسیة و اللعب علی الحبال...یقول تعالی فی هذین الوجهین:(أشد علی الکفار رحماء بینهم). [۳۳۷] .ثامنا: و کما ان محور الولایة، مرکز واحد، و خط واحد، و امتداد واحد، علی طول التاریخ، کذلک محور البراءة.و نحن لا- نفرق فی الولاء بین أنبیاء الله و أولیائه القریب منهم من عصرنا و البعید منهم عن عصرنا... فکلهم یحملون رسالة الله و یبلغون دین الله، و آتاهم الله من لدنه النبوة و الامامة و الولایة علی عباده... نوالیهم جمیعا، و نؤمن بما أنزل الله الیهم، لا نفرق بین أحد منهم.(قولوا آمنا بالله و ما انزل الینا و ما انزل الی ابراهیم و اسماعیل و اسحاق و یعقوب و الأسباط و ما أوتی موسی و عیس و ما أوتی النبیون من ربهم لا نفرق بین أحد منهم و نحن له مسلمون). [۳۳۸] . [صفحه ۲۲۶] (آمن الرسول بما انزل الیه من ربه و المؤمنون کل آمن بالله و ملائکته و کتبه و رسله لا- نفرق بین أحد من رسله و قالوا سمعنا و أطعنا غفرانک ربنا و الیک المصیر). [۳۳۹] .کذلک... نتبرأ من أعدائهم جمیعا... نتبرأ من فرعون و نمرود، کما نتبرأ من أبی‌جهل و یزید، و کما نتبرأ من طغاة و جلاوزة عصرنا.و کما أن الولاء أمر واحد، کذلک البراءة أمر واحد.و مثلما نتبرأ من طغاة عصرنا و نلعنهم، لنفس الأسباب نلعن الحجاج و یزید و أبی‌جهل و نمرود و فرعون و قابیل.فان المعرکة بین محوری الحق و الباطل لیست معرکة شخصیة، و انما هی معرکة حضاریة، تمتد جذورها الی أعماق التاریخ.و کما أن المعرکة فی جوهرها واحده فی کل مراحلها، کذلک الولاء و البراءة.

عاشوراء مسرح للولاء و البراءة

و ننتقل الآن الی (عاشوراء):ان وقعة الطف من المواقع المؤثرة، العقائدیة و الحضاریة الکبری فی التاریخ.التی لا یملک الانسان نفسه من... أن یمر علیها مرورا عابرا، أو یقف علیها وقوفا متفرجا أو یقرأها بلا مبالاة و لا أکتراث... و رغم مرور أکثر من ألف و ثلاثمائة عام علی هذه الواقعة المفجعة... فانها لا تزال تملک تأثیرا فوق العادة علی النفوس و القلوب و العقول، و تفرض نفسها علی کل من

آتاه الله بصیرة و وعیا فی دینه. [صفحه ۲۲۷] و لا تزال الأجیال تتلقی قضیة کربلاء بحرارة و حماسة، و تتفاعل معها فی الایجاب و السلب و الولاء و البراءة.فما هو السر الکامن فی هذه الوقعة، و الذی جعل منها مرآة للولاء و البراءة. عبر هذا التاریخ الطویل.

عاشوراء یوم الفرقان

ان عاشوراء تتمیز بالوضوح الکامل الذی لا یبقی شکا لأحد فی طرفی المعرکة.فلم یکن هناک التباس فی أمر المعرکة التی حدثت علی أرض الطف، و لم یکن أحد من المسلمین یومئذ یشک فی أن الحسین علیه السلام، یدعوا الی الله و رسوله و الی الاستقامة علی صرط الله المستقیم،و ان یزید بن معاویة قد تجاوز حدود الله، و أعلن الحرب علی الله رسوله، و أعلن الفسق و الفجور، و هو یجلس مجلس رسول الله صلی الله علیه وآله.و لم یکن أحد من المسلمین یومئذ یتردد لحظة واحدة و هو یقف علی ساحة الصراع بین أبی عبدالله الحسین علیه السلام و یزید بن معاویة، أن الحسین علی هدی و یزید علی ضلالة.و علیه فلم یکن فی أمر هذه المعرکة خفاء أو لبس... فمن وقف مع الحسین علیه السلام وقف عن بینة، و من وقف مع یزید وقف عن بینة...و قلیل من مشاهد الصراع بین الحق و الباطل یمتلک هذا الوضوح الذی تمتلکه واقعة الطف.وقف الحسین یوم عاشوراء بین الصفین و قال مخاطبا جیش ابن‌زیاد: (أیها الناس أنبئونی من أنا ثم ارجعوا الی أنفسکم و عاتبوها، و انظروا هل یحل لکم [صفحه ۲۲۸] قتلی و انتهاک حرمتی؟ ألست ابن بنت نبیکم وابن وصیه و ابن عمه، و أول المؤمنین بالله، و المصدق لرسوله بما جاء من عند ربه؟ أو لیس حمزة سیدالشهداء عمی؟ أو لیس جعفر الطیار عمی؟ أو لم یبلغکم قول رسول الله لی و لأخی: هذان سیدا شباب أهل الجنة؟ فان صدقتمونی بما أقول و هو الحق. فوالله ما تعمدت الکذب منذ علمت أن الله یمقت علیه أهله، و یضر به من اختلقه.و ان کذبتمونی فان فیکم من ان سألتموه عن ذلک أخبرکم. سلوا جابر بن عبدالله الأنصاری، و أباسعید الخدری، و سهل بن سعد الساعدی، و زید بن أرقم، و أنس بن مالک، یخبرونکم أنهم سمعوا هذه المقالة من رسول الله لی و لأخی. أما فی هذا حاجز لکم عن سفک دمی.فقال شمر: هو یعبد الله علی حرف ان کان یدری ما یقول.فقال له حبیب بن مظاهر: (والله أنی أراک تعبد الله علی سبعین حرفا. و أنا أشهد أنک صادق ما تدری ما یقول، و قد طبع الله علی قلبک). [۳۴۰] .و قال الحسین علیه السلام للولید عامل یزید علی المدینة، لما أراد أن یجبر الحسین علیه السلام علی البیعة لیزید و الرضوخ له:(یا أیها الأمیر انا أهل بیت النبوة و معدن الرسالة و مختلف الملائکة، بنا فتح الله و بنا یختم، و یزید رجل شارب الخمور، و قاتل النفس المحترمة معلن الفسق، و مثلی لا یبایع مثله). [۳۴۱] .

الفاصل الحضاری بین المعسکرین فی عاشوراء

لقد کانت الجبهتان المتصارعتان فی کربلاء متمیزتین فی انتهائهما لمحور [صفحه ۲۲۹] الولایة الالهیة، و الطاغوت، و لم یکن الأمر یخفی علی أحد.(لقد مضی أصحاب الحسین علیه السلام لیلة العاشر و لهم دوی کدوی النحل، بین قائم و قاعد و راکع و ساجد). [۳۴۲] .سمة العبید من الخشوع علیهم لله أن ضمتهم الأسحارو اذا ترجلت الضحی شهدت لهم بیض القواضب انهم أحرارو تقول فاطمة بنت الحسین: (و أما عمتی زینب فانها لم تزل قائمة فی تلک اللیلة فی محرابها تستغیث الی ربها... والله، فما هدأت لنا عین و لا سکنت لنا رنة). [۳۴۳] .کذلک کان الأمر فی معسکر الحسین علیه السلام الشوق الی لقاء الله و الاعراض عن الدنیا و زخرفها، و الانقطاع عن الدنیا الی الله حتی لقد کان بعضهم یداعب أصحابه و یمازحهم فی اللیلة العاشرة فقد هازل بریر عبدالرحمن الأنصاری رحمه الله.فقال له عبدالرحمن: (ما هذه ساعة باطل. فقال بریر: لقد علم قومی ما أحببت الباطل کهلا و لا شابا، ولکنی مستبشر بما نحن لاقون والله ما بیننا و بین الحور العین، الا أن یمیل علینا هؤلاء بأسیافهم... و لوددت أنهم مالوا علینا الساعة). [۳۴۴] .و الطرف الآخر فی هذه المعرکة کان همه ما یصیب من الذهب و الفضة و الامارة و الجائزة فی قتال ابن بنت رسول الله.فقد تولی عمر بن سعد أمر قتال ابن بنت رسول الله طمعا فی امارة الری. [صفحه ۲۳۰] یقول الیافعی: (و وعد الأمیر المذکور (عمر بن سعد) أن یملکه مدینة الری،

فباع الفاسق الرشد بالغی و فیه یقول:أأترک ملک الری و الری بغیتی و أرجع مأثوما بقتل حسینثم یقول: (و حز رأس الحسین بعض الفجرة و الفاسقین و حمله الی ابن زیاد و دخل به علیه و هو یقول:أوقر رکابی فضة أو ذهبا انی قتلت الملک المحجباقتلت خیر الناس أما و أبا و خیرهم اذ یذکرون نسبافغضب ابن زیاد من قوله و قال له: (اذا علمت أنه کذلک فلم قتلته؟ والله لا سلمت منی خیرا أبدا). [۳۴۵] .و یتبجح الأخنس بن مرثد الخضرمی فی رضه للأجساد الطاهرة بعد استشهادهم و هو یعلم أنه یعصی الله تعالی فی طاعة أمیره و یقول کما یروی الخوارزمی:نحن رضضنا الظهر بعد الصدر بکل یعبوب شدید الأسرحتی عصینا الله رب الأمر بصنعنا مع الحسین الطهر [۳۴۶] .لقد کان هم الحسین و أصحابه فی کربلاء مرضاة الله و لقاء الله... و کان هم جند ابن‌زیاد، ما یدفع لهم الأمیر من الجائزة و الامارة و الذهب و الفضة.لم یکن فی الأمر اذن أی خفاء. و جمیع الذین عاصروا المعرکة أو شاهدوها أو وقفوا علیها من قریب أو بعید... کانوا یمیزون فیها الحق من الباطل، و دعوة الله عن دعوة الطاغوت. [صفحه ۲۳۱] و لم یتخلف أحد عنها عن جهل أو لبس، و انما عن ایثار العافیة و الراحة علی القتل فی سبیل الله... و لم یشهر أحد فیها السیف علی ابن رسول الله عن لبس أو جهل... و انما عن وضوح و علم بأنهم یحاربون الله و رسوله و أولیائه بقتال الحسین علیه السلام.و هذا الوضوح فی ساحة المعرکة یجعل معرکة الطف معرکة متمیزة من بین سائر المواقع التاریخیة... أنها تعکس صورة صارخة من صراع الحق و الباطل، و مجابهة بین الولاء الله و الولاء و الطاغوت. و لذلک کانت هذه المعرکة رمزا خالدا للصراع بین الحق و الباطل. و مسرحا للولاء و البراءة، فی حیاة المؤمنین.ان وقعة الطف لا- تبقی مجالا- لأحد فی التردد و التأمل.فهی المواجهة الصارخة بین الحق و الباطل، و جند الله و جند الشیطان، و الهدی و الضلال..... فلابد من موقف محدد واضح فی هذه القضیة... فان لم یکن هذا الموقف موقف الولاء لجند الله و البراءة من أعدائهم... فهو لا محالة موقف الرضی بفعل یزید و جنده، و هو الموقف الذی یستحق اللعن و الطرد من رحمة الله، ففی زیارة وارث:(فلعن الله امة قتلتکو لعن الله أمة ظلمتکو لعن الله امة سمعت بذلک فرضیت به). [۳۴۷] .ان فقدان الموقف فی عاشوراء هو بنفسه الموقف الرافض. فمن لم یقف مع الحسین علیه السلام یوم استنصر المسلمین، و خذله، فلابد أن یکون راضیا بفعل یزید، [صفحه ۲۳۲] و لو لم یکن راضیا بفعل یزید، لما أبطأ عن تلبیة دعوة الحسین و نصرته.

وحدة الولاء و البراءة فی زیارة وارث

ان النص المعروف فی زیارة الحسین علیه السلام باسم زیارة (وارث) نص حافل بمشاهد الولاء و البراءة.و من أهم هذه المشاهد: وحدة الولاء و البراءة، و وراثة الحسین علیه السلام للأنبیاء علیهم‌السلام، و ربط الولاء للحسین علیه السلام و أهل بیته و أصحابه بالولاء للأنبیاء: و ربط قیم عاشوراء بالقیم الموروثة من تاریخ الأنبیاء علیهم‌السلام.و لعل التسلیم علی الحسین علیه السلام فی زیارة وارث، بصفته وارثا للأنبیاء علیهم‌السلام للاشارة الی هذه الحقیقة.(السلام علیک یا وارث آدم صفوة الله،السلام علیک یا وارث نوح نبی الله،السلام علیک یا وارث ابراهیم خلیل الله،السلام علیک یا وارث موسی کلیم الله،السلام علیک یا وارث عیسی روح الله،السلام علیک یا وارث محمد حبیب الله،السلام علیک یا وارث أمیرالمؤمنین ولی الله). [۳۴۸] .فان هذه الصفوة من أولیاء الله و عباده الصالحین امتداد واحد لولایة الله علی وجه الأرض، و خط حضاری واحد، یدعون الی الالتفات حول محور واحد، و یحملون قضیة واحدة، کما أن أعداءهم أمة واحدة، و خط حضاری واحد، [صفحه ۲۳۳] و حرب واحدة، رغم کل التباینات و التقاطعات الموجودة بینهم.فالاحساس بوحدة الولاء، و وحدة البراءة، یعمق الشعور بأن الامة المسلمة علی امتداد التاریخ منذ آدم علیه السلام الی الیوم الحاضر اسرة واحدة، تلتف حول محور واحد، و تحارب جبهة واحدة، و تشترک فی الحب و البغض و السلم و الحرب، و قضیتها قضیة واحدة، و مهمتها علی وجه الأرض مهمة واحدة، و خطها واحد، و حضارتها واحدة، و ایمانها واحد.ان هذا الاحساس بمعیة الله و معیة المؤمنین یزیل الشعور بالوحشة عن نفوس الدعاة الی الله تعالی فی خضم الصراع مع الطاغوت، و فی مواجهة شوکة الطاغوت و جبروته و کبریائه.فقد کان ابراهیم علیه السلام وحده امة قانتا لله فی مواجهة نمرود.(ان ابراهیم کان امة قانتا لله حنیفا و لم یکن من

المشرکین). [۳۴۹] .

مشاهد الولاء فی زیارة وارث

مشاهـد الولاء فی متن هذه الزیارة ثلاثة:۱- التسـلیم: السلام علیک یا وارث آدم صفوة الله...۲- الشـهادة: أشهد أنک الامام البر التقی الرضی...۳- الموقف: قلبی لقلبکم سـلم، و أمری لأمرکم متبع...و ضـمن هذه المراحل الثلاثة یعبر الزائر عن ولائه للحسین علیه السلام فی المعرکة الکبری التی وقف فیها أبوعبدالله فی مواجهة طاغیة عصـره... ینطلق فیها من جذور هذه المعرکة التاریخیة الی یومنا هذا. [صفحه ۲۳۴] و الولاء یتجسد فی هذه الزیارة ضـمن هذه المفاهیم الثلاثة و هی:۱- السلام و الأمن و المحبة (التسلیم).۲- الثقة المطلقة (الشـهادة بالامامـة و اقامـة الصـلاة و الأمـر بالمعروف و النهی عن المنکر).۳- الموقف تجاه محور الولایـة.و سـنعرض فیما یأتی هـذه المشاهد الثلاثة للولاء فی زیارة وارث.

السلام فی النفس و المجتمع

و أول هذه المشاهد التسـلیم ضمن ثلاث فقرات:(السلام علیک یا وارث آدم صفوة الله...السلام علیک یا ثار الله و ابن ثاره...). [۳۵۰] .و التسـلیم من أهم عناصـر الولاء، و هو بمعنی ترک المشاکسـة، و المشاققـة، و الاختلاف، و اللجاج، و العناد، داخل النفس و فی السلوک، و ازالة عوامل البغضاء و الکراهیة و الضغینة و الاختلاف فی الرأی و المخالفة، و احلال المحبـة و المودة و الانسـجام النفسـی و الطاعـة و الانقیاد و التسـلیم محل المشاققـة و المخالفـة و اللجاج و البغضاء.و هـذه العلاقة، فی التسـلیم، تأتی فی خاتمـة الصـلاة، فی السـلام، (السـلام علیک أیها النبی و رحمة الله و برکاته).و کأن حصـیلة الصـلاة، و حصـیلة هذا العروج الروحی الی الله تعالی هی التسـلیم و الطاعة و الانقیاد و المحبة و المودة لله و لرسوله و لأولیائه. [صفحه ۲۳۵] و (السلام) لیس فقـط أساسـا للعلاقـة مع الله و رسوله، و انما هو أیضا أساس للعلاقـة مع الامـة المسـلمة الملتفـة حول هـذا المحور.و قـد اعتبر الاسـلام (السلام) تحیة بین المؤمنین. و جعل هذه التحیة خاتمة للصلاة (السلام علینا و علی عباد الله الصالحین). و هذا الاهتمام بنشر السلام بین أعضاء هـذه الاسـرة للتأکیـد علی نوع العلاقـة القائمـة بین أفراد و أعضاء الاسـرة المسـلمة، و أن هـذه العلاقـة قائمة علی أساس ترک المشاققـة و المخالفـة و ازالـة البغضـاء و الضـغائن و الکراهیـة من النفوس و بـذل المحبـة و المودة فی النفوس و الانسـجام و الوفاق و التعاون و التناصر فی السلوک.

الشهادة للحسین بامامة المسیرة

تأتی بعد ذلک الشهادة ضمن ثلاثة فقرات:۱- الشهادة للحسین علیه السلام باقامة الصلاة و ایتاء الزکاة و الأمر بالمعروف (أشهد أنک قـد أقمت الصـلاة، و أتیت الزکـاة، و أمرت بالمعروف، و نهیت عن المنکر، و أطعت الله و رسوله حتی أتاک الیقین). [۳۵۱] .و (اقامة الصـلاة) هنا غیر أداء الصـلاة.ان أداء الصـلاة تکلیف شخصـی و فریضة شخصـیة.أما اقامة الصلاة فهی تثبیت الصلاة و الارتباط بالله و اعلان الصـلاة و تفعیلها فی حیـاة الانسـان.... ثـم (و أمرت بـالمعروف و نهیـت عن المنکر).فلم یکن الحسـین علیه السـلام یبتغی من خروجه علی یزید ملکا أو سلطانا أو جاها، [صفحه ۲۳۶] و انما کان یعمل لتثبیت دعائم المعروف و هدم أسس المنکر و اقامة محور الولایـة لله و هـدم محور الطـاغوت.و قـد خطب الحسـین علیه السـلام یوم عاشوراء فقال:(ألا ترون الی الحق لا یعمل به والی الباطل لا یتنـاهی عنه لیرغب المؤمن فی لقـاء الله... و انی لاـ أری الموت الاـ سـعادة و الحیـاة مع الظالمین الا برما). [۳۵۲] .و فی منزل (البیضـة) خطب الحسـین علیه السـلام فی أصـحابه فقـال: (أیها الناس ان رسول الله قال: من رأی سـلطانا جائرا، مسـتحلا لحرام الله، ناکثا عهـده، مخالفا لسـنة رسول الله، یعمل فی عباد الله بالاثم و العـدوان، فلم یغیر علیه بفعل و لا قول، کان حقا علی الله أن یـدخله مدخله.ألا و ان

هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان، و تركوا طاعة الرحمان، و اظهروا الفساد و عطلوا الحدود، و استأثروا بالفيىء، و أحلوا حرام الله و حرموا حلاله و أنا أحق من غير...). [۳۵۳] .فلم يكن الحسين عليه السلام يطلب سلطانا أو مالا... و هو يرى أنه يستقبل الموت فى سفره هذا، و انما كان يرى ظالما جائرا، يفسد فى الأرض، و يهلك الحرث و النسل، و يحلل حرام الله، و يتجاوز حدود الله... فنهض عليه السلام بالعصبة المؤمنة التى أحتفت به فى كربلاء، لفضح الطاغية و كسره و التشهير به و تسقيطه أمام الرأى العام الاسلامى المضلل، و توعية الرأى العام بحقيقة الطاغية و افساده فى الأرض، و انتزاع الامة من محور الطاغوت و اعادتها الى محور الولاية الالهية.۲- الشهادة ب(الطهر) و النزاهة للحسين عليه السلام. النزاهة من كل اثم و ذنب، [صفحه ۲۳۷] و العصمة من كل خطأ و زلل و عصيان... طهارة النفس و السلوك... (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم تطهيرا). [۳۵۴] .و الشهادة بأن هذه النزاهة و هذا الطهر، طهر موروث، خلفا عن سلف. و قد شاء الله تعالى أن يحتفظ بهذا الطهر فى هذه السلالة الطيبة، عبر الحضارات الجاهلية التى سادت حياة الانسان... و عبر ظلمات الحضارات الجاهلية. استمر اشعاع هذا النور الالهى فى ظلمات حياة الانسان، و استمر هذا الطهر بين أرجاس الجاهلية لم يتلوث و لم يلبسه شىء من مدلهمات ثيابها...و قد اصطفى الله تعالى هذه السلالة المباركة للامامة فى حياة الانسان عبر العصور المختلفة.(ان الله اصطفى آدم و نوحا و آل ابراهيم و آل عمران على العالمين ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم). [۳۵۵] .و لنقرأ هذه الفقرة من الشهادة فى زيارة وارث:(أشهد أنك كنت نورا فى الأصلاب الشامخة و الأرحام المطهرة، لم تنجسك الجاهلية بأنجاسها و لم تلبسك من مدلهمات ثيابها...). [۳۵۶] .و لا أحب أن أتجاوز هذه الفقرة دون أن أشير الى جمال التعبير فى هذه الفقرة...ان الطهر فى هذا البيت الطاهر حصيلة اللقاح بين أصلاب شامخة و أرحام [صفحه ۲۳۸] مطهرة. اصلاب شمخت و ترفعت مما يتساقط حوله الناس من متاع و زخرف زائل، و ارحام طهرت و سلمت من أوضار و أوساخ و أدناس الحضارات الجاهلية التى تناوبت على حياة الانسان...۳- الشهادة بموقع الحسين عليه السلام من حياة الامة و مركزه القيادى الذى وضعه الله فيه، و ما آتاه الله تعالى من الامامة و الولاية على المسلمين.(أشهد أنك من دعائم الدين و أركان المؤمنين، و أشهد أنك الامام البر التقى، الرضى، الزكى، الهادى، المهدى.و أشهد أن الأئمة من ولدك كلمة التقوى، و أعلام الهدى، و العروة الوثقى، و الحجة على أهل الدنيا). [۳۵۷] .

الموقف

ثم يأتى بعد هذه المرحلة من التعبير عن الولاء (التسليم)، و (الشهادة) و (الموقف).و الموقف هنا فى (الايمان و الرأى) و فى (العمل).الموقف النفسى فى (الايمان و الرأى): (أنى بكم مؤمن و بايابكم موقن، بشرائع دينى و خواتيم عملى، و قلبى لقلبكم سلم). [۳۵۸] .و الموقف فى (العمل): (و أمرى لأمركم متبع). [۳۵۹] .مؤمن بولايتكم و امامتكم و قيادتكم. و أصدق دليل على هذه الدعوة: أننى [صفحه ۲۳۹] أسلمكم شرائع دينى و خواتيم عملى... فليس شىء أعز عند الانسان المؤمن، من شرائع دينه الذى يدين به لله تعالى، و خواتيم عمله، الذى يختم بها حياته، حيث لا يمكن أن يتدارك منه شيئا. فان من الممكن أن يتدارك الانسان ما فرط فيه من أعماله، و اصلاحها بالتوبة... و مراجعة النفس، و تصحيح العمل... أما خواتيم العمل فهى التى تقرر عاقبة الانسان و مصيره... و نحن نأخذ منكم شرائع ديننا و خواتيم أعمالنا... و ليس شىء أدل على الثقة و الصدق فى الولاء من ذلك... و من خلالكم نأخذ معالم ديننا و بكم هدانا الله تعالى.ثم هذا التسليم المطلق الذى لا يشوبه شقاق، و لا يعكره ريب فى أعماق النفوس: تسليم القلب للقلب، (و قلبى لقلبكم سلم)، فان انسجام القلوب، و تلاقى القلوب، و تفاهم القلوب من أسمى معانى و مصاديق (السلم).ثم (التبعية المطلقة) و الانقياد و التسليم فى مقام العمل (و أمرى لأمركم متبع) و هو يؤول الى التسليم لأمر الله تعالى.و الموقف هنا ايمان مطلق، و تسليم مطلق، و ثقة مطلقة فى النفس... و يستتبعه الالتزام الكامل، و التبعية الكاملة فى مقام العمل.و ورد فى زيارة الحسين عليه السلام الخاصة فى يوم عرفة (انى سلم لمن سالمكم، و حرب لمن حاربكم، و ولى لمن والاكم و عدو لمن عاداكم الى يوم القيامة). [۳۶۰]

.و فی زیارة الأربعین الخاصة: (أشهد أنی بکم مؤمن، و بایاکم موقن، بشرائع دینی و خواتیم عملی، و قلبی لقلبکم سلم، و أمری لأمرکم متبع، و نصرتی لکم معدة حتی یأذن الله لکم، فمعکم معکم، لا مع عدوکم، صلوات الله علیکم و علی أرواحکم و أجسامکم و شاهدکم و غائبکم). [۳۶۱] . [صفحه ۲۴۰] فالنصرة معدة و جاهزة انتظر فیها اذن الله تعالی.

معکم، معکم

ثم بعد ذلک یأتی هذا التشیید الولائی الرائع... و هذه النغمة الایمانیة العذبة... (فمعکم، معکم، لا مع عدوکم...).بالتأکید، بتکرار المعیة (فمعکم، معکم...) و بالسلب و الایجاب... و الولاء و البراءة (لا مع عدوکم). نردد هذه التلبیة الولائیة لداعی الله، الذی وقف یوم عاشوراء فی کربلاء... یدعو البشریة الی العودة الی الله و تحطیم الطاغوت، و کسر کبریائه و جبروته، و العودة الی عبودیة الله.(لبیک داعی الله، ان کان لم یجبک بدنی عند استغاثتک، و لسانی عند استنصارک، فقد أجابک قلبی...) [۳۶۲] .و ان أفضل التلبیة تلبیة القلب... فاذا فاتتنا تلبیة داعی الله بأبداننا فی کربلاء، فان قلوبنا التی عمرها الله تعالی بولائه و ولاء أولیائه لا تنفک عن الاستجابة لدعوته، و بمقارعة الظالمین، و کسر شوکتهم و سلطانهم، و تعبید الناس لله، و تحکیم شریعة الله تعالی و حدوده فی حیاة الانسان، و انتزاع الانسان من محور الطاغوت الی محور الولاء لله تعالی.

البراءة

و الوجه الآخر لمسألة الولایة البراءة... و لا ولایة من دون البراءة.. و الولاء و البراءة و جهان لقضیة واحدة. [صفحه ۲۴۱] و یصدق الانسان فی ولائه بقدر ما یصدق فی البراءة... فان الولاء وحده لا یکلف الانسان کثیرا... و أکثر مما یصیب الانسان من أذی و عناء فی أمره البراءة.. و لیس من الصعب من أن یجامل الانسان الجمیع... و یمد یده الی الجمیع، و یعیش مع الکل بسلام، و یداری کل العواطف و الأحاسیس، و یلعب علی کل الحبال... و یتجنب الصدام مع الجمیع، و یوزع الابتسامة فی کل مکان و یرضی الجمیع... أن مثل هذا الانسان یستطیع أن یعیش فی رغد و عافیة، و یستطیع أن یکسب ود الجمیع و تعاطفهم... و یستطیع أن یعیش من دون مشاکل و متاعب... ولکن لا یستطیع أن یرتبط بمحور الولایة الالهیة علی وجه الأرض، و لا یستطیع أن ینتمی الی هذه الاسرة المسلمة، التی أعطت ولاءها لله و لرسوله و لأولیائه، و لا یستطیع أن یملک موقفا، و لا یستطیع أن یحب و یبغض و یرضی و یسخط بصدق... و لا یستطیع ان یتجاوز حدود المجاملة السیاسیة و الاجتماعیة فی علاقاته... ان الصدق فی التعامل، و الموقف من الأحداث، و القوة و الحریة و الصراحة فی المواقف لا تتم من دون ولاء... و الولاء لا یتم من دون براءة... و البراءة تکلف الانسان الکثیر فی علاقاته الاجتماعیة، و صلاته فی المجتمع و فی الاسرة و فی راحته و عافیته، و فی استقراره... و هذه حقیقة من ورائها حقائق کثیرة. أن البراءة ضریبة الولاء... و التعب و العناء و الأذی ضریبة البراءة و هذه معادلات أجراها الله تعالی، بسنته التی لا تتبدل فی حیاة الانسان.عن أبی جعفر الباقر علیه السلام قال: (عشر من لقی الله عزوجل بهن دخل الجنة، شهادة أن لا اله الا الله، و أن محمدا رسول الله، و الاقرار بما جاء من عند الله، و اقام الصلاة، و ایتاء الزکاة، و صوم شهر رمضان، و حج البیت، و الولایة لأولیاء الله، و البراءة من أعداء الله، و اجتناب کل مسکر). [۳۶۳] . [صفحه ۲۴۲] فالفاصلة بین الاسلام و الکفر هی الولایة.و عن رسول الله صلی الله علیه وآله قال:«... ان أوثق عری الایمان، الحب فی الله، و البغض فی الله، و توالی ولی الله، و تعادی عدو الله» [۳۶۴] .و عن الرضا علیه السلام: (روی أن الله أوحی الی بعض عباد بنی اسرائیل و قد دخل قلبه شیء:«أما عبادتک لی فقد تغررت بی، و أما زهدک فی الدنیا فقد تعجلت الراحة، فهل والیت لی ولیا و عادیت لی عدوا؟ ثم أمر به الی النار نعوذ بالله منها...». [۳۶۵] .

ولاء الأعور

روی أن رجلا قدم علی أمیرالمؤمنین علیه السلام: (فقال یا أمیرالمؤمنین أنی أحبک و أحب فلانا و سمی بعض أعدائه.. فقال له علیه السلام: أما الآن فأنت أعور، فاما أن تعمی و اما أن تصبر). [۳۶۶] .و رؤیة الأعور، نصف الرؤیة، فهو یری باحدی عینیه فقط. [صفحه ۲۴۳] و کذلک ولاء الانسان الذی یفقد البراءة... و لا یجرأ علی البراءة... و یرید أن یجمع بین الکل.. و یرضی الجمیع.و مثل هذا النمط من الناس لا یبقی أعورا الی آخر عمره، بنصف الرویة.. فاما یهدیه الله تعالی فتکتمل لدیه الرؤیة، و اما أن یفقد هذه الرؤیة النصفیة، الضعیفة، فیعمی، و یفقد الولاء مطلقا.و قیل للصادق علیه السلام: (ان فلانا یوالیکم الا أنه یضعف عن البراءة من عدوکم، فقال علیه السلام: هیهات... کذب من ادعی محبتنا، و لم یتبرأ من عدونا). [۳۶۷] .و السائل، فی هذا الحدیث، دقیق فی طرح السؤال، أن الشخص الذی هو موضع السؤال لا یشک فی ولائه ولکنه یضعف عن البراءة، و ضعفه یجعل موقفه من البراءة مهزوزا و ضعیفا، و لا یملک القوة الکافیة فی أن یعلن عن موقفه فی الولاء و البراءة، و الوصل و الفصل، و الارتباط و المقاطعة، بشکل صریح و حاسم.فیجیبه الامام علیه السلام: ان الولاء الصادق لا یمکن أن ینفصل عن البراءة، و من یجد فی نفسه ضعفا عن البراءة، فهو کاذب فی ولائه.و فی حدیث الاعمش عن الامام الصادق علیه السلام قال: (حب أولیاء الله واجب، و الولایة لهم واجبة، و البراءة من أعدائهم واجبة... و البراءة من الناکثین و القاسطین و المارقین واجبة، و البراءة من الانصاب و الازلام و أئمة الضلال و قادة الجور کلهم، أولهم و آخرهم واجبة). [۳۶۸] .و عن أبی محمد الحسن العسکری عن آبائه علیهم‌السلام قال، قال رسول الله صلی الله علیه وآله لبعض أصحابه ذات یوم: (یا عبدالله احب فی الله، و ابغض فی الله، و وال فی الله، [صفحه ۲۴۴] و عاد فی الله، فأنه لا تنال ولایة الله الا بذلک، و لا یجد رجل طعم الایمان، و ان کثرت صلاته و صیامه حتی یکون کذلک. و قد صارت مؤاخاة الناس فی یومکم هذا أکثرها فی الدنیا، علیها یتوادون، و علیها یتباغضون و ذلک لا یغنی عنهم من الله شیئا.فقال له: و کیف لی أن أعلم أنی قد والیت و عادیت فی الله عزوجل؟ و من ولی الله عزوجل حتی او الیه؟ و من عدوه حتی اعادیه؟فأشار له رسول الله صلی الله علیه وآله الی علی علیه السلام. فقال: أتری هذا؟ فقال: بلی. قال: ولی هذا ولی الله فواله. و عدو هذا عدو الله فعاده. قال وال ولی هذا ولو أنه قاتل أبیک و ولدک، و عاد عدو هذا ولو أنه أبوک أو ولدک). [۳۶۹] .و هذا المضمون قد ورد تأکیده فی حدیث الغدیر المعروف، و المروی عن رسول الله صلی الله علیه وآله.(من کنت مولاه فهذا علی مولاه، اللهم وال من والاه، و عاد من عاداه، و انصر من نصره، و اخذل من خذله).و قد استوفی العلاقة حجة الحق السید میر حامد الحسین الکهنوی رحمه الله فی عبقات الأنوار و العلامة الأمینی رحمه الله فی الغدیر دراسة هذا الحدیث الشریف من حیث السند و المتن.و قد صدر العلامة الأمینی کتابه القیم (الغدیر) بحدیث عن رسول الله صلی الله علیه وآله فی هذا المعنی نود أن نختم به أحادیث الولاء و البراءة...عن رسول الله صلی الله علیه وآله قال: (من سره أن یحیی حیاتی، و یموت مماتی، و یسکن [صفحه ۲۴۵] جنة عدن التی غرسها ربی فلیوالی علیا من بعدی، و لیوالی ولیه، و لیقتد بالأئمة من بعدی، فأنهم عترتی، خلقوا من طینتی، و رزقوا فهما و علما، و ویل للمکذبین بفضلهم، من امتی، القاطعین فیهم صلتی، لا أنالهم الله شفاعتی). [۳۷۰] .

الطوائف الثلاثة الملعونة

و قد ورد اللعن و البراءة فی زیارة وارث لثلاثة امم و طوائف:(فلعن الله امة قتلتک.و لعن الله امة ظلمتک.و لعن الله امة سمعت بذلک فرضیت به). [۳۷۱] .و الطائفة الأولی: هی الطائفة التی باشرت قتال الحسین علیه السلام، (لعن الله امة اسرجت و الجمت و تهیأت و تنقبت لقتالک یا مولای یا أباعبدالله). [۳۷۲] .و الطائفة الثانیة: هی الطائفة التی ظلمت الحسین علیه السلام و جارت علیه، و مکنت منه، و شایعت، و بایعت، و ظاهرت علیه، و خالفته. و هذه الطائفة تشمل کل اولئک الذین اعدوا القتال الحسین علیه السلام، أو مکنوا منه، أو خالفوه، أو ظاهروا علیه، أو ساهموا فی الاعداد لقتاله، أو أعانوا الطاغیة فی قتاله بطریقة أو اخری... و أشیاع هؤلاء جمیعا و اتباعهم.و قد ورد اللعن و البراءة من هذه الطائفة، فی طائفة واسعة من الزیارات بصیغ [صفحه ۲۴۶] مختلفة. ففی زیارة عاشوراء

المخصوصة:(فلعن الله أمة أسست أساس الظلم و الجور علیکم أهل البیت، و لعن الله امة دفعتکم عن مقامکم، و ازالتکم عن مراتبکم التی رتبکم الله فیها.. و لعن الله امة قتلتکم و لعن الله الممهدین لهم بالتمکین من قتالکم، برئت الی الله و الیکم منهم و من أشیاعهم و اتباعهم). [۳۷۳] .و أیضا جاء فی زیارة عاشوراء (و أبرأ الی الله و رسوله ممن أسس أساس ذلک - الظلم و الجور علیکم أهل البیت - و بنی علیه بنیانه و جری فی ظلمه و جوره علیکم و علی أشیاعکم برئت الی الله و الیکم منهم). [۳۷۴] .و هذه الطائفة واسعة تشمل کل اولئک الذین ساهموا فی قتال الحسین أو مکنوا من قتاله أو أعدوا له أو بایعوا الطاغیة علی قتاله أو شایعوا أو ظاهروا علیه...

الطائفة الثالثة الشریحة الراضیة

و الطائفة الثالثة: هی الطائفة التی سمعت بذلک فرضیت به.و هذه الطائفة تستوقف الانسان طویلا فمن هم اولئک الذین سمعوا بذلک فرضوا به؟ان هذه الطائفة لیست بالتأکید مشارکة فی القتال و لا هی مشارکة فی ممارسة الظلم بصورة عملیة، و لا کانت تدخل ضمن الطائفة الاولی أو الثانیة و الا لم یکن من موجب لافرادها بالذکر ثالثا. [صفحه ۲۴۷] فهذه الطائفة لابد أن تکون ممن سمعوا استنصار الحسین علیه السلام و لم ینصروه و آثروا العافیة علی الوقوف بجانب سیدالشهداء فی معرکة الطف... و خذلوا سیدالشهداء علیه السلام و لم ینصروه فی یوم عاشوراء... و هذه الطائفة لابد أن تکون راضیة بما حدث فی یوم عاشوراء...فلا یمکن أن یتم هذا الخذلان و السکوت و القعود عن نصرة ابن بنت رسول الله صلی الله علیه وآله فی معرکته مع طاغوت عصره و القعود بعد ذلک عن أخذ ثاره لولا انهم کانوا راضین بما حدث.أن تخلف هؤلاء عن الالتحاق بالحسین علیه السلام و تقاعسهم عن نصرة الحسین، و ایثارهم للعافیة فی دنیاهم علی آخرتهم، ینطوی علی الرضا بما قام به یزید... و ان لم یکن کذلک فان کل هذا التخلف و التقاعس و ایثار العافیة یؤدی أخیرا الی الرضا بالظلم...و قد ذکرت هذه الطائفة فی نصوص اخری للزیارة بصیغ مختلفة کلها تصب فی معنی التخاذل عن نصرة (أبی عبدالله الحسین) علیه السلام و التقاعس عن الالتحاق به و ایثار العافیة علی الوقوف الی جانب سیدالشهداء علیه السلام.فقد ورد فی الزیارة المطلقة الثانیة:(لعنت أمة قتلتکم و امة خالفتکم و امة جحدت ولایتکم و امة ظاهرت علیکم و امة شهدت و لم تستشهد...). [۳۷۵] .و موضع الشاهد الفقرة الأخیرة (و امة شهدت و لم تستشهد).و ورد فی الزیارة المطلقة السابعة:(و أشهد ان قاتلک فی النار، ادین الله بالبراءة ممن قتلک و ممن قاتلک و شایع [صفحه ۲۴۸] علیک، و ممن جمع علیک، و ممن سمع صوتک و لم یعنک). [۳۷۶] .و موضع الشاهد، (و ممن سمع صوتک و لم یعنک).و ورد فی زیارة لیلة القدر و لیلة العیدین:(أشهد أن الذین خالفوک و حاربوک، و الذین خذلوک و الذین قتلوک ملعونون علی لسان النبی الامی). [۳۷۷] .و واضح فی هذا النص ان الطوائف الثلاثة الملعونة هی:۱- الطائفة التی خالفت و ظلمت.۲- و الطائفة التی قاتلت الحسین و قتلت.۳- و الطائفة التی خذلت الحسین علیه السلام و لم تلب دعوة الحسین علیه السلام و لم تنصره، فالذین سمعوا صرخة الحسین علیه السلام فی وجه یزید و سمعوا نداء الحسین علیه السلام و هو یستنصر المسلمین فلم یتحرکوا، و خذلوا سید شباب أهل الجنة، و آثروا عافیة دنیاهم علی سلامة الآخرة، و تخلفوا عن الالتحاق بالحسین علیه السلام... اولئک من أهل البراءة، و من الذین یستحقون اللعن.

عاشوراء، یوم الفرقان

ان معرکة الطف کانت معرکة حقیقیة فی الأبعاد العقائدیة و الحضاریة و السیاسیة.و لذلک فهی تتطلب مواقف حقیقیة من الولاء و البراءة، و ترفض التفرج و اللامبالات.. [صفحه ۲۴۹] فطبیعة المعارک و الصراعات الحضاریة و العقائدیة انها تشطر الناس شطرین، مخالف و موافق، و یجری هذا التشطیر و الانقسام بصورة مستمرة فیما بعد و الی ما شاء الله من العصور.و معرکة الطف فی القمة من هذه المعارک و الصراعات، نظرا الی المواجهة و المقابلة العقائدیة و الحضاریة و السیاسیة التی تمت فی هذه المعرکة... و لوضوح الطرفین فی اتجاهاتهما العقائدیة و الحضاریة، فلم یکن خافیا أمر الحسین ابن بنت رسول الله و سید شباب أهل الجنة علی أحد من

المسلمین، کما لم یکن خافیا أمر یزید بن معاویة ابن آکلة الأکباد... و سلالة الشجرة الملعونة فی القرآن علی أحد، و لا أحد یشک ماهیة و حقیقة الطرفین المتصارعین... و من منهما کان یدعو الی الله، و من منهما کان یخالف ارادة الله و یعصی الله.هذه المأساة و المواجهة التاریخیة شطرت الناس، شطرین متمیزین...الشطر الأول: الموالی و الناصر و المنتمی و المرتبط و المساند...و الشطر الثانی: المخالف و المعادی.و هذا الصراع لم یدع أحدا یقف بین الصفین لیتفرج علی المعرکة من دون أن یصیبه غبار من هذا الطرف أو ذاک.فلابد من موقف محدد من ولاء أو براءة.و لذلک قلنا أن هذه المعرکة شطرت الناس فی الولاء و البراءة شطرین متمیزین من سنة احدی و ستین هجریة.. الی یومنا الحاضر و الی ما شاء الله من العصور.

ابعاد و امتدادات المواجهة لیوم الفرقان

و لقد کان یوم بدر (یوم الفرقان) الأول فی تاریخ الاسلام، یقول تعالی: (یوم [صفحه ۲۵۰] الفرقان، یوم التقی الجمعان). [۳۷۸] .و هو أول مواجهة قتالیة بین التوحید و الشرک فی تاریخ الاسلام...و علی نتائج هذه المواجهة المیدانیة کان یتوقف مصیر البشریة جمیعا.صحیح ان الذین وقفوا مع رسول الله صلی الله علیه وآله فی بدر ثلاثمائة أو یزیدون، و ان الذین وقفوا الی جانب قریش لقتال رسول الله صلی الله علیه وآله ألف أو یزیدون قلیلا الا ـ أن هذه المواجهة کانت أعمق و أوسع مما یتراءی لنا لأول مرة من خلال التاریخ فی وادی بدر فی السنة الثانیة بعد الهجرة.فقد کان یقف من وراء المشرکین من قریش فی بدر جبهة عریضة من الشرک فی الجزیرة و خارجها... و تصاعد الأحداث بعد هذا الیوم أثبت هذه الحقیقة... و لقد وقف رسول الله صلی الله علیه وآله بهذه العصابة الصغیرة أمام جبهة الشرک العریضة.فیوم بدر اذن فرق الناس الی شطرین متمایزین فی الولاء:شطر قوامه ثلاثمائة و خمسة مقاتلین.و شطر قوامه جبهة الشرک العریضة و بکل امکاناتها الواسعة.فهو (یوم الفرقان) الأول حقا فی تاریخ الاسلام.أن النظرة الساذجة الاولی لساحة بدر، فی السنة الثانیة من الهجرة لا تلتقی الا بهذین الجمعین الصغیرین المتقاتلین... ولکن النظرة العمیقة الممعنة تلتقی فی هذه الساحة بحضارتین و عقیدتین تتصارعان علی البقاء، و فی جبهات عریضة واسعة و لیس مع ألف من المقاتلین أو یزیدون فقط..و لم یکن یوم بدر (یوم الفرقان) الذی یشطر الناس فی الولاء و البراءة الی [صفحه ۲۵۱] شطرین فی السنة الثانیة من الهجرة فقط، و انما یظل هذا الیوم یوم فرقان فی تاریخ الاسلام الی أن یأذن الله بنهایة الأرض.

یوم الفرقان الثانی فی تاریخ الاسلام

و اذا کان یوم بدر (یوم الفرقان) الأول فی تاریخ الاسلام.فان یوم عاشوراء (یوم الفرقان) الثانی فی تاریخ الاسلام.کان یقف فیه الحسین علیه السلام مع ثلة صغیرة من أهل بیته و أصحابه.و فی الجانب الآخر، یقف ابن‌زیاد مع جیش واسع، و من ورائه یزید و سلطانه و ملکه الواسع و أمواله الکثیرة و امکاناته، و کل الموالین له و المستفیدین منه.ففی یوم عاشوراء اذن نجد کل خصائص (الفرقان)... فقد شطر الناس الی شطرین متمایزین فی الولاء و الاخلاق و الفکر و الخط و العقیدة..و لا یزال هذا الیوم (فرقانا) فی تاریخ الاسلام، یفرق الناس فی الولاء و البراءة الی أن یاذن الله بنهایة الأرض.

یوم الفرقان الثالث فی تاریخ الاسلام

و ما دمنا قد أشرنا الی یومین من أیام (الفرقان) فی التاریخ الاسلامی:یوم بدر، و یوم عاشوراء، فلا نستطیع ان نتجاوز هذا الحدیث دون أن نشیر الی الیوم الثالث من أیام (الفرقان) فی تاریخ الاسلام الحدیث، و الذی یأتی امتدادا لیوم بدر، و یوم عاشوراء.و هو یوم انتصار الثورة الاسلامیة فی ایران. و الذی هو من أیام الله الکبری فی التاریخ.. هدم الله تعالی فیه عرش أکبر امبراطوریة فی آسیا، تحمیه أضخم الأجهزة السریة و العلنیة و أکبر قلعة للاستکبار فی المنطقة. یحمیها سادس قوة [صفحه ۲۵۲] عسکریة فی العالم، و

ذلک بقیادة الامام الخمینی قدس سره.ان هذا الیوم لا یعنی فقط سقوط نظام اسرة بهلوی فی تاریخ ایران، و انما یعنی نهایة مرحلة من التاریخ، و بدایة مرحلة جدیدة فی تاریخ الاسلام. فان سقوط اسرة بهلوی، و قیام الجمهوریة الاسلامیة یعتبر نهایة لعصر من الخمول و الرکود و الاستضعاف و الیأس و الارتماء فی أحضان الغرب و الشرق... و التخلف الفکری و الثقافی و السیاسی و العسکری و الاقتصادی... و الهزیمة النفسیة... و بدایة عصر جدید من التحرک باتجاه حاکمیة دین الله علی وجه الأرض، و فک القیود و الاغلال من الأیدی و الاقدام... و کسر الطوق السیاسی، و الاقتصادی، و العسکری، و العلمی، و الحضاری، الذی فرضه الاستکبار الغربی و الشرقی علی العالم الاسلامی... و العودة الی الله، و تعبید الانسان لله، و تحکیم شریعة الله فی حیاة الانسان، و اعادة الأعراف و القیم و الأخلاق، و الحدود الاسلامیة الی صلب الحیاة من جدید... و بالاجمال مرحلة جدیدة للتاریخ... ان هذا الیوم امتداد حقیقی لیوم عاشوراء، کما کان یوم عاشوراء امتدادا واقعیا لیوم صفین و بدر.

انتصار الثورة الاسلامیة منطلق ثوری، و قیمة حضاریة

و نلخص فیما یلی أبرز نقاط و عناصر هذه الثورة المبارکة:ان هذه الثورة، ثورة مبدئیة بکل معنی الکلمة... و هی نوع جدید من العمل و الحرکة الثوریة فی تاریخنا المعاصر... و حدث سیاسی بارز لا شبیه له فی الأحداث المعاصرة... و صراع جدید بین التوحید و الشرک... بین التوحید فی الولاء و الشرک فی الولاء... فهی تتجه لفک ارتباط الانسان المسلم بالاستکبار الشرقی و الغربی... و فک ارتباطه بمحاور الولاء المصطنعة: (القومیة، الوطنیة، العشائریة، الحزبیة...) و ربط ولائه بالله تعالی، و رسوله و أولیائه، و توحید الولاء [صفحه ۲۵۳] لله تعالی... و مقاطعة و محاربة کل المحاور الاخری التی تعمل لانتزاع الولاء من الناس.تلک کانت طبیعة الثورة و محتواها...أن من المهم أن نفهم نحن مسار الثورة الاسلامیة المعاصرة و محتواها، و من دون ذلک لا نستطیع أن نساهم أو ندعم أو نساند هذه الثورة.انها لیست ثورة علی التخلف العلمی و التقنی... و لا هی ثورة علی التخلف الاقتصادی و الفقر الاجتماعی... و لا هی ثورة ضد الاستعمار.. و لا هی ثورة من أجل تحریر آبار النفط من قبضة ملوک النفط... أو من الشرکات الاحتکاریة... و لا هی ثورة طبقة علی طبقة اخری (صراع طبقی)... کما حدث فی ثورة الزنج فی تاریخ الاسلام... و ان کانت تحتوی علی کل هذه الامور، و تطمح لکل هذه المکاسب، و تحقق هذه النتائج کلها ان شاء الله، الا أنها فی جوهرها شیء آخر، أنها ثورة الولاء لله تعالی، علی الولاء للطاغوت... و ثورة التوحید علی الشرک... و ثورة الاسلام علی الجاهلیة الحدیثة...و هی اذا حققت غایتها علی وجه الأرض فسوف تقضی علی التخلف العلمی و الثقافی و التقنی، و تقضی علی الفقر و التخلف الاقتصادی، و تقضی علی الاستثمار و الاستعمار، و تقضی علی الاحتکار، و علی الشرکات الاستعماریة، و تقضی علی التلاعب بأموال المسلمین و ثرواتهم، و تقضی علی الاستضعاف و الاستکبار، و علی استضعاف طبقة لطبقة اخری، و ممارسة السیادة لطبقة علی اخری... ان هذه الثورة سوف تحقق کل هذه الغایات، و غایات اخری أبعد من هذه و أسمی منها ان شاء الله.. ولکن علی أن تحافظ علی جوهرها و محتواها الحقیقی... ثورة التوحید علی الشرک.ان السمة البارزة و الاولی لهذه الثورة هی: (الربانیة)، و هذه السمة هی التی [صفحه ۲۵۴] تربطها ببدر و صفین و عاشوراء و بحرکة الأنبیاء علیهم‌السلام و بمسار الصالحین من أولیاء الله.و متی أفرغت الثورة من هذه السمة، و تشبعت بالأهداف و الشعارات الجانبیة... فقدت کل قیمتها، و فقدت تأیید الله تعالی لها... ان هذه الثورة تختلف اختلافا جوهریا عن کل الثورات المعاصرة لنا کالثورة الفرنسیة، و ثورة اکتوبر، و الثورات التی قامت فی القارة الأفریقیة و فی آسیا بعد الحرب العالمیة الثانیة. و الثورات فی المنطقة العربیة..ان الکثیر من هذه الثورات کانت ثورات طبقیة، ثورة طبقة مستضعفة علی طبقة مستأثرة... أو ثورات تحرریة من الاستعمار و سیطرة الأجنبی... أو القضاء علی أنظمة دیکتاتوریة... أو حکام مجرمین...و لا نستطیع أن نستثنی ثورة معاصرة عن هذه المنطلقات.و الثورة الاسلامیة هی الوحیدة التی انطلقت من منطلق آخر یختلف اختلافا نوعیا عن هذه الثورات جمیعا.. انطلقت باتجاه تحریر الانسان من المحاور البشریة للولاء، مهما کان نوعها... ان لم یکن مرتبطا بالله تعالی، و تعبید الانسان لله تعالی، و تحکیم شریعته فی حیاة

الانسان. و ترسیخ محور الولایة الالهیة بکل امتداداتها فی حیاة الانسان.

تراکم من الفعل و الحراب الفعل و الانفعال

ان هذه الثورة حصیلة جهود کثیرة و کبیرة، من قبل کل العاملین فی سبیل الله و طلائع العمل الاسلامی، من الذین وعوا محنة تخلف الامة و تحملوا المسؤولیة، و نهضوا بأعباء المسؤولیة، ان هؤلاء جمیعا لهم دور فی بناء قواعد هذه الثورة، و فی انجاز هذه الحرکة الربانیة علی وجه الأرض، و فی تحریک هذا السیل [صفحه ۲۵۵] البشری الهادر الذی زعزع مکان الطاغوت.. أن الطالب الذی کان یدعو الی الله و رسوله و الی تحکیم شریعة الله، بین زملائه الطلبة، له دور فی بناء هذه الثورة، و العامل الذی کان یبث الوعی الاسلامی فی صفوف اخوانه العمال، له دور فی هذه الثورة، و الخطیب الذی کان یخطب فی المساجد و الاجتماعات، و ینشر هدی الاسلام و وعیه، له دور فی هذه الثورة، و العالم، و الکاتب، و الشاعر، و الأدیب، و المعلم و کل حملة الرسالة، من النساء و الرجال، و الذین وضعوا حجرا فی أساس هذه الثورة من مشارق الأرض و مغاربها، لهم دور و حظ فی هذه الثورة المبارکة...ان هذه الثورة التی زلزلت الأرض تحت اقدام الطغاة، لم تکن حصیلة فترة زمنیة محدودة. و جهد جماعة من العاملین، و انما کانت حصیلة أجیال من العمل فی سبیل الله من قبل کل العاملین فی حقول العمل الاسلامی... کما أن هذه الثورة حصیلة کل الآلام و الحرمان و الاضطهاد و العذاب و العناء الذی لاقاه المسلمون فی مرحلة الرکود و الضعف... و ساهم فی هذه الثورة کل الشهداء الذین اضطهدوا فی سبیل الله... و کل من التفت السیاط علی جسمه فی غیابات السجون... و کل الدموع و الدماء و الآهات... و کل الهجرات التی کانت فی سبیل الله..أجل ان هذه الثورة کانت انفجارا هائلا لکل هذه الآلآم و المحن... ولو کان الأمر فی هذه الثورة الاسلامیة یقتصر علی العامل الثانی: (رکام الآلآم و العذاب) لکان من الممکن أن تغلب علی هذه الثورة الصفة الانفعالیة... الا أن وجود العامل الأول و قوته و فعالیته فی تحقیق هذه الثورة المبارکة کان عاملا قویا فی توجیه الثورة و تصحیح مسارها و المحافظة علیها من الانحراف.

محاولات لأقلمة الثورة

فلیست هذه الثورة ثورة اقلیمیة کما یحاول أعداء الاسلام أن یصفوها، و کما [صفحه ۲۵۶] تنطلی أحیانا علی بعض السذج من المسلمین، و لیست ثورة اسلامیة ایرانیة، و انما هی ثورة اسلامیة شاملة... و شاء الله تعالی أن تکون نقطة انفجار هذه الثورة أرض ایران... و الشعب الذی یفجر هذه الثورة، الشعب الایرانی المسلم.و أیة محاولة لأقلمة هذه الثورة و عزلها عن مشاعر و أحاسیس و قلوب المسلمین خیانة لهذه الامة، ان کانت من قبل أعداء هذه الامة و المتربصین بها سوء... أو من أبناءها الذین لم یعوا خطورة هذا الدور... ان عزل الثورة الاسلامیة عن مشاعر المسلمین، و عن الرأی العام الاسلامی و تطویقها یعد خیانة کبری و مقدمة للاجهاز علیها.و یجب علینا کمسلمین أن نواجه هذه المؤامرات بوعی و انتباه، و بعیدا عن جو الحساسیات... و فی جو من المسؤولیة الشرعیة.ان هذه الثورة بدایة لانفجار شامل و ثورات اسلامیة کثیرة علی وجه الأرض. و لیست تلک الثورات شیئا آخر غیر هذه الثورة، و لا امتداد لها، و انما هی مراحل مختلفة لثورة واحدة، شاء الله تعالی أن تتم المرحلة الاولی منها فی ایران، و فی أحضان هذا الشعب المسلم الشجاع.أرایت خط الزلزال ینطلق من نقطة و یمتد علی منطقة واسعة من الأرض، بفعل التفاعلات غیر المرئیة فی طبقات الأرض... کذلک هذه الثورة.

التفاعلات التی کانت تجری فی الأعماق غیر المرئیة لهذه الامة

لقد تم فی عمق هذه الامة تفاعلات واسعة وکبیرة و قویة... بتأثیر الفعل (العامل الأول) و الانفعالات (العامل الثانی) فی غیاب من رصد الأستکبار العالمی... و حیث کان الاستکبار العالمی یزهو بانتصاراته الکبرة فی العالم الاسلامی، و یعیش فی نشوة هذه

الانتصارات علی العالم الاسلامی... جرت هذه [صفحه ۲۵۷] الانفعالات فی اعماق الامة اسلامیة، و تفاعلت و تفاقمت... ثم کانت الثورة التی تشبه الزلزال... فاهتزت الأرض من تحت أقدام حکام الغرب و أتباعهم و لم ینتبه هؤلاء الطغاة من نشوة و سکر السلطان الا بعد أن حدث الزلزال.أن الذی حدث فی طهران کان شیئا أکبر بکثیر من تصوراتنا المحدودة... و کان تحقیقا لوعد الله سبحانه و تعالی للصالحین المستضعفین من عباده فی هذه الامة، (و نرید أن نمن علی الذین استضعفوا فی الأرض و نجعلهم أئمة و نجعلهم الوارثین و نمکن لهم فی الأرض). [۳۷۹] .و علینا قبل کل شیء أن نعی بصورة جیدة الأبعاد الحقیقیة لهذه الثورة، و أن ننشر هذا الوعی فی صفوف المسلمین، لنحبط المؤامرات التی یحیکها أعداء الاسلام لتطویق و محاصرة الثورة الاسلامیة.أن الذی یقرأ کتب و محاضرات الامام الخمینی قدس سره، یجد وعیا دقیقا لهذه المؤامرة، و توجیها عملیا لاحباطها. و حرصا مسؤولا لوحدة و مصیر المسلمین، و لارتباطهم بالثورة سواء کانوا سنة و شیعة، عربا و فرسا، و تعمیم مسؤولیة المحافظة علی هذه الثورة علی المسلمین جمیعا..ان هذه الثورة من عمل و جهد و عناء کل المسلمین الصالحین، و رسالة هذه الثورة فک الاغلال و القیود، عن أیدی و أقدام کل المسلمین. و مسؤولیة المحافظة علی هذه الثورة من واجب کل المسلمین کذلک. و من أجل هذه الشمولیة الواسعة فی هذه الثورة.. نجد أن فکرة تصدیر الثورة رافقت ولادة.أن من یعرف طبیعة و جذور و أعماق هذه الثورة... یدرک أن هذه الثورة لا تعترف بالحدود الاقلیمیة، ولا بالنزعة القومیة... و انها لا تقف من وراء الحدود [صفحه ۲۵۸] تستأذن سدنة الحدود لیفتحوا الیها الطریق... انها السیل الذی لا یقف و لا یتردد و لا ینتظر.و نحن نضع هذه الحقائق فی طریق الثورة، و بین یدی هذه الامة المؤمنة و مفکریها و قادتها و علمائها و العاملین فی صفوفها... لیعرف کل واحد منا مسؤولیة أزاء هذا الحدث الکبیر.

الولاء و البراءة بعد الثورة

و هذه الثورة من أیام الفرقان فی تاریخ الاسلام انشطر الناس تجاهها الی شطرین:شطر الموالین...و شطر المعادین..و لیس للثورة ولاء جدید فی قبال الولاء لله و لرسوله و لأولیائه، و انما هو امتداد للولاء لله..أن هذه الثورة کانت من الأحداث القلیلة و النادرة فی التاریخ التی لم تسمح لانسان أن یقف منها موقف المتفرج و اللامبالاة و انما تفرض علی کل الناس أن یحکموا لها و علیها... و منذ أیام بزوغ هذه الثورة، و منذ أن اندلع لهیبها فی طهران وجدنا کل القلوب المؤمنة و الضمائر الحیة، قد تجمعت حول هذه الثورة و تعاطفت معها..و کانت تعیش باهتمام بالغ ساعات میلاد هذه الدولة المبارکة... و حبس التاریخ أنفاسه لیتابع لحظات هذا المیلاد... لحظات (عودة الحضارة الربانیة، و عودة سیادة الاسلام علی وجه الأرض).. و (حاکمیة الله فی حیاة الانسان).. بعد تلک السنوات العجاف من الرکود، و الخمول، و الضعف، و الهزائم النفسیة.. [صفحه ۲۵۹] و الانصهار المذل فی حضارة الاستکبار الشرقی، و الاستکبار الغربی... و نفوذ و سیطرة الکفر العالمی علی بلادنا و امتنا و ثرواتنا..و فی مقابل ذلک.. فقد أحس کل الظالمین العتاة و الجلادین و الذین باعوا دینهم و ضمائرهم، کل اولئک أحسوا بالشر و أحسوا بالخطر، و بأن هناک حدثا جدیدا، و میلادا جدیدا... و أن الذی یجری فی طهران لیس أمرا کسائر الامور التی تجری هنا و هناک... أنه نهایة لمرحلة، و بدایة لمرحلة، و نهایة لحضارة، و بدایة لحضارة..لقد أحس هؤلاء بالشر، و بالخطر یفاجؤهم علی حین غفلة.. فأعلنوا عدائهم تجاه الثورة منذ اللحظات الاولی لانطلاقتها... و لم یخفوا حقدهم و تخوفهم من هذه الثورة.لقد استقبلت الثورة طائفتان من الناس.الطائفة الاولی: استقبلتها بقلوب ملؤها العطف و الحب و الحماس و الاندفاع لنصرتها.. و الدعاء الی الله بتأییدها.الطائفة الثانیة: استقبلتها بقلوب حاقدة متخوفة متحسسة.. لم تتمکن من اخفاء هذا الحقد و الخوف و التحسس.و هذا الانشطار فی الولاء و البراءة فی خصائص أیام الفرقان فی التاریخ.. و لسوف تبقی هذه الثورة تحتفظ بهذه الخاصیة المزدوجة فی مراحلها المختلفة..

حتمیة الصراع

و لقد کان من الطبیعی أن یکون میلاد هذه الدولة المبارکة و استمرارها، ایذانا بصراع ممتد طویل بینها و بین الجاهلیة الحدیثة.. [صفحه ۲۶۰] فلا یمکن أن یسکت أو یهدأ الغرب أمام هذه الموجة الربانیة.. دون اثارة الفتن و المتاعب فی طریق دعاة هذه الثورة.. و دون أن تعمل علی تطویق و مصادرة هذه الثورة..أن الذی یتفهم سنن الله فی التاریخ، یستطیع أن یفهم بوضوح حتمیة هذا الصراع بین هاتین القوتین؛ القوة الاسلامیة النامیة... و قوة الکفر العالمی.. و أن هذا الصراع سوف یکون من أقسی أنواع الصراع و أطوله... ذلک أن هذا الصراع صراع من أجل البقاء.. و الصراع علی البقاء یطول و یقسو و یستمر.. لأنه صراع عقائدی حضاری... و لیس صراعا علی ماء و طین، و علی نفط و صلب و نحاس، حتی یمکن اللقاء و التفاهم فیها.و لا یمکن تجنب هذا بحال من الأحوال ان هذه الثورة و الدولة قد کسرتا دائرة النفوذ الاستکباری: الشرقی و الغربی، علی العالم الاسلامی، و خرجت الدولة الاسلامیة لأول مرة عن منطقة نفوذ القوی الکبری بشکل کامل، و تعمل الثورة الآن لفک هذا الحصار عن کل العالم الاسلامی... و من الطبیعی أن تواجه الاستکبار هذه الثورة و دولتها الناشئة بکل أنواع الضغوط و المؤامرات من الداخل و الخارج لتحجیمها و استهلاکها و تطویقها.

والعاقبة للمتقین

و العاقبة فی هذا الصراع للمتقین.و مهما نشک فی شیء فلا نشک فی هذه الحقیقة.أن الامة المؤمنة لا تدافع عن نفسها، و انما تدافع عن دین الله، و شریعة الله و حدوده.. و لا تواجه أعداءها و انما تواجه أعداء الله.. و لا تحارب بحولها و قوتها و انما تحارب بحول الله و قوته. [صفحه ۲۶۱] فاذا أستوفت هذه الامة الشروط، و وضعت ثقتها فی الله، و أعطت نفسها لله و ابتعدت عن التعلق بالدنیا و حبها... و تخلصت من أهوائها.. و قامت لله تعالی مثنی و فرادی... فان الله تعالی ینصرها، طال علیها الأمر أم قصر. فان ذلک وعد الله تعالی، و لا یخلف الله وعده... و استمعوا الی کتاب الله الکریم و آیاته لبینات:(و لقد سبقت کلمتنا لعبادنا المرسلین انهم لهم المنصورون و ان جندنا لهم الغالبون). [۳۸۰] .(و کان حقا علینا نصر المؤمنین). [۳۸۱] .(انا لننصر رسلنا و الذین آمنوا فی الحیاة الدنیا). [۳۸۲] .(فان حزب الله هم الغالبون). [۳۸۳] .(و کفی بالله ولیا و کفی بالله نصیرا). [۳۸۴] .(یا أیها الذین آمنوا ان تنصروا الله ینصرکم و یثبت أقدامکم). [۳۸۵] .ان المعرکة اذا طالت، و اذا قست، فلن یترکنا الله لأعدائنا، و لن یتخل الله تعالی عنا، و لن یخلف وعده... تبارک و تعالی عن ذلک علوا کبیرا.(هذا ما وعدنا الله و رسوله و صدق الله و رسوله). [۳۸۶] . [صفحه ۲۶۲]

لیحق الحق بکلماته و یقطع دابر الکافرین

و ان طالت هذه المحنة... فلکی یمتحن الله قلوب عباده، و یعرف الثابتین منهم عن المهزومین... و هو العالم بخفایا القلوب، و لکی یثبت الله للمؤمنین قدم صدق علی أرض المعرکة، و لکی یتخفف المؤمنون فی هذا الصراع من حب الدنیا و التعلق بها.و لکی یزدادوا یقینا بالله تعالی فی هذا الصراع.. فان الانسان لا یرزق الیقین فی ساعات الرخاء و الراحة و العافیة... مثل ما یناله فی الابتلاء... و لکی یتمرس المؤمنون علی مواجهة التحدیات الکبیرة... و تجاوز الصعاب فی سبیل الله و یزدادوا بأسا و قوة و ایمانا... و لکی یقوی فی قبولهم الولاء و البراءة... فان الولاء یقوی من خلال التضحیة و العطاء و البراءة، تقوی من خلال المواجهة و القتال.و لیس هذا الصراع و ما یستتبعه من آلام و عناء یخص هذه الثورة أو یخص هذا الدین، و انما هو سنة الله تعالی فی حیاة الصالحین من عباده، الذین یرتضیهم الله تعالی لرحمته و الذین یسکنهم الله تعالی جنته مع عباده الصادقین. (أم حسبتم أن تترکوا و لما یعلم الله الذین جاهدوا منکم و لم یتخذوا من دون الله و لا ـ رسوله و لا ـ المؤمنین و لیجة و الله خبیر بما تعملون). [۳۸۷] .(أم حسبتم ان تدخلوا الجنة و لما یأتکم مثل الذین خلوا من قبلکم مستهم البأساء و الضراء). [۳۸۸] .أن نفوسنا الضعیفة لتهوی أن تقتطف النصر من أقرب و أیسر الأسباب... و أن [صفحه ۲۶۳] لا یکلفها دینها شیئا... و أن نمد أیدینا فننال النصر و الامامة و الخلافة علی وجه الأرض..ولکن الله الحکیم.. یعلم أن النصر اذا جاء بیسر، و علی غیر طریق ذات الشوکة، لا یؤهل الانسان للامامة و خلافة الله علی وجه الأرض.فیرید الله

تعالی لنا أن نتمرس و نقوی، و نحقق حاکمیة دین الله فی الحیاة علی طریق ذات الشوکة.(و تودون أن غیر ذات الشوکة تکون لکم و یرید الله ان یحق الحق بکلماته، و یقطع دابر الکافرین لیحق الحق و یبطل الباطل ولو کره المجرمون). [۳۸۹] .و استمعوا الی هذه الآیات البینات من سورة آل عمران تشرح الصراع، و العناء، و المحنة، و النصر، و الفتح، فی تسلسل رائع جمیل:(و لا تهنوا و لا تحزنوا و انتم الاعلون ان کنتم مؤمنین ان یمسسکم قرح فقد مس القوم قرح مثله و تلک الأیام نداولها بین الناس و لیعلم الله الذین آمنوا و یتخذ منکم شهداء و الله لا یحب الظالمین و لیمحص الله الذین آمنوا و یمحق الکافرین أم حسبتم أن تدخلوا الجنة و لما یعلم الله الذین جاهدوا منکم و یعلم الصابرین). [۳۹۰] .و فی هذه الآیات المبارکة من سورة آل عمران اجابات شافیة علی کل الأسئلة التی تخطر علی بال المؤمنین فی هذا الصراع الرهیب بین الاسلام و الکفر..

تداول النصر و الهزیمة فی ساحة المعرکة

لقد کان المسلمون یظنون بعد أن نصرهم الله تعالی ببدر... أن النصر حلیف [صفحه ۲۶۴] الفئة المؤمنة دائما، لا یفارقهم و لا یعدوهم... و أنهم اذا آمنوا بالله و رسوله، و جاهدوا فی سبیل الله، فلن یختلف عنهم النصر فی حال من الأحوال، فلما أذاقهم الله مر الانتکاسة فی احد، و انتکس المسلمون فی هذه المعرکة عندما خالف الرماة أمر رسول الله صلی الله علیه وآله،و تخلفوا عن مواقعهم بحثا عن الغنائم.. اهتزت نفوس المسلمین.. و اهتزت الثقة فی نفوسهم بالنصر... و عادوا یشکون فی أن تکون لهم عاقبة الأمر، و غلب الضعف علی النفوس.. و تمکن الحزن فی نفوسهم علی الذین استشهدوا فی هذه المعرکة من سراة المسلمین ومن الصفوة المؤمنة، الذین صدقوا الله و أخلصوا له فی العمل و الجهاد...فیعید الله تعالی الی نفوسهم الثقة بالنصر أولا، و یطمئنهم بأن العاقبة للمؤمنین، مهما کانت القروح و الآلام و الانتکاسات و العناء خلال طریق ذات الشوکة.و یزیل الضعف و الوهن، و لا حزن علی نفوسهم و یثبت أفئدتهم و قلوبهم بالنصر و العلو..(و لا تهنوا و لا تحزنوا، و أنتم الأعلون، ان کنتم مؤمنین).ثم یذکرهم الله تعالی ان ما مسهم من القرح فی الحرب لم یخصهم فقط، و انما مس أعداءهم أیضا.. و هذا القرح و ما یصیب المقاتلین من أذی و تعب و خسائر من متطلبات المعرکة.. لا یمکن أن یخص طرفا دون الآخر.. و لا یمکن أن تجری معرکة من دون قروح..(... ان یمسسکم قرح فقد مس القوم قرح مثله). و قد جرت سنة الله تعالی أن یداول الأیام بین الناس، فیجعل یوما للمؤمنین علی الکافرین، و آخر للکافرین علی المؤمنین، و ینصر هؤلاء فی یوم و یذیقهم مر الانتکاسة فی یوم آخر.. و هکذا یداول بینهم النصر.. علی أن العاقبة للمؤمنین فقط. [صفحه ۲۶۵] و هذه المداولة لا تغیر مشیئة الله تعالی و تبقی العاقبة للمتقین.و انما یداول الأیام بین الناس، و یذیق المؤمنین الشدة و الرخاء و نشوة النصر حینا و مرارة الانتکاسة حینا آخر، لیتمیز الذین آمنوا و صدقوا فی ایمانهم و ثبتوا علی الایمان.. عن المنافقین و ضعاف النفوس و أصحاب النفوس المهزومة.

تمحیص و تهذیب المسیرة فی المجتمع

ان مسیرة الدعوة لو کانت محفوفة بالنصر دائما و مفروشة بالیسر و الرخاء، تراکمت علیها العناصر المنافقة التی تحسن التسلق علی الجدران العالیة، اولئک الذین یغیبون حین البأس، و یحضرون حین توزیع الغنائم، و تطول السنتهم فی المطالبة بالغنائم: (فاذا جاء الخوف رأیتهم ینظرون الیک تدور أعینهم کالذی یغشی علیه من الموت).ان مسیرة الدعوة ان کانت تخلو من المکاره و مرارة الانتکاسات تجمعت حولها طائفة واسعة من المنافقین و ضعفاء النفوس، و احتلوا منها المواقع الحساسة... و اذا ما تولت هذه الطائفة امور الدعوة و المسیرة تعطل دورها القیادی فی حیاة الناس، و فقدت الدعوة قدرتها علی التغییر و القیادة، و تحولت الدعوة من طریق ذات الشوکة فی مواجهة الطاغوت.. الی مسیرة مترفة عامرة باللذات و متع الحیاة، و فقدت کل امکاناتها علی العمل و التغییر و الحرکة، کما حصل ذلک فی عصر بنی‌امیة و بنی‌العباس.فلابد فی هذه المسیرة بین حین و آخر من انتفاضة قویة تطرد فیها المنافقین

و ضعفاء النفوس عن موکب هذه الدعوة، و تستخلص المؤمنین الأقویاء الذین صدقوا ما عاهدوا الله علیه، و أخلصوا لله فی عملهم.فلیست مسیرة هذه الدعوة کسائر ما یألفه الناس من مسیرات الأنظمة [صفحه ۲۶۶] و الحکومات التی تطلب الحیاة الودیعة المترفة و البعیدة عن المتاعب و المنغصات.. فان هذه الحیاة الودیعة و المترفة تجعل جو الدعوة مرتعا للمنافقین و ضعفاء النفوس، فاذا تعرضت هذه المسیرة للآلآم و المحن و المصائب...و متاعب الطریق و الدم و الانتکاسات المرة صفا جو الدعوة للمؤمنین.. و تخلصت هذه المسیرة للصفوة الصادقة من المؤمنین و المجاهدین، و یتمیز المؤمنون عندها عن غیرهم (و لیعلم الله الذین آمنوا).

متی یتخذ الله الشهداء فی هذه الامة قیمین علی المسیرة؟

و لیس هذا فقط فائدة تداول الأیام، و تناوب النصر و الهزیمة و الشدة و الرخاء علی المؤمنین.و انما یفیدهم عندما یزید الله تعالی أن یتخذ منهم شهداء و قدوات و قیمین علی حیاة البشریة.. فمن خلال الابتلاءات و المحن التی تتناوب علیهم یؤهلهم الله تعالی لموقع الشهادة و القیمومة علی الناس، و یتخذ منهم شهداء و قیمین.و من خلال هذه المعاناة، و من خلال مرارة الانتکاسات، و قرح الحروب و آلام المواجهة تتکون فی هذه الامة شهداء علی الناس و أئمة و قدوات فی المجتمع، و أمثلة فی الصبر و الثبات و المقاومة.ان النماذج الایمانیة الفریدة فی تاریخ البشریة لا تتکون فی الحیاة الهادئة الودیعة، المترفة.. و انما تتکون فی زحام متاعب الحیاة، و فی وسط متاعب العمل، و بین الدماء و الدموع. و لابد للمسیرة من هذه النماذج الفریدة فی الایمان و الثبات.. و هذه النماذج یتخذها الله تعالی و یختارها فی ظروف المحنة و التداول.. (و یتخذ منکم شهداء). [صفحه ۲۶۷]

التمحیص و التهذیب داخل النفوس

و لهذا التداول فائدة ثالثة فی تکوین هذه الامة و تقویم شخصیتها و ذلک هو تمحیص المؤمنین و تزکیتهم و تطهیر قلوبهم من ریب الشک و من سلطان الهوی و تخلیص نفوسهم من نقاط الضعف.. فان الشدة و المعاناة، کما تنقی صفوف المؤمنین من المنافقین.. کذلک تنقی قلوب المؤمنین من نقاط الضعف و النفاق و الوهن و الشک، و تمحص المؤمنین.أما بالنسبة الی الکافرین فان المعاناة و المحنة تمحقهم و تهلکم و تبیدهم.. فلا یستطیع اولئک أن یقاوموا المعاناة و المحنة.(و لیمحص الله الذین آمنوا و یمحق الکافرین).

درجات المؤمنین فی الجنة علی قدر معاناتهم فی الدنیا

فلیس من الصحیح أن نتصور أن کل من شهد الشهادتین، و أسلم أو آمن بالله و رسوله یدخل الجنة بدرجة واحدة.فان فی الناس منافقین لا تتجاوز الشهادتان السنتهم، و لا تستقر فی قلوبهم..و المؤمنون درجات و مراتب فی ایمانهم، فلیس کلهم بمستوی واحد من الایمان و العمل الصالح.فهناک المؤمنون الذین یؤثرون العافیة علی الجهاد و القتال فی سبیل الله، و هناک المؤمنون المجاهدون الصابرون.. و من الخطأ أن نتصور أن هؤلاء جمیعا فی الجنة درجة واحدة.. فلکل درجته و مرتبه و مکانته عند الله.و هذه المرتبة و المکانة تتحدد فی ظروف المحنة فقط، حیث یتمیز المؤمن من المنافق، و یتمیز الصابرون عن غیرهم من المجاهدین.. [صفحه ۲۶۸] (أم حسبتم ان تدخلوا الجنة و لما یعلم الله الذین جاهدوا منکم و یعلم الصابرین).

دولة الموطئین

و هذه الثورة المبارکة بدایة انعطاف کبیر فی تاریخ و حضارة الانسان، و أمر ذو وبال و ذو خطر کبیر فی حیاة الانسان و مستقبله..و الذی یستقرء الروایات الواردة عن رسول الله صلی الله علیه وآله و عن أهل بیته، لا یشک أن هذه الثورة بخصائصها البارزة و قیادتها سوف تمهد للانقلاب الکبیر فی تاریخ الانسان و هو ظهور الامام المهدی من آل محمد (عجل الله تعالی فرجه).و أن الیوم الموعود

الـذی وعـدنا الله به و رسوله بقیـام دولـة الاسـلام الکبری.. و تمکین المستضـعفین من الأرض.. قیام الامام المهـدی بثورته الکبری فی الأرض.. لقریب ان شاء الله..و أن هـذه الثورة توطیء الأرض لتلک الثورة الکبری و تمهد الامة لظهور و قیام القائم من آل محمد علیه السـلام.و فیما یلی ننقل اضـمامة من هـذه الروایات:عن عبدالله بن مسـعود قال: أتینا رسول الله صـلی الله علیه وآله فخرج الینا مستبشـرا یعرف السرور فی وجهه، فما سألناه عن شیء الا أخبرنا به، و لا سکتنا الا ابتدأنا... حتی مرت فتیة من بنی هاشم فیهم الحسن و الحسین فلمـا رآهم التزمهم و انهملت عینـاه.. فقلنـا: یـا رسول الله مـا نزال نری فی وجهک شـیئا تکرهه؟فقال: انا أهل بیت أختار الله لنا الآخرة علی الدنیا، و أنه سـیلقی أهل بیتی من بعدی تطریدا و تشریدا فی البلاد حتی ترتفع رایات سود من المشرق فیسألون الحق فلا یعطونه، ثم یسألونه فلا یعطونه، ثم یسألونه فلا یعطونه، فیقاتلون [صـفحه ۲۶۹] فینصـرون.. فمن أدرکهم منکم و من أعقابکم فلیأت امام أهل بیتی ولو حبوا علی الثلج، فانها رایات هدی یدفعونها الی رجل من اهل بیتی یواطیء اسـمه اسـمی و اسم أبیه اسم أبی فیملک الأرض فیملؤها قسـطا و عدلا کما ملئت جورا و ظلما». [۳۹۱] .و روی المجلسـی فی بحار الأنوار عن الامام الباقر علیه السـلام قال:(کأنی بقوم قد خرجوا بالمشـرق یطلبون الحق فلا یعطونه ثم یطلبونه، فاذا رأوا ذلک و ضـعوا سیوفهم علی عواتقهم.. فیعطون ما سألوا فلا یقبلونه، حتی یقوموا، و لا یدفعونها الا الی صاحبکم (أی المهدی علیه السلام) قتلاهم شهداء: أما انی لو أدرکت ذلک لأبقیت نفسی لصاحب هذا الأمر). [۳۹۲] .و روی فی البحار عن بعض أصـحابنا قال: کنت عند أبی عبدالله علیه السـلام جالسا اذ قرأ هذه الآیة: (فاذا جاء وعد اولاهمـا بعثنـا علیکم عبـادا لنـا اولی بأس شدیـد فجاسوا خلال الـدیار و کان وعـدا مفعولا) فقلنا جعلنا فـداک من هؤلاء؟ فقال ثلاث مرات: (هم والله أهـل قم، هم والله أهل قم، هم والله أهل قم). [۳۹۳] .و روی فی البحار عن أبی الحسن الرضا علیه السـلام قال: (رجل من أهـل قم یـدعو النـاس الی الحق یجتمع معه قوم کزبر الحدیـد لاـ تزلهم الریاح و العواصف، و لا یملون من الحرب و لا یجبنون، و علی الله یتوکلون، و العاقبة للمتقین). [۳۹۴] .و روی فی البحار عن علی بن میمون الصائغ عن الامام الصادق علیه السلام قال: [صفحه ۲۷۰] (و سـیأتی زمـان تکون بلـدة قم و أهلهـا حجـة علی أهل الخلائق و ذلک فی زمان غیبـة قائمنا الی ظهوره، و لولا ذلک لساخت الأرض بأهلها).و روی بأسانیـد اخری ایضا عن الامام الصادق علیه السـلام أنه ذکر الکوفـة و قال: (سـتخلوا کوفـة من المؤمنین و یأزر عنها العلم کما تأزر الحیـة، یظهر العلم ببلـدة یقال لها قم و تصـیر معـدنا للعلم و الفضل حتی لا یبقی فی الأرض مستضـعف فی الدین حتی المخـدرات فی الحجـال، و ذلک عنـد قرب ظهور قائمنا، فیجعل الله قم و أهله قائمین مقام الحجـة، ولو لا ذلک لساخت الأرض بأهلهـا و لم یبق فی الأرض حجـة فیفیض العلم منه الی سائر البلاد فی المشـرق و المغرب فتتم حجـة الله علی الخلق حتی لا یبقی أحد علی الأـرض لم یبلغ الیه الـدین و العلم. ثم یظهر القـائم و یصـیر سـببا لنقمـة الله و سـخطه علی العباد لأن الله لا ینتقم من العباد الا بعد انکارهم حجته). [۳۹۵] .و قال صاحب تفسـیر الکشاف فی تفسیر قوله تعالی: (و ان تتولوا یستبدل قوما غیرکم ثم لا یکونوا أمثالکم). [۳۹۶] .قال: و سـئل رسول الله صـلی الله علیه وآله عن القوم و کان سـلمان الی جنبه فضرب علی فخذه و قال هذا و قومه. [۳۹۷] .هذه اضـمامة من الروایات التی تشـیر الی اسـتمراریة هذه الثورة المبارکة حتی ظهور الامام المهدی من آل محمد صلی الله علیه وآله و أن هذه الثورة المبارکة سوف تمهد لظهور و قیام الامام المهدی عجل الله فرجه ان شاء الله. [صفحه ۲۷۳]

المتخلفون عن ثورة الامام الحسین

الضحاک بن عبدالله المشرقی

(و علی الثلاثة الذین خلفوا حتی اذا ضاقت علیهم الأرض بما رحبت و ضاقت علیهم أنفسـهم و ظنوا أن لا ملجأ من الله الا الیه ثم تاب علیهم لیتوبوا ان الله هو التواب الرحیم). [۳۹۸] .

الصراع فی مرحلتی التنزیل و التأویل

مرت هذه الدعوة خلال مسيرتها بمرحلتين من الصراع: مرحلة التنزيل و مرحلة التأويل.الأولى: فی حياة رسول الله صلی الله عليه وآله.و الثانية: تبدأ بخلافة أميرالمؤمنين علی بن أبی‌طالب عليه السلام.فی المرحلة الأولی: كان الصراع يدور حول محور«التنزيل». و كانت الجاهلية المتمثلة يومذاك فی مشركی قريش و حلفائها و اليهود و حلفاؤهم يتصدون لنفی«التنزيل»و انكار علاقة هذا الدين بالله تعالی و نزول القرآن من لدن الله تعالی. [صفحه ۲۷۴] و استمر هذا الصراع قائما فی حياة رسول الله صلی الله عليه وآله كلها. و انجلی هذا الصراع عن هزيمة قريش و اليهود أمام الدعوة و انتصارها.و يبدو لأول و هلة أن الجاهلية انسحبت عن مواقعها الهجومية أمام حركة الدعوة، و استسلمت و انقادت... الا أننا عندما نمعن النظر فی تأريخ الاسلام نجد أن الجاهلية بدأت تخطط بعد وفاة رسول الله صلی الله عليه وآله للالتفات علی هذه الدعوة و تحريفها والدس فيها و تشويه مفاهيمها.و أحس ورثة الثورة بهده المؤامرة الجديدة، و عرفوا قادة المؤامرة، و بدأت المرحلة الثانية من الصراع حول محور«التأويل»و أبرز المعارك فی هذه المرحلة من الصراع:«صفين»و«الطف».و الذی ينعم النظر فی التأريخ الاسلامی يجد أن«صفين»و«الطف»امتداد ل«بدر»و«احد»و أن الذين حاربوا عليا و الحسن و الحسين عليهم‌السلام فی صفين و الطف هم الذين قاتلوا رسول الله صلی الله عليه وآله من قبل فی بدر و احد.و رحم الله عمار بن ياسر فقد كان يقول فی صفين لبعض من أنكر عليه محاربة معاوية و عمرو بن العاص:«هل تعرف صاحب الراية السوداء المقابلة لی؟ فانها راية عمرو بن العاص قاتلتها مع رسول الله ثلاث مرات، و هذه الرابعة، ما هی بخيرهن و لا أبرهن، بل هی شرهن و أفجرهن».و قال لمن تردد يومئذ فی قتال معاوية مع الامام علی عليه السلام:«أشهدت بدرا و احدا و حنينا، أو شهدها لك أب فيخبرك عنها؟قال: لا، قال فان مراكزنا علی مراكز رايات رسول الله صلی الله عليه وآله يوم بدر و يوم احد و يوم حنين، و ان هؤلاء علی مراكز رايات المشركين من الأحزاب».«هل ترى هذا المعسكر و من فيه؟ فوالله لوددت أن جميع من أقبل مع [صفحه ۲۷۵] معاوية ممن يرى قتالنا مفارقا للذی نحن عليه، كانوا خلقا واحدا فقطعته و ذبحته، والله لدماؤهم جميعا أحل من دم عصفور، أفترى دم عصفور حراما؟». [۳۹۹] .

شريحة المتخلفين عن الصراع

و فی كل صراع ثلاثة أطراف، الطرفان المتصارعان و الطرف المتفرج المتخلف، و الطرف الثالث أكثر تعقيدا من الطرفين الآخرين المتقاتلين فی ساحة الصرع و القتال، و فهم هذا الطرف«المتفرج»علی الساحة أشق من فهم الطرفين الآخرين.و قد أعطی القرآن الكريم اهتماما كبيرا بتحليل هذا الطرف بالذات، و الآية المباركة التی صدرنا بها الحديث من سورة التوبة المباركة واحدة من الآيات القرآنية فی استعراض و تحليل هذه الشريحة المتخلفة من المجتمع الاسلامی يومذاك.و نحن فی هذه الدراسة نحاول أن نستغرض نموذجا من المتخلفين عن ثورة الحسين عليه السلام ندرس و نحلل مواقفهم.و لا يكاد يختلف المتخلفون عن معركة«الطف»عن المتخلفين عن معركة«حنين»فی عهد رسول الله صلی الله عليه وآله الا أن تبوك تدور حول محور«التنزيل»و الطف تدور حول محور«التأويل».و الصراع هو الصراع، ليس علی أرض، و لا علی مال، و انما هو صراع حضاری حول الاسلام و الجاهلية، و تعود الجاهلية هذه المرة بعد أن انكسرت [صفحه ۲۷۶] شوكته، فی بدر، و احد، و الأحزاب، و حنين، و من داخل صفوف المسلمين لتعاود الصراع مع الاسلام بتحريف الاسلام عن مسيره الصحيح و تشويه مفاهيمه و أفكاره و اصوله والدس فيه.و الصراع هذه المرة كأی صراع حضاری يحمل نفس الضراوة و العنف و لا يقبل الهدنة و لا الصلح.و لما كان الصراع فی الطف نفس الصراع فی حنين فان المتخلفين هنا هم من شريحة المتخلفين هناك، و المواقف نفس المواقف، والقوانين و السنن فی هؤلاء و اولئك نفسها، و لنتأمل فی نموذج من هؤلاء المتخلفين عن الحسين عليه السلام.

خبر الضحاك بن عبدالله المشرقی

اشاره

و هـذا نمـوذج من المتخلفين عن الحسـين عليه السـلام و قصـته معروفـة فی کتب السـيرة.رافق الامـام الحسـين عليه السـلام الی سـاحة المعرکـة و دخل المعرکـة معه و قاتل قتال الأبطال و أبلی بلاء حسـنا فی القتال، استحسـنه الامام ولکنه اشترط علی الامام عليه السـلام منـذ أن التحق به أن يجعله فی حل منه اذا دارت دائرة الحرب عليه، و لم يعـد ينفعه قتاله و دفاعه عنه.فلما رأی أن المعرکـة قـد دارت علی الحسين عليه السلام و وجد أن الحسين و أهل بيته و أصحابه عليهم‌السلام لا محالة مقتولين، و لم يعد ينفع الحسين قتاله و دفاعه، اسـتأذن الحسـين عليه السـلام أن يترک ساحـة القتال و ينجو بنفسه، فأذن له الحسـين کما وعـده من قبل، فهرب الضـحاک بن عبدالله المشـرقی بنفسه من ساحـة المعرکـة و ترک الامام و من معه من أهل بيته و أصـحابه للقتل فی ساحـة المعرکـة و نجا بنفسه.فلنقرأ أولا خبر الضـحاک بن عبـدالله المشـرقی بروايـة الطبری من أبی‌مخنف، [صـفحه ۲۷۷] ثم نحـاول أن نحلل هـذا الخبر.روی أبومخنف عن الضـحاک بن عبدالله المشـرقی، قال: قدمت و مالک بن النضـر الأرحبی علی الحسين، ثم جلسنا اليه، فرد علينا، فرحب بنا، و سألنا عما جئنا له؟فقلنا: جئنا لنسـلم عليک، و نـدعو الله لک بالعافيـة، و نحـدث بک عهـدا، و نخبرک خبر الناس و انا نحدثک أنهم قد أجمعوا علی حربـک، فر رأيـک.فقـال الحسـين عليه السـلام:«حسبی الله و نعم الوکيـل».قـال: فتـذممنا، و سـلمنا عليه، و دعونـا الله له، قال:«فما يمنعکمـا من نصـرتی؟»فقـال مالک بن النضـر: علی دين ولی عيال، فقلت له: ان علی دينا و ان لی لعيالا، ولکنک أن جعلتنی فی حل من الانصـراف اذا لم أجـد مقاتلا، قـاتلت عنـک ما کان لک نافعا و عنک دافعا، قال:«فأنت فی حل». [۴۰۰] .قال أبومخنف:«حدثنی عبدالله بن عاصم عن الضـحاک بن عبدالله المشـرقی قال: لما رأيت أصـحاب الحسـين قد أصـيبوا و قد خلص اليه و الی أهل بيته و لم يبق معه غير سويـد بن عمرو بن أبی المطـاع الخثعمی و بشـير بن عمرو الحضـرمی قلت له: يـابن رسول الله قـد علمت مـا کـان بينی و بينـک، قلت لـک: أقاتل عنک ما رأيت مقاتلا، فاذا لم أر مقاتلا فأنا فی حل من الانصـراف، فقلت لی:«نعم»، فقال:«صـدقت، و کيف لک بالنجاة؟ ان قـدرت علی ذلک فأنت فی حل»، قال: فأقبلت الی فرسـی، و قد کنت حيث رأيت خيل أصـحابنا تعقر أقبلت بها حتی أدخلتها فسـطاطا لأصحابنا بين البيوت، و أقبلت أقاتل معهم راجلا، فقتلت [صفحه ۲۷۸] يومئذ بين يدی الحسين رجلين، و قطعت يد آخر و قال لی الحسـين يومئذ مرارا:«لا تشلل، لا يقطع الله يدک، جزاک الله خيرا عن أهل بيت نبيک صلی الله عليه وآله، فلما أذن لی اسـتخرجت الفرس من الفسـطاط ثم اسـتويت علی متنها ثم ضـربتها حتی اذا قامت علی السنابک رميت بها عرض القوم، فأفرجوا لی و أتبعنی منهم خمسة عشر رجلا حتی انتهيت الی«شفية»قرية قريبة من شاطیء الفرات، فلما لحقونی عطفت عليهم فعرفنی کثير بن عبدالله الشـعبی و أيوب بن مشـرح الخيوانی و قيس ابن عبدالله الصائدی، فقالوا: هذا الضـحاک بن عبدالله المشرقی هذا ابن عمنا ننشدکم الله لمـا کففتم عنه، فقـال ثلاثـة نفر من بنی تميم کانوا معهم: بلی والله لنجيبن اخواننا و أهل دعوتنا الی ما أحبوا من الکف عن صاحبهم، قال: فلما تابع التميميون أصـحابی کف الآخرون، قال: فنجانی الله». [۴۰۱] .و قال السماوی فی«ابصار العين»:«بقی الضحاک بن عبدالله المشرقی مع الحسين عليه السلام حتی اذا أمر ابن سعد بالرماة فرموا أصحاب الحسين و عقروا خيولهم أخفی فسره فی فسطاط، ثم نظر فاذا لم يبق مع الحسـين الا سويد«بن عمر»و بشـر بن عمرو الحضـرمی فاسـتأذن الحسين، فقال له:«کيف لک النجاة؟، قال: ان فرسی قد أخفيته فلم يصب فأرکبه و أنجو، فقال له:«شأنک فرکب و نجا بعد لأی». [۴۰۲] .

تأملات فی خبر الضحاک

اشاره

أقبل الضـحاک بن عبـدالله المشـرقی، و مالک بن النضـر الأرحبی علی [صـفحه ۲۷۹] الحسـين عليه السـلام ليسـلما عليه، و ليجددا به العهد، کما فی روايـة أبی مخنف، و يظهر أن هذا اللقاء تم فی موقع کربلاء«الطف»بعد ما اسـتقر الحسـين عليه السـلام بأهله و أصـحابه فيه، و لم يکن فی الطريق، و قبـل أن يحاصـر الحسـين عليه السـلام، فقـد اسـتأذن مالـک بن النضـر الأرحبی الحسـين عليه السـلام فی

الانصراف، و انصرف من دون أن یواجه مشکلة من قبل الجیش الاموی.و یظهر من الروایة أنهما کانا عارفین بموقع الحسین علیه السلام و حقه و ذمته و حرمته فی الاسلام و موقعه من رسول الله صلی الله علیه وآله.ففی روایة أبی مخنف:«فتذممنا، و سلمنا علیه، و دعونا الله له».و التذمم بمعنی حفظ الذمام، و حفظ العهد و الحق و الحرمة، کما فی المدونات اللغویة.اذن، فهما قد عظما و أکبرا ما علی ذمتهما من حق الحسین و حرمته و عهده، فلما أراد الانصراف استوقفهما الحسین علیه السلام و قال لهما:«فما یمنعکما من نصرتی؟».و یلفت نظرنا أن الامام یسألهما عما یمنعهما من نصرته قبل أن یسألهما النصرة و یدعوهما الیها.و کأن فی خروج الحسین علیه السلام علی یزید بتلک العصابة القلیلة الی العراق ما یغنی عن الدعوة و الاستنصار، فلا حاجة مع ذلک الی أن یستنصر أحدا أو یدعوه، ففی خروج الحسین علیه السلام الی العراق دعوة و استنصار لکل المسلمین، و للحسین علیه السلام حق و حرمة علی ذمة کل المسلمین.اذن یسأل الضحاک و صاحبه:«فما یمنعکما من نصرتی؟»أما مالک بن النضر الأرحبی فقد أراح نفسه و أراحنا بوضوحه و صراحته [صفحه ۲۸۰] فی الاعتذار عن الاستجابة للحسین و التخلف عنه، فقال:«علی دین ولی عیال»فأعرض عنه الحسین علیه السلام، و انصرف هو لشأنه، فقد أقبلت السعادة و التوفیق علیه فأعرض عنها.و أما الضحاک بن عبدالله المشرقی، فأجاب الحسین علیه السلام بجواب معقد، شدید الالتواء و التعقید، فلا هو رفض دعوة الحسین، و أعرض عنها، کما رفضها صاحبه و أعرض عنه، و لا هو استجاب للحسین علیه السلام و قبل عنه، کما استجاب له أهل بیته و أصحابه.و لنتأمل فی جواب الضحاک، فانه یمثل شریحة واسعة من النفوس و المواقف ازاء«الدعوة».و اننا ندرس من خلال الضحاک بن عبدالله فی موقع الطف، و من خلال المتخلفین فی موقع حنین شریحة کبیرة فی التأریخ الاسلامی، و شریحة کبیرة فی تأریخنا المعاصر، و نحاول أن نرسم أبعاد هذه الشریحة فی حیاتنا المعاصرة، و نشخص نقاط الضعف فی شخصیتها عسی أن نقوم من سلوکها ما یمکن تقویمه.و سوف نجعل جواب الضحاک للحسین علیه السلام فی موضع التأمل و الدراسة ضمن مجموعة من النقاط:

الاعتذار

اشاره

قدم الضحاک أول ما قدم الاعتذار للامام علیه السلام بما علیه من دیون و مال، شأنه فی ذلک شأن صاحبه، فقال:«ان علی دینا و ان لی لعیالا».و أول ما یلفت نظرنا فی هذا الجواب، أن الضحاک و مالک بن النضر لم یختلفا فی الجواب، فکل منهما اعتذر عن تلبیة دعوة الحسین علیه السلام بالعیال و الدین، غیر [صفحه ۲۸۱] أن الضحاک استجاب لدعوة الحسین استجابة محدودة و مقیدة و مشروطة بعد أن اعتذر أولا، و أما صاحبه الأرحبی فلم یستجب مطلقا لدعوته.و فی هذا الاعتذار و الاستجابة المشروطة من التعقید ما لیس فی موقف صاحبه، و قد کان أحری به أن یستجیب استجابة محدودة ثم یعتذر، فلماذا قدم الاعتذار علی الاستجابة؟ ان فی الأمر لسرا کامنا فی أعماق نفس الضحاک، فعندما طلب الحسین علیه السلام منه النصرة تزاحمت فی نفسه حالة الشح و حالة الانفاق، فغلبت حالة الشح حالة الانفاق و سبقتها الی البروز، ولکن لم تصادر الحالة الاخری تماما، کما کان فی موقف مالک بن النضر الأرحبی.و لنتأمل اذن فی اعتذار الضحاک بعیاله و دیونه:ان الابتلاء بالدین و العیال من سنن الله فی حیاة الانسان، و قلما یشذ عنه انسان، شأنهما فی ذلک شأن غیرهما من سنن الله تعالی فی حیاة الانسان.فلابد للأنسان من عیال، و لابد أن یدخل مع الناس فی بیع و شراء، فیکون دائنا و مدینا، یطلب الناس و یطلبونه.

وجها الحیاة الدنیا

و الدین و العیال هما وجهان مختلفان للدنیا، فالعیال تعبیر عن تعلق الانسان بالدنیا و هو أحد وجهی الدنیا، و هو ما یسمیه القرآن

الکریم ب«الشهوات»و تجمع هذه الآیة الکریمة طائفة من هذه التعلقات:(زین للناس حب الشهوات من النساء و البنین و القناطیر المقنطرة من الذهب و الفضة و الخیل المسومة و الأنعام و الحرث ذلک متاع الحیاة الدنیا والله عنده [صفحه ۲۸۲] حسن المآب). [۴۰۳] .و الدین هو الوجه الآخر للدنیا، و هو وجه التبعات و المسؤولیات، و الدنیا هی عبارة عن تعلقات و تبعات، و من أجل لذة التعلقات یتحمل الانسان مرارة التبعات، و لابد لکل انسان من هذه التعلقات و من هذه التبعات و لا یشذ عن هذه السنة الالهیة فی الحیاة الا القلیل.و هذه (التعلقات) و (التبعات) بمجموعها هی العوائق فی طریق الانسان و حرکته الی الله تعالی، تعیق الانسان عن الله سبحانه، و قد أعاقتا فی هذه القضیة مالک بن النضر الأرحبی اعاقة کاملة، و أعاقتا الضحاک بن عبدالله المشرقی اعاقة ناقصة.فکیف نتعامل نحن فی الدنیا مع هذه العوائق؟ و ما هو موقف الاسلام منها؟ان الحل الذی یعطیه الاسلام للتعامل مع هذه العوائق«التعلقات و التبعات»دقیق فی غایة الدقة، و أکثر الذین شطوا فی فهم الحل الاسلامی لمسألة الدنیا بوجهیها کانوا ضحیة عدم الدقة فی تناول هذا الحل بأبعاده الکاملة.فلیس فی الاسلام أن یتخلی الانسان عن عیال أو دین، أو حتی أن یتخفف عنهما، و التخلی أو التخفف من العیال و المال من الرهبانیة التی یرفضها الاسلام.و قد کان رسول الله صلی الله علیه وآله یعیش مع الناس و یتزوج و یتعامل مع الدنیا، کما یتعامل غیره، و کان له عیال، و علیه دیون و تبعات، کما کان لغیره، و کان له بیت یضم عیاله، و کان یدخل السوق فی حاجاته و شؤونه کما کان الآخرین یعملون.و قوام الحل الاسلامی هو أن یتحرر الانسان من أسر العیال و المال، و لیس أن یتخلی أو یتخفف منهما، و بین الأمرین بون بعید، فلیس من الاسلام أن یتخلی [صفحه ۲۸۳] الانسان أو یتخفف من عیاله و ماله، ولکن من صلب الاسلام و تعلیماته و توجیهاته أن یتحرر الانسان من سلطان عیاله و ماله.فلا یرفض الاسلام البیت أو السوق فی حیاة الانسان، و لا یأمره أن یعتزل هذا أو ذاک، ولکن یرفض أن یتحول البیت أو السوق الی سجن فی حیاة الانسان یقیدان حرکته و یمنعانه عن الانطلاق و یحجزانه و یعیقانه عن الله تعالی.و بشکل أوضح و تعبیر أدق أن الاسلام یرفض أن یتحول العیال و المال فی حیاة الانسان الی عوائق تعیق حرکة الانسان،کما عاقت حرکة مالک بن النضر الأرحبی و الضحاک بن عبدالله المشرقی.

کیف تتحول العوائق الی منطلقات؟

و من عجب أن الطریقة الاسلامیة الصحیحة للتعامل و مع وجهی الحیاة الدنیا تحول هذین الوجهین من الدنیا«التبعات و التعلقات»من عوائق الی منطلقات، فتکون الدنیا للانسان منطلقا الی الله سبحانه و لیست عائقا، و یکون ماله و عیاله مادة لحرکته الی الله تعالی و منطلقا لعروجه الیه عزوجل.و الی هذه الحقیقة یشیر الامام علی أمیرالمؤمنین علیه السلام فی کلمته، و قد سمع رجلا یذم الدنیا، فقال له فیما قال:«ان الدنیا دار صدق لمن صدقها، و دار عافیة لمن فهم عنها، و دار غنی لمن تزود منها، و دار موعظة لمن اتعظ بها، مسجد أحباء الله، و مصلی ملائکة الله، و مهبط وحی الله، و متجر أولیاء الله، اکتسبوا فیها الرحمة، و ربحوا فیها الجنة، فمن ذا یذمها، و قد آذنت ببینها [۴۰۴] ، و نادت بفراقها، و نعت نفسها و أهلها، فمثلت [صفحه ۲۸۴] لهم ببلائها البلاء، و شوقتهم بسرورها الی السرور، راحت بعافیة، و ابتکرت [۴۰۵] بفجیعة، ترغیبا و ترهیبا، و تخویفا و تحذیرا، فذمها رجال غداة الندامة، و حمدها آخرون یوم القیامة، ذکرتهم الدنیا فتذکروا، و حدثتهم فصدقوا، و وعظتهم فاتعظوا» [۴۰۶] . و یقول علیه السلام فی کلمة اخری:«الدنیا دار ممر، لا دار مقر، و الناس فیها رجلان رجل باع نفسه بأوبقها، و رجل ابتاع نفسه فأعتقها». [۴۰۷] .

مقارنة بین زهیر بن القین و الضحاک

و لقد کان زهیر بن القین رحمه الله یملک من المال و العیال ما کان یملکه الضحاک ابن‌عبدالله، و کان یعیش فی دنیاه، کما کان یعیش الضحاک فی دنیاه، بل قد یکون حظ زهیر من الدنیا أعظم من حظ الضحاک، فقد کان زهیر بن القین رحمه الله زعیما فی قومه، وجیها فی بلده، و لم یحفل المؤرخون بأمر الضحاک و صاحبه فی شأن من شؤون الدنیا، و کان الضحاک أقرب الی الحسین

علیه السلام و أکثر میلا الیه من زهیر، فقد کان زهیر رحمه الله عثمانی الهوی، کما یذکر أصحاب السیر، و کان یحرص ألا یلتقی الحسین علیه السلام بمنزل فی طریقه الی العراق، فاذا وجد الحسین قد نزل منزلا فیه ماء نزل غیره، و أما الضحاک و صاحبه مالک بن النضر فقد قصدا الحسین فی کربلاء، و جلسا الیه، و دعوا له، و لم یکن یحدث شیء من ذلک لو لم یکن الضحاک و مالک بن النضر من شیعة الحسین علیه السلام و ممن تمیل الیه قلوبهم. [صفحه ۲۸۵] و مع ذلک کله فان«العیال و المال»قد أعاقاهما عن الالتحاق به بشکل کامل أو بشکل ناقص.و أما زهیر بن القین رحمه الله فقد رجع من عند الحسین علیه السلام و لم یستغرق اجتماعه بالامام فی أغلب الظن بضع دقائق، و قد أعد نفسه للوفود علی الله مع الحسین، و الانصراف الکامل عن الدنیا، فأقبل الی زوجته«دلهم»بنت عمرو (رحمها الله) و قال لها بقوة و عزم و فی نفس الوقت بسهولة و راحة:«الحقی بأهلک فانی لا أحب أن یصیبک بسببی الا خیرا»، ثم قال لمن معه:«من أحب منکم نصرة ابن رسول الله صلی الله علیه وآله و الا فهو آخر العهد» [۴۰۸] ، و لم یعقه عن ذلک مال و لا عیال.و قد کانت زوجته«دلهم»رحمها الله هی التی دفعته و شجعته علی الاستجابة لدعوة الحسین علیه السلام، فقد أصابه و أصاب رفاقه ذعر غریب عندما جاء رسول الحسین، و هو علی الطعام، یدعوه الی زیارة الامام، فصمت و صمتوا، و کأن علی رؤوسهم الطیر.فاخترقت المرأة المؤمنة الشجاعة«دلهم بنت عمرو»(رحمها الله) هذا الصمت و الذعر بقوة، و قالت لزوجها - و رسول الحسین یسمعها و یشهد الموقف -:«سبحان الله أیبعث الیک ابن بنت رسول الله ثم لا تأتیه، لو أتیته فسمعت کلامه؟!!». [۴۰۹] .و مع ذلک فلم یتوان زهیر عندما قرر الوفود علی الله تعالی مع الحسین أن یقول لزوجته دلهم - هذه المرأة الشجاعة -:«الحقی بأهلک».اذن لیست المسألة مسألة المال و العیال، و انما المسألة فی أمر آخر، فی طریقة [صفحه ۲۸۶] التعامل مع المال و العیال.و الفرق بین الضحاک و زهیر رحمه الله لم یکن فی أن الأول کان یملک من المال و العیال ما لا یملکه الثانی، و انما کان فی طریقة تعاملهما مع المال و العیال.فقد کان الضحاک و صاحبه الأرحبی أسیرین للمال و العیال، فأعاقهما عن الانطلاق مع الحسین، و کان زهیر بن القین متحررا من أسر المال و العیال، فلم یعیقاه عن الحرکة مع الحسین علیه السلام للوفود علی الله.

الاستجابة المشروطة

اشاره

و النقطة الثانیة فی جواب الضحاک أنه لم یرفض القتال الی جانب الحسین علیه السلام، و لم یعتذر بصورة مختلفة، کما اعتذر صاحبه مالک بن النضر، بل قاتل مع الحسین و ضرب الأعداء بین یدیه، و دعا له الحسین علیه السلام.و هذه نقطة اخری مشرقة فی موقف الضحاک من الحسین، فهو لیس من الذین و صفهم الفرزدق الشاعر بقوله:«قلوبهم معک و سیوفهم علیک»، و انما کان قلبه و سیفه مع الامام الحسین، و هو صادق فی هذا و ذاک، الا أنه لم یعط سیفه للحسین علیه السلام، و لم یضع سیفه تحت أمر الحسین الا بمقدار، و حدد لذلک شرطین:«اذا لم أجد مقاتلا قاتلت عنک ما کان لک نافعا و عنک دافعا»، و هذا شرط غریب.ان الضحاک یحصر نصرته للحسین علیه السلام بین شرطین:۱- أن یکون الحسین علیه السلام بحاجة الیه و لا یغنی عنه غیره.۲- و أن یکون قتاله دون الحسین علیه السلام نافعا له فان لم یکن هذا أو لم یکن ذلک فان الضحاک فی حل من أمره.و نحن لا یعجبنا أن نشکک فی صدق نیة الضحاک فی موقفه من الامام، رغم [صفحه ۲۸۷] فراره من الزحف فی اللحظات الأخیرة، و ترکه للامام علیه السلام فی أحرج اللحظات، و ایثاره للعافیة، فان لدینا - مع کل ذلک - من الشواهد ما یکفی لاثبات حسین نیة الضحاک، و صدقه فی الوقوف الی جنب الامام، و الدفاع عنه، الا أننا نجد عنده احساسا محدودا بالمسؤولیة تجاه الموقف، و تقتیرا شدیدا فی العطاء، فی اطار هذه المسؤولیة، و محاولة جادة فی اخضاع الانفاق فی سبیل الله لمعادلات دقیقة شدیدة التعقید.فهو یعطی من نفسه لله تعالی ولکنه عطاء مشروط، و محدود، و بحساب، و ضمن تقدیرات دقیقة، و لیس کما یقول الله تعالی:(ان الله اشتری من المؤمنین أنفسهم و أموالهم بأن

لهم الجنة). [۴۱۰] .و الدقة فی المحاسبة، و المحاسبة الدقیقة أمر جید لا نشک فی حسنه و فائدته، ولکن عندما یکون طرف المحاسبة هو نفس الانسان، وقد ورد فی الحدیث:«حاسبوا أنفسکم قبل أن تحاسبوا»، و أما عندما یکون طرف الحساب هو الله تعالی فان المحاسبة بهذه الدقة و ضمن هذه الشروط و القیود أمر قبیح الله مع الله سبحانه.و الضحاک هنا یتعامل مع الله تعالی، و ان کان طرف التعامل فی ظاهر الأمر هو الحسین علیه السلام.و لا یطلب الحسین علیه السلام أمثال الضحاک فی حرکته هذه، و انما یطلب لنصرته اولئک الذین یبذلون کل ما عندهم من الأنفس و الأموال لله تعالی، من دون حساب و شروط و حدود و قیود، فقد خطب علیه السلام فی الناس لما أراد الخروج من مکة الی العراق و قال: [صفحه ۲۸۸] «ألا و من کان فینا باذلا مهجته، موطنا علی لقاء الله نفسه، فلیرحل معنا، فانی راحل مصبحا ان شاء الله». [۴۱۱] .و لا شک أن هذا العطاء الشحیح خیر من النضوب، علی کل حال، ولکن أصحاب هذا العطاء المحدود لا یستطیعون أن یسایروا الحسین علیه السلام فی مثل هذه المرحلة.و أعتقد أن عبارة«لم یوافق»فی هذا الموضوع تساوی عبارة«لم یستطع»، فان الضحاک«لم یوافق»أن یقاتل من دون الحسین بلا حدود و قیوده و بنفس الملاک«لم یستطع»أن یساير الحسین الی الشوط الأخیر من رحلته.

العلاقة بین العمل و الجزاء

ان العمل و الجزاء نوعان من العطاء، العمل ما یقدمه الانسان لله تعالی و (الله غنی عن العالمین) [۴۱۲] و الجزاء عطاء الله للانسان فی مقابل عمله، العمل من الانسان، و الجزاء من الله سبحانه، و بین الجزاء و العمل صلة و علاقة یستعرضها القرآن الکریم بدقة و تفصیل، و لسنا الآن بصددها، و انما نحن بصدد اختلاف الجزاء من عند الله باختلاف العمل من جانب الانسان من حیث الحساب و اللاحساب، و هی مسألة جدیرة بالاهتمام و موضع الشاهد فی حدیثنا هذا، فان عطاء الانسان محدود علی کل حال الا أنه قد یعطی لله تعالی بحساب و مقدار، و قد یعطی من دون حساب و تقدیر. [صفحه ۲۸۹]

و هاتان طائفتان من الناس

۱- طائفة تعطی لله بحساب و تقدیر، کالضحاک بن عبدالله المشرقی، یعطی لله شیئا، و یحتفظ لنفسه بشیء، و اذا تواردت علی شیء ارادة الله تعالی و هواه قدم هواه علی ارادة الله سبحانه.۲- و طائفة اخری تعطی الله ما آتاها الله تعالی من غیر حساب و لا تقدیر، و هؤلاء هم الذین تقول عنهم الآیة الکریمة:(ان الله اشتری من المؤمنین أنفسهم و أموالهم بأن لهم الجنة). [۴۱۳] .هؤلاء اشتری منهم الله أنفسهم و باعوها لله تعالی، و قطعوا علاقتهم بأنفسهم، فهی لله عزوجل اشتراها منهم، و لا شأن له بها بعد، یصنع بها ما یشاء، و الثمن مقبوض«بأن لهم الجنة».فقد تم البیع و تم الشراء، و تم استلام الثمن، فلا یملک المؤمن من نفسه و ماله اذن شیئا، لیملک التقدیر و الحساب فی عطائه و بذله، فهی کلها لله تعالی یأخذ منها ما یشاء، و یدع منها ما یشاء، والله تعالی یجزی هؤلاء و اولئک علی نحوین من الجزاء: جزاء محسوب و محدود، و جزاء من غیر حساب، و ها نحن نشرح تفصیل هذا الأمر:ان الأجر الذی یعطیه الله لعباده فی مقابل أعمالهم کریم، و عظیم، و کبیر، و حسن، و غیر ممنون. و هذه خمسة أوصاف للأجر الذی یرزق الله عباده علی حسناتهم: [صفحه ۲۹۰] ۱- فهو أجر کریم: (من ذا الذی یقرض الله قرضا حسنا فیضاعفه له و له أجر کریم). [۴۱۴] .۲- و هو أجر عظیم: (للذین أحسنوا منهم و اتقوا أجر عظیم)، (و ان تؤمنوا و تتقوا فلکم اجر عظیم). [۴۱۵] .۳- و هو أجر کبیر: (و الذین آمنوا و عملوا الصالحات لهم مغفرة و أجر کبیر). [۴۱۶] .(فالذین آمنوا منکم و أنفقوا لهم أجر کبیر). [۴۱۷] .۴- و هو أجر حسن: (فان تطیعوا یؤتکم الله أجرا حسنا). [۴۱۸] .۵- و هو أجر غیر ممنون: (و ان لک لأجرا غیر ممنون). [۴۱۹] .(الا الذین آمنوا و عملوا الصالحات فلهم أجر غیر ممنون). [۴۲۰] .و هذه الأوصاف الخمسة عامة شاملة لکل أجر یرزق الله عباده ممن یعطی لله بلا حساب أو بحساب، الا أن الذین یعطون لله تعالی من دون حساب و تقدیر یحاسبهم الله فی السیئات حسابا یسیرا:(فأما من اوتی کتابه بیمینه فسوف یحاسب حسابا

یسیرا). [۴۲۱] . [صفحه ۲۹۱] هذا فی حساب السیئات، أما فی الحسنات فان لله تعالی نوعین من الأجر أجر محدود و بحساب، و أجر غیر محدود و من دون حساب.و الأول منهما للذین یعطون لله تعالی بحساب و تقدیر، و الثانی منهما للذین یعطون الله تعالی من أموالهم و أنفسهم بلا حساب و تقدیر.و لیس معنی الحساب و التقدیر من جانب الله المساواة بین العمل و الجزاء فی الحجم والکم، و انما معناه وجود التناسب بین العمل و الأجر.و أما عندما یکون عطاء العبد لله من دون حساب فان جزاء الله تعالی له یکون من غیر حساب و تقدیر، یقول سبحانه:(انما یوفی الصابرون أجرهم بغیر حساب). [۴۲۲] .و تستوقفنا هذه الآیة المبارکة من سورة النور طویلا فی شأن الجزاء عندما یکون العمل من جانب الانسان، من غیر حساب:(رجال لا تلهیهم تجارة و لا بیع عن ذکر الله و اقام الصلاة و ایتاء الزکاة یخافون یوما تتقلب فیه القلوب و الأبصار لیجزیهم الله أحسن ما عملوا و یزیدهم من فضله والله یرزق من یشاء بغیر حساب). [۴۲۳] .و هذه ثلاث خصائص للجزاء الالهی:الخاصیة الاولی: (لیجزیهم الله أحسن ما عملوا)، فالجزاء من عند الله لیس بأسوأ ما یعمل العبد و لا بمتوسط ما یعمل العبد، و انما بأحسن ما یعمله.و لابد من توضیح لهذه الفقرة من الآیة الکریمة:فان للناس فی الجزاء طریقین معروفین: [صفحه ۲۹۲] ۱- الجزء بأسوأ ما یعمل الطرف الآخر، فقد یحسن الانسان الی صاحبه عمرا طویلا ثم یسیء الیه مرة واحدة، فیجعل صاحبه هذه الاساءة میزانا لعلاقته به و ینسی کلما سبق له من فضل و احسان الیه، و هذا هو الجزاء بالأسوأ.۲- و قد یکون الجزاء فیما بین الناس بأوسط ما یفعلون، کما یقدر المدرسون درجات طلابهم بأوسط اجاباتهم فی الامتحانات و هو الحساب بالمعدلات.والله تعالی لا یجزی عباده بأسوأ ما یعملون و لا یجزیهم بأوسط ما یعملون، و انما یجزیهم بأحسن ما عملوا، و له الحمد رب العالمین.و الخاصیة الثانیة: للجزاء فی هذه الآیة المبارکة هی:«و یزیدهم من فضله»و لا علاقة لهذا بأعمالهم اطلاقا، فهو تعالی یزیدهم فی الجزاء من فضله بما یشاء و کیفما یشاء.و الخاصیة الثالثة:«والله یرزق من یشاء بغیر حساب»و هذا أعظم ما فی هذه الآیة، فان رزق الله تعالی لعباده یوم القیامة فی مقابل حسناتهم رزق من غیر حساب و لا تقدیر، فان العبد لو کان یعطی لربه مما آتاه من غیر حدود و لا حساب، فان الله تعالی أولی بأن یعطی عبده یوم القیامة من غیر حدود و لا حساب.

التحلل من الالتزام

اشاره

بعد أن یعتذر الضحاک الی الحسین علیه السلام بدیونه و عیاله، یطلب من الامام أن یجعله فی حل من الانصراف اذا شاء فیقول:«ولکنک ان جعلتنی فی حل من الانصراف اذا لم أجد مقاتلا- قاتلت عنک»، و الحل فی مقابل الالتزام، و لا یمکن أن یرتبط الانسان بالتزامین متعاکسین فی وقت واحد، فاذا کان الضحاک ملتزما [صفحه ۲۹۳] تجاه دیونه و عیاله، فمن الطبیعی أنه لا یستطیع أن یکون ملتزما تجاه الامام، و لابد من أن یتحرر من أحد الالتزامین، و قد آثر أن یتحرر من التزامه تجاه الحسین دون التزامه تجاه دیونه و عیاله، و الالتزام تجاه الحسین هو الالتزام تجاه الدعوة و الجهاد.

التزام و حل

و الضحاک یکشف لنا هنا عن موقف غریب فی سلوکه و تعامله مع عیاله و ماله من طرف و مع الله تعالی من طرف آخر.و لابد من أن نکشف فی هذه الوقفة هذا الموقف لتکتمل عندنا الصورة التی نرید أن نرسمها للضحاک من خلال جوابه للحسین علیه السلام فهو یطرح أولا عذره من خلال التزامه بالنسبة الی عیاله و دیونه، ثم یطلب ثانیا منه أن یکون فی حل من أمره عندما یرید الانصراف اذا لم یجد قتاله من دونه نافعا له.ثم یعرض علی الحسین علیه السلام استعداده للقتال و الدفاع عنه بصورة محدودة و مقیدة، فهو حسب هذا التسلسل الذی نجده فی جوابه للامام یقدم التزامه تجاه عیاله و دیونه أولا، ثم یطلب من الحسین علیه السلام أن یکون فی

حل من أمره ثانیا.و واضح أن هذا الالتزام الذی یحرض علیه الضحاک تجاه الدنیا، و هذا الحل الذی یطلبه الضحاک من الحسین تجاه الله أمر غریب فی شخصیة الضحاک، و قد کان أحری به و أجدر أن یکون حریصا بهذا الالتزام تجاه الله، و بهذا الحل و التحلل و التحرر تجاه الدنیا.ان تفکیر الضحاک بن عبدالله فی هذا الموقف تفکیر محتاط و متحفظ بصورة غریبة، فهو فی الوقت الذی یستجیب لدعوة الامام یبقی الأبواب من خلفه [صفحه ۲۹۴] مفتوحة لیتمکن من العودة الی الدنیا عندما یبلغ المفترق الذی لا یستطیع بعده أن یجمع بین الدنیا و الآخرة، و لابد من أن یختار أحدهما، اما دیونه و عیاله و اما الآخرة، فیبقی الأبواب من ورائه مفتوحة لیتمکن من أن یرجع الی الدنیا فی اللحظة الحرجة من المسیر.و نحن اذا استثنینا اولئک الذین یتحرکون علی غیر صراط الله، و یصدون الناس عن الحرکة الی الله تعالی، نجد أن سائر الناس فی تحرکهم الی الله علی طائفتین:الطائفة الاولی: تتحرک الی الله سبحانه فی جد و عزم، و صدق، تهدم من ورائها جسور العودة الی الدنیا، لا یطردون الدنیا و لا یهجرونها، ولکنهم اذا بلغوا المفترق الذی لابد لهم من أن یختاروا عنده الدنیا أو الآخرة لا یؤثرون علی الآخرة شیئا.و هؤلاء هم«الصادقون»فی التحرک الی الله (من المؤمنین رجال صدقوا ما عاهدوا الله علیه) [۴۲۴] ، و موقعهم من الله عزوجل فی الآخرة (فی مقعد صدق عند ملیک مقتدر). [۴۲۵] .و طائفة اخری من الناس یتحرکون الی الله فی حذر و احتیاط یحبون الله و رسوله ولکن ما لم یزاحم دنیاهم، و ما لم یسلبهم دنیاهم، فاذا بلغوا المفترق الذی لابد فیه من الاختیار الصعب آثروا الدنیا علی الآخرة و اختاروا شق الدنیا، و عادوا الیها، ولکیلا ینقطع طریق العودة علیهم فی اللحظات الأخیرة لا یهدمون من ورائهم الجسور التی تنقلهم الی الدنیا. [صفحه ۲۹۵] فهؤلاء یتحرکون الی الله سبحانه، و لا نشک فی نیتهم و صدقهم - فی هذه الحدود - ولکن کلما قطعوا شوطا من الطریق، مدوا من ورائهم بقدره جسرا ینقلهم الی الدنیا.و هکذا کان الضحاک بن عبدالله اشترط علی الحسین علیه السلام قبل کل شیء أن یکون فی حل من الانصراف الی دینه و عیاله، فدخل مع الحسین فیما دخل فیه من قتال جیش بنی‌امیة، و قاتل بین یدی الحسین علیه السلام و قتل منهم و جرح عددا ولکنه قد تحوط لنفسه منذ أول ساعة فأخفی فرسه داخل فسطاط بین البیوت، و قاتل راجلا بین یدی الحسین لتسلم له فرسه و لیرکبها و یفر بها الی خارج ساحة المعرکة و یهرب عن جند ابن‌زیاد فی اللحظة الحرجة التی لابد له فیها من أن یختار أحد الأمرین... فلما جد الجد ذکر الامام الحسین باذنه له فی الانصراف متی شاء و متی لم ینفعه دفاعه عنه و قتاله من دونه، فصدقه الحسین، فرکب فرسه و هرب من الآخرة الی الدنیا.ان هذا الرجل دقیق فی تقدیر المسافة التی یستطیع أن یساير الحسین علیه السلام فیها، یضبط حساباته فی هذه الحرکة بشکل دقیق، و یتحوط للعودة الی الدنیا عندما یصل الی المفترق الذی یؤثر عنده الدنیا علی الآخرة.یشخص المفترق بدقة، و یحدد المسافة التی یساير فیها الحسین بدقة، و یتحوط للعودة من الله الی الدنیا فی اللحظة المناسبة، و یبقی من ورائه و هو یتحرک مع الحسین علیه السلام الی الله بابین مفتوحین یرجع من خلالهما الی الدنیا عندما یرید:أحدهما: موافقة الحسین علیه السلام أن یکون فی حل من أمره عندما یرید الانصراف الی الدنیا. [صفحه ۲۹۶] و ثانیهما: فرسه التی احتفظ بها فی فسطاط داخل البیوت عندما حاصر جیش بنی‌امیة الحسین علیه السلام لیستطیع أن یرکبها فی اللحظة المناسبة من الآخرة الی الدنیا.و مرة اخری نرید أن نقارن فی هذه النقطة من البحث بین الضحاک و زهیر، کل منهما أقبل علی الله تعالی مع الحسین علیه السلام.الضحاک دخل معرکة الطف الی جنب الامام و قاتل و جاهد بین یدیه، و زهیر رحمه الله أقبل مع الحسین علیه السلام و جاهد و قاتل، ولکن الفرق بین هذا و ذاک ان الضحاک أقبل علی الله و أبقی الأبواب مفتوحة من خلفه، بکل دقة و احتیاط، و أبقی الجسور قائمة من ورائه الی الدنیا لیعود الیها فی اللحظة التی یرید، و أما زهیر فعندما قرر الوفود علی الله تعالی مع الحسین علیه السلام قطع کلما کان بینه و بین الدنیا من جسور، و أغلق کل باب بینه و بین الدنیا، و قال لزوجته«دلهم»فی عزم و قوة و یسر:«الحقی بأهلک».و اننا نتابع تفکیر الضحاک و ما أخذه الضحاک من احتیاط لنفسه فی مثل تلک الساعة و تلک المعرکة فنری أن هذه الدقة فی التقدیر و الضبط فی الحساب، و التحفظ و الاحتیاط الشدیدین جدیر بالاحترام لو کان فی علاقة الانسان بنفسه و محاسبته لها.أما عندما یکون التعامل مع الله تعالی فمثل هذا التقدیر و الدقة و الاحتیاط للعودة الی الدنیا هو من الشح فی العطاء، و من التردد فی العمل و فقدان العزم.

الجسر الذی مده الضحاک الی الدنیا من عمق الطف

و لنستمع الیه مرة اخری: [صفحه ۲۹۷] (لما رأیت أصحاب الحسین قد اصیبوا، و قد خلص الیه و الی أهل بیته، و لم یبق معه غیر سوید بن عمر الحنفی و بشیر بن عمرو الحضرمی قلت له: یابن رسول الله قد علمت ما کان بینی و بینک قلت لک: اقاتل عنک ما رأیت مقاتلا فاذا لم أر مقاتلا فأنا فی حل من الانصراف فقلت لی:«نعم»، فقال:«صدقت»و کیف لک النجاة؟ ان قدرت علی ذلک فأنت فی حل، قال: فأقبلت الی فرسی، و قد کنت حیث رأیت خیل«أصحابنا» [۴۲۶] تعقر أقبلت بها حتی أدخلتها فسطاطا لأصحابنا بین البیوت و أقبلت اقاتل معهم راجلا... فلما أذن لی استخرجت الفرس من الفسطاط ثم استویت علی متنها، ثم ضربتها حتی اذا قامت علی السنابک رمیت بها عرض القوم، فأفرجوا لی..). [۴۲۷] .ان أمر الضحاک لغریب فی نوعه، فهو یمد جسور الدنیا الی عمق معرکة الطف و الی داخل خیام الحسین علیه السلام حیث لا یوجد فیها غیر الآخرة، فهذه الفرس التی أخفاها الضحاک فی فسطاط لأصحاب الحسین علیه السلام بین البیوت یوم عاشوراء هو الجسر الذی مده الضحاک لینقله الی الدنیا.و قد رأینا و سمعنا کثیرا عن امتداد الدنیا الی أعماق النفس فی مختلف مراحل الطریق الی الله سبحانه، ولکننا لم نر فیما راینا و لم نسمع فیما سمعنا أن الدنیا تنفذ و تمتد و تکمن فی نفس الانسان الی هذا الحد، فیدخل الانسان معرکة [صفحه ۲۹۸] الطف مع الامام و یسقط أهل بیت الحسین علیه السلام و أصحابه صرعی بین یدیه، و یقاتل بین یدیه علیه السلام، و یدعو له الحسین، و هو یری الامام واقفا وحده بین یدی الأعداء ثم لم یفارقه حب الدنیا، و نفوذ الدنیا و سلطانها علی نفسه فی هذه المراحل جمیعا.ان التصاق الدنیا بنفس الانسان لغریب، و من الخطأ أن یغتر الانسان بنفسه فیتصور أنه قد تحرر من سلطان الدنیا، و نفوذها، و لم یعد بحاجة الی معاناة و تزکیة و جهاد للنفس.ان فی نفس الانسان خبایا عمیقة، و أعماقا مجهولة یکمن فیما حب الدنیا، و یبقی هذا التعلق یطارد الانسان فی حرکته الی الله تعالی من حیث یعلم الانسان أو لا یعلم، حتی اذا بلغ الانسان نقطة الاختیار الصعب برز حب الدنیا من أعماق النفس المجهولة الی السطح البارز للنفس، و غیر وجهة الانسان و حرکته من الله تعالی الی الدنیا.ان حب الدنیا یلاحق الانسان الی هذه النقطة التی لا یکاد أن یبلغها الانسان الا بعد أن یخرج من مصفاة الابتلاء عشرات المرات، و مع ذلک کله یبقی هذا الحب کامنا فی نفسه.اننا لا نرید أن نتهم الضحاک فی صدقه و حبه للحسین علیه السلام، و لیس من سبب یدعونا أن نتهم هذا الرجل الذی وقف هذا الموقف یوم عاشوراء من الحسین علیه السلام فی نیته و صدقه، فلم یطلب الضحاک من الدفاع عن الحسین علیه السلام و من القتال بین یدیه دنیا، و هذا حق یجب أن نقول به و نعترف له به، لکنه مع ذلک کله لم یتحرر من حب الدنیا و من التعلق بالدنیا و من تبعات الدنیا، حتی عندما ساقه التوفیق و السعادة الالهیة الی هذه المعرکة الحاسمة بین الحق و الباطل [صفحه ۲۹۹] فی التأریخ، و وضعه الله تعالی فی أشرف موقع یتصوره الانسان، و هو موقع الدفاع عن الاسلام الی جنب ابن بنت رسول الله صلی الله علیه وآله.و الآن بعد هذا التحلیل النفسی لموقف الضحاک بن عبدالله المشرقی یجب أن نوجز مرة اخری العناصر التی تدخل فی تکوین هذا الموقف الغریب، و أهم هذه العناصر هی:۱- حب الدنیا و التعلق بها، و هو رأس هذه العناصر جمیعا، و هو أول شیء اعتذر به الضحاک الی الحسین علیه السلام عن مسایرته و نصرته، فلم یتخفف و لم یتحرر الضحاک من الدنیا و هو فی وسط هذه المعرکة المصیریة، کما تخفف و تحرر عنها«زهیر»من قبل.۲- شحة العطاء، و هی غیر نضوب النفس، ففی حالة النضوب و الجفاف ینقطع کل خیر عن نفس الانسان، أما فی حالة«الشح»فیبقی للانسان عطاء محدود و شحیح، و قد رأینا کیف وضع الضحاک نصرته للحسین علیه السلام ضمن مجموعة من الشروط، و لم یبذل نصرته بذلا، کما صنع سائر أصحاب الحسین علیه السلام، و لم یوطن نفسه للقاء الله کما طلب الامام الحسین من المسلمین فی مکة المکرمة.۳- التحرر عن الالتزامات التی تفرضها الدعوة و الجهاد، و التحلل عن القیود و العهود التی یفرضها الولاء لله تعالی و لرسوله و للأئمة المسلمین.و هذه العناصر الثلاثة تؤدی الی ظواهر سلبیة کثیرة فی شخصیة الانسان من قبیل:الخوف، و الجبن، و الخضوع، و الانقیاد للطاغوت، و انحسار سلطان الضمیر عن حیاة الانسان و سلوکه. [صفحه ۳۰۰] و لسنا نرید أن نقول: ان هذه العناصر کانت

موجودة مجتمعة فی موقف الضحاک بن عبدالله، ولکننا نرید أن نقول ان أمثال هذه المواقف یمکن أن تنحل الی هذه المجموعة من العناصر السلبیة.و فی ختام هذه التأملات نعتذر من الضحاک بن عبدالله المشرقی اذا کنا قد أسأنا الیه، و تناولنا موقفه من الحسین علیه السلام بالتحلیل و النقد بهذه الصورة، و لا نرید أن نبخسه حقه، فقد نال ما حرمنا منه نحن من شرف القتال بین یدی الحسین علیه السلام، و من دعاء الحسین علیه السلام له.. و انما کنا نرید أن نجعل من نقاط الضعف فی موقفه وسیلة لتقویم نقاط الضعف فی مواقفنا و سلوکنا. [صفحه ۳۰۳]

قیمة الوارثة فی حیاة الانسان

تأملات فی زیارة وارث

تمهید

اشاره

للوراثة فی حیاة الانسان نوعان من التأثیر لهما قیمة و فاعلیة کبیرة، و هاتان القیمتان هما:۱- القیمة التکوینیة للوراثة۲- القیمة الایحائیة و التربویة للوراثة.و سوف نستعرض هذین النوعین من التأثیر، و ما لهما من دور فاعل و مؤثر فی حیاة الانسان.فنتحدث أولا عن القیمة التکوینیة للوراثة، و نقصد بها التأثیر الطبیعی و التکوینی الذی تترکه الوراثة فی حیاة الانسان فی مقابل التأثیر التربوی و الایحائی للوراثة، و نتحدث ثانیا عن الایحاءات التربویة التی تترکها الوراثة فی حیاة الانسان و ما لهذه الایحاءات التربویة من أثر فعال فی حیاة الانسان.

القیمة التکوینیة للوراثة

اشاره

فی ضوء دراسة النظریة الاسلامیة من التاریخ و الارتباط السببی بین مراحل التاریخ المختلفة نقول: ان الحضارة الواحدة امتداد واحد علی مراحل زمنیة [صفحه ۳۰۴] مختلفة، و کل مرحلة من هذه المراحل ترتبط بالمراحل السابقة تحکیها و ترثها.و لا یمکن من الناحیة العلمیة تفکیک المراحل المختلفة للحضارة الواحدة، و اعتبار کل شطر منها وحدة قائمة بالذات.ان الیوم الحاضر مرآة للأمس الماضی، و جزء لا یتجزأ منه، و لا نستطیع أن نفهم الیوم ان لم نربطه بالأمس، و لا نستطیع أن نفهم الشطر المعاصر من أیة حضارة اذا لم نبحث عن جذورها و مکوناتها فی المراحل السابقة من التاریخ.

دراسة فی الشریحة الحضاریة

ان کل شریحة حضاریة تعتبر حصیلة جهود طویلة لأجیال من أبناء هذه الحضارة فی مراحل مختلفة من التاریخ، و وراثة لمیراث الأجیال السابقة فی العادات و التقالید و الأعراف و الثقافة و التصورات و الحب و البغض... و عندما نقتطع نحن هذه الشریحة المعاصرة أو هذا الجیل المعاصر من الحضارة عن جذوره و اصوله لا- نکاد نستطیع أن نفهمه حق الفهم.و من السذاجة أن نتصور أن هذه الشریحة أو تلک من الشرائح الحضاریة قد تکونت بصورة عفویة و بمعزل عن التاریخ الذی ترتبط به.یقول الدکتور محمد زکی

العشماوی فی بحث له فی مجلة«عالم الفکره»:«و نحن مع ایماننا المطلق بحرکة التطور التی لا تعرف النکوص أو الرجوع الی الخلف، فأننا نؤمن فی الوقت ذاته بأن کل ما یدخره الانسان و یختزنه من ماضی الحیاة البشریة لیس حیاة میتة، بل لا یمکن أن تموت، لأنها جزء لا یتجزأ من الحیاة الکبری التی لا تفنی و التی لا تهرم و لا تدرکها الشیخوخة». [۴۲۸] . [صفحه ۳۰۵]

البعد الافقی و البعد العمودی لکل حضارة

ان من الخطأ أن نفهم المجتمع و الحضارة الانسانیة فی البعد السطحی فقط، و أن یغیب عنا البعد العمودی الذی یعتبر المصدر و الأساس لأیة حضاریة.فلیست الحضارة- بالتأکید - هی مجموعة التفاعلات الاجتماعیة التی تحدث علی مقطع زمنی خاص و علی السطح المرئی من الحضارة فقط... و انما هناک من وراء هذا السطح المرئی من الحضارة الأعماق غیر المرئیة للحضارة.و فی ضوء هذا الارتباط السببی بین الماضی و الحاضر فی المقاطع الزمنیة المتعددة و التفاعل بین عناصر الحضارة الواحدة فی المقطع الزمنی الواحد نستطیع أن نفهم الحضارة.

التبادل و التفاعل بین عناصر الحضارة الواحدة

ففی المقطع الزمنی الواحد نجد أن عناصر المجتمع الواحد تتفاعل مع بعض فی تأثیر و حرکة متبادلة. فالمدرسة تؤثر فی العائلة تأثیرا قویا، کما أن العائلة تؤثر فی المدرسة، و لا نستطیع أن نفهم عناصر الحضارة الواحدة اذا لم نفهم هذا التأثیر المتبادل والمتقابل بین عناصر الحضارة الواحدة و فی مقطع زمنی واحد.

الاعماق الحضاریة

و بمقیاس أقوی و أبلغ یکون تأثیر الماضی فی الحاضر فی سلسلة مترابطة من الحلقات من الأسباب و العلل.فمبعث رسول الله صلی الله علیه وآله مثلا- فی القرن السادس المیلادی له تأثیر بلیغ، و فوق [صفحه ۳۰۶] حدود التصور فی کل مراحل حضارتنا خلال القرون الأربعة عشر التی مرت علی هذه الامة.و لا یمکن عزل الحادث الکونی الکبیر عن کل مراحل تاریخنا و حضارتنا، و لیس من الممکن أن تکون أیة شریحة من شرائح هذه الحضارة معزولة عن هذا السبب، أو نفهم أیة شریحة من حضارتنا بمعزل عنه.و الکلام نفسه یصدق فی معرکة بدر (یوم الفرقان) و یوم الأحزاب و فتح مکة و وقعة الطف، و هکذا...ان لکل واحد من هذه الأحداث و غیرها دورا تأسیسیا فی بناء هذه الحضارة، و لیس فی الامکان أن تتکون هذه الحضارة بکل خصائصها القائمة فعلا، بمعزل عن العوامل التاریخیة التی ساهمت فی بناء و تکوین تاریخنا و مجتمعنا.و کلما یزداد هذا العمق کلما تزداد قیمته الحضاریة فی بناء المجتمع، فالمجتمع الذی تمتد جذوره آلاف السنین یتمتع بقوة و صلابة أکثر من المجتمع و الحضارة التی تکونت فی عدة مئات من السنین فقط.ذلک أن العمق التاریخی البعید یعتبر تراکما کبیرا من الأسباب و العلل من وراء المقطع الحضاری الذی نعاصره.فقد یکون من السهل أن یتجاوز الانسان الظروف السیاسیة التی تکونت فی عصره من الحب و البغض و الولاء و البراءة و الأخلاق و السلوک و التصورات، ولکن من الصعب جدا - و لا أقول من المستحیل - أن یتجاوز الانسان الحب و البغض الذی تکون خلال ألف سنة من الزمان.فان مرور هذه الحقبة التاریخیة الطویلة علی هذه الحضارة یکسبها الکثیر من الصلابة و الثبات، مما یجعل من الصعب جدا أن یتجاوزها الانسان، و هذا هو (المیراث الحضاری) الذی نتحدث نحن عنه فی هذه الدراسة. [صفحه ۳۰۷]

عراقة المیراث الحضاری

کلما یطول الزمن فالظاهرة الحضاریة تزداد تأصلا و عراقة و عمقا فی وجود الامة، و تتمتع بقوة و اصالة و قدرة أکثر علی مواجهة التحدیات... و لذلک فان التاریخ تراکم من العمل و الجهد و التبنی، و کلما یکون التاریخ أطول یکون الجهد و العمل المبذول فی تبنی أیة ظاهرة اجتماعیة أکثر... و نتیجة لذلک تکون الظاهرة الاجتماعیة أقوی و أثبت و أکثر أصالة و عقما و متانة، و أقوی علی مواجهة التحدیات.ف (الصلاة) مثلا ظاهرة حضاریة عمیقة الجذور فی التاریخ، و میراث حضاری عریق فی الأجیال تنتقل من جیل الی جیل، و کلما یمر علینا زمن أطول تزداد أصالة و ثباتا و عمقا فی حیاة الانسان.فالعراقة التی نجدها نحن فی حیاتنا الیومیة للصلاة، لیست حصیلة جهد و عمل فردی، وفی مقطع زمنی خاص، و انما هی حصیلة جهود و أعمال کبیرة و کثیرة عبر التاریخ فی تبنی الصلاة و اقامتها و الدعوة الیها و تأکیدها و ترسیخها، و هذه الجهود جمیعا تتمثل الیوم فی (الصلاة) التی نقیمها نحن فی بیوتنا و مساجدنا.(و الحج) ظاهرة حضاریة و میراث حضاری، ورثناه نحن من أبی الأنبیاء ابراهیم خلیل الرحمن علیه السلام.و لهذه الظاهرة الحضاریة عراقة، و عمق خاص، و أصالة فی حیاتنا، و جاذبیه خاصة فی نفوسنا، فاذا حان وقت الحج توجه مئات الآلاف من المسلمین، من کل فج عمیق، رجالا و علی کل ضامر الی البیت العتیق لأداء فریضة الحج.یقول تعالی لعبده و خلیله ابراهیم علیه السلام: [صفحه ۳۰۸] (و أذن فی الناس بالحج یأتوک رجالا و علی کل ضامر یأتین من کل فج عمیق). [۴۲۹] .

التبنی الجمعی و العمق الحضاری لفریضتی الصلاة و الحج

و ما دمنا نتحدث عن (الصلاة) و(الحج) کمثالین للظواهر و المواریث الحضاریة... فلا بأس أن نقف وقفة قصیرة عند هاتین الظاهرتین الربانیتین فی حیاة الانسان، فنقول:ان القیمة و الفاعلیة والجاذبیة التی تملکها هاتان الفریضتان فی حیاتنا تعود الی أمرین اثنین:الجهد الجمعی الکبیر المبذول فی اقامة هاتین الفریضتین فی المقطع الزمانی الواحد، فی اجتماعات کبیرة و حاشدة، و لا شک أن هذا الجهد و الاهتمام الجمعی بهاتین الفریضتین من قبل الملایین من المسلمین ینعکس فی الصلاة و الحج بشکل واضح، و یکسب هاتین الفریضتین هذه الجاذبیة و التعاطف و القیمة و الفاعلیة فی نفوس جماهیر المؤمنین، و الی جنب هذا البعد، هناک بعد آخر للصلاة و الحج، و هو البعد التاریخی الذی تحدثنا عنه.. فان الاقامة الطویلة للصلاة و الحج و الممارسة التاریخیة الطویلة لهاتین الفریضتین عبر القرون، تمنح هاتین الفریضتین قیمة کبیرة و فاعلیة و جاذبیة خاصة، و هذا هو الذی نقصده من کلمة (المیراث).و لهذا السبب یؤکد الاسلام تأکیدا کبیرا علی الاهتمام بالاطار الاجتماعی (البعد الأول) و بالاطار التاریخی (البعد الثانی) للفرائض. [صفحه ۳۰۹]

الاطار الاجتماعی للشعائر الاسلامیة

ففی الاطار الاجتماعی و هو الاطار الأول یتفاعل الفرد - تفاعلا قویا - مع الجو الاجتماعی الذی تقام فیه الفریضة... فأن الصلاة جماعة و جمعة لها تأثیر متقابل فی نفوس المصلین. و الفرد الذی یقیم الصلاة فی وسط حاشد من جماعة المسلمین یکتسب من حضور الآخرین اندفاعا و قوة و اقبالا علی فریضة الصلاة و تفاعلا معها، فی الوقت الذی یکسب الآخرین بحضوره نفس الاندفاع و القوة و التفاعل و الاقبال.و هذا التعاطی و التبادل المتقابل من قبل المصلین یکسب الصلاة فی نفوس الجمیع أصالة و ثباتا و قوة و جاذبیة.و لعل الاهتمام بالجمعة و الجماعة فی الاسلام من هذا المنطلق، و رغم أن الانفراد و الخلوة فی ذکر الله تفید الانسان فی الاقبال علی الذکر کثیرا.. رغم ذلک تفضل الشریعة اقامة الصلاة جماعة علی الصلاة فرادی و تؤکدها، حتی روی عن رسول الله صلی الله علیه وآله أنه قال:«لا صلاة لمن لا یصلی فی المسجد مع المسلمین الا من علة». [۴۳۰] .و روی عن الصادق علیه السلام:«ان اناسا کانوا علی عهد رسول الله صلی الله علیه وآله أبطأوا عن الصلاة فی المسجد، فقال رسول الله صلی الله علیه وآله: لیوشک قدم یدعون للصلاة فی المسجد أن نأمر بحطب لیوضع علی أبوابهم، فتوقد علیهم نار، فتحرق علیهم بیوتهم». [۴۳۱] . [صفحه ۳۱۰] و الجماعة بحکم هذا

التأثیر المتبادل الذی یترکه کل واحد من الجماعة فی الآخرین لیس کمیة عددیة فقط تساوی مجموعة الأفراد، و انما یتحول هذا الکم الی کیف خاص تعبر عنه الروایات ب(یدالله)، فالجماعة لیست فقط مجموعة الأفراد و انما تساوی (مجموعة الأفراد یدالله).

یدالله علی جماعة المسلمین

و قد روی عن رسول الله صلی الله علیه وآله:«ید الله علی الجماعة، و الشیطان مع من خالف الجماعة». [۴۳۲] .و ید الله هنا هی القوة و البرکة و الرحمة، فعندما یجتمع جمع من المؤمنین تنزل علیهم رحمة الله و برکاته، و یمنحهم الله القوة و الرحمة.و هذا هو ما ذکرناه من أن الممارسة الاجتماعیة للفرائض الاسلامیة تمنح الفرائض الاسلامیة کثیرا من الجاذبیة و القوة و الصلابة و الأصالة، و تشد الناس الی هذه الفرائض شدا نفسیا وعاطفیا قویا.. و هذا هو بعض السر فی قوة و جاذبیة فریضة الحج التی تجتذب الناس من کل فج عمیق الی هذا الوادی غیر ذی زرع حول بیت الله الحرام.و بنفس الملاک یصح أن نقول أن هذه التجمعات القائمة علی ذکر الله تعالی و تقوی الله تمنح الانسان تقوی و عصمة، و تعصم عن الشطط و الزیغ و الضلال، و تعتبر الحصن الذی یحصن المؤمن من عدوان الهوی و الشیطان.فقد روی عن رسول الله صلی الله علیه وآله:«ید الله علی الجماعة، فاذا اشتذ الشاذ منهم اختطفه الشیطان کما یختلف الذئب الشاة الشاذة من الغنم». [صفحه ۳۱۱] و هذا هو الاطار الأول (الاجتماعی) (الافقی) للصلاة و الحج.

الاطار التاریخی للشعائر الاسلامیة

و البعد الآخر للشعائر و الفرائض الاسلامیة هو البعد التاریخی (العمودی)، و لهذا البعد تأثیر کبیر فی تعمیق مشاعر العبودیة و الاقبال علی ذکر الله تعالی فی حیاة الناس.و لهذا الأمر یهتم القرآن کثیرا بالبعد التاریخی للصلاة و الایمان و الدین، یقول تعالی: (شرع لکم من الدین ما وصی به نوحا و الذی أوحینا الیک و ما وصینا به ابراهیم و موسی و عیسی أن أقیموا الدین و لا تتفرقوا فیه). [۴۳۳] .(قولوا آمنا بالله و ما انزل الینا و ما انزل الی ابراهیم و اسماعیل و اسحاق و یعقوب و الأسباط و ما اوتی موسی و عیسی و ما اوتی النبیون من ربهم). [۴۳۴] .(و وهبنا له اسحاق و یعقوب نافلة و کلا جعلنا صالحین و جعلناهم أئمة یهدون بأمرنا و أوحینا الیهم فعل الخیرات و اقام الصلاة و ایتاء الزکاة و کانوا لنا عابدین). [۴۳۵] .و انطلاقا من هذا التصور للتاریخ و المیراث، نقول: ان حج ابراهیم علیه السلام له تأثیر فی حجنا، و صلاة موسی و عیسی علیه السلام لها تأثیر فی صلاتنا، و دعوة نوح علیه السلام لها تأثیر مباشر و غیر مباشر علی دعوتنا الی الله تعالی، و أن جهاد الحسین علیه السلام فی کربلاء و وقعة الطف له تأثیر مباشر علی مسیرتنا و دعوتنا [صفحه ۳۱۲] و مواجهتنا الیوم لطواغیت عصرنا، و أن أجزاء هذه المسیرة الواحدة من آدم و نوح علیهماالسلام الی الیوم الحاضر أجزاء مترابطة متماسکة، السابق منه یدعم اللاحق، و اللاحق منه یرث السابقین.و علی هذه المسیرة، تنتقل القیم و التراث، و الولاء و البراءة، و الحب و البغض، و التصورات و الأخلاق من جیل الی جیل.

وحدة المسیرة و وحدة المعاناة و وحدة الثواب

و من أروع ما فی هذا التصور الاسلامی للمیراث: أن الأجیال اللاحقة لا ترث فقط المواریث الحضاریة من الأجیال السابقة، و انما تشارکها أیضا فی ثواب معاناتها و عنائها الطویل فی صراعها مع الکفر و النفاق لاقامة هذه الفرائض الاسلامیة و تثبیتها.فقد تحمل سلفنا الصالح علی هذا الطریق الکثیر من العناء و المعاناة فی الصراع مع الطاغوت لاقامة هذه الفرائض و تثبیتها و تعبید الانسان لله.و نحن (الوارثون) لا تنتقل الینا فقط هذه القیم و المواریث (العبودیة و الایمان و الصلاة) من سلفنا، و انما ینتقل الینا أیضا ثواب معاناتهم و صبرهم و عنائهم دون أن یکون لنا فعل و تحمل فی هذه المعاناة و العناء.و الجسر العجیب الذی ینتقل علیه هذا الثواب و

الأجر من دون معاناة و عناء، و يشرك اناسا فی ثواب اناس آخرين سبقوهم هو الولاء و الحب.و عجيب أمر الولاء و الحب، فهو يوحد أطراف هذه المسيرة المتباعدة، و يجعلها قطعة واحدة، و يشرك اللاحق فی ثواب السابق، و يجعل السابق موردا و معينا للاحق. و هذا هو البعد الثالث (المستقبلی) لمسيرة الدعوة الی الله.روی الحكم بن عيينة، قال: لما قتل أميرالمؤمنين عليه السلام الخوارج يوم [صفحه ۳۱۳] النهروان، قام اليه رجل فقال: يا أميرالمؤمنين:[طوبی لنا اذ شهدنا معك هذا الموقف، و قتلنا معك هؤلاء الخوارج] فقال أميرالمؤمنين عليه السلام [۴۳۶] «و الذی فلق الحب و برأ النسمة، لقد شهدنا فی هذا الموقف اناس لم يخلق الله آباءهم، و لا أجدادهم بعد، فقال الرجل: و كيف يشهدنا قوم لم يخلقوا؟! قال: بلی قوم يكونون فی آخر الزمان، يشركوننا فيما نحن فيه، و يسلمون لنا، فاولئك شركائنا فيما كنا فيه حقا حقا». [۴۳۷] .و روی محمد بن سلمة، رفعه قال: قال أميرالمؤمنين عليه السلام:«انما يجمع الناس الرضا و السخط، فمن رضی أمرا فقد دخل فيه و من سخطه فقد خرج منه». [۴۳۸] .و عن سليمان بن خالد، عن أبی عبدالله عليه السلام قال: لو أن أهل السماوات و الأرض لم يحبوا أن يكونوا شهداء مع رسول الله صلی الله عليه وآله لكانوا من أهل النار. [۴۳۹] .و روی أبوجعفر محمد بن أبی القاسم الطبری فی كتابه (بشارة المصطفی)، عن عطية العوفی، قال: خرجت مع جابر بن عبدالله الأنصاری زائرين قبر الحسين عليه السلام، فلما وردنا كربلاء دنا جابر من شاطیء الفرات، فاغتسل ثم ائتزر بأزار و ارتدی بآخر، ثم فتح صرة فيها سعد، فنشرها علی بدنه، ثم لم يخط خطوة الا ذكر الله تعالی، حتی دنا من القبر. قال: ألمسنيه، فألمسته، فخر علی القبر مغشيا عليه، فرششت عليه شيئا من الماء، فلما أفاق، قال: يا حسين ثلاثا. ثم قال: حبيب لا يجيب حبيبه، ثم قال: و أنی لك بالجواب و قد شخبت أو داجك علی أثباجك، و فرق بين بدنك و رأسك، فأشهد أنك ابن‌خاتم النبيين، و ابن‌سيد [صفحه ۳۱۴] المؤمنين، و ابن حليف التقوی، و سليل الهدی، و خامس أصحاب الكساء، و ابن سيد النقباء، و ابن فاطمة سيدة النساء، و ما لك لا تكون هكذا، و قد غذتك كف سيد المرسلين، و ربيت فی حجر المتقين، و رضعت من ثدی الايمان، و فطمت بالاسلام. فطبت حيا و طبت ميتا، غير أن قلوب المؤمنين غير طيبة لفراقك، و لا شاكة فی الخيرة لك، فعليك سلام الله و رضوانه، و أشهد أنك مضيت علی ما مضی عليه أخوك يحيی بن زكريا. ثم جال بصره حول القبر و قال:السلام – الشهداء من أصحاب الحسين و أهل بيته – أيتها الأرواح التی حلت بفناء الحسين، و أناخت برحله، و أشهد أنكم أقمتم الصلاة، و آتيتم الزكاة، و أمرتم بالمعروف، و نهيتم عن المنكر، و جاهدتم الملحدين، و عبدتم الله حتی أتاكم اليقين، و الذی بعث محمدا بالحق نبيا لقد شاركنا كم فيما دخلتم فيه.قال عطية: فقلت له يا جابر، كيف و لم نهبط واديا، و لم نعل جبلا، و لم نضرب بسيف، و القوم قد فرق بين رؤوسهم و أبدانهم، و أوتمت أولادهم، و ارملت أزواجهم.فقال: ياعطية، سمعت حبيبی رسول الله صلی الله عليه وآله يقول: من أحب قوما حشر معهم، و من أحب عمل قوم أشرك فی عملهم، و الذی بعث محمدا صلی الله عليه وآله بالحق أن نيتی و نية أصحابی علی ما مضی عليه الحسين و أصحابه عليهم‌السلام. [۴۴۰] .

المواريث الحضارية و المواريث المدنية

ان ما يقال عن الظواهر الحضارية ك(الصلاة) و (الحج) و (التقوی) و (الايمان) و (العفاف).. يقال عن الظواهر المادية الحضارية ك (المسجد) و [صفحه ۳۱۵] (المنبر) و (المدرسة) و غير ذلك من الظواهر و الأدوات المادية للحضارة، أو ما يطلق عليها أحيانا ب(المدنية) فی مقابل (الحضارة).فان لهذه الظواهر المادية أيضا أبعادا اجتماعية و تاريخية، كما للظواهر الحضارية، و كلما تتسع أبعادها الاجتماعية، و تتعمق أبعادها التاريخية، تزداد أصالة و عمقا و رسوخا فی ضمير الامة.ف (المساجد) مثلا تمتلك عمقا قيميا تاريخيا فی حياة هذه الامة، و هذا العمق التاريخی يمنح (المسجد) قيمة خاصة فی حياتنا الاجتماعية و مركزا حساسا يجعل من الصعب تجاوزه أو تحدية من قبل أعداء الاسلام.و هذه القيمة و الأصالة و الرسوخ فی ضمير الامة هی التی حفظت المساجد فی تاريخ العدوان علی الامة و تراثها من اعتداء المعتدين.و هكذا (الحجاب) للمرأة المسلمة، تمتلك بفضل هذا العمق التاريخی قيمة كبيرة و

احتراما فی ضمیر الامة، کما تصفی احتراما خاصا علی شخصیة المرأة.و سوف نری أن العمق التاریخی لهذه الظواهر المادیة تجعل منها قلاعا تحمی و تحصن الکثیر من القیم الحضاریة فی الامة و تحمیها من الاعتداء.فالحجاب یحمی العفاف عند المرأة المسلمة...و المسجد و المنبر یحمیان الصلاة.. و الأمر بالمعروف و النهی عن المنکر، یحمیان الفرائض و الحدود الآلهیة و الحرکة و الثورة تحمیان النظام الاسلامی و سیادته.و للمحافظة علی هذه القیم الحضاریة ینبغی أن نحافظ علی الأدوات المادیة لهذه الظواهر، و أحیانا نحرص علی ابقائها علی شکلها و هندستها الخاصة.فنحافظ علی العمارة التقلیدیة للمساجد، و علی التصمیم التقلیدی للمنابر، و علی الصورة التقلیدیة المعروفة للمصاحف فی طباعة المصاحف. [صفحه ۳۱۶] و بهذا الترتیب، نحرص علی المحافظة حتی علی الوسائل المادیة للحضارة الاسلامیة- قدر الامکان - علی صورتها التاریخیة التی تتمتع باحترام و تقدیر خاص فی ضمیر الامة. [۴۴۱] .و هذا بعض سر قوة المواریث الحضاریة فی حیاتنا، و فشل أعداء الاسلام فی ازالة هذه المواریث من الحیاة.فلیس الجهد الذی یبذله أعداء الاسلام فی القضاء علی الفرائض الاسلامیة کالصلاة و الحج بالیسیر، و لیس الجهد الذی بذلوه للقضاء علی الشعائر و الشعارات و الأعراف الاسلامیة کالحجاب و مجالس عزاء الحسین و التحیة و السلام بالشیء الهین.فقد استخدم أعداء الاسلام کل الوسائل الممکنة من اغراء و ارهاب و ترغیب فی اجتثاث هذه الامة من جذورها و تمییع أصالتها و مسخ شخصیتها الحقیقة و استیراد الأفکار و التصورات و الظواهر الحضاریة الشرقیة و الغربیة من هنا و هناک... ولکن هذه الأعمال کانت تبوء غالبا بالفشل، و لا یجنی منها أصحابها الا القلیل.لقد بذل رضا خان بهلوی فی ایران، و مصطفی کمال أتاتورک فی ترکیا جهدا لیس بالقلیل فی مکافحة المواریث الاسلامیة کالصلاة و الحج، و حتی أن رضا بهلوی منع الحج بحجة أو باخری لعدة سنوات و حارب الحجاب و ألزم النساء المؤمنات بالسفور و حارب الشعائر العزاء الحسینی الذی یمارسه المسلمون [صفحه ۳۱۷] الشیعة فی کل أقطار العالم الاسلامی. لکن بهلوی أخفق فی تحقیق أکثر طموحاته، و استعادت الامة رشدها و وعیها و ارتباطها الرسالی التاریخی بالاسلام، و سرعان ما طهرت ساحة البلاد من مخلفات بهلوی و نظامه. و من أسباب ذلک عراقة هذه الظواهر الحضاریة فی تاریخ الامة.

مواقع الثورة و المناعة فی حیاة الامة

ان هذه النقاط (المواریث الحضاریة)، تعتبر نقاط القوة و مراکز المناعة فی حیاة الامة، و تشبه تماما الجذور العمیقة التی تحفظ الشجرة الباسقة من السقوط.ان هذه الجذور هی التی تمد الشجرة بالغذاء و الماء، و تحفظ الشجرة من السقوط... کذلک المواریث الحضاریة تعتبر الجذور و الامتدادات العمیقة التی تحفظ الامة و تمنحها المناعة و تحصنها ضد الغزو الأجنبی. [۴۴۲] . [صفحه ۳۱۸] و فی تأریخنا السیاسی المعاصر، کلما تحرک أعداء الاسلام لغزو المنطقة الاسلامیة فکریا و سیاسیا و اقتصادیا و عسکریا، اصطدموا بواحد من هذه المراکز (مراکز القوة و المناعة فی حیاة الامة)، و تراجعوا أمامه.فقد احتل العدو القلاع و الحصون و القواعد العسکریة الضخمة... ولکنه عندما اصطدم بالمسجد اضطر للتراجع و الانسحاب. و قد احتل العدو الاذاعة و التلفزیون و الصحافة، و أخضعها جمیعا لحرکة التغریب، ولکنه عندما اصطدم بصخرة المنبر و الحوزات و المدارس الدینیة و المساجد و الأذان و الصلاة و مجالس العزاء الحسینی، اضطر للتراجع و الانسحاب، و السر کل السر فی هذه القوة هو الامتداد التاریخی العمیق لهذه المواریث الحضاریة و المدنیة فی ضمیر الامة، مما یجعل من الصعب جدا مداهمة هذه المراکز من قبل الاعداء و احتلالها و القضاء علیها.

المحافظة علی المواریث الحضاریة

و من هذا المنظور، یجب علینا نحن الدعاة الی الله تعالی، المحافظة علی هذه المواریث الحضاریة فی حیاة الامة، و حمایتها و تبنیها لتحصین شخصیة الامة و تثبیتها، و المحافظة علی أصالتها و عراقتها.و بعکس ذلک: فان تعریض المواریث الحضاریة العریقة للاهدار

و الضیاع، یعرض شخصیة الامة للمسخ و الضیاع.ففی سورة مریم، بعدما یستعرض القرآن الکریم شطرا من قصة ابراهیم و اسحاق و یعقوب و موسی و اسماعیل و ادریس علیهم‌السلام، یقول تعالی لنبیه صلی الله علیه وآله:(اولئک الذین أنعم الله علیهم من النبیین من ذریة آدم و ممن حملنا مع نوح و من ذریة ابراهیم و اسرائیل و ممن هدینا و اجتبینا اذا تتلی علیهم آیات الرحمن [صفحه ۳۱۹] خروا سجدا و بکیا فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة و اتبعوا الشهوات فسوف یلقون غیا). [۴۴۳] .هذا الخلف الذین یذمهم القرآن الکریم، هم الذین أضاعوا الصلاة - میراث الآباء و السلف - و اتبعوا الشهوات، و ینذرهم القرآن الکریم بأنهم سوف یلقون غیا.ان من الناس من یحفظ الأمانة فی مواریث السلف، و یستلمها و یحافظ علیها من الضیاع و الدس و الانحراف، ثم یسلمها الی الخلف الذین یلونهم من الجیل الجدید... و هؤلاء هم الخلف الصالح للسلف الصالح و حملة الأمانة، الذین یصلون الرحم، و لا یقطعونه. و من الناس من لا یحفظون الأمانة و العهد، و تضیع علی أیدیهم مواریث السلف... هؤلاء هم الذین تعنیهم الآیة الکریمة: (فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة).ان من الناس من یکون جسرا بین جیلین، جیل سابق علیه و جیل یلحقه، ینقل مواریث الصالحین من الآباء و الأسلاف الی الجیل الذی یلی جیله... و هؤلاء هم الامناء.و من الناس من یشکل فجوة و قطیعة و حاجزا بین جیلین، الجیل السابق و الجیل اللاحق، فیفصل هذا الجیل عن ذلک الجیل، و یقطع الخلف عن السلف، و هذه القطیعة هی أبرز صور الخیانة و العقوق و قطیعة الرحم.

السنة و البدعة

و قد ورد التعبیر فی النصوص الاسلامیة عن حالتی الارتباط بالسلف [صفحه ۳۲۰] و القطیعة اللتین تحدثنا عنهما بالعمل ب(السنة) و (البدعة).فالعمل بالسنة هو الارتباط السلوکی بالسلف الصالح و حالة الاقتداء و التبعیة الواعیة.. فی مقابل (البدعة) و هی حالة القطیعة عن السلف و قطع الجسور، و الانحراف عن مسیرة السلف الصالح الی الأنماط الجاهلیة المستحدثة و القدیمة.ان الاهتمام الکبیر فی النصوص الاسلامیة بمسألة السنة قد ینشأ من هذه النظرة، و یعبر عن اهتمام الاسلام بربط الأجیال المتعاقبة بمیراث الأنبیاء و المرسلین من السلف الصالح، و شدهم بالأنبیاء و الأولیاء و الصالحین من سلفنا.و القرآن الکریم یدعو المسلمین الی التأسی بالأنبیاء و المرسلین بشکل عام، و بأبی الأنبیاء ابراهیم علیه السلام و بخاتم الأنبیاء رسول الله صلی الله علیه وآله بشکل خاص:(لقد کان لکم فیهم اسوة حسنة لمن کان یرجوا الله). [۴۴۴] .(قد کانت لکم اسوة حسنة فی ابراهیم و الذین معه). [۴۴۵] .(لقد کان لکم فی رسول الله اسوة حسنة لمن کان یرجوا الله و الیوم الآخر و ذکر الله کثیرا). [۴۴۶] .و قد روی عن رسول الله صلی الله علیه وآله:«عمل قلیل فی سنة خیر من عمل کثیر فی بدعة». [۴۴۷] .و عن رسول الله صلی الله علیه وآله: [صفحه ۳۲۱] «لا یقبل قول الا بعمل، و لا یقبل قول و عمل و نیة الا باصابة السنة». [۴۴۸] .و عن أمیرالمؤمنین علیه السلام قال:«سمعت رسول الله صلی الله علیه وآله یقول: علیکم بالسنة، فعمل قلیل فی سنة خیر من عمل کثیر فی بدعة». [۴۴۹] .و عن رسول الله صلی الله علیه وآله:«عن تمسک بسنتی فی اختلاف امتی کان له أجر مائة شهید». [۴۵۰] .و عن علی بن مهزیار، عن منصور أبی یحیی، قال: سمعت اباعبدالله علیه السلام یقول:«صعد رسول الله صلی الله علیه وآله المنبر فتغیرت و جنتاه و التمع لونه، ثم أقبل بوجهه فقال: یا معشر المسلمین، انما بعثت أنا و الساعة کهاتین، ثم ضم السباحتین. [۴۵۱] .ثم قال: یا معشر المسلمین، أن أفضل الهدی هدی محمد صلی الله علیه وآله، و خیر الحدیث کتاب الله، و شر الامور محدثاتها. ألا و کل بدعة ضلالة، ألا و کل ضلالة فی النار». [۴۵۲] .و عن رسول الله صلی الله علیه وآله:«فی القلب نور لا یضیء الا من اتباع الحق و قصد السبیل، و هو نور من المرسلین الأنبیاء یودع فی قلوب المؤمنین». [۴۵۳] .و عن ابن حمید، رفعه قال: جاء رجل الی أمیرالمؤمنین فقال: أخبرنی عن [صفحه ۳۲۲] (السنة) و(البدعة) و عن (الجماعة) و عن (الفرقة):فقال أمیرالمؤمنین علیه السلام:«(السنة) ما سن رسول الله، و (البدعة) ما احدث من بعده، و (الجماعة) أهل الحق و ان کانوا قلیلا، و (الفرقة) أهل الباطل و ان کانوا کثیرا». [۴۵۴] .و عن موسی الکاظم علیه السلام:«ثلاث موبقات: نکث الصفقة، و ترک السنة، و فراق الجماعة». [۴۵۵] .و فی

النصین الأخیرین تتبین الأبعاد التلاحم العضوی الوثیق فی بناء الامة فی الارتباط بمنابع التشریع (السنة) و الارتباط بالقیادة (البیعة) و الارتباط العضوی بالامة (الجماعة).و روی عن رسول الله صلی الله علیه وآله:«رحم الله خلفائی، فقیل یا رسول الله و من خلفاؤک؟ قال: الذین یحیون سنتی و یعلمونها عباد الله». [۴۵۶] .و الارتباط بین الخلافة و السنة یلفت النظر فی هذا الحدیث، فالخلافة تتحقق باتباع سنة رسول الله صلی الله علیه وآله.و أیضا عن رسول الله صلی الله علیه وآله:«أما بعد فان خیر الامور کتاب الله، و خیر الهدی هدی محمد صلی الله علیه وآله، و شر الامور محدثاتها، و کل بدعة ضلالة». [۴۵۷] . [صفحه ۳۲۳] و عنه صلی الله علیه وآله:«من أحیا سنة من سنتی فعمل بها الناس کان له مثل أجر من عمل بها لا ینقص من اجورهم شیئا، و من ابتدع بدعة فعمل بها کان علیه أوزار من عمل بها، لا ینقص من أوزار من عمل بها شیئا». [۴۵۸] .و کأن الذی یبتدع فی الدین و یقطع الأجیال اللاحقة عن اتباع السنة یتحمل وزر کل الذین ینقطعون عن المسیرة و الخط، دون أن ینقص من أوزارهم شیء.

بین التقلید و الثوابت

یلاحظ کثیرا: أن بعض علماء الاجتماع یضعون علامة الاستفهام أمام حالة النزوع الی السنة و رفض البدع فی الأدیان، و بشکل خاص فی الاسلام، و یفسرون هذه الحالة بالنزوع الی القدیم و المیل الی التقلید، و رفض التجدید و التحرک.و من هذه الزاویة یدرجون المجتمعات الدینیة فی قائمة المجتمعات المحافظة التی ترفض التحرک و التجدید و التطور، فی قبال النوع الآخر من المجتمعات، و هی المجتمعات التی تتسم بالحرکیة و ترفض الجمود علی القدیم و الرکود و التقلید.یقول الباحثان الاجتماعیان (M.F.nimkoff) و (W.F.ogburn):المجتمعات الجامدة - بعکس المجتمعات الحرکیة - لا- تستجیب للتحولات الاقتصادیة. و ترفض التجدید، و تخضع الحیاة فی هذه المجتمعات لنظام ثابت تقریبا. و السنن و الأعراف تتحکم فی حیاة الناس بصورة قاهرة. و الانتاج [صفحه ۳۲۴] الاقتصادی یجری بصورة تقلیدیة. و لا- تتبدل التصورات و الأفکار الدینیة و السیاسیة و الاجتماعیة. و الموقع العائلی و الطبقی و الاجتماعی لأی شخص یحدد دوره الاجتماعی و موقعه فی المجتمع و حتی زواجه و موته، و یتحکم العرف و التقلید علی الأخلاق. و یندر الخروج علی القواعد و الأعراف و الأسالیب الحاکمة فی المجتمع.. و اذا حدث شیء من ذلک یواجه ردود فعل قویة معاکسة. و الطاعنون فی السن یشکلون مصادر السنن و الأعراف التقلیدیة، و یتحکمون علی حرکة المجتمع. أن البیئة الاجتماعیة لا تمارس أی دور تحریکی علی الأفراد، و لا تدفعهم الی الابداع و التجدید. و یجری کل شیء تقریبا بشکل تقلیدی و ثابت. حتی الزی و اللباس و الأکل یتحدد شکله بصورة مسبقة. و لا أمل یساور أحدا فی أن تتطور مثل هذه المجتمعات و تتحرک للأمام، و تجری فی جو قائم ثابت غیر متطور.هؤلاء الناس یعیشون للمطوحات و للأفراح و المسرات الصغیرة فی مسیر حیاتهم الیومیة، و سعداء من ناحیة اخری بالحیاة الأبدیة السعیدة التی ینتظرونها بعد الموت. [۴۵۹] .مثل هذا التصور عن المجتمعات الخاضعة للسنن أمر شائع فی الکتب الاجتماعیة. و علماء الاجتماع - فی الغالب - ینظرون الی المجتمعات المرتبطة بالسنن و المواریث الحضاریة بهذه النظرة السلبیة و القائمة.و بطبیعة الحال فأن هذا التصور یشمل المسیرة الالهیة علی وجه الأرض فی التاریخ، فأن هذه المسیرة مرتبطة بسنن ثابتة تتوارثها جیلا بعد جیل و تحکمها ضوابط و حدود و أعراف و قیم و أخلاق ثابتة و غیر متغیرة، و تحرص أجیال هذه [صفحه ۳۲۵] المسیرة أن لا تنحرف عن الخط و الطریق، و أن لا تستبدل المواریث الحضاریة التی ورثوها من السلف بالأعراف و القیم و التصورات الجاهلیة التی استحدثها الناس و یعتبرون أی انحراف عن طریق السلف من البدعة المحرمة و کل أتباع لمسیرة السلف الصالح من السنة الواجبة و المندوبة.و هذا التصور فی حساب هذه الفئة من علماء الاجتماع یدخل المجتمع ضمن التصنیف المذکور فی عداد المجتمعات الجامدة و غیر الحرکیة.و لابد أن نشیر هنا الی المفارقة العلمیة التی یقع فیها کثیرا من الباحثین من هذا النمط یختلط لدیهم حساب الثوابت القائمة فی حیاة الانسان بحساب القدیم و تقلید القدیم و الجمود علی القدیم.. و هذا الخلط هو سبب المفارقة التی یقع فیها هؤلاء.ان فی حیاة الانسان ثوابت لن تتغیر و لا- تخضع لحسابات الزمن. و هذه الثوابت هی الأبعاد الرئیسیة للانسان و القیم الحقیقة

لشخصیة الانسان، و تجاوز هذه الثوابت یؤدی الی مسخ شخصیة الانسان و تشویهه.و للمحافظة علی شخصیة الانسان بأبعاده الحقیقة، لابد من المحافظة علی هذه الثوابت، و قد تکون هذه الثوابت فی المحتوی فقط، و قد تکون فی المحتوی و الشکل معا.فالحاجة الجنسیة من الحاجات الثابتة فی حیاة الانسان، و طریقة تصریف هذه الحاجة أیضا من العناصر الثابتة فی حیاة الانسان. فلا یمکن أن یتجاوز الانسان الحاجة الجنسیة من حیث المحتوی و المضمون، کما لا یمکن أن یتجاوز الزواج و بناء العائلة من حیث الشکل.و یصح أیضا فی حاجة الانسان الی المعاشرة الاجتماعیة من حیث المضمون أحیانا فقط دون الشکل، و من حیث المضمون و الشکل أحیانا. [صفحه ۳۲۶] و یصح أیضا فی الجانب الاقتصادی من حیاة الانسان و هذه المجوعة من الثوابت تشکل مجموعة کبیرة و واسعة من الحاجات الأساسیة فی شخصیة الانسان، لا یجوز للانسان أن یتجاوزها أو یستبدلها بشکل من الأشکال... و أی محاولة لتخطی هذه الحاجات تجر الانسان الی أن یتجاوز نفسه.و هذه الأبعاد الأساسیة الثابتة لشخصیة الانسان هی التی ترسمها الأدیان الالهیة بالاجمال و التفصیل، و یدعو الیها و یعمل بها الأنبیاء و المرسلون و عباد الله الصالحون علیهم‌السلام، و هی ما أسمیناه بالتراث و المواریث و السنن، فی مقابل البدع التی تعبر عن تجاوز الانسان للسنن الالهیة الثابتة فی حیاة الانسان.و ازاء هده الحالة (حالة الالتزام بالثوابت الالهیة فی حیاة الانسان) هناک حالة اخری و هی حالة التبعیة و الجمود علی القدیم و التهیب من تجاوز کل شیء قدیم، و التعصب للآباء.و القرآن الکریم یذم هذه الطائفة من الناس:(و اذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا علیها آباءنا). [۴۶۰] .(قالوا أجئتنا لتلفتنا عما وجدنا علیه آباءنا و تکون لکما الکبریاء فی الارض و ما نحن لکما بمؤمنین). [۴۶۱] .(قالوا انا وجدنا آباءنا علی امة و انا علی آثارهم مهتدون). [۴۶۲] .(و کذلک ما أرسلنا من قبلک فی قریة من نذیر الا قال مترفوها انا وجدنا آباءنا علی امة و انا علی آثارهم مقتدون قال أولو جئتکم بأهدی مما وجدتم علیه آباؤکم [صفحه ۳۲۷] قالوا انا بما أرسلتم به کافرون). [۴۶۳] .و هذه هی حالة الجمود و التبعیة و التقلید غیر الواعی، و هی تختلف اختلافا کبیرا عن حالة اتباع السنن الالهیة التی یأمر بها الاسلام، و التی تشکل العمق الحقیقی للانسان و أصالته و الثوابت الالهیة فی حیاته.

الثوابت و الفطرة و الصبغة

و هذه الثوابت فی شخصیة الانسان هی التی یعبر عنها القرآن الکریم ب(الفطرة) کما یبدو:(فأقم وجهک للدین حنیفا فطرة الله التی فطر الناس علیها لا تبدیل لخلق الله). [۴۶۴] .و یظهر من الآیة الکریمة ان الفطرة هی مجموعة الخصائص التی أودعها الله تعالی فی الانسان [۴۶۵] ، و التی خلق الله الانسان علیها.. و هذه الخصائص تشکل الجانب الثابت من شخصیة الانسان، و تعقب الآیة الکریمة علی ذلک بقوله تعالی: (لا تبدیل لخلق الله) أی لا یمکن التلاعب و التغییر و التبدیل فی خلق الله بشکل من الأشکال.و انما (الدین) استجابة تشریعیة لهذه الحاجات و الأبعاد التکوینیة الثابتة فی شخصیة الانسان، و الانسان عندما یستجیب لسنن الله التشریعیة و منهجه الذی [صفحه ۳۲۸] سلکه الأنبیاء و المرسلون، یستجیب لهذا الجانب الثابت من شخصیته.و قد ورد التعبیر عن هذه الثوابت فی شخصیة الانسان فی القرآن ب(صبغة الله):(صبغة الله و من أحسن من الله صبغة). [۴۶۶] .و هو تعبیر بدیع عن الجانب الثابت فی الانسان.فان الله تعالی قد خلق الانسان بلونه و صبغته الخاصة ا لتی میزه بها، و هذه الصبغة و اللون الذی یتمیز به الانسان صبغة من صبغة الله صبغ بها شخصیة الانسان، و الدین، هو الآخر، الجانب التشریعی من هذه الصبغة الذی یتناسق مع الصبغة الالهیة فی جانبه التکوینی.. و هما معا صبغة الله أحدهما الوجه التکوینی لهذه الصبغة و الاخری الوجه التشریعی لها، و لذلک فهما متناسقان منسجمان.أما الأصباغ و الألوان الجاهلیة التی یصبغون بها حیاة الانسان فی الأخلاق و الأعراف و القوانین و التصورات و الرؤی، فهی لما کانت صبغة غیر صبغة الله تأتی غیر متناسقة لهذه الصبغة الالهیة التی صبغ الله تعالی شخصیة الانسان بها فی التکوین.روی عن رسول الله صلی الله علیه وآله انه قال:«یا عباد الله أنتم کالمرضی، و رب العالمین کالطبیب، فصلاح المرضی فیها یعلمه الطبیب و تدبیره به، لا فیما یشتهیه المریض و یقترحه، ألا فسلموا لله أمره تکونوا من الفائزین». [۴۶۷] .و یقول الامام الصادق علیه السلام

لمفضل بن عمرو: [صفحه ۳۲۹] «ولكنه خلق الخلق، فعلم ما تقوم به أبدانهم و ما يصلحهم، فأحله لهم و أباحه تفضلا منه عليهم لمصلحتهم، و علم ما يضرهم فنهاهم عنه و حرمه عليهم». [۴۶۸] .

القيمة الايحائية والتربوية للوراثة

اشاره

تعطى التربية الاسلامية أهميته خاصة للوراثة فى بناء شخصية الانسان المسلم، ذلك أن تعميق الاحساس بالوراثة الأنبياء و الشهداء و الصديقين، و الارتباط بهذه المسيرة المباركة يمنح الانسان حالة الاستعلاء على الحياة الدنيا و زخارفها، و الترفع عن الهوى و الأنا و الشهوات.فان الانسان اذا عمق فى نفسه الاحساس بالارتباط الاسرى لا يسمح لنفسه التفريط فى ما اعطاه الله من المواهب و النعم.

كرامة الاسرة و موقعها الاجتماعى

و هذا هو سر تأثير الوضع العائلى للانسان فى سلوكه و معيشته.. فاذا شعر الانسان بأنه يرتبط بأكرم اسرة فى حضارة الانسان، و هى اسرة الأنبياء عليهم‌السلام، و أنه خلف هذه الاسرة و حلقة الارتباط بين أجيال هذه الاسرة.. فليس من شك أن هذا الاحساس يبعث فى نفسه قدرة كبيرة على الترفع على المنكرات و المرديات، و يمنحه القدرة على مكافحة الشهوات و الأهواء، و يضعه فى موضع الاستعلاء على اللذات و الشهوات التى حرمها الله عليه.ان الشعور بالبنوة و الوراثة لاسرة التوحيد و الارتباط بها يمنح الانسان [صفحه ۳۳۰] احساسا قويا بقيمته التاريخية و الحضارية، فلا يفرط فى قيمه و موقعه.و هذا هو سر اهتمام الاسلام بالأساليب التى تشد الانسان بهذا المحور الحضارى الربانى.فالقرآن الكريم يعتبر ابراهيم عليه السلام أبا للمؤمنين (ملة أبيكم ابراهيم). و لاشك أن هذه النبوة ليست هى النبوة النسبية، و انما هى بنوة العمل و وراثة العقيدة و الرسالة.و عن هذه النبوة و الانتماء يقول رسول الله صلى الله عليه وآله لسلمان الفارسى:«سلمان منا أهل البيت».و ينفى القرآن الكريم أن يكون ابن نوح عليه السلام من أهله:(انه ليس من أهلك، انه عمل غير صالح).و الأهلية هنا تساوى العمل، و العمل وحده هو الذى يرفع الانسان، و يضع الانسان، و يربطه بابراهيم خليل الرحمن عليه السلام، و اسرته من الأنبياء و الأئمة عليهم‌السلام، و يقطعه عنهم، و يجعله فى امتداد هذه المسيرة المباركة و يبتره عنها.اذن، فهناك تداعى مباشر بين الوراثة و العمل، فالعمل تحقق الوراثة الصالحة، و الاحساس بالوراثة يعد الانسان للعمل الصالح.و من هنا تأتى قيمة زيارة الانبياء و الأئمة عليهم‌السلام بعد وفاتهم و خطابهم بالنصوص الواردة فى الزيارات.فان السعى لزيارة الأنبياء و الأئمة عليهم‌السلام يعمق فى نفس الانسان الاحساس بالارتباط بهم باستمرار، و يغذى هذا الشعور بصورة مستمرة، كما ان احياء مناسباتهم يؤدى دورا فعالا فى تحقيق هذه الصلة الروحية بين الانسان المؤمن و هذه المسيرة الحضارية الربانية المباركة. [صفحه ۳۳۱] و بشكل خاص تؤكد النصوص على زيارة الحسين عليه السلام سيما زيارة عاشوراء، و فى كل يوم للموقع الحساس الذى يحتله سيدالشهداء الحسين عليه السلام فى هذه المعركة المصيرية بين معسكر الرحمن و معسكر الشيطان، و لأجل تعميق الصلة بالموقف الحسينى الشامخ و الصلب فى كربلاء.و الذين يحرفون و يكافحون هذه الشعائر الاسلامية.. يفهمونها و يتعاملون معها بسطحية ظاهرة، و باسم الشريعة.. ان الارتباط بالأنبياء و المرسلين و الأئمة و الصالحين عليهم‌السلام بالوسائل و الطرق المشروعة منا المسائل التى يتخذها الاسلام أداة للتربية، و شد الانسان المسلم بالمسيرة الاسلامية الكبرى فى التاريخ. و لذلك يذكر القرآن بقصص الأنبياء و الصالحين، و بصورة مكثفة، و بتكرار، و تأكيد بليغ.و لا شك أن توفير هذا المناخ الحضارى للانسان المسلم و الارتباط بهذا الجو منذ آدم عليه السلام الى رسول الله صلى الله عليه وآله من أهم أهداف القرآن الكريم فى التذكير بقصص الأنبياء و الصالحين. و الاحساس بالوراثة يعمق شعور

الانسان بالمسؤولیة بصورة مؤثرة و قویة، ذلک أن الانسان عندما یشعر أنه جزء لا یتجزأ من مسیرة طویلة ذات جذور بعیدة فی التاریخ یستشعر بمسؤولیة المحافظة علی خط الآباء و الأسلاف و مکاسبهم و انجازاتهم و تثمینها و دعمها، و یشعر أن علیه مسؤولیة نقل هذه الأمانة التی استلمها من الجیل السابق الی الأجیال التی تأتی من بعد، و انه حلقة من حلقات هذه السلسلة الطویلة یربط الماضی بالحاضر و الحاضر بالمستقبل، و الجسر الذی یمتد بین الأجیال، یصل فیما بینها.ان هذه المحاسبة فی المواریث یعمق شعور الانسان بالمسؤولیة، و تبعث فی نفسه الغیرة علی مواریث السلف و الوفاء لهم و الحرص علی الأجیال المقبلة، و تشعره أنه جزء لا یتجزأ من سلسلة طویلة ممتدة و لیس من حقه أن یفرط فی [صفحه ۳۳۲] هذا المیراث الکبیر الذی ورثه من أسلافه و آبائه الصالحین.و هذه الحالة تختلف کثیرا عما لو کان الانسان یشعر أنه لوحده مشروع مستقل، غیر مرتبط بمن قبله و من بعده، و هو کیان قائم بنفسه، و لا یرتبط بمسؤولیة تجاه الآباء، و لا بمسؤولیة تجاه الأبناء. و شتان ما بین هذین الشعورین و ما ینشأ عنهما من مواقف.ان النمط الأول هو النمط المسؤول من الناس و النمط الثانی هو النمط اللامسؤول من الناس، و الاحساس من النوع الأول هو الاحساس الذی یبنی فی نفس الانسان الشعور العمیق بالمسؤولیة. و الاحساس من النوع الثانی یرفع الاحساس بالمسؤولیة عن کاهل الانسان.و الاحساس من النوع الأول یبنی فی نفس الانسان شعورا بأنه جزء من کل مترابط و متضامن علی البعدین الزمانی و المکانی. و الاحساس من النوع الثانی یخلق فی نفس الانسان شعورا بأنه شیء منفصل عن التاریخ، و عن المستقبل، و لا یحمل أی مسؤولیة عن الماضی و المستقبل. و انما یعیش لنفسه، و فی حدود اطار ذاته و شخصیته.و هکذا نجد أن الاحساس بالارتباط بالسلف، یحمی الانسان عن سلطان الهوی و الشهوات، و یمنحه المناعة، و یحصنه ضد الشیطان و وساوسه و وسائله و مکره، و یعطی الانسان قدرة علی الصمود و الثبات أمام الضغوط التی یمارسها الطاغوت علی المؤمنین لحرفهم عن مسیرة السلف.و نذکر هنا بعض الشواهد التاریخیة علی هذه النقطة.

موقف الحسین من البیعة لیزید

لما مات معاویة، أرسل یزید الی الولید بن عتبة عامله علی المدینة، لیأخذ [صفحه ۳۳۳] البیعة من الحسین علیه السلام و عبدالله بن عمر و عبدالرحمن بن أبی‌بکر و عبدالله ابن‌الزبیر.فأرسل الولید الی الحسین علیه السلام و ابن‌الزبیر منتصف اللیل، فصار الیه الحسین علیه السلام فی ثلاثین من مواله و أهل بیته و شیعته شاکین الأسلحة لیکونوا علی الباب فیمنعوه اذا علا صوته، و بیده قضیب رسول الله صلی الله علیه وآله. و لما استقر المجلس بأبی عبدالله علیه السلام، نعی الولید الیه معاویة، ثم عرض علیه البیعة لیزید، فقال له الحسین علیه السلام.«مثلی لا یبایع سرا، فاذا دعوت الناس الی البیعة دعوتنا معهم، فکان أمرا واحدا».فاقتنع الولید منه، لکن مروان ابتدر قائلا: ان ترکته و فارقک الساعة و لم یبایع، لم تقدر منه علی مثلها حتی تکثر القتلی بینکم، ولکن احبس الرجل حتی یبایع أو تضرب عنقه.فقال الحسین علیه السلام:«یابن الزرقاء [۴۶۹] !! أأنت تقتلنی أم هو؟ کذبت و أثمت».ثم أقبل علی الولید و قال:«أیهاالأمیر: انا أهل بیت النبوة، و معدن الرسالة، و مختلف الملائکة، بنا فتح الله و بنا یختم. و یزید رجل فاسق شارب الخمر، قاتل النفس المحترمة، معلن بالفسق، و مثلی لا یبایع مثله، ولکن نصبح و تصبحون و ننظر و تنظرون أینا أحق بالخلافة». [صفحه ۳۳۴] فأغلظ الولید فی کلامه، و ارتفعت الأصوات، فهجم تسعة عشر رجلا قد انتضوا خناجرهم و أخرجوا الحسین علیه السلام من منزله قهرا. [۴۷۰] .و الذی یتأمل فی الحوار الذی جری بین الحسین علیه السلام و مروان، یلمس بوضوح خلفیات کلام کل منهما، أن مروان یتسلح بقوة الأمیر (الولید) و قدرته علی السجن و القتل و البطش: (ولکن احبس الرجل حتی یبایع أو تضرب عنقه).و أما الحسین علیه السلام فهو یتحدث عن خلیفة تاریخیة ذات جذور راسخة و عمیقة و أصالة، و یقول:«أنا أهل بیت النبوة»من بیت النبوة و اسرة رسول الله صلی الله علیه وآله،«و معدن الرسالة، و مختلف الملائکة»و النبع الصافی. و للرسالة و النبوة جذور عمیقة فی هذه الاسرة، کما أن للمعدن جذور عمیقة فی الأرض.«بنا فتح الله و بنا یختم»و قد فتح الله تعالی الرسالة بهذه الاسرة و ختمها بها. و من هذه الاسرة أبوالأنبیاء صلی الله علیه وآله، و من هذه الاسرة خاتم الأنبیاء صلی الله علیه وآله، ثم یقول:«و یزید شارب الخمر، قاتل النفس المحترمة، معلن بالفسق»،

فالفاصلة بين هاتين الاسرتين كبيرة، و لا يمكن أن يصافح الحسين عليه السلام يزيد، أو يبايعه و يعترف بامارته، و هو الفاسق المعلن للفسق شارب الخمر، و قاتل النفس البريئة،«و مثلى لا يبايع مثله».

الحسين فى يوم عاشوراء

و للحسين عليه السلام كلام آخر فى يوم عاشوراء خطاب به جيش عمر بن سعد ننقل منه الجملة التى نريد أن نستشهد بها فقط. [صفحه ۳۳۵] «ألا و أن الدعى ابن الدعى قد ركز بين اثنتين: بين السلة و الذلة، و هيهات منا الذلة، يأبى الله ذلك و رسوله و المؤمنون، و حجور طابت و طهرت، و انوف حمية و نفوس أبية، من أن نؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام». [۴۷۱] .و ما أروع و الصورة التى يرسمها الحسين عليه السلام، و هو فى قلب الأعداء، يوم عاشوراء لهذه المعركة.انه يشخص أولا العدو تشخيصا دقيقا، و يشخص موضعه و أصله و نبعه، انه على وجه الدقة (الدعى ابن الدعى)، و لا يحتاج الأمر الى أكثر من هذا التشخيص و التوضيح، و يصفع الطاغية بهذا الكلام أمام جنده و قواته، و هو فى قبضتهم، و يعلن أن الدعى ابن الدعى يخيره بين (الذلة) و مبايعة يزيد بن معاوية الفاسق و بين (سلة) البطش و القتل.ثم يعلن موقفه من هذا الخيار الصعب:«و هيهات منا الذلة».يقول لهم أن هذا الموقف ليس موقفا شخصيا، يمكن أن يتزلزل أو يخضع للاغراء و الوعود، أو للضغط و الارهاب، و انما هو موقف يفرضه عليه (الله) و (رسوله)، و هذا هو البعد الأول لموقف الحسين عليه السلام يوم عاشوراء، ينبع من الولاء (لله) و (الرسول) و الايمان بالله و الرسول صلى الله عليه وآله.ثم يقول عليه السلام:«و المؤمنون»و هذا هو البعد الثانى للموقف، فالمؤمنون فى كل مكان يرفضون له الاستسلام و الانقياد للفاسق يزيد بن معاوية، و يطلبون منه الثبات و الصعود و عدم الخضوع للاغراء و الارهاب. [صفحه ۳۳۶] ثم يقول عليه السلام:«و حجور طابت و طهرت و انوف حمية و نفوس أبية»و هذا هو البعد التاريخى الثالث و الجذور التاريخية العميقة لهذا الموقف. و كأن الحسين عليه السلام يريد أن يقول لجيش ابن زياد يومئذ أنه ليس كسائر الناس؛ خشبة عائمة على مجرى الماء، يأخذه التيار حيث يتجه، و انما هو جزء من بنيان كبير وعريق و أصيل، يرتبط الله و رسوله من جانب، و يرتبط بالمؤمنين من جانب آخر، و يرتبط باسرة طاهرة نقية أبية للضيم رافضة للظلم من جانب ثالث، فلا يمكن أن يختار طاعة اللئام على مصارع الكرام.

محمد بن أبى عمير فى سجون العباسيين

و أود أن أذكر نموذجا آخر من نماذج الصمود و الثبات من تاريخنا من المؤمنين الذين تعرضوا للفتنة، فحماهم الله تعالى بمواقف آبائهم و اخوانهم الذين سبقوهم فى الايمان و الابتلاء، فلم يخضعوا للارهاب و التعذيب، و هو محمد بن أبى عمير رحمه الله.كان من خيار أصحاب الامام موسى بن جعفر و الامام الرضا على بن موسى و الامام الجواد محمد بن على عليهم‌السلام، و قد أدركهم جميعا.و روى عن الامام الرضا و الجواد عليهماالسلام، ذكر ابن‌بطة أن له أربعا و تسعين كتابا. [۴۷۲] .يقول النجاشى:«روى أنه حبسه المأمون... و قيل أن اخته دفنت كتبه فى حالة اختفائه و كونه [صفحه ۳۳۷] فى الحبس أربع سنين، فهلكت الكتب... فحدث من حفظه، و مما كان سلف له فى أيدى الناس. فلهذا أصحابنا يسكنون الى مراسليه. و قد صنف كتبا كثيرة». [۴۷۳] .و قد كان رحمه الله طويل السجود، كثير الذكر و العبادة.روى الكشى، عن الفضل بن شاذان، قال:«دخلت العراق فرأيت واحدا يعاتب صاحبه و يقول له: أنت رجل عليك عيال و تحتاج أن تكسب عليهم، و ما آمن عليك أن يذهب عيناك لطول سجودك، فلما أكثر عليه، قال: أكثرت على ويحك لو ذهبت عينا أحد من السجود لذهبت عين ابن أبى‌عمير. ما ظنك برجل سجد سجدة الشكر بعد صلاة الفجر فما يرفع رأسه الا زوال الشمس. [۴۷۴] .و يقول فضل بن شاذان: أخذ يوما شيخى بيدى و ذهب الى ابن أبى‌عمير، فصعدنا فى غرفة و حوله مشايخ له يعظمونه و يبجلونه. فقلت لأبى: من هذا؟ قال: هذا ابن أبى‌عمير.قلت: الرجل الصالح العابد؟ قال: نعم. [۴۷۵] .و قد ألقى هارون عليه

القبض«و ضرب ابن أبی‌عمیر مائة خشبة و عشرون خشبة بأمر هارون. تولی ضربه السندی بن شاهک علی التشیع». [۴۷۶] .و روی الفضل بن شاذان قال:«سعی بمحمد بن أبی‌عمیر الی السلطان أن یعرف أسامی الشیعة بالعراق، [صفحه ۳۳۸] فأمره السلطان أن یسمیهم، فامتنع، فجرد، و علق بین القفازین فضرب مائة سوط.قال الفضل: فسمعت ابن أبی‌عمیر یقول: لما ضربت فبلغ الضرب مائة سوط، أبلغ الضرب الألم الی، فکدت أن اسمی، فسمعت نداء محمد بن یونس بن عبدالرحمن، یقول: یا محمد بن أبی عمیر: اذکر موقفک بین یدی الله تعالی، فتقویت بقوله و صبرت، و لم اخبر، و الحمد لله». [۴۷۷] .و الانسان العامل عندما یشعر أنه جزء لا یتجزأ من مسیرة متصلة بعیدة الأغوار فی التاریخ، ممتدة علی امتداد الزمان، لا یشعر بالفشل و الانکسار و الضعف.فان الفشل یصیب الانسان، اذا کان لوحده مشروعا قائما بالذات، یموت العمل بموته، و یعیش بحیاته، و ینجح بنجاحه، و یسقط بفشله. و أما حینما یکون الانسان جزءا من مسیرة مترابطة متماسکة تمتد عبر الزمان، فلن تتوقف المسیرة اذا مات، و لن تفشل اذا فشل، و لن یکون الفشل الا انتکاسة فی المسیرة، سرعان ما تستطیع المسیرة أن تتجاوز و أن تجبر الخسارة.ان هذه المسیرة قد جاوزت نمرود و فرعون و قوم عاد و ثمود و مئات الجبابرة و الطغاة المستکبرین علی وجه الأرض الذین کانوا یتحدون الأنبیاء و المرسلین علیهم‌السلام، فلم تتوقف المسیرة، و واصلت عملها و تقدمها.و من هذه الزاویة، فلیس فی حساب هذه المسیرة الفشل و الهزیمة بالمعنی الذی یعرفه الناس.. و أکثر ما فیه انتکاسة، أو کما یقول القرآن الکریم: قرح، قد أصاب العدو مثله أو أکثر منه، و سرعان ما تتجاوز المسیرة الانتکاسة، و یندمل [صفحه ۳۳۹] القرح: و تنشط المسیرة، و لن یکون القرح الا تمحیصا و تزکیة للذین آمنوا، و هذا هو شعور الدعاة الی الله العاملین فی سبیل الله، اذا أصابهم قرح فی المعرکة أو أصابتهم انتکاسة فی ساحات القتال و الصراع.و لنتأمل هذه الآیات المبارکات من سورة آل عمران:(و لا تهنو و لا تحزنوا و أنتم الأعلون ان کنتم مؤمنین ان یمسسکم قرح فقد مس القوم قرح مثله و تلک الأیام نداولها بین الناس و لیعلم الله الذین آمنوا و یتخذ منکم شهداء و الله لا یحب الظالمین و لیمحص الله الذین آمنوا و یمحق الکافرین أم حسبتم أن تدخلوا الجنة و لما یعلم الله الذین جاهدوا منکم و یعلم الصابرین). [۴۷۸] .لم تنزل هذه الآیات بعد معرکة ظافرة، و بعد نشوة من نشوات النصر، و انما نزلت بعد مرارة نکسة احد بالذات. بعد هذه النکسة المرة یقول الله تعالی للمؤمنین: (و لا تهنوا و لا تحزنوا)، و لیس من موجب للاحساس بالوهن و الحزن.فان ما أصابهم فی احد لن یزید علی أن یکون قرحا قد أصاب العدو مثله.«و انتم الاعلون»، و مسیرتکم هی الظافرة المؤیدة من عندالله، و النصر لا یتجاوزکم. و ما أصابکم من قرح فی (احد) فهو لکم تمحیص و تطهیر و تزکیة، یرید الله أن یزکیکم به، و لن تدخلوا الجنة ما لم یصبکم أمثاله، و ما لم یطهرکم الله و یزکیکم و یمحصکم به.ان الانسان العامل الداعیة الی الله یشعر أن هذه المسیرة لن تبتدأ به، و لن تختم به، و لن یکون جهده و عمله الا جزء من المجهود الکبیر المتواصل الذی تبذله [صفحه ۳۴۰] الأجیال من المؤمنین.و هذا المجهود عتید و متصل عبر الأجیال و الزمان، و لن ینقطع. فاذا نصره الله خلال تحرکه و عمله فسوف یضیف علی مکاسب السلف مکسبا جدیدا و علی انجازاتهم انجازا جدیدا فی حساب النصر. و اذا ابتلاه الله بقرح و انتکاسة فسوف یکون سببا فی تمحیصه و تمحیص المؤمنین و تمحیص المسیرة جمیعا، و یطهر المسیرة و الصف من نشوات النصر و ما یلحق هذه النشوات من الغرور و البطر و الریاء.فلا موجب اذن للاحساس بالوهن و الحزن، و لا موجب للشعور بالیأس و الخوف.ان الداعیة عندما یندمج فی المسیرة، و یتحول من مشروع مستقل قائم بذاته الی جزء من هذه المسیرة لا یکاد أن یساوره شعور بالخوف و الیأس و الوهن و الضعف الا عندما تنتابه حالات ضعف الانسان، فیدرکه الله تعالی برحمته و نوره و قوته، و یبعث فی نفسه الأمل و القوة و الثقة بالله تعالی و یشرح صدره و یذهب عنه الخوف و الیأس و الشک.و مما یصیب العاملین فی سبیل الله عندما ینهضون برسالة الله فی أجواء الجاهلیة، الاحساس بالوحشة و الغربة.الغربة فی کل شیء: فی التصورات، و الأفکار، و العقائد، و الأعراف، و المصطلحات، و الأخلاق، و التقالید، و الصلاة، و الصیام، و ذکر الله.و الشعور بالوحشة و الغربة عندما یتعمق فی نفسه الداعیة، یعزله و یزویه و یبعث فی نفسه الیأس و الوهن و أحیانا الخوف.انه یتحرک علی عکس التیار، و ماذا تراه یستطیع أن یفعل فی وسط هذا الجو الحاشد بمظاهر الجاهلیة و الفساد. [صفحه ۳۴۱] و لیس أضر علی الدعاة من هذا الشعور، و لا شیء یبعث فی نفوسهم

الیأس و الخیبة أکثر من هذا الاحساس.أما عندما یرتبط الداعیة نفسیا باسرة التوحید الضاربة فی أعماق التاریخ و الممتدة فی أعماقه، و یشعر بأنه عضو فی هذه الاسرة المبارکة، ذو شوط من هذه المسیرة الربانیة علی وجه الأرض، و صدی لدعوات الأنبیاء، و المرسلین و امتداد لهم.. یشعر بالراحة و الظمأنینة و الثقة و الالفة و القوة.و تتمکن الثقة من نفوس الدعاة العاملین فی سبیل الله عندما یراجعون مراحل تاریخ و معاناة اسرة التوحید فی التاریخ.. فیرون الی جانب هذه المعاناة و التمحیص، و المطاردة، و الاضطهاد، و التعذیب، و التشهیر، و التسقیط الذی یرافق حیاة هذه الصفوة من الدعاة العاملین فی سبیل الله... یرون الی جانب هذه الصورة الدامیة و الی جانب الدموع و الدماء.. نصر الله تعالی لهذه العصبة المؤمنة و تأییده، و یرون ید الله القویة و القاهرة و الرحیمة معا فی کل مراحل حیاتها.. کلما نزلت بهم محنة، و کلما حلت بهم کارثة، و کلما ضاقت بهم الأرض بما وسعت، و کلما قست علیهم الظروف.و یرون أن هذا النصر و التأیید الالهی للعصبة المؤمنة العاملة فی سبیل الله، لیس صدفة، و لا حادثا طارئا، و انما هو سنة من سنن الله الثابتة التی لا تتحول و لا تتبدل.(و نرید أن نمن علی الذین استضعفوا فی الأرض و نجعلهم أئمة و نجعلهم الوارثین و نمکن لهم فی الأرض و نری فرعون و هامان و جنودهما منهم ما کانوا یحذرون». [۴۷۹] . [صفحه ۳۴۱] (وعد الله الذین آمنوا منکم و عملوا الصالحات لیستخلفنهم فی الأرض کما استخلف الذین من قبلهم و لیمکنن لهم دینهم الذی ارتضی لهم و لیبدلنهم من بعد خوفهم أمنا یعبدوننی و لا یشرکون بی شیئا). [۴۸۰] .(فان مع العسر یسرا ان مع العسر یسرا). [۴۸۱] .(و لقد سبقت کلمتنا لعبادنا المرسلین انهم لهم المنصورون و ان جندنا لهم الغالبون). [۴۸۲] .(کم من فئة قلیلة غلبت فئة کثیرة باذن الله و الله مع الصابرین). [۴۸۳] .(لقد نصرکم الله ببدر و أنتم أذلة). [۴۸۴] .(لقد نصرکم الله فی مواطن کثیرة و یوم حنین). [۴۸۵] .فیزول من نفوس الدعاة العاملین فی سبیل الله کل شک و ریب و کل یأس و خوف، و تنشرح صدورهم بالثقة بالله تعالی و نصره و تأییده.فمهما تطول معاناة المؤمنین، و یطول عذابهم، و تطول محنتهم، فان الله تعالی لن یتخل عنهم و لن یترکهم لوحدهم فی مواجهة الظالمین و الطغاة، و لابد أن ینصرهم الله، کما نصر الله تعالی نوحا و ابراهیم و موسی و عیسی علیهم‌السلام و رسول الله صلی الله علیه وآله، و کما نصر الله تعالی الصالحین من عباده.و هذا الاحساس بمعیة الله تعالی و تأییده و نصره لاسرة التوحید یبعث فی [صفحه ۳۴۳] نفوس الدعاة الی الله الثقة و الأمل و الطمأنینة و الثبات، و یدعم نفوسهم و یربط علی قلوبهم، و یشرح صدورهم، و یزیل عنهم الاحساس بالوحشة و الغربة فی الطریق، مهما قل العاملون علی الطریق.یقول أمیرالمؤمنین علیه السلام:«أیها الناس لا تستوحشوا من طریق الهدی لقلة أهله، فان الناس قد اجتمعوا علی مائدة شبعها قصیر و جوعها طویل». [۴۸۶] .و اذا کانت الموائد التی تستقطب الناس، شبعها قصیر، و جوعها طویل، فما أحری بالدعاة الی الله أن یعتزلوا هذه الموائد الی المائدة الالهیة التی یجتمع حولها الأنبیاء و الدعاة الی الله و الصالحون من عباد الله:(و ما عند الله خیر و أبقی للذین آمنوا و علی ربهم یتوکلون). [۴۸۷] .(و رزق ربک خیر و أبقی). [۴۸۸] .و یکتب أمیرالمؤمنین علیه السلام لأخیه عقیل، و قد آثر الحیاة الدنیا علی أخیه ابی الحسن:«و لا یزیدن کثرة الناس حولی عزة، و لا تفرقهم عنی وحشة. و لا تحسبن ابن أبیک و لو أسلمه الناس متضرعا متخشعا، و لا مقرا للضیم وهنا، و لا سلس الزمام للقائد، ولا وطیء الظهر للراکب المتقد». [۴۸۹] .و فی هذه المسیرة عمل الآباء للأبناء ذکری و درس، و خبرة الآباء تنتقل الی الأبناء کدروس، و لا یبدأ الدعاة الی الله عملهم من نقطة الصفر، لا فی العمل [صفحه ۳۴۴] و لا فی خبرات العمل.و انما تنتقل خبرات العمل من جیل الی جیل، و فی کل مرحلة، یزداد العاملون فی سبیل الله نضجا فی العمل، و خبرة فی أسالیب الدعوة الی الله، و فی أسالیب مواجهة الطغاة، و وعیا للعقبات و صعوبات الدعوة الی الله، و فهما لأسالیب مواجهة هذه الصعوبات و العقبات.و الله تعالی یعلم نبیه صلی الله علیه وآله أن یتعلم الصبر ممن سبقه حتی اولی العزم من الأنبیاء:(فاصبر کما صبر اولوا العزم من الرسل و لا تستعجل لهم). [۴۹۰] .و یقص الله تعالی علی نبیه و علی المؤمنین قصصا من أنباء الرسل، لیکون لهم عظة و ذکری:(و کلا نقص علیک من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادک و جاءک فی هذه الحق و موعظة و ذکری للمؤمنین). [۴۹۱] .و بعد، فهذه بعض الایحاءات التی یعطیها الاحساس بالانتماء الی اسرة ابراهیم علیه السلام، و الشعور بوراثة الأنبیاء و الأولیاء و الصالحین من عباد الله.و الحمد لله رب العالمین. [صفحه ۳۴۷]

الابعاد السیاسیة و الحرکیة لثورة الامام الحسین

اشاره

حینما نستعرض کلمات الامام الحسین علیه السلام و مواقفه حین تولی«یزید»الأمر بعد أبیه«معاویة»و دعی الامام من قبل عامل یزید علی المدینة الی البیعة، الی أن هبط الامام أرض کربلاء، و وقف بها فی مواجهة جیش بنی‌امیة... نجد عاملین اثنین کانا السبب الباعث علی الخروج و الثورة علی الحکم الاموی، و الذی انتهی الی استشهاد الامام علیه السلام فی وقعة الطف.الأول: العامل السیاسی.الثانی: العامل الحرکیلابد لنا من أن ندرس هذین العاملین فی کلمات الامام الحسین علیه السلام فی هذا المسیر (من المدینة الی کربلاء) لنستطیع أن نقدم تفسیرا وافیا و دقیقا لحرکة الامام و ثورته.

العامل السیاسی

اشاره

و نبدأ بدراسة العامل السیاسی فی هذه القضیة. کان أول شیء اهتم به یزید بن معاویة بعد أن تولی الخلافة من بعد أبیه هو فرض البیعة علی الحرمین الشریفین، و کان الحرمان الشریفان یعتبران نقطتی الثقل السیاسی فی اعطاء الشرعیة أو سلب الشرعیة من مرکز الخلافة فی الشام. و أکثر ما کان یهم یزید من أمر البیعة [صفحه ۳۴۸] ثلاثة أشخاص: الامام الحسین علیه السلام و عبدالرحمن بن أبی‌بکر، و عبدالله بن الزبیر.و لذلک فقد کانت بیعة الحرمین الشریفین، أول ما فکر فیها یزید بن معاویة بعد أن تولی الأمر فی الشام.و لا شک أن أمر الحسین علیه السلام کان یشغل بال الخلیفة الجدید و مستشاریه من بنی‌امیة أکثر من أی شخص آخر. و کان معاویة قد سعی من قبل لأخذ البیعة من الحسین علیه السلام بولایة العهد لابنه یزید فلم یفلح. و کان من جواب الامام الحسین علیه السلام له حین دعاه الی قبول ولایة العهد لابنه یزید:«و هیهات هیهات یا معاویة، فضح الصبح فحمة الدجی، و بهرت الشمس أنوار السرج، و لقد فضلت حتی أفرطت، و استأثرت حتی أجحفت، و منعت حتی محلت، و جزت حتی جاوزت، ما بذلت لذی حق من اسم حقه بنصیب، حتی أخذ الشیطان حظه الأوفر، و نصیبه الأکمل. و فهمت ما ذکرته عن یزید من اکتماله و سیاسته لامة محمد صلی الله علیه وآله، ترید أن توهم الناس فی یزید، کأنک تصف محجوبا، أو تنعت غائبا، و قد دل یزید من نفسه علی موقع رأیه، فخذ لیزید، فیما أخذ فیه من استقرائه الکلاب المهارشة عند التهارش، و الحمام السبق لأترابهن، و القیان ذوات المعازف، و ضرب الملاهی تجده باصرا، و دع عنک ما تحاول، فما أغناک أن تلقی الله من وزر هذا الخلق بأکثر مما أنت لاقیه. فوالله ما برحت تقدح باطلا فی جور، و حنقا فی ظلم، حتی ملأت الأسقیة. ما بینک و بین الموت الا غمضة، فتقدم علی عمل محفوظ فی یوم مشهود، و لات حین مناص». [۴۹۲] .فلما مات معاویة، و تولی یزید الأمر کان أول ما فکر فیه أن یأخذ البیعة من [صفحه ۳۴۹] الحسین علیه السلام، فکتب فی ذلک الی عامله علی المدینة«الولید بن عتبة» [۴۹۳] ، فامتنع الحسین علیه السلام امتناعا شدیدا فی قصة طویلة، یذکرها الطبری [۴۹۴] ، و ابن الأعثم [۴۹۵] ، و غیرهما من المؤرخین. فقد قال الحسین علیه السلام لمروان، و کان حاضرا ذلک المجلس، و کان یحث الولید ألا یترک الحسین حتی یأخذ البیعة منه فی ذلک المجلس، و الا فیضرب عنقه.. فقال له الامام الحسین:«ویلی علیک یاابن الزرقاء [۴۹۶] ، أتأمر بضرب عنقی، کذبت والله. والله لو رام ذلک أحد من الناس لسقیت الأرض من دمه قبل ذلک. فرم ضرب عنقی ان کنت صادقا».ثم أقبل الحسین علیه السلام علی الولید بن عتبة فقال:«أیها الأمیر انا أهل بیت النبوة، و معدن الرسالة، و مختلف الملائکة، و محل الرحمة، بنا فتح الله، و بنا یختم، و یزید رجل فاسق، شارب الخمر، قاتل النفس المحترمة، معلن بالفسق، و مثلی لا یبایع مثله». [۴۹۷] .و عندما خرج الحسین علیه السلام من عند الولید، لامه مروان علی ذلک لوما شدیدا، فقال له عامل یزید:«ویحک

اتشیر علی أن أقتل الحسین، فوالله ما یسرنی أن لی الدنیا و ما فیها، [صفحه ۳۵۰] و ما أحسب أن قاتله یلقی الله بدمه الا خفیف المیزان یوم القیامة».فقال له مروان مستهزءا:«ان کنت انما ترکت ذلک لذلک فقد اصبت». [۴۹۸] .و قد کان موقف الامام علیه السلام فی الامتناع من البیعة لیزید موقفا واضحا، لا یشک فیه أحد، و کلمات الامام فی مواقف متعددة فی مسیره من المدینة الی کربلاء توضح هذه الحقیقة. یقول الامام علیه السلام لمحمد بن الحنفیة (أخیه):«یا أخی، والله لو لم یکن فی الدنیا ملجأ و لا مأوی لما بایعت و الله یزید بن معاویة أبدا». [۴۹۹] .و خطب الامام یوم عاشوراء فی جیش بنی‌امیة فقال:«ألا و أن الدعی بن الدعی قد رکز بین اثنتین بین السلة و الذلة، هیهات منا الذلة. یأبی الله ذلک لنا و رسوله و المؤمنون، و حجور طابت و طهرت، تؤثر مصارع الکرام علی طاعة اللئام». [۵۰۰] .و قال لأخیه عمر الأطراف عندما دعاه الی أن یتجنب مجاهدة یزید:«انی لا اعطی الدنیة من نفسی أبدا، و لتلقین فاطمة أباها شاکیة مما لقیت ذریة من أمته». [۵۰۱] .و عندما خرج الامام علیه السلام یوم عاشوراء، لیقاتل جیش ابن‌سعد بنفسه کان یرتجز و یقول: [صفحه ۳۵۱] الموت أولی من رکوب العار و العار أولی من دخول النار [۵۰۲] .فلم یکن الامام - اذن - لیبایع یزید مهما یکن من أمر. و من طرف آخر لم یکن یزید لیترک الامام علیه السلام من دون بیعة تکن النتیجة.و قد کان الامام الحسین لأصحابه حینما أرادوا الخروج من الحجاز الی العراق:«و أیم الله لو کنت فی جحر هامة لاستخرجونی». [۵۰۳] .و لما علم عبدالله بن جعفر أن الحسین یرید الخروج الی العراق کتب الیه یدعوه الی البقاء، فکتب الیه الحسین علیه السلام.«و الله یابن عمی لو کنت فی جحر هامة بمن هوام الأرض لاستخرجونی حتی یقتلونی. والله یابن عم لیعدین علی کما عدت الیهود علی السبت». [۵۰۴] و فی روایة اخری یرویها الشیخ المفید فی الارشاد عن الامام علیه السلام بنفس المضمون:«والله لا یدعونی حتی یستخرجوا هذه العلقة من جوفی، فاذا فعلوا سلط الله علیهم من یذلهم، حتی یکونوا أذل فرق الامم». [۵۰۵] . [صفحه ۳۵۲] اذا فلم یکن للامام الحسین علیه السلام غیر طریق واحد؛ و هو الشهادة... فأن یزید لا یقبل من الامام بغیر البیعة، و الحسین علیه السلام لا یعطی البیعة لیزید، مهما تکن الأسباب، فلا طریق للحسین الا الشهادة، و لابد أن یکون الحسین علیه السلام عازما علی الشهادة، حین خرج من الحجاز الی العراق.

الخیار الثالث

و کان هناک طریق آخر ثالث، اقترحه علیه بعض الناصحین، رفضه الامام رفضا قاطعا، و هو أن یبتعد عن ساحة المعرکة، و یعتزل الناس، و یذهب بعیدا الی الیمن، أو الی بعض شعب الجبال، و یحتجب عن الناس فیکون قد حقق الغایة، و هو الامتناع عن البیعة لیزید، دون أن یعرض نفسه و أهل بیته و أصحابه للأذی و الهلاک من قبل یزید و ولاته و عماله.یقول ابن الأثیر: لما عزم الحسین علیه السلام علی الخروج من الحجاز الی العراق جاءه ابن‌عباس فقال:«یابن العم انی أتصبر، و لا أصبر. انی اتخوف علیک فی هذا الوجه الهلاک و الاستئصال. ان أهل العراق قوم غدر، فلا تقربنهم. أقم فی هذا البلد (مکة المکرمة)، فانک سید أهل الحجاز، فان کان أهل العراق یریدونک کما زعموا، فأکتب الیهم فلینفوا عاملهم و عدوهم ثم أقدم علیهم، فان أبیت الا أن تخرج فسر الی الیمن فان بها حصونا و شعابا و هی أرض عریضة طویلة، و لأبیک بها شیعة، و أنت عن الناس فی عزلة». [۵۰۶] .و کان ممن یحمل هذا الرأی أخوه محمد بن الحنفیة اذ جاء الی الحسین علیه السلام لما عزم علی مغادرة المدینة بأهل بیته، فقال له کما یروی ابن‌الأثیر: [صفحه ۳۵۳] «یا أخی أنت أحب الناس الی، و أعزهم علی، و لست أدخر النصیحة لأحد من الخلق أحق بها منک. تنح ببیعتک عن یزید و عن الأمصار ما استطعت، و ابعث رسلک الی الناس.. فان بایعوا لک حمدت الله علی ذلک و ان أجمع الناس علی غیرک لم ینقص الله بذلک دینک و لا عقلک... قال الحسین علیه السلام: فأین أذهب؟ قال: أنزل مکة فان أطمأنت بک الدار فبسبیل ذلک، و ان نأت بک لحقت بالرمال و شعب الجبال و خرجت من بلد الی بلد حتی تنظر الی ما یصیر أمر الناس. [۵۰۷] .و فی العراق اقترح الطرماح بن عدی علی الامام أن یمتنع عن جیش یزید بن معاویة بمعاقل طی المنیعة، فقال للامام:«فان أردت أن تنزل بلدا یمنعک الله به، حتی تری من رأیک و تستبین لک ما أنت صانع، فسر حتی أنزلک مناع جبلنا، الذی یدعی (أجا) أمتنعنا والله به عن ملوک غسان،

و حمیر، و من النعمان بن المنذر، و من الأسود و الأحمر. والله أن دخل علینا ذل قط، فأسیر معک حتی أنزلک القریة». [۵۰۸] .الا أن الامام رد هؤلاء جمیعا من دون تردد، لا لأنه کان یشک فی صدقهم و نصحهم له، و لا لأنهم کانوا موضع ارتیاب و شک عند الامام، ولکن لأن هؤلاء لم یکونوا یفهمون الامام و رأیه و موقفه بالشکل الصحیح، فلم یکن هم الامام فقط أنه لا یبایع یزید، و ألا یضع یده فی ید ابن‌معاویة، و لو کان الامام یکتفی بهذا الحد ما کلفه ذلک کثیرا. فما کان أیسر علی الامام أن یعتزل الناس و یغادر الحجاز الی بلد ناء من هذه البلاد النائیة التی نصحه بها أخوه محمد و ابن‌عمه عبدالله بن عباس، أو نصحة بها الطرماح بن عدی، الا أن الامام لم یکن یکتفی [صفحه ۳۵۴] بهذا الموقف السلبی فی أمر خلافة یزید بن معاویة، و لم یکن هذا الموقف السلبی فی رفض البیعة الا وجها واحدا من وجهی الموقف. أما الوجه الآخر و هو الأهم، و الذی کلف الامام نفسه، و أهل بیته، و أصحابه، و شیعته، فهو اعلان هذا الرفض علی الملأ من المسلمین.و هذا الاعلان هو الذی أغضب بنی‌امیة و أثارهم، فقد اعتبروه تحدیا صارخا لسلطانهم و حکمهم، و خروجا علی حکمهم و سلطانهم، و لم یکن بنوامیة یتحملون شیئا من ذلک فی أیام سطوتهم و سلطانهم و زهوهم. و کان الامام الحسین علیه السلام یتوخی من هذا الاعلان مطلبا سیاسیا لم یکن یتحقق لولا اعلان الرفض؛ و هو اسقاط شرعیة خلافة بنی‌امیة فی نظر العامة من المسلمین. فقد کانت الخلافة رغم کل السلبیات التی أحاطت بها الی هذا الحین تتمتع بالشرعیة فی نظر الأکثریة من المسلمین، و کانت هذه الشرعیة تمکن بنی‌امیة من رقاب المسلمین، و تشل عمل و دور المعارضة، و تطعی للنظام الاموی قوة و مقاومة کبیرة. و أخطر من هذا کله، ان هذه الشرعیة کانت تمکن بنی‌امیة من ادخال الانحرافات الجاهلیة – التی جاء بها بنوامیة معهم الی الحکم – الی الاسلام، فیمس الخطر عندئذ الاسلام، و تکون مصیبة المسلمین مصیبتین: مصیبة فی حیاتهم و نظام امورهم، و مصیبة اخری أکبر و أخطر فی دینهم. و کانت هذه النقطة الثانیة تشغل بال سیدالشهداء أکثر من أی شیء آخر، فقد بدأ هذا الانحراف یتسرب الی الاسلام نفسه من داخل قصور بنی‌امیة، بما یقترفون من لهو و فساد و ظلم. و الی هذه النقطة بالذات یشیر الامام علیه السلام فی کلامه مع مروان بن الحکم صبیحة اللیلة التی خرج فیها الامام من بیت الولید، رافضا البیعة، حیث التقی مروان بالامام فی الطریق فنصح الامام بالبیعة لیزید، فقال الامام لمروان:«علی الاسلام السلام، اذا بلیت الامة، براع مثل یزید. و لقد سمعت جدی [صفحه ۳۵۵] رسول الله صلی الله علیه وآله یقول: الخلافة محرمة علی آل أبی‌سفیان». [۵۰۹] .اذن کان الامام یخشی أکثر ما یخشی علی الاسلام – بالذات – من أن یدخل علیه ما جاء به بنوامیة الی الحکم من انحراف و فساد، و اذا کان لا یمکن اسقاط الخلیفة و انتزاع السلطان منه، فان من الممکن انتزاع الشرعیة من الخلافة، و تجرید الحکم الاموی من الشرعیة التی کان یحرص علیها حکام بنی‌امیة. و مثل هذا الأمر یتطلب موقفا صریحا معلنا فی رفض البیعة، و الامتناع عن قبول خلافة یزید من جانب الامام فی وسط الرأی العام الاسلامی حینذاک. و هذا ما عمد الیه الحسین علیه السلام عندما رفض البیعة و رفض أن یخفی موقفه السلبی هذا، و یعتزل الوسط السیاسی الی بعض الشعاب و الودیان و الجبال، لیسلم بنفسه و أهل بیته و أصحابه من ملاحقة حکام بنی‌امیة. لقد کان الامام یخطط لیجعل من موقفه هذا موقفا سیاسیا صارخا، و احتجاجا فی وجه حکام بنی‌امیة و اعلانا لسحب الثقة و الشرعیة من حکام بنی‌امیة و اعلام الامة کلها بذلک. و هذه بعض النماذج من کلمات الامام و مواقفه الصریحة فی هذا الصدد:أولا: غادر الامام المدینة الی مکة لیلا بجمیع أهله و سار علی الجادة التی یسلکها الناس، فقال له ابن‌عمه مسلم بن عقیل:«لو عدلنا عن الطریق و سلکنا غیر الجادة، کما فعل عبدالله بن الزبیر [۵۱۰] کان عندی الرأی، فانا نخاف أن یلحقنا الطلب». فقال له الحسین علیه السلام: [صفحه ۳۵۶] «لا والله یا ابن عم لا فارقت هذا الطریق أبدا أو أنظر الی أبیات مکة أو یقضی الله فی ذلک ما یحب و یرضی». [۵۱۱] .ثانیا: دخل الامام مکة بصورة علنیة متحدیا سلطان بنی‌امیة. و یصف الخوارزمی نزول الحسین علیه السلام بمکة فیقول:«و کان قد نزل بأعلی مکة، و ضرب هناک فسطاطا ضخما، ثم تحول الحسین الی دار العباس، حولها الیه عبدالله بن عباس... فأقام الحسین مؤذنا یؤذن، رافعا صوته، فیصلی بالناس». [۵۱۲] و تجمع الناس حول ابن بنت رسول الله فی مکة اجتماعا کبیرا. یقول ابن‌أعثم:«دخل الحسین الی مکة ففرح به أهلها، فرحا شدیدا، و جعلوا یختلفون الیه بکرة و عشیة، و اشتد ذلک علی عبدالله بن الزبیر لأنه قد کان طمع أن یبایعه أهل

مکة. فلما قدم الحسین شق ذلک علیه.. لکنه کان یختلف الیه[الی الحسین]، و یصلی بصلاته، و یقعد عنده و یسمع من حدیثه، و هو مع ذلک یعلم أنه لا یبایعه أحد من أهل مکة، و الحسین بن علی بها، لأن الحسین عندهم أعظم فی أنفسهم من ابن‌الزبیر» [۵۱۳] و کان عمرو بن سعید الاشدق یومئذ عامل یزید علی مکة، فهاب الحسین، و هرب الی المدینة، و کتب الی یزید بأمر الحسین: یقول الخوارزمی:«و هاب ابن‌سعید أن یمیل الحجاج مع الحسین، لما یری من کثرة اختلاف الناس الیه من الآفاق فانحدر الی المدینة و کتب بذلک الی یزید». [۵۱۴] .ثالثا: تتفق المصادر التأریخیة؛ ان الحسین علیه السلام خرج من مکة الی العراق [صفحه ۳۵۷] یوم الثامن من ذی الحجة (یوم الترویة)، عندما کان الحجاج یتوجهون الی عرفات استعدادا لیوم عرفة، و قد أثار خروج ابن بنت رسول الله یوم الترویة – من بین الحجاج – الی العراق انتباه عامة الحجاج الذین کانوا قد أموا البیت الحرام من مختلف الآفاق.فهذا ابن بنت رسول الله یحل من العمرة و یغادر مکة فی وقت یتوجه فیه الحجاج الی عرفات لأداء الحج.و لا نحتاج الی تأمل طویل لنکشف أن طریقة الحسین علیه السلام فی الخروج من المدینة الی مکة ثم مقامه فی مکة، ثم مغادرته لها الی العراق، کان بهدف التعبیر و الاعلان عن رفضه للبیعة، و لو کان الامام یرید أن یتجنب البیعة فقط، دون تنبیه و الفات الرأی العام الاسلامی لهذا الموقف السیاسی لما احتاج الی کل هذه الخطوات التی کلفته و کلفت أهل بیته و أصحابه کثیرا، و أثارت علیه سخط بنی‌امیة و غضبهم، و لقد کان بنوامیة یکتفون من الحسین علیه السلام – فی أغلب الظن – أن یحتجب و یبتعد عن الرأی العام، و یخرج الی ثغر بعید من ثغور المسلمین، بعیدا عن الأجواء السیاسیة، لکن الحسین علیه السلام أبی أن یبایع اباء قاطعا، و أبی أن یخرج الی ثغر من ثغور المسلمین، و یترک الساحة السیاسیة و الاجتماعیة و مسؤولیته الشرعیة، و الیک النص الذی اتجاه هذه الساحة.و هناک نص یرویه الطبری عن عقبة بن سمعان بهذا الشأن. و عقبة هذا کان قد رافق الحسین علیه السلام من المدینة الی کربلاء، و لم یفته شیء من کلمات الامام و اشاراته و مواقفه. یقول ابن‌سمعان:«صحبت حسینا فخرجت معه من المدینة الی مکة، و من مکة الی العراق، و لم أفارقه حتی قتل، و لیس من مخاطبته الناس کلمة بالمدینة و لا بمکة، و لا فی الطریق، و لا بالعراق، و لا فی عسکر، الی یوم مقتله، الا و قد سمعتها. لا والله ما أعطاهم ما یتذاکر الناس، و ما یزعمون، من أن یضع یده فی ید یزید بن معاویة، [صفحه ۳۵۸] و لا أن یسیروه الی ثغر من ثغور المسلمین، ولکنه، قال: دعونی فلأذهب فی هذه الأرض العریضة حتی ننظر ما یصیر أمر الناس». [۵۱۵] .

الخیارات الثلاثة

اذن کان أمام الامام الحسین علیه السلام خیارات ثلاثة:الأول: أن یبایع یزید بن معاویة.الثانی: أن یغادر الساحة السیاسیة و وسط الرأی العام الی ثغر ناء من ثغور المسلمین. حتی لا یکون خطرا علی الحکم الاموی. و نکتشف من کلمة عقبة ابن‌سمعان أن هذا الخیار کان أیضا مما یطرحه علیه بنوامیة علی شکل الأبعاد و الاقصاء، کما فعل عثمان بن عفان بأبی ذر من قبل. و هذه الطریقة من الاقصاء عن الساحة السیاسیة لتعطیل المعارضة و افشال دورها، کان معمولا بها فی تلک الأیام. و کلمة عقبة بن سمعان واضحة أیضا فی ذلک...«و لا أن یسیروه الی ثغر من ثغور المسلمین».و أما الناصحون للامام فکانوا یقترحون علیه أن یختار هذا الشق و یختار الجهة التی یعتزل فیها الساحة السیاسیة، دون أن یسیروه الیها.و مهما کان من أمر فقد رفض الامام هذا الخیار من بنی‌امیة و من محبیه، و رفض أن یترک الساحة و یعتزلها، و لم یقتصر فی أمر رفض البیعة علی هذا الحد السلبی، الذی کان لا یرفع التکلیف الشرعی، و المسؤولیة عن عاتقه، فقد کان الامام یصر علی أن یترک لشأنه لیذهب – کما یقول عقبة بن سمعان فی کلمته – فی هذه الأرض العریضة معلنا عن رأیه فی یزید، و رفضه لبیعته، و عاملا بتکلیفه الشرعی فی الحکم الاموی، و هذا ما کان یرفضه بنوامیة رفضا قاطعا و قد عبر [صفحه ۳۵۹] الامام عن ذلک لأصحابه حینما أراد الخروج من الحجاز الی العراق بقوله:«والله لو کنت فی جحر هامة من هذه الهوام لاستخرجونی». [۵۱۶] .الثالث: هو خیار المواجهة و الشهادة، و قد اختاره الامام – بالذات – من بین هذه الخیارات.و من کلمات الامام فی کربلاء، أمام جیش ابن‌سعد:«لا والله لا أعطیهم بیدی اعطاء الذلیل و لا أفر فرار العبید». [۵۱۷] .فلا یعطیهم یده للبیعة، اعطاء الذلیل، و هو

الخیار الأول الذی تحدثنا عنه، و لا یفر فرار العبید، و هو الخیار الثانی الذی أقترحه علیه بنوامیة، لالغاء دوره، و تعطیل موقفه عن خبث و مکر، و اقترحه علیه بعض الناصحین له عن عدم وعی.و هذا هو العامل الأول لثورة الامام الحسین علیه السلام.

العامل الحرکی

اشاره

العامل الثانی لحرکة الامام و خروجه و ثورته؛ هو«الأمر بالمعروف و النهی عن المنکر»لتحریک الامة و توعیتها و کسر حالة الرکود و الجمود و الاستسلام فی الامة.و قد بینا - فیما مر - کیف عمل حکام بنی‌امیة علی نشر الارهاب و الفساد فی المجتمع. و قد تمکنوا فیما أرادوا من تمییع المجتمع الاسلامی، و القضاء علی [صفحه ۳۶۰] روح المقاومة و الثورة و التمرد فی المسلمین، و نشر روح الاستکانة و الاستسلام للواقع الفاسد.و أبرز دلیل علی انتشار هذه الحالة السلبیة فی المجتمع الاسلامی - یومذاک - هو أن یتولی یزید امور المسلمین، ثم لا ترتفع صرخات الاستنکار و الاحتجاج فی العالم الاسلامی، الا ما کان هنا و هناک من اعتراضات ضعیفة و مبتورة للمعارضة، لا یسمعها و لا یدعمها أحد. و کان لابد من حرکة قویة فی وسط العالم الاسلامی، تهز ضمائر المسلمین هزة عنیفة، و تبعث فی نفوسهم الحیاة و الاحساس بالمسؤولیة، و تکسر عنهم طوق الخوف و الرعب الذی کان یملأ نفوسهم آنذاک، و تعید الیهم ثقتهم بالله ثم بأنفسهم.لقد کان لابد من تضحیة عزیزة نادرة تهز ضمائر المسلمین من الأعماق، و تعید الیهم شخصیتهم و ارادتهم التی انتزعها النظام الاموی منهم، و تشعرهم بعمق المأساة، و عمق المسؤولیة.و ان للدم و التضحیة و الفداء من الأثر فی تحریک النفوس، و کسر حاجز الخوف، و اعادة الثقة الی النفوس، و التحسیس بالمسؤولیة ما لیس لغیره من عوامل التحریک. فاقدام الامام علی الخروج و الثورة علی النظام الأموی، و المواجهة، و المجابهة لم یکن فقط لغرض رفض البیعة، و اعلان هذا الرفض، و انما کان أیضا لتحریک المسلمین، و تحسیسهم بالمسؤولیة، و اعلان الموقف الشرعی، و دعوة المسلمین الی المواجهة و المجابهة و المعارضة، و التمرد علی النظام و السلطة الامویة. و الانکار بالعمل و التضحیة و القوة من أهم شعب الأمر بالمعروف و النهی عن المنکر.وقد روی عن رسول الله صلی الله علیه وآله:«من رأی منکم منکرا، فلینکر بیده ان استطاع، فان لم یستطع فبلسانه، فان لم یستطع فبقلبه، فحسبه أن یعلم الله [صفحه ۳۶۱] أنه لذلک کاره». [۵۱۸] .و روی عن علی علیه السلام انه قال فی صفین:«أیها المؤمنون، أنه من رأی عدوانا یعمل به، و منکرا یدعی الیه، فأنکره بقلبه، فقد سلم و بریء، و من أنکره بلسانه، فقد اجر، و هو أفضل من صاحبه، و من أنکره بالسیف، لتکون کلمة الله العلیا، و کلمة الظالمین السفلی، فذلک الذی أصاب سبیل الهدی، و قام علی الطریق». [۵۱۹] .و الخروج و الثورة لانکار المنکر و الأمر بالمعروف، و لتحریک المسلمین، و تنبیههم من أوضح مصادیق (الانکار بالید)، و أقوی عوامل التحریک و التوعیة فی صفوف المسلمین. و عندما نستعرض کلمات الامام فی مسیره من المدینة الی کربلاء، نجد أن مسألة رفض البیعة، و اعلان الرفض کموقف سیاسی ضد النظام الحاکم لا تعبر عن کل أبعاد حرکة الحسین علیه السلام و ثورته، فهناک بعد آخر لهذه الحرکة؛ هو الأمر بالمعروف و النهی عن المنکر، لتحریک المسلمین لمواجهة الطاغیة و مجابهته و اسقاطه. و عنصر الأمر بالمعروف و النهی عن المنکر عنصر بارز فی حرکة الامام الحسین علیه السلام کما نقرأ فی زیارته«أشهد انک قد أقمت الصلاة و آتیت الزکاة و أمرت بالمعروف و نهیت عن المنکر». [۵۲۰] .یقول أصحاب السیر أن الحسین علیه السلام لما تهیأ لمغادرة المدینة زار قبر جده رسول الله صلی الله علیه وآله، و صلی رکعتین، ثم قال:«اللهم ان هذا قبر نبیک محمد، و أنا ابن [صفحه ۳۶۲] بنت محمد، و قد حضرنی من الأمر ما قد علمت».«اللهم انی أحب المعروف؛ و أکره المنکر، و أنا أسألک یا ذالجلال و الاکرام بحق هذا القبر، و من فیه، الا ما اخترت من أمری هذا ما هو لک رضی». [۵۲۱] .و عندما نستعرض کلمات الامام فی مسیرته من المدینة الی کربلاء؛ نجد أن الامام یؤکد کثیرا فی حرکته هذه علی عامل الأمر بالمعروف و النهی عن المنکر فی الکثیر من المواقف، و یعلن المسلمین أن

خروجه على بنی‌امیة لم یکن من أجل أن ینال سلطانا أو ملکا، و انما لیأمر بالمعروف و ینهی عن المنکر.و فی وصیته علیه السلام التی أودعها عند أخیه محمد بن الحنفیة قبل الخروج من المدینة الی مکة یقول:«أنی لم أخرج أشرا، و لا بطرا، و لا مفسدا، و لا ظالما، و انما خرجت لطلب الاصلاح فی أمة جدی محمد صلی الله علیه وآله. ارید أن آمر بالمعروف و انهی عن المنکر، و أسیر بسیرة جدی محمد، و سیرة أبی علی بن أبی‌طالب». [۵۲۲] .و فی مکة کتب الامام نسخة واحدة الی رؤساء الأخماس بالبصرة، جاء فیها:«و أنا أدعوکم الی کتاب الله، و سنة نبیه، فان السنة قد أمیتت، و أن البدعة قد احییت، و ان تسمعوا قولی، و تطیعوا أمری أهدکم سبیل الرشاد». [۵۲۳] . [صفحه ۳۶۳] و فی منزل البیضة [۵۲۴] فی طریق العراق خطب الحسین علیه السلام فی أصحابه و أصحاب الحر، فقالا:«أیها الناس أن رسول الله قال: من رأی سلطانا جائرا مستحلا لحرم الله، ناکثا لعهد الله، مخالفا لسنة رسول الله صلی الله علیه وآله، یعمل فی عباد الله بالاثم و العدوان، فلم یغیر علیه بفعل و لا قول، کما حقا علی الله أن یدخله مدخله، ألا أن هؤلاء قد لزموا طاعة الشیطان، و ترکوا طاعة الرحمن، و أظهروا الفساد، و عطلوا الحدود، و استأثروا بالفیء، و احلوا حرام الله، و حرموا حلاله، و أنا أحق من غیر». [۵۲۵] .و فی منزل«ذی حسم»(بالقرب من کربلاء)، خطب الحسین علیه السلام بعد أن حمد الله و أثنی علیه قائلا:«أنه قد نزل من الأمر ما قد ترون و ان الدنیا قد تغیرت و تنکرت، و أدبر معروفها، و استمرت جذاء فلم یبق منها الا صبابة کصبابة الاناء، و خسیس عیش کالمرعی الوبیل. ألا ترون أن الحق لا یعمل به، و أن الباطل لا یتناهی عنه؟ لیرغب المؤمن فی لقاء الله محقا، فانی لا أری الموت الا سعادة و الحیاة مع الظالمین الا برما». [۵۲۶] .و مما یؤکد عزم الامام علی الخروج و الثورة؛ أن الامام صادر أموالا کان قد بعثها عامل یزید علی الیمن الی یزید«بالتنعیم»بالقرب من مکة المکرمة. یقول الطبری: [صفحه ۳۶۴] «ثم ان الحسین أقبل حتی مر بالتنعیم، فلقی بها عیرا قد اقبل بها من الیمن، بعث بها مجیر بن ریسان الحمیری الی یزید بن معاویة، و کان عامله علی الیمن. و علی العیر الورس و الحل، ینطلق بها الی یزید، فأخذها الحسین، فانطلق بها. ثم قال لأصحاب الابل: لا أکرهکم، من أحب أن یمضی معنا الی العراق أوفینا کراءه، و أحسنا صحبته، و من أحب أن یفارقنا من مکاننا هذا أعطیناه من الکراء علی قدر ما قطع من الأرض». [۵۲۷] .و علیه فان حرکة الامام علیه السلام – کانت ذات بعدین: سیاسی و حرکی. فی البعد الأول، کان هدف الامام الحسین علیه السلام رفض البیعة، و اعلان هذا الرفض علی المجتمع الاسلامی – یومذاک – و الاستفادة من الجانب الاعلامی للرفض. و فی البعد الثانی، کان الامام یخطط للخروج علی النظام الحاکم، و ما یسمی الیوم ب«الثورة المسلحة»، و الجهاد المسلح بهدف تحریک المجتمع ضد الظلم، و ایقاظ الامة، و بعث روح الجهاد و مقاومة الظالم فی نفوسهم و دفع الناس للثورة علی الظالم و اسقاطه، و کسر حاجز الخوف، و الأمر بالمعروف و النهی عن المنکر.و هذا البعدان واضحان من کلمات الامام و مواقفه فی مسیره من المدینة الی کربلاء کما رأینا طرفا من ذلک فی هذه الدراسة.و قد کان الامام خلال هذه الحرکة السیاسیة الجهادیة علی بینة من أمرین اثنین، لابدأن نشیر الیهما، لنتمکن من رسم الصورة الکاملة للمسیرة الحسینیة: [صفحه ۳۶۵] الأمر الأول: أن هذه الحرکة – ببعدیها السیاسی و الحرکی – غیر قادرة علی اسقاط النظام الاموی، فقد کان النظام الاموی قویا مرهوب الجانب، قد أعد له معاویة کل أسباب القوة و المنعة، من مال و قوة عسکریة، و اعلام، و ارهاب، و ادارة. و لم یکن الامام علیه السلام بقادر – بما کان یتهیأ له یومذاک من أنصار – أن یقاوم قوة الشام المرکزیة بصورة أکیدة.کما أن النظام الاموی استطاع خلال هذه المدة أن یخمد جذوة الثورة فی نفوس الناس، و أن یقنع الناس بأن من الخیر لهم أن یؤثروا السلامة و العافیة، علی الثورة و التمرد علی النظام، و أن یخلدوا الی الهدوء و السکینة و السمع و الطاعة، و لا یفکروا فی شیء من امور الدولة و نظامها، و لا ینقادوا لدعوات دعاة المعارضة. و قد أفلح معاویة بشکل خاص فی تدجین الناس للنظام، و تثبیت رهبة النظام و سطوته فی نفوس الناس، و تعویدهم علی الاستسلام و الرضوخ. و کان الامام الحسین علیه السلام یعرف هذا جیدا و لا یجادل فیه، و لم یکن یأمل أن یجد فی العراق جیشا قویا یدعمه فی موقفه ضد سلطان بنی‌امیة، و یتبنی دعوته لاسقاط النظام، و یقف الی جانبه، و یثبت، و کان یعلم جیدا أن هؤلاء الناس الذین تجمعوا لدعوته و بیعته و کتبوا الیه سرعان ما ینقشعون أمام قوة الشام و الحکومة المرکزیة، و لا یبقی معه غیر قلة قلیلة من شیعته الذین دب فیهم التفکک و الضعف و روح الاستسلام و

الانهزامیة. و لقد کان الامام علیه السلام یعرف ذلک أیضا معرفة جیدة. و لم یکن خروج أخیه الحسین علیه السلام لقتال معاویة، و ما أصاب جیشه من التفکک و الخیانة، و اضطرار الامام الحسن لایقاف القتال ببعید عنه، و لم یکن الامام الحسین علیه السلام یتوقع أن تتهیأ له من الظروف السیاسیة و القتالیة أفضل مما توفرت لأخیه الحسن علیه السلام من قبل. [صفحه ۳۶۶]

التحذیر من الخروج الی العراق

و لم یکن یغیب عن الامام الحسین علیه السلام ما کان یراه، و یذکر به الکثیر من شیعته و الناصحین و المحبین له، ممن کان الامام لا یتهم نصحهم و صدقهم و فهمهم لساحة العراق. یقول ابن الأعثم (فی الفتوح) و الخوارزمی (فی المقتل): قدم ابن‌عباس الی مکة و قد بلغه أن الحسین علیه السلام عزم علی المسیر، فأتی الیه، و دخل علیه مسلما، ثم قال له: جعلت فداک، أنه قد شاع الخبر فی الناس و ارجفوا بأنک سائر الی العراق. فقال: نعم، قد أزمعت علی ذلک، فی أیامی ان شاء الله، و لا حول و لا قوة الا بالله العلی العظیم. فقال ابن‌عباس: اعیذک بالله من ذلک، و أنت تعلم أنه قد قتل فیه أبوک و اغتیل فیه أخوک». [۵۲۸] .«و دخل علیه عمر بن عبدالرحمن بن هشام المخزومی فقال: یابن رسول الله انی اتیت الیک لحاجة ارید أن أذکرها، فأنا غیر غاش لک فیها، فهل لک أن تسمعها؟ فقال الحسین: هات فوالله ما أنت عندی بسیء الرأی: فقل ما أحببت. فقال: قد بلغنی أنک ترید العراق، و أنی مشفق علیک من ذلک. أنک ترید الی قوم فیهم الامراء، و معهم بیوت الأموال، و لا آمن علیک أن یقاتلک من أنت أحب الیه من أبیه و امه میلا الی الدینار و الدرهم، فقال له الحسین: جزاک الله خیرا یابن عم. فقد علمت أنک أمرت بنصح.و مهما یقضی الله من أمر فهو کائن أخذت برأیک أم ترکته». [۵۲۹] .و لم یکن الامام یکذب هؤلاء أو یتردد فی کلامهم، و قد کانوا یؤکدون للامام [صفحه ۳۶۷] أن أهل العراق لا یثبتون طویلا أمام جیوش الشام و ان العاقبة لن تختلف عن عاقبة الجیش الذی صحب أخاه الحسین علیه السلام من قبل.کان الامام یتقبل کل ذلک و یصدقه من دون مناقشة أو تردد. یقول الخوارزمی: أن الامام عندما بلغ«ذات عرق»فی خروجه الی العراق لقیه رجل من بنی‌أسد: یقال له بشر بن غالب، فقال له الحسین علیه السلام: ممن الرجل؟ قال: من بنی‌أسد. قال: فمن أین أقبلت؟: قال: من العراق. قال: فکیف خلفت أهل العراق؟ فقال: یابن رسول الله خلفت القلوب معک، و السیوف مع بنی‌امیة. فقال له الحسین: صدقت یا أخا بنی‌أسد. ان الله تبارک و تعالی یفعل ما یشاء و یحکم ما یرید». [۵۳۰] .و فی الطریق فی منزل«الصفاح»لقی الامام الفرزدق بن غالب الشاعر،«فواقف حسینا فقال له: أعطاک سؤلک، و آملک فیما تحب. فقال له الحسین علیه السلام: بین لنا نبأ الناس خلفک. فقال له الفرزدق: من الخبیر سألت قلوب الناس معک و سیوفهم مع بنی‌امیة... و القضاء ینزل من السماء والله یفعل ما یشاء. فقال له الحسین علیه السلام صدقت، لله الأمر، و یفعل ما یشاء، و کل یوم ربنا فی شأن». [۵۳۱] .و لما بلغ عبدالله بن جعفر سفر الحسین علیه السلام الی العراق، أرسل الیه کتابا مع ولدیه عون و محمد یخبره بأنه خائف علیه من الوجه الذی یسیر الیه [صفحه ۳۶۸] (العراق) [۵۳۲] ، فلم ینثن الامام عن عزمه.و مع هذه التأکیدات التی ذکرنا طرفا منها هنا، فان من غیر المعقول أن یغیب عن الامام ما کان یعرفه هؤلاء الناس الذین لم یکن الامام یشک فی نصحهم و صدقهم و حبهم له. فلم یکن الامام - اذن - یطمح فی اسقاط نظام بنی‌امیة بهذه القوة التی تطوعت له فی العراق. و کل القرائن التاریخیة التی رافقت خروج الامام تنفی هذا الاحتمال من الأساس. اذن لم یفکر الامام فی خروجه الا بتوعیة الرأی العام و اثارة سخط الناس ضد حکم بنی‌امیة، و تثویر المجتمع الاسلامی و تحریکه ضد سلطان بنی‌امیة، دون الاسقاط المباشر.و الأمر الثانی: ان الامام علیه السلام کان مصمما علی الشهادة، عالما بأن غایة خروجه هذا هی الشهادة فی سبیل الله،و کل القرائن التی رافقت حرکة الامام علیه السلام تؤکد هذه الحقیقة، فلم یکن من الممکن ان یترک بنوامیة الحسین علیه السلام معلنا رفضة للبیعة، خارجا علی بنی‌امیة فی رفضه و امتناعه عن البیعة. و لم یکن الامام یقبل بالتنازل عن رفضه للبیعة، و اعلانه للرفض، و خروجه علی یزید، مهما بلغ الأمر فی وقت لم تکن له قوة تحمیه. فلیس بد - اذن - من الشهادة، الا أن یتنازل الحسین علیه السلام عن رفضه للبیعة، و الخروج علی یزید، و یتقبل بیعة یزید أو یعتزل الساحة السیاسیة الی بعض شعاب الجبال أو

البوادی، و هو ما کان یرفضه الامام رفضا قاطعا و أکیدا لا یقبل المناقشة. و کلمات الامام فی هذه المسیرة صریحة أیضا علی عزمه الأکید علی الاقدام علی الشهادة.و نذکر فیما یلی بعض النصوص: [صفحه ۳۶۹] أولا: کان الامام الحسین علیه السلام قد وعد أخاه محمد بن الحنفیة بأن ینظر فی رأیه فی الاعراض عن العراق، فلما غادر علیه السلام مکة متوجها الی العراق جاءه محمد بن الحنفیة، و أخذ بزمام ناقته، و استنجزه الوعد، فقال: یا أخی ألم تعدنی النظر فیما سألتک؟ قال: بلی. قال: فما حداک علی الخروج عاجلا؟ قال: أتانی رسول الله صلی الله علیه وآله بعد ما فارقتک، فقال: یا حسین أخرج فان الله شاء أن یراک قتیلا. فقال محمد بن الحنفیة، انا لله و انا الیه راجعون. فما معنی حملک هؤلاء النسوة معک، و أنت تخرج علی مثل هذا الحال؟ قال: فقال لی صلی الله علیه وآله: ان الله قد شاء أن یراهن سبایا، فسلم علیه و مضی. [۵۳۳] .ثانیا: لما عزم الامام علی الخروج من المدینة أتته أمسلمة – رضی الله عنها – فقالت:«یا بنی لا تحزننی بخروجک الی العراق، فانی سمعت جدک یقول: یقتل ولدی الحسین بأرض العراق فی أرض یقال لها کربلاء. فقال لها: یا أماه أنا و الله أعلم ذلک، و أنی مقتول لا محالة و لیس لی من هذا بد». [۵۳۴] .ثالثا: فی اللیلة الثانیة (أو الثالثة) من دعوة الولید الامام الی البیعة، ذهب الامام الی قبر جده رسول الله صلی الله علیه وآله، و قضی اللیل کله فی الصلاة و الدعاء،«حتی اذا کان فی بیاض الصبح وضع رأسه علی القبر، فأغفی ساعة، فرأی النبی صلی الله علیه وآله قد أقبل فی کوکبة من الملائکة... حتی ضم الحسین علیه السلام الی صدره، و قبل بین عینیه، و قال: یا بنی یا حسین؛ کأنی عن قریب أراک مقتولا مذبوحا بأرض کرب و بلاء، [صفحه ۳۷۰] من عصابة من امتی، و أنت فی ذلک عطشان لا تسقی، و ظمآن لا تروی، و هم مع ذلک یرجون شفاعتی، ما لهم لا أنالهم الله شفاعتی یوم القیامة». [۵۳۵] .رابعا: روی أن الامام الحسین علیه السلام لما عزم الی الخروج الی العراق من مکة، قام خطیبا، فقال:«الحمد لله، ما شاء الله، و لا حول و لا قوة الا بالله و صلی الله علی رسوله و سلم: خط الموت علی ولد آدم مخط القلادة علی جید الفتاة، و ما أولهنی الی أسلافی، اشتیاق یعقوب الی یوسف، و خیر لی مصرع أنا لاقیه، کأنی بأوصالی تقطعها عسلان الفلوات بین النواویس و کربلاء، فیملأن منی أکراشا جوفا و أجربة سغبا لا محیص عن یوم خط بالقلم، رضی الله رضانا أهل البیت. لن تشذ عن رسول الله لحمته، و هی مجموعة له فی حظیرة القدس، تقربهم عینه، و تنجز لهم وعده، من کان فینا باذلا مهجته، موطنا علی لقاء الله نفسه، فلیرحل معنا، فانی راحل مصبحا ان شاء الله تعالی». [۵۳۶] .خامسا: یقول الامام الصادق علیه السلام: لما مضی الامام متوجها، دعا بقرطاس و کتب فیه الی بنی‌هاشم:«بسم الله الرحمن الرحیم، من الحسین بن علی بن أبی‌طالب الی بنی‌هاشم. أما بعد فأنه من لحق بی منکم أستشهد و من تخلف لم یبلغ مبلغ [صفحه ۳۷۱] الفتح و السلام». [۵۳۷] .سادسا: کتب الامام من کربلاء الی أخیه محمد بن الحنفیة:«بسم الله الرحمن الرحیم، من الحسین بن علی علیه السلام، الی محمد بن علی و من قبله من بنی‌هاشم.أما بعد، فکأن الدنیا لم تکن، و الآخرة لم تزل و السلام». [۵۳۸] .فالامام – اذن – کان قد خرج بدافع اعلان رفض البیعة، و اعلان الثورة علی یزید، و لم تکن لدعوة أهل العراق أثر فی مسیرة الحسین علیه السلام و حرکته، الا بقدر ما یتعلق بتحدید الجهة فی حرکة الامام و سیره. و لما تبین الامام أن القوم قد انقلبوا عن رأیهم و موقفهم عندما أعترضه الحر بن یزید الریاحی بجیشه، عرض علیهم الحسین أن ینصرف عنهم الی حیث یشاء من الأرض، علی أن یختار هو علیه السلام الجهة التی یریدها، لا أن تفرض علیه من قبل ابن‌زیاد. و قد عرض الامام علیه السلام هذا الأمر علی الحر مرتین یوم اللقاء، مرة بعد صلاة الظهر و مرة بعد صلاة العصر. [۵۳۹] .و لیس فی کلام الامام هذا اشارة الی أنه أنصرف عن العراق فسوف یکف عن الأمر بالمعروف و النهی عن المنکر و دعوة الناس للثورة ضد سلطان [صفحه ۳۷۲] بنی‌امیة، أو یحتجب برأیه و موقفه السلبی تجاه بنی‌امیة فی بعض شعاب الجبال أو ثغور المسلمین، و لم یتعهد الامام للحر یومذاک بشیء من هذا، و انما طلب منه أن یتنحی عنه، حتی ینصرف الی حیث یشاء من أرض الله الواسعة. و قد ذکرنا قبل هذا کلمة عقبة بن سمعان – التی رواها الطبری – فی امتناع الحسین علیه السلام من أن یضع یده بید یزید، أو یعتزل الناس فی ثغر ناء من ثغور المسلمین.اذن.. کان الحسین علیه السلام مقدما علی اعلان الخروج علی یزید، علی کل حال، و کان یبحث عن الفرصة التی تهیء له هذا الاعلان، و وجد فی دعوة أهل العراق و بیعتهم هذه الفرصة، و کان علی یقین أن هذا الموقف السیاسی و الثوری سوف یکلفه

نفسه و النخبة الصالحة من أهل بيته و أصحابه.. و لم يكن من ذلك بد. و لذلك فقد قدم الامام على الشهادة راضيا مطمئن البال.و كان هناك من شيعة الامام الناصحين له من كان يحمل رأيا آخر يختلف عن رأى الامام، و يعتقد أن الامام اذا خرج و قتل انتهكت بقتله حرمة الاسلام، و لا يحترم بعده بنوامية أحدا من وجوه المسلمين و أعلامهم، و من هؤلاء ابن‌عمه عبدالله بن جعفر، و كان ممن لا يشك الامام فى صدقه و نصحه، أرسل الى الامام كتابا مع ولديه عون و محمد - كما أسلفنا - و الامام فى طريقه الى العراق، يقول فيه للامام:«فانى مشفق عليك من هذا الوجه أن يكون فيه هلاكك، و استئصال أهل بيتك. ان هلكت اليوم اطفىء نور الأرض، فانك علم المهتدين، و رجاء المؤمنين، فلا تعجل بالسير فانى فى أكثر كتابى». [۵۴۰] . [صفحه ۳۷۲] و منهم عبدالله بن مطيع العدوى؛ التقى الامام فى الطريق الى العراق على ماء من مياه العرب، فقال للامام:«بأبى أنت و امى يابن رسول الله ما أقدمك؟ فقال له الحسين عليه السلام: كتبى الى أهل العراق يدعوننى الى أنفسهم. فقال له عبدالله بن المطيع: اذكرك الله يابن رسول الله و حرمة الاسلام أن تنتهك... فوالله لئن طلبت ما فى أيدى بنى‌امية ليقتلنك، و لئن قتلوك لا يهابون بعدك أحدا أبدا». [۵۴۱] .و كان الامام عليه السلام يرى على خلاف هؤلاء، أن الشهادة هى الفتح، و أن هذه الامة لا يمكن تحريكها، و لا يمكن أن تبعث فيها الحياة و الحركة و العزم من جديد، الا بشهادته و شهادة النخبة الطاهرة من أهل بيته و أصحابه. و قد كتب بذلك الى أخيه محمد بن الحنفية:«بسم الله الرحمن الرحيم، من الحسين بن على الى محمد بن على و من قبله من بنى‌هاشم، أما بعد، فان من لحق بى أستشهد، و من لم يلحق بى لم يدرك الفتح والسلام». [۵۴۲] .و ليس من الممكن الاجابة بأفضل من هذا الجواب: فمن لحق بالحسين عليه السلام لابد أن يستشهد و من لم يلحق به فاتته الشهادة، و هى الفتح الذى لا يشك به الحسين؛ عندما ينظر اليها فى امتداداتها البعيدة، و النتائج التى تحققها فى حياةالمسلمين.فلولا شهادة الحسين عليه السلام و النخبة المؤمنة التى خرجت معه الى العراق، [صفحه ۳۷۴] و الهزة العميقة التى أحدثتها فى وجدان الامة و ضميرها... لمضى بنوامية فى غيهم و طيشهم و عبثهم بمقدرات الامة و رسالتها. بيد أن شهادة الحسين عليه السلام أعادت الامة الى وعيها و رشدها و أحستها بمسؤوليتها الشرعية فى مواجهة طغيان بنى‌امية و ضلالهم.يقول الشيخ جعفر التسترى رحمه الله فى كتابه القيم«الخصائص الحسينية»:(فلو كان الحسين يبايعهم [بنى‌امية] تقية، و يسلم لهم، لم يبق من الحق أثر، فان كثيرا من الناس اعتقدوا أنه لا مخالف لهم فى جميع الامة، و أنهم خلفاء النبى صلى الله عليه وآله حقا. فبعد أن حاربهم الحسين عليه السلام و صدر ما صدر الى نفسه، و عياله، و أطفاله، و حرم الرسول، تنبه الناس لضلالتهم، و أنهم سلاطين الجور، لا حجج الله و خلفاء النبى صلى الله عليه وآله». [۵۴۳] .و قد سأل ابراهيم بن طلحة بن عبدالله الامام زين العابدين عليه السلام عن الغالب فى معركة الطف حين الرجوع الى المدينة. فقال الامام زين العابدين عليه السلام:«اذا دخل وقت الصلاة، فأذن و أقم، تعرف الغالب». [۵۴۴] .و جواب الامام السجاد عليه السلام دقيق متين، لمن يتمكن أن ينفذ من ظواهر الأحداث و سطحها الى الأعماق، و عندما يتمكن الانسان من رؤية الامتدادات و النتائج البعيدة للأحداث. [صفحه ۳۷۷]

عاشوراء ود و قدوة

ود يقذفه الله فى قلوب المؤمنين، و قدوة فى حياتهم

اشاره

اننى ألمس فى تفاعل الجماهير مع (عاشوراء) أمرين لا أشك فيهما مهما شككت فى شىء:ألمس يد الله عزوجل فى هذا التلاحم العجيب بين الجماهير و عاشوراء، فلا يكاد يتم هذا التلاحم و التعاطف و التفاعل بصورة عفوية، و صدفة، و يدوم و يستمر بهذه الدرجة من القوة، لو لم تتدخل الارادة الالهية فى تحريك جماهير المؤمنين باتجاه عاشوراء، و ربط عواطف جمهور المؤمنين و مشاعرهم بهذا اليوم.

الود الذی یجعله الرحمن للذین آمنوا

ان حب الصالحین و مودتهم أمر یقذفه الله تعالی فی قلوب عباده و لا یمکن أن یصنعه الناس أو ینتزعه الناس. و الأسالیب الاعلامیة المتطورة قد تحرک عواطف الناس باتجاه معین، و تخلق موجة من العواطف و الأحاسیس تجاه شخص، و ترفع شخصا من حالة الخمول الی قمة المجد أیاما أو سنین، و تحیطه بهالة من العواطف و المشاعر و الأحاسیس. و من الممکن أن تخدع وسائل [صفحه ۳۷۸] الاعلام عواطف الناس و أحاسیسهم ولکن ذلک شیء یختلف اختلافا کیفیا و کمیا عن حالة التعاطف و التفاعل الوجدانی العمیق المستقرة و الثابتة فی قلوب المؤمنین، کما کان یختلف عصا موسی علیه السلام عما کان یصنعه سحرة فرعون عندما حاولوا أن یعارضوا معجزة موسی علیه السلام بسحرهم.و هذا هو الود و الحب الذی یجعله الله للصالحین فی قلوب عباده.(ان الذین آمنوا و عملوا الصالحات سیجعل لهم الرحمن ودا). [۵۴۵] .و هذا الود المتمیز هو مما یجعله الله تعالی فی قلوب عباده و لیس للانسان دور فی ذلک الا أن یعد نفسه لذلک اعدادا و یجعل نفسه فی موضع نزول الرحمة الالهیة. و قد کان رسول الله صلی الله علیه وآله یعلم علیا علیه السلام أن یقول فی دعائه (اللهم أجعل لی عندک عهدا، و أجعل لی فی قلوب المؤمنین ودا). [۵۴۶] .فان الله تعالی یتصرف فی قلوب عباده کما یشاء. و قد ورد فی الروایة أن قلب المؤمن بین أصبعین من أصابع الرحمن. [۵۴۷] و لا شک أن للقلوب جذب و دفع. فقلوب الصالحین تنجذب للصالحین و تحب الصالحین، و تنفر من الفاسدین و تبرء منهم، و القلوب الفاسدة تنجذب لأمثالها و تنفر من الصالحین. و هذا الجذب و الدفع من خلق الله تعالی و صنعه.. و نحن نعلم علم الیقین أن الله تعالی یتصرف فی قلوب عباده کما یحب و یشاء. و یبعث فیها ما یشاء من حب و نفور و اقبال و ادبار و استجابة و اعراض، کما یصنع الله تعالی فی سائر ملکه و سلطانه.و التعبیر القرآنی دقیق و رقیق فی هذا المجال. [صفحه ۳۷۹] (.. و اعلموا أن الله یحول بین المرء و قلبه...). [۵۴۸] .و لکل امرء ما یشتهیه و یکرهه و یحبه و یبغضه و هذا قوام شخصیة (الانسان) و الحب و البغض و الرغبة و النفور من فعل القلب... و مع ذلک، و مع هذا الالتصاق الشدید، بین (المرء و قلبه) فان الله تعالی (یحول بین المرء و قلبه).و لا أعرف تعبیرا أبلغ من هذا التعبیر فی نفوذ سلطان الله تعالی علی القلوب. و انقیاد القلوب و رضوخها لمشیئة الله تعالی و صنعه و فعله.و قد ورد فی تفسیر هذه الآیة الکریمة عن الامام الصادق علیه السلام: ان الانسان قد یشتهی شیئا بسمعه و بصره فاذا أراد أن یغشی شیئا منه أنکره قلبه [۵۴۹] و مهما أنعم الانسان النظر فلا یکاد یبلغ عمق هذا التعبیر القرآنی فی نفوذ سلطان الله تعالی و مشیئة علی القلوب.فهذه القلوب التی یقول عنها الامام الصادق علیه السلام: (ازالة الجبال أهون من ازالة قلب عن موضعه) [۵۵۰] تستجیب هکذا، طائعة و منقادة لمشیئة الله تعالی، و ینفذ فیها أمر الله تعالی نفوذا مطلقا فی الحب و البغض، و الاقبال و الادبار، و الاستجابة و الاعراض، و الرغبة و الکراهیة. و یصنع الله تعالی فیها ما یشاء و ما یحب کما یصنع فی سائر ملکه و سلطانه.و لیس من مؤمن صالح أو متکبر طالح الا کان قلبه تحت نفوذ سلطان الله تعالی و أمره المباشر. [صفحه ۳۸۰] و قد حکی لنا القرآن الکریم کیف جعل الله عزوجل فی قلب فرعون حب موسی علیه السلام منذ أن التقطه من البحر، و کیف ألقی الله عزوجل حب موسی علیه السلام علی قلب عدوه فرعون (... و القیت علیک محبة منی و لتصنع علی عینی). [۵۵۱] .و لست أشک أن هذا الالتحام و التفاعل الذی یشد جمهور المؤمنین بیوم عاشوراء شیء من أمر الله تعالی و ارادة الله تعالی، هیأ له أسبابه.

عاشوراء قدوة للجمهور فی حرکته الی الله

و الأمر الآخر الذی ألمسه فی هذا الانشداد و التفاعل الجمعی العجیب هو أن الجمهور یجد فی (عاشوراء) شیئا یتفاعل مع ضمیره و عقله و قلبه، و یجد فی هذا الیوم بغیته التی یطلبها فی حرکته و مسیرته. فان الناس یحتاجون فی حرکتهم الشاقة الی الله فی الحیاة الدنیا الی (توجیه) و الی (مثال) یقتدون به. و لا یکفی التوجیه وحده. و الانسان یحتاج دائما الی من یرشده و یعلمه. و هذه ضرورة لا نقاش

فیها، ولکنه یحتاج أیضا الی من یتقدمه لیمشی خلفا باطمئنان و ثقة، و هذا الاطمئنان و الثقة فی الحرکة لا یصنعه التوجیه و الارشاد وحده، و انما یصنعه الذی یتقدم المسیرة بنفسه، و یکون قدوة و مقیاسا و معیارا عینیا متجسدا فی حرکة واقعیة علی طریق العاملین. و الناس فی مسیرة الحیاة کما (یطلبون المعلم) و الموجه، یطلبون (القدوة) و المثال أیضا، فان الحرکة الی الله تعالی شاقة و عسیرة و کادحة. و عندما تکون الحرکة شاقة و کادحة لا یکفی التوجیه وحده، و انما یحتاج الانسان الی قدوة أمامه، یضع خطاه فی موضع خطاه، و یسیر من خلفه. ان الحرکة الکادحة الی الله تختلف عما یتلقاه الطلبة فی المعاهد و المدارس من [صفحه ۳۸۱] العلم. فان العلم لا یحتاج الی أکثر من (المعلم)، و أما السیر و الحرکة الی الله و اجتیاز عقبات (الهوی) و (الطاغوت) و اقتحام أهوال الطریق فلا یؤدی فیه (المعلم) الا دورا ناقصا، و لابد من قدوة و مثال علی الطریق لیبعث الثقة و الطمأنینة و الشجاعة فی نفوس العاملین. ان الحرکة الی الله تتطلب الکثیر من الاخلاص و الوعی و الیقین و التضحیة و العطاء و القیم.و لابد من أن یتجسد کل ذلک فی (القدوة)، بصورة عینیة، و حقیقیة، و ماثلة أمام أعین العاملین. و لابد أن یبرأ (القدوة) من الشک، و الضعف، و الزلل و الانکسار، و الهزیمة النفسیة أمام العقبات و أهوال الطریق. و لابد أن یتجسد فی القدوة کلما تتطلبه هذه الحرکة من قدرة روحیة و ثقة عالیة بالله تمکن الانسان من مواجهة و تحدی العقبات و متاعب الطریق.ان (القدوة) فی هذه الحالة تکون له قیمة توجیهیة و حرکیة عالیة فی تحریک الامة و یعتبر عاملا اساسیا لا یمکن الاستغناء عنه فی حرکة المجتمع.ان فی نفوس الناس خیرا و شرا، و قوة و ضعفا، و ایمانا و شکا، و ثقة و قلقا، و شجاعة و جبنا، و اقداما و تراجعا، و تختلط هذه المعانی فی نفوس الناس بدرجات مختلفة... و نقاط الضعف هی العقبات الداخلیة فی نفوس العاملین، و لکی یتغلبوا علی نقاط الضعف هذه فی نفوسهم لابد لهم من صور مشرقة متکاملة تخلص من نقاط الضعف هذه.و عندما لا یجد الانسان هذه الأمثلة علی ساحة الحرکة یلجأ الی التجرید و التخیل لتکتمل الصورة، تماما کما یعمل الانسان لتکمیل النقص الواقع فی قوس الدائرة فی خیاله. فیلجأ الی التجرید الخیالی لابراز هذه الصورة التی یحتاجها فی حرکته.و هذا هو الدور الذی یقوم به الشعر و الفن فی رسم الصورة التجریدیة للقدوة [صفحه ۳۸۲] التی یحتاجها الانسان فی حرکته و عمله.و هذه الحاجة، مادامت حاجة حقیقیة فی حرکة الانسان المسلم الی الله، فلابد أن یکون له موضع مشخص و واضح فی المنهاج الالهی لهدایة الانسان و حرکته. و لا یمکن أن تهمل العنایة الربانیة حاجة أساسیة للانسان فی الحرکة مثل هذه الحاجة، و هو سبحانه یقول: (... الذی أعطی کل شیء خلقه ثم هدی). [۵۵۲] .فلا یمکن أن یخلو منهج الخلق و الهدایة من عنصر أساسی و ضروری فی حرکة الانسان.

عصمة الامام

اشاره

و هذا هو أحد المنطلقات العقلیة للقول بعصمة الأنبیاء و الأوصیاء علیهم‌السلام.ان العصمة هی الصورة الواقعیة المتکاملة للانسان (القدوة) و التی یحتاجها الناس فی حرکتهم و کدحهم الی الله فی ساحة عملهم... و لأمر ما، جعل الله عزوجل الأنبیاء و الأئمة معصومین فی مسیرة حرکة الانسان و فی ساحة حیاته و عمله، و جعل منهم قدوات للتأسی و الاقتداء، لیکونوا أمثلة عینیة و واقعیة و متحرکة فی واقع الحیاة.

لن یکون الظالم اماما للناس

و بعد أن من الله تعالی علی عبده و خلیله ابراهیم علیه السلام فجعله اماما للناس طلب ابراهیم علیه السلام من الله تعالی: أن یجعل الامامة فی ذریته فأستثنی الله تعالی من ذریته الذین تلبسوا بالظلم، فلا یمکن أن ینالهم عهد الله تعالی، و لا یمکن أن [صفحه ۳۸۳]

یکونوا أئمة للمسلمین.(و اذا ابتلی ابراهیم ربه بکلمات فأتمهن قال انی جاعلک للناس اماما قال و من ذریتی قال لا ینال عهدی الظالمین). [۵۵۳] .فالامام لابد أن یکون قدوة للناس یقتدی به الناس فی حیاتهم. و من یتلبس بالظلم علی نفسه أو علی الآخرین لا یستطیع أن یکون مثالا یتقدم الآخرین و یقتدی به الناس.

الدعوة الی الاقتداء بالصالحین

و تکتمل هذه الصورة فی المنهاج الالهی فی تربیة الناس و توجیههم بالآیات التی تدعوا الناس الی أن یجعلوا من أنبیاء الله و رسله قدوة لهم و اسوة فی العمل و الحرکة و القول و الفعل. یقول تعالی لنبیه صلی الله علیه وآله و للمؤمنین، بعد أن یذکر أسماء جملة من الأنبیاء و المرسلین بتفصیل:(اولئک الذین هدی الله فبهداهم اقتده...). [۵۵۴] .و یدعو الله تعالی المؤمنین أن یجعلوا من رسول الله صلی الله علیه وآله اسوة حسنة لهم (لقد کان لکم فی رسول الله اسوة حسنة لمن کان یرجوا الله و الیوم الآخر و ذکر الله کثیرا). [۵۵۵] .و یدعونا الله تعالی أن نجعل من ابراهیم علیه السلام و من معه من المؤمنین الصالحین قدوة و اسوة (قد کانت لکم اسوة حسنة فی ابراهیم الذین معه...). [۵۵۶] . [صفحه ۳۸۴]

العناصر الثلاثة الضروریة فی الحرکة

و لکی تکتمل هذه الصورة التی رسمناها لموضع القدوة فی حرکة الناس الی الله تعالی نقول:ان الحرکة الی الله تتطلب ثلاثة عناصر أساسیة یتولاها الله تعالی و یعدها للناس فی أنبیائه و رسله و من یختارهم الله تعالی و یجتبیهم أئمة للمسلمین و هی:أولا: الهدایة و التوجیة و التزکیة و التعلیم، و ینهض الأنبیاء فی هذا الأمر بدور المعلم و المربی لتزکیة الامة و تربیتها و تعلیمها.(هو الذی بعث فی الامیین رسولا منهم یتلوا علیهم آیاته و یزکیهم و یعلمهم الکتاب و الحکمة و ان کانوا من قبل لفی ضلال مبین). [۵۵۷] .(لقد من الله علی المؤمنین اذ بعث فیهم رسولا من أنفسهم یتلوا علیهم آیاته و یزکیهم و یعلمهم الکتاب و الحکمة و ان کانوا من قبل لفی ضلال مبین). [۵۵۸] .ثانیا: القیادة و الولایة و الامامة. و هذه مهمة اخری تختلف عن المهمة الاولی، ضروریة و اساسیة فی توجیه المجتمع و حرکته الی الله.. فلا تتم هذه الحرکة من دون قیادة و طاعة.(انما ولیکم الله و رسوله و الذین آمنوا الذین یقیمون الصلاة و یؤتون الزکاة و هم راکعون). [۵۵۹] .(من یطع الرسول فقد أطاع الله...). [۵۶۰] . [صفحه ۳۸۵] (و من یطع الله و الرسول فأولئک مع الذین انعم الله علیهم). [۵۶۱] .(... و اطیعوا الرسول و أولی الأمر منکم...). [۵۶۲] .ثالثا: القدوة و الاسوة، و هو العنصر الضروری الثالث فی هدایة الانسان و حرکته، و التی یتولاها الله تعالی و یعدها لعباده فی أنبیائه و رسله و من یختار و یجتبی لعباده من الأئمة. (لقد کان لکم فی رسول الله اسوة حسنة). [۵۶۳] .و هذه الثلاثة لابد منها جمیعا، و فی اطار واحد لیکمل بعضها بعضا، و لیؤدی جمیعها مهمة توجیه الانسان الی الله...

شهادة رسول الله، و الامة الشاهدة

و الی هذا المعنی یشیر القرآن الکریم، حیث یتخذ رسول الله صلی الله علیه وآله شهیدا علی هذه الامة و یتخذ هذه الامة شهیدة علی الناس أجمعین یقول تعالی:(و کذلک جعلناکم أمة وسطا لتکونوا شهداء علی الناس و یکون الرسول علیکم شهیدا). [۵۶۴] .و فی الآیة الکریمة یتخذ الله تعالی الرسول صلی الله علیه وآله شاهدا علی هذه الامة، کما یتخذ هذه الامة شاهدة علی الناس.و الشاهد هنا بمعنی القدوة [۵۶۵] بقرینة السیاق فان شهادة الامة علی الناس لا تستقیم الا بهذا المعنی الذی ذکرناه و شهادة الرسول صلی الله علیه وآله علی الامة تأتی [صفحه ۳۸۶] بنفس السیاق. [۵۶۶] .فهذه الامة – بمجموعها – قدوة للناس جمیعا، حیث جعلها الله تعالی امة وسطا لا تفریط فیها و لا افراط و لا تجنح الی الیمین و لا الی الیسار، ولا تحکم فیها النزعة المادیة البحتة، و لا النزعة الروحیة الخالصة.

و الخطاب للامـة ككل، و ليس الى أفراد الامة - و الامة بهذه الصـفة و فى هذا الموقع الوسط من حضارة الانسان مؤهلة من جانب الله تعـالى لأـن تكون قـدوة و شاهـدة على النـاس جميعا. و أن يجـد فيها الناس مثالا عينيا واقعيا للاعتـدال و الاسـتقامة على منهـج الله فى الحياة.كما أن رسول الله صـلى الله عليه وآله قدوة لهذه الامة المسلمة. فى علاقته بالله تعالى و فى علاقته بالناس و فى سلوكه و حركته و عمله و قوله و فعله.

الامة الشاهدة معيار للقياس

و التعبير بالشـهادة عن القدوة من التعبيرات القرآنية المتميزة الخاصة بالقرآن، و كأن هذه الامة فى موقعها الحضارى الوسط يصـلح أن تكون معيارا لتشـخيص الموقع الحضارى الصـحيح فى الحياة و شاهـدة على ألوان الانحرافات الحضاريـة فى حياة الانسان.فكلما يتقدم هذا الموقع الحضارى الوسط فهو انحراف، و كلما يتأخر عن هذا الموقع الوسط فهو من الانحراف... و الشاهد على هذه الانحرافات هو الموقع الوسط الـذى أحل الله تعالى فيه هذه الامة.. تماما كما تشـهد الوحدة القياسـية [صـفحه ۳۸۷] بالزيـادة و النقصان فى الكميات التى تقاس بها... فاننا لا نسـتطيع أن نفهم بالنظرة الأوليـة الزيادة و النقيصـة فى الكميات بشـكل دقيق ولكن عندما نقيس هذه الكميات بالوحدات القياسـية نسـتطيع أن نشخص الزيادة و النقيصة (بشهادة) هذه الوحدات القياسية بشكل دقيق.و كذلك هذه الامة فى موقعها الحضـارى الوسـط تصـلح أن تكون شاهـدة على انحرافـات الناس و أداة لتشـخيص هـذه الانحرافات و مقياسا للتصـحيح و التعـديل و التهـذيب و الاصـلاح.و لابـد فى هـذا الخضم الهائـج من الأفكـار و الاتجاهـات و الأهواء و النزاعات من وجود امـة فى موقع حضارى وسـط على وجه الأـرض، يقيس الناس أنفسـهم بها. و تشـهد على الناس فى انحرافاتهم، و زيغهم، و شـططهم... و أقول أمـة و لا أقول أفرادا و جماعات. ففى هذه الامة أيضا من الانحراف و الزيغ الشىء الكثير... ولكن من الصحيح أيضا أن نقول أن هناك امة مؤمنة فى هـذا البحر الهائـج المضـطرب فى الموقع الحضارى الوسط المعتـدل... و أن هـذه الامة معيار و مقياس دقيق للتشـخيص و التمييز لسائر الناس، و قدوة لسائر البشر، و حركة عينية واقعية الى الله بين هذه الحركات المضطربة و القلقة فى واقع حياة الناس.و كما تتطلب رحمة الله تعـالى بعبـاده وجود امـة مؤمنـة فى هـذا الموقع الحضـارى الوسط على وجه الأرض لتكون قـدوة للناس... كـذلك تتطلب الرحمة الربانيـة أن يكون هناك قـدوة للمؤمنين من أنفسـهم و لهـذه الامة منها... ففى هذه الامة كما ذكرنا الكثير من الزيغ و الانحراف الذى تختلط بالكثير من الحق و الصواب، و من مجموعها تتكون هـذه المسـيرة الالهيـة.. فلابـد من وجود قدوة [صـفحه ۳۸۸] لهذه الامة و لهذه المسيرة أيضا. كما كان لابد من قدوة للناس أجمعين. و اذا كانت هذه الامة هى الصفوة من البشرية التى اجتباها الله تعالى لتكون قدوة للناس فان رسول الله صـلى الله عليه وآله هو صـفوة الصفوة فى هذه الامة اتخذه الله تعالى قدوة لهذه الامة ليكون مقياسا و معيارا للاسـتقامة و الاعتدال و السلوك و الحركة الى الله، و ليقيس المؤمنون أنفسهم به، و يجدوا فيه مثالا كاملا للانسان العامل الكادح الى الله، و لنقرأ هـذه الآيـة المباركـة من سورة الحج:(يا أيها الذين آمنوا اركعوا و اسـجدوا و اعبدوا ربكم و افعلوا الخير لعلكم تفلحون و جاهدوا فى الله حق جهاده هو اجتباكم و ما جعل عليكم فى الدين من حرج ملة أبيكم ابراهيم هو سـماكم المسلمين من قبل و فى هذا ليكون الرسول شـهيدا عليكم و تكونوا شـهداء على الناس فأقيموا الصـلاة و آتوا الزكاة و اعتصـموا بالله هو مولاكم فنعم المولى و نعم النصر). [۵۶۷] .يـدعو الله تعالى فى هـذا النـداء عباده المؤمنين - و الخطاب هنا خاص بالمؤمنين - (يا أيها الـذين آمنوا..): - يدعوهم الى اقامـة الصـلاة، و الى عبادته، و يـدعوهم الى فعل الخيرات و الجهاد فى الله، حق الجهاد.فان الله تعالى قد اجتباهم و أحلهم فى هذا الموضع الوسط من حضارة الانسان، و اختارهم لهذا الموقع الخطير من الأرض، و من حياة الناس (هو اجتباكم)، و سـماهم المسـلمين، من قبل، فى حياة ابراهيم عليه السـلام، و فى الكتب السابقـة على القرآن، (و فى هـذا) و فى القرآن، فشـرفهم الله تعالى بهـذه [صـفحه ۳۸۹] التسـمية (من قبل و فى هذا).و جعلهم امتدادا لابراهيم (ملة أبيكم ابراهيم)، و جعلهم اسـرة واحدة ممتدة على وجه الأرض و فى التاريـخ... كـل ذلـك من دون أن يحملهم فى هـذا الاجتباء و الاختيار ضـيقا و حرجا، و من دون أن يكلفهم فى هـذا الاجتباء شـدة و

ضیقا لا یطیقونه (هو اجتباکم و ما جعل علیکم فی الدین من حرج).... کل هذا النداء و الدعوة الی اقامة الصلاة و فعل الخیر و الجهاد، و کل هذا الاجتباء و الاختیار و التشریف لهذه الاسرة الابراهیمیة، و التسمیة.. کل ذلک (لیکون الرسول شهیدا علیکم و تکونوا شهداء علی الناس).کل ذلک لایجاد تیار معتدل مستقیم نظیف فی وسط هذه التیارات المتضاربة و المنحرفة، لیکون قدوة للناس، و لیکون معلما علی طریق الناس الی الله، معلما محسوسا عینیا فی حیاة الناس، و لیس من قبیل الأفکار و النظریات، معلما یراه الناس، و یحسونه، و یعیش معهم فی السراء و الضراء (و تکونوا شهداء علی الناس)... ثم بعد ذلک لیکون فی وسط هذا التیار قدوة، هو صفوة الصفوة، للسائرین فی هذا التیار، و من هذه الامة، لیکون شاهدا علیهم و علی المسیرة و الحرکة، و لیکون مقیاسا لتشخیص حالات الضعف و العجز و التخلف، و باعثا علی تلافی نقاط الضعف و التخلف، و قدوة فی المسیرة و الحرکة، و معلما علی طریق العاملین و السائرین الی الله، یضعونه نصب أعینهم، و یضعون أقدامهم مواضع خطاه (لیکون الرسول شهیدا علیکم).فلا یمکن أن تستقیم حیاة الناس و حرکتهم من دون وجود هذا التیار فی وسط الناس، و لا یمکن أن تستقیم حرکة هذا التیار من دون وجود قدوة صافیة نقیة فی قلب هذا التیار. [صفحه ۳۹۰] و لنعد الی حیث کنا من حدیث قلت اننی ألمس فی التحام الناس بعاشوراء و تعاطفهم مع قضیة الحسین، ان الناس یجدون فی هذا الیوم و فیما جری فیه من احداث، و فیما یستبطنه هذا الیوم من القیم و المعانی شیئا یتفاعل مع ضمائرهم و قلوبهم و عقولهم.ان الناس یبحثون فی حرکتهم الشاقة و العسیرة الی الله تعالی عن الصور الصافیة و النقیة لهذا الکدح و هذه الحرکة... الصور التی تخلص من کل کدر و غش، و تسلم من کل نقص و ضعف، لیضعوا أمامهم هذه الصور الحیة المتحرکة.ففی خضم الحیاة، و خضم الصراع، و متاعب الحرکة یلتقی الانسان فی نفسه و فی واقع الحیاة الکثیر من الضعف، و الشک، و الجبن، و الحسد، و الطمع، و الجشع، و حب الذات، و الاستئثار، و الظلم... فیجد نفسه بحاجة الی هذه الصورة النقیة الصافیة من الایمان بالله، و الیقین، و الاخلاص لله تعالی، و الثقة، و التوکل علی الله، و القوة، و الشجاعة، و الایثار، و نکران الذات، و الاخلاص... فیجد کل هذه العناصر، التی یبحث عنها، و التی تتطلبها الحرکة، متجسدة، متحرکة فی ساحة الطف فی یوم عاشوراء فی هالة من النور، و فی مقابل هذه القمة السامقة من الدناءة، و اللؤم، و الاستئثار، و التعلق بحطام الدنیا، و حب الذات، و الکبریاء، و الشک، و الجبن، و الحسد، و الطمع، و الجشع فی الجانب الآخر من المعرکة.و کما تتجمع القیم و تتکامل، و تشکل قمة سامقة و هالة من النور. فی الجانب الأول یتجمع الأول، و المکر، و الکید، و الظلم فی الجانب الثانی بشکل صارخ.و هذا من خصائص الصراع و المواجهة. [صفحه ۳۹۱] فان الصراع یبرز کل طرف علی حقیقته، و یکشف حقیقة کل طرف، و کل القیم و المساوء التی یستبطنه الانسان و یتستر علیه أو یشهره و یعلن عنه، فان الصراع بطبیعته کشاف. و أکثر ما ینکشف الانسان، و یظهر علی حقیقته (یوم تبلی السرائر). [۵۶۸] ، و ساعات المواجهة و الصراع.فیجد الجمهور أمامه طرفین متصارعین یوم عاشوراء، یمثل أحدهما قمة القیم الأخلاق، و یمثل الآخر حضیض اللؤم و السقوط، فیتعلق بذا و ینفر من ذاک، و یجد فی یوم عاشوراء کلما یطلبه و یحتاجه من القیم و المثل و الأخلاق و الاخلاص و الشجاعة و الثقة و الاقدام.و هذا فی رأیی هو الذی یشد الجمهور الی عاشوراء، و یدعوه الی التفاعل و التعاطف مع هذا الیوم بمثل هذه الدرجة من القوة و العمق.فان أکثر ما یحتاج الانسان الی القدوة فی حیاته فی ساحات الصراع و المواجهة و من ساحات الصراع و المواجهة، ذلک أن الانسان لا یحتاج الی ان یستجمع کل عزمه و قوته وعقله و ایمانه و ثقته بالله، کما یحتاجه فی ساحات المواجهة و ساحات الصراع، و لا یهتز الانسان و یتزلزل، و یتعرض للزلازل و الهزات، کما یتعرض لها فی ساحات المواجهة و الصراع. فمن السهل أن یحافظ الانسان علی اتزانه، و تعقله، و دینه، و ثقته بالله فی أیام الیسر و الرفاه، و عندما یعتزل المجتمع و العمل... أما عندما ینزل الی ساحة العمل، و المواجهة، و یتعرض للزلازل، و الهزات، و الأعاصیر، من داخل نفسه، و من الخارج، فسوف یجد نفسه بحاجة شدیدة و ماسة الی أن یلتمس لنفسه أمثلة و شواهد و قدوات [صفحه ۳۹۲] علی الطریق و من ساحة الصراع، تثبته علی أرض المعرکة، و تبعث فی نفسه الایمان و الیقین و الثبات و الثقة و الصبر. و لابد أن تکون هذه الأمثلة و القدوات فی الساحة الساخنة بالصراع، لتطمئن الیها قلوب العاملین.و هذا بالذات ما یجده المؤمنون فی حرکتهم و مسیرهم الی الله، و فی مواجهتهم

الحامیـة للهوی و الطاغوت فی (رحاب عاشوراء) فان مسـیرة التاریـخ مسـیرة حافلة بالصـراع و المواجهة و الفتن و الابتلاء و خلال هذه المسـیرة یجـد المؤمنون فی (عـاشوراء) النموذج و القـدوة لکل القیم التی یتطلبها الصـراع و یحتاجها المؤمنون فی حرکتهم و عملهم، فینشدون الیها بقوة، و یتعاطفون، و یتفاعلون معها بهذه الصورة القویة و المؤثرة.

پاورقی

[۱] مستدرک الوسائل ۲۱۷ / ۲.

[۲] تاریخ النیاحة علی الامام الشهید للسید صالح الشهرستانی ۱۲ / ۲ نقلا عن نزهة أهل الحرمین للسید حسن الصدر الکاظمی ۲۷.

[۳] الکامل لابن الاثیر ۵۵ / ۷ فی حوادث سنة ۲۳۶ ه.

[۴] بحار الأنوار ۲۷۰ / ۴۴.

[۵] بالطریقـة التی شـرحناها فی فصل المـذاهب التاریخی فی الاسـلام و بینا موضع ارادة الانسان و اختیاره فی هذه الحرکة فی النظریة الاسلامیة. من کتاب (فی رحاب القرآن).

[۶] و الفرق الآخر أن النظریـة الماارکسـیة تؤمن بالعامل الواحد فی حرکة التاریخ بینما النظریة الاسـلامیة لا تؤمن بنظریة توحید العامل فی حرکة التاریخ.

[۷] الاعراف / ۹۴.

[۸] الاحزاب / ۱۹ – ۱۸.

[۹] الاحزاب / ۱۳ – ۹.]

[۱۰] الاحزاب / ۲۴ – ۲۲.

[۱۱] الأحزاب / ۹.

[۱۲] الاحزاب / ۲۷ – ۲۵.

[۱۳] یراجع لسان العرب ۷۷ / ۲. دار احیاء التراث العربی – بیروت.

[۱۴] النهایة لابن الأثیر ۲۰۴ / ۱. دار احیاء الکتب العربیة.

[۱۵] المائدة / ۳۲.

[۱۶] الاسراء / ۳۳.

[۱۷] البقرة / ۱۷۸.

[۱۸] البقرة / ۲۵۷.

[۱۹] محمد / ۷.

[۲۰] غافر / ۵۱.

[۲۱] التوبة / ۱۴.

[۲۲] الحج / ۴۰.

[۲۳] آل عمران / ۱۵۰.

[۲۴] الأنفال / ۴۰.

[۲۵] الحج / ۷۸.

[۲۶] المائدة / ۵۶.

[۲۷] النساء / ۴۵.

[۲۸] الفرقان / ۳۱.

[۲۹] الانشقاق / ۶.

[۳۰] بحار الانوار ۵۹ / ۷۲ الحدیث الأول.

[۳۱] التوبة / ۳۸.

[۳۲] الاعراف / ۱۷۶ – ۱۷۵.

[۳۳] اصول الکافی ۱۳۹ / ۲.

[۳۴] یوسف / ۵۳.

[۳۵] الحدید / ۲۰.

[۳۶] المیزان ۱۸۸ / ۱۹.

[۳۷] آل عمران / ۱۴.

[۳۸] الاعراف / ۲۷.

[۳۹] البقرة / ۱۶۹ – ۱۶۸.

[۴۰] البقرة / ۲۶۸.

[۴۱] النساء / ۱۱۹ – ۱۱۸.

[۴۲] المجادلة / ۱۹.

[۴۳] طه / ۱۲۰.

[۴۴] العلق / ۷ – ۶.

[۴۵] فاطر / ۱۵.

[۴۶] الدنیا لیست مذمومة فی الفکر الاسلامی، و اقتناء متاع الدنیا لیس أمرا مذموما، انما المذموم هو التعلق بمتاع الحیاة الدنیا و الانشداد الیها فلیس من بأس أن تکون الدنیا بمتاعها و لذاتها و طیباتها فی قبضتک، فلیست هذه الطیبات محرمة علی عباد الله، ولکن البأس کل البأس أن یکون الانسان فی قبضة الحیاة الدنیا و تحت تأثیرها.

[۴۷] الأنعام / ۱۶۳ – ۱۶۱.

[۴۸] روی الفریقان هذا الحدیث بشکل متواتر فقد ورد عن طریق أهل البیت بطرق متعددة رواها شیخ الاسلام الکلینی فی الکافی، و البرقی فی المحاسن، و الحر العاملی فی الأحادیث القدسیة و غیرهم کما ورد عن طریق العامة بروایات متعددة رواها البخاری فی الصحیح و الغزالی فی الاحیاء و غیرهما من الرواة و العلماء.

[۴۹] بحارالانوار ۱۹۹ / ۷۷.

[۵۰] ص / ۲۶.

[۵۱] سفینة البحار ۷۲۸ / ۱«هوی».

[۵۲] نهج‌البلاغة / الکلام ۴۲ صفحة ۸۳.

[۵۳] غرر الحکم / ۲۹۲.

[۵۴] المحجة البیضاء ۴۹ / ۵.

[۵۵] بحارالأنوار ۱۱۶ / ۱۷.

[۵۶] التوبة / ۲۴.

[۵۷] البقرة / ۱۶۵.

[۵۸] بحارالأنوار ۲۴ / ۷۰.

[۵۹] الکافی ۱۲۵ / ۲.

[۶۰] نور الثقلین ۲۰۵ / ۵.

[۶۱] الاعراف / ۲۰۵.

[۶۲] بحارالأنوار ۳۷۹ / ۹۳. و الآیة فی سورة الأعراف / ۲۰۱.

[۶۳] غرر الحکم ۱۱۱.

[۶۴] غرر الحکم ۳۶۹.

[۶۵] غرر الحکم ۱۰۱.

[۶۶] بحار الأنوار ۱۵۳ / ۹۳.

[۶۷] طه / ۱۴.

[۶۸] الاحزاب / ۴۲، ۴۱.

[۶۹] بحارالأنوار ۱۹۸ / ۹۲.

[۷۰] بحارالأنوار ۱۶۰ / ۹۳.

[۷۱] بحار الأنوار ۲۰۳ / ۴۲.

[۷۲] بحارالأنوار ۱۵۱ / ۹۴.

[۷۳] الانشقاق / ۶.

[۷۴] البقرة / ۴۵.

[۷۵] البلد / ۴ – ۱.

[۷۶] البقرة / ۲۱۴.

[۷۷] مقتل المقرم / ۲۶۶ – ۲۶۵.

[۷۸] احتمل أن الکلمة الصحیحة هی (بالبحر). و قد بدأت عساکر المسلمین فی ذلک التاریخ غزوات البحر ولکن الکلمة وردت خطأ بأقلام بعض النساخ بلنجر. و قد وردت الکلمة فی بعض المصادر بالبحر.

[۷۹] حیاة الامام الحسین علیه السلام للشیخ باقر القرشی ۶۷ – ۶۶ / ۳. نقلاـ عن الارشاد / ۲۶۴. و تأریخ ابن‌الاثیر ۱۷۷ / ۳. و انساب الأشراف ق ۱ / ۱. و الدر العظیم / ۱۶۷.

[۸۰] مقتل الحسین علیه السلام للمقرم / ۲۳۵ – ۲۳۴.

[۸۱] البقرة / ۱۴۳.

[۸۲] الاحزاب / ۲۱.

[۸۳] الاحزاب / ۶.

[۸۴] الحشر / ۷.

[۸۵] الجمعة / ۲.

[۸۶] الانعام / ۹۰ – ۸۹.

[۸۷] هود / ۱۲۰.

[۸۸] الممتحنة / ۴.

[۸۹] الممتحنة / ۶.

[۹۰] الاحزاب / ۲۱.

[۹۱] بحارالأنوار ۵۱ / ۲۱، و مقاتل الطالبیین / ۸ – ۷، طبعة النجف، المکتبة الحیدریة ۱۳۸۵ ه.

[۹۲] الکهف / ۱۰۴ – ۱۰۳.

[۹۳] اصول الکافی ۵۷ / ۲.

[۹۴] شرح نهج‌البلاغة ۲۸۲ – ۲۸۱ / ۲.

[۹۵] نهج‌البلاغة، د. صبحی الصالح ۸ / خ ۳۶.

[۹۶] نهج‌البلاغة، د. صبحی الصالح / ص ۵۳۲ خ ۳۲۳.

[۹۷] الاحزاب / ۲۳.

[۹۸] آل عمران / ۱۶۹.

[۹۹] التوبة / ۳۸.

[۱۰۰] القمر / ۱۲ – ۱۱.

[۱۰۱] القمر / ۱۵.

[۱۰۲] القمر / ۲۱ – ۱۹.

[۱۰۳] الانفال / ۱۲.

[۱۰۴] الاعراف / ۱۲۸.

[۱۰۵] التوبة / ۱۱۱.

[۱۰۶] آل عمران / ۱۶۹.

[۱۰۷] التوبة / ۱۱۲ – ۱۱۱.

[۱۰۸] الجامع لأحکام القرآن للقرطبی ۲۶۷: ۸.

[۱۰۹] بناء علی أن تکون الآیة مکیة و الأرجح أنها مدنیة.

[۱۱۰] الدر المنثور ۲۸۰ / ۳.

[۱۱۱] الدر المنثور ۲۸۰ / ۳.

[۱۱۲] الدر المنثور ۲۸۰ / ۳.

[۱۱۳] کتب هذا البحث أیام الحرب العراقیة الایرانیة.

[۱۱۴] البقرة / ۲۴۵.

[۱۱۵] صحیح البخاری / کتاب الأحکام / باب البیعة، و صحیح مسلم / کتاب الامارة / باب البیعة علی السمع و الطاعة ۲۹ / ۶. دارالفکر.

[۱۱۶] مسند أحمد بن حنبل ۱۷ / ۲ و ۱۴۲.

[۱۱۷] صحیح مسلم / کتاب الامارة / باب استحباب مبایعة الامام ۲۷ / ۶. دارالفکر.

[۱۱۸] الفتح / ۱۰.

[۱۱۹] تراجع تفاصیل هذه البیعات فی کتاب«معالم المدرستین»للعلامة المحقق السید مرتضی العسکری ۸۹ – ۸۸ / ۱.

[۱۲۰] سیرة ابن‌هشام ۷۵ / ۲. ط. مصطفی البابی الحلبی.

[۱۲۱] سیرة ابن‌هشام ۸۵ – ۸۴ / ۲.

[۱۲۲] امتاع الأسماع للمقریزی ۲۹۱ – ۲۷۴. و یراجع ابن‌هشام ۳۳۰ / ۳، ط. مصطفی البابی الحلبی. و قد نقلنا نصوص البیعة کلها من کتاب معالم المدرستین عن المصادر التی أشرنا الیها فی الهامش.

[۱۲۳] البقرة / ۲۱۴.

[۱۲۴] الحج / ۴۰.

[۱۲۵] البقرة / ۱۹۳.

[۱۲۶] التوبة / ۱۱۱.

[۱۲۷] الجامع الصحیح لمسلم ۴۴ / ۶، کتاب الأمارة / باب ثبوت الجنة للشهید. دارالفکر – بیروت.

[۱۲۸] الجامع الصحیح لمسلم ۴۵ / ۶، کتاب الامارة / باب ثبوت الجنة للشهید.

[۱۲۹] تأریخ الطبری ۲۴۱ / ۶.

[۱۳۰] مقتل المقرم / ۲۳۸.

[۱۳۱] صحیح مسلم ۴۳ / ۶.

[۱۳۲] التوبة / ۸۹ – ۸۸.

[۱۳۳] التوبة / ۱۱۱.

[۱۳۴] الاحزاب / ۷۱.

[۱۳۵] المائدة / ۱۱۹.

[۱۳۶] التوبة / ۷۲.

[۱۳۷] المؤمن / ۹.

[۱۳۸] یونس / ۶۴ – ۶۳.

[۱۳۹] لست ارید أن أقول ان الجنة هی مبایعة الله تعالی و تسلیم الأنفس و الأموال لله، و انما ارید ان أقول: ان المبایعة لله هی الفوز العظیم فیتحد البیع و الثمن؛ و الجنة هی الدار التی أعدها الله تعالی فی الآخرة للفائزین الصالحین من عباده.

[۱۴۰] التوبة / ۱۱۲.

[۱۴۱] آل عمران / ۱۷۵ – ۱۶۹.

[۱۴۲] الانفال / ۲۴.

[۱۴۳] بحارالأنوار ۲۵۸ / ۵۱.

[۱۴۴] العنکبوت / ۶۴.

[۱۴۵] الانشقاق / ۶.

[۱۴۶] بحارالأنوار ۱۰ / ۱۰۰.

[۱۴۷] بحارالأنوار ۶۱ / ۷۴.

[۱۴۸] القمر / ۵۵ – ۵۴.

[۱۴۹] مفاتیح الجنان / ۱۵۸. مناجاة الأئمة علیهم‌السلام فی شعبان.

[۱۵۰] بحارالأنوار ۱۴۷ / ۹۴.

[۱۵۱] تفسیر البصائر ۳۹۱ / ۴۲.

[۱۵۲] بحارالأنوار ۵۴ / ۲۱ نقلا عن الخرائج ۱۸۸.

[۱۵۳] تهذیب الأحکام ۱۲۲ / ۶.

[۱۵۴] آل عمران / ۱۷۰.

[۱۵۵] القصص / ۶ – ۵.

[۱۵۶] التوبة / ۱۲۰.

[۱۵۷] بحارالأنوار ۶۱ / ۷۴. الکافی ۳۴۸ / ۲. و باختلاف یسیر. وسائل الشیعة / ۱۰ / ۱۱. و التهذیب ۴۱ / ۲. و الخصال ۸ / ۱. و مستدرک الوسائل ۲۴۲ / ۲. و الفروع ۳۴۲ / ۱.

[۱۵۸] سنن الترمذی ۱۸۸ – ۱۸۷ / ۴، الحدیث ۱۶۶۳، و قریب من هذا المضمون فی سنن ابی‌ماجه ۹۳۶ – ۹۳۵ / ۲ الحدیث ۲۷۹۹.

[۱۵۹] بحارالأنوار ۱۱ / ۱۰۰. عن الخصال ۳۰ / ۲. و بمضمونه بطریق آخر سنن ابن‌ماجه ۹۳۴ / ۲ الحدیث ۲۷۹۴. و مستدرک وسائل الشیعة ۲۴۴ / ۲.

[۱۶۰] مستدرک وسائل الشیعة ۲۴۴ / ۲.

[۱۶۱] مستدرک وسائل الشیعة ۲۴۵ / ۲.

[۱۶۲] تحف العقول / ۱۷۶.

[۱۶۳] صحیح البخاری ۱۱۲ / ۲، کتاب الجهاد. الترغیب و الترهیب ۳۱۱ / ۲. سنن الترمذی ۱۷۶ / ۴. مستدرک الوسائل ۲۴۳ / ۲.

[۱۶۴] صحیح البخاری ۱۱۲ / ۲. و الترغیب و الترهیب ۳۱۱ / ۲.

[۱۶۵] صحیح مسلم بن الحجاج ۴۳ / ۶ طبعة دار الفکر.

[۱۶۶] صحیح مسلم بن الحجاج ۴۴ / ۶ طبعة دار الفکر.

[۱۶۷] نفس المصدر السابق.

[۱۶۸] صحیح البخاری ۱۱۵ / ۲ و الترغیب و الترهیب ۳۱۳ / ۲.

[۱۶۹] الظاهر انه عبدالله بن مسعود رحمه الله.

[۱۷۰] صحیح مسلم بن الحجاج ۳۹ – ۳۸ / ۶ طبعة دار الفکر. و رواه ابن‌ماجة فی السنن ۹۳۶ / ۲ الحدیث ۲۸۰۱ و قریب منه عن کعب بن مالک فی الترغیب و الترهیب ۳۱۶ / ۲.

[۱۷۱] شرح نهج البلاغة لابن ابی الحدید ۳۰۶ / ۱.

[۱۷۲] بحارالأنوار ۱۲ / ۱۰۰، نقلا عن قرب الاسناد / ۳۱، و الخصال ۱۰۲ / ۱.

[۱۷۳] بحارالأنوار ۱۰ / ۱۰۰ نقلا عن الخصال ۳۱ / ۱.

[۱۷۴] بحارالأنوار ۱۴ / ۱۰۰.

[۱۷۵] بحارالأنوار ۱۵ / ۱۰۰. نقلا عن نوادر الراوندی / ۵.

[۱۷۶] بحارالأنوار ۱۳ – ۱۲ / ۱۰۰. نقلا عن صحیفة الامام الرضا ۲۸ – ۲۶. طبعة المعاهد بمصر. و مستدرک الوسائل ۲۴۳ – ۲۴۲ / ۲.

[۱۷۷] العنکبوت / ۲، ۱.

[۱۷۸] شرح نهج‌البلاغة لابن أبی‌الحدید ۱۵۷ / ۹. و نهج‌البلاغة لصبحی الصالح / ۲۲.

[۱۷۹] شرح نهج‌البلاغة لابن أبی‌الحدید ۲۰۶ / ۹.

[۱۸۰] شرح نهج‌البلاغة لابن أبی‌الحدید ۹۳ / ۶.

[۱۸۱] بحارالأنوار ۲۳۹ / ۴۲.

[۱۸۲] شرح نهج‌البلاغة لابن أبی‌الحدید ۶ / ۱۷.

[۱۸۳] صحیح مسلم ۴۵ / ۶، طبعة دار الفکر، و رواه الترمذی فی السنن ۱۸۶ / ۴ الحدیث ۱۶۵۹.

[۱۸۴] صحیح مسلم ۴۵ / ۶ ط دار الفکر، و رواه البخاری و عنهما المنذری فی الترغیب و الترهیب ۳۱۶ / ۲.

[۱۸۵] صحیح مسلم ۴۶ / ۶ طبعة دار الفکر و الترغیب و الترهیب ۳۱۳ - ۳۱۲ / ۲.

[۱۸۶] کنز العمال ۴۰۶ / ۴ حدیث ۱۱۱۳۵ طبعة دار الفکر، و الترغیب و الترهیب ۳۱۱ / ۲.

[۱۸۷] الترغیب و الترهیب ۳۱۱ / ۲.

[۱۸۸] کنز العمال ۴۰۷ / ۴ حدیث ۱۱۱۴۱.

[۱۸۹] الترغیب و الترهیب ۲۲۲ / ۲.

[۱۹۰] الترغیب و الترهیب ۲۲۳ / ۲. و کنز العمال ۳۹۷ / ۴ الحدیث ۱۱۰۹۹.

[۱۹۱] الترغیب و الترهیب ۳۱۸ / ۲، و رواه الطبرانی و قال المنذری فی الترغیب اسفاه حسن.

[۱۹۲] الترغیب و الترهیب ۳۱۹ - ۳۱۸ / ۲. و قریب منه فی کنز العمال ۳۹۸ / ۴ الحدیث ۱۱۱۰۴.

[۱۹۳] الترغیب و الترهیب ۳۲۰ / ۲.

[۱۹۴] الترغیب و الترهیب ۳۲۴ - ۳۲۳ / ۲.

[۱۹۵] الترغیب و الترهیب ۳۲۴ / ۲.

[۱۹۶] الترغیب و الترهیب ۳۲۵ - ۳۲۴ / ۲.

[۱۹۷] الترغیب و الترهیب ۳۲۸ - ۳۲۷ / ۲.

[۱۹۸] کنز العمال ۳۹۷ / ۴ الحدیث ۱۱۱۰۰.

[۱۹۹] کنز العمال ۳۹۹ / ۴ الحدیث ۱۱۱۰۹.

[۲۰۰] کنز العمال ۴۱۰ / ۴ الحدیث ۱۱۱۵۳.

[۲۰۱] الخصائص الحسینیة / ۱۷۸ - ۱۷۷.

[۲۰۲] مقتل العوالم / ۵۴.

[۲۰۳] مقتل الحسین / للسید عبدالرزاق المقرم / ۱۳۹.

[۲۰۴] أمالی الصدوق / ص ۹۳ / المجلس ۱۹۳.

[۲۰۵] اللهوف / ص ۱۷.

[۲۰۶] هذا فی تاریخ الطبری ۲۰۰ / ۶، و فی اللهوف / ۲۱«یکنی أبارزین»، و فی مثیر الاحزان / ص ۱۲«أرسله مع ذراع السدوسی».

[۲۰۷] تاریخ الطبری ۲۰۰ / ۶.

[۲۰۸] مثیر الاحزان / ۱۳.

[۲۰۹] هذا فی مثیر الاحزان، و عند الطبری و ابن‌الأثیر مسعود بن عمرو و قال ابن‌حزم فی جمهرة أنساب العرب / ص ۲۱۸: کان عباد بن مسعود بن خالد بن مالک النهشلی سیدا و اخته لیلی بنت مسعود تحت علی بن أبی‌طالب ولدت له أبابکر قتل مع الحسین و عبدالله کان مع مصعب ابن‌الزبیر علی المختار و قتل یوم هزیمة أصحاب المختار و ذکرنا فی (زید الشهید) ص ۱۰۱ طبع ثانی نصوص المؤرخین فی قتله بالمذار من سواد البصرة و لم یعلم قاتله. و فی الخرایج للراوندی فی معجزات علی علیه السلام وجد مذبوحا فی

فسطاطه و لم یعلم ذابحه.

[۲۱۰] مثیر الاحزان / ص ۱۳. و اللهوف / ص ۲۱.

[۲۱۱] تاریخ الطبری ۱۹۸ / ۶.

[۲۱۲] ذخیرة الدارین / ص ۲۲۴.

[۲۱۳] اللهوف / ۳۳ و ابن نما / ۲۰. و المقرم / ۱۷۳.

[۲۱۴] فی معجم البلدان: الحاجر ما یمسک الماء من شفة الوادی و فیه، ج ۴ ص ۲۹۰، بطن الرمة منزل لأهل البصرة اذا أرادوا المدینة، و فیه تجتمع أهل الکوفة و البصرة. و فی تاج العروس ج ۳ ص ۱۳۶ الحاجر مکان بطریق مکة.

[۲۱۵] فی روضة الواعظین لعلی بن محمد الفتال النیسابوری ص ۱۵۲ یقال بعثه مع عبدالله بن یقطر و یجوز انه أرسل الیهم کتابین أحدهما مع عبدالله بن یقطر و الآخر مع قیس بن مسهر و فی الاصابة ج ۳ ص ۴۹۲ بعد أن ذکر نسب قیس قال: و کان مع الحسین لما قتل بالطف و هو اشتباه، فان ابن‌زیاد قتله بالکوفة.

[۲۱۶] فی معجم البلدان ج ۳ ص ۴۵۱: خفان موضع قرب الکوفة و هو عین علیا قریة لولد عیسی ابن موسی الهاشمی، و فیه ج ۷ ص ۱۳۵ القطقطانة بالضم ثم السکون قرب الکوفة تبعد عن الرهیمة نیفا و عشرین میلا.

[۲۱۷] تاریخ الطبری ۳۲۴ / ۶، و البدایة ۱۶۸ / ۸، و الارشاد للمفید، و روضة الواعظین / ص ۱۵۲، و أعلام الوری / ص ۱۳۰۶.

[۲۱۸] الارشاد للمفید / ج ۲ ص ۷۱.

[۲۱۹] روضة الواعظین، و الارشاد، و فی میزان الاعتدال ۱۵۱ / ۲.

[۲۲۰] تاریخ الطبری ۲۹۰ / ۷.

[۲۲۱] الملهوف / ۶۴.

[۲۲۲] بلنجر: من بلاد الترک، غزاهم المسلمون و أصحاب النبی صلی الله علیه وآله، و أنه فی سنة ۲۲ ه. و فی القمقام بلنجر بفتح الموحدة و اللام و سکون النون و جیم مفتوحة وراء مدینة ببلاد الخزر خلف باب الأبواب، قالوا: فتحها عبدالرحمن بن ربیعة و قال البلاذری سلمان (أی فتحها سلمان) بن ربیعة الباهلی و تجاوزها و لقیه خاقان فی جیشه خلف بلنجر فاستهشد هو و أصحابه و کانوا أربعة آلاف و کان فی أول الأمر قد خافهم الترک، و قالوا ان هؤلاء ملائکة لا یعمل فیهم السلاح فاتفق أن ترکیا اختفی فی غیضه (یعنی بیشه) و رشق مسلما بسهم فقتله، فنادی فی قومه، ان هؤلاء یموتون کما تموتون فلم تخافونهم فأجروا علیهم و أوقعوهم حتی استشهد عبدالرحمن بن ربیعة، و أخذ الرایة أخوه و لم یزل یقاتل حتی امکنه دفن أخیه بنواحی بلنجر و رجع ببقیة المسلمین علی طریق جیلان و قتل سلمان بن ربیعة و أصحابه، و کانوا ینظرون فی کل لیلة نورا علی مصارعهم فأخذوا سلمان بن ربیعة و جعلوه فی تابوت فهم یستسقون به اذا فحطوا«منه». و احتمل أن الکلمة (بالبحر) و لیس (بلنجر) و قد أخطأ النساخ فی کتابة الکلمة. و قد بدأ المسلمون فی ذلک التاریخ بغزوات البحر.

[۲۲۳] نفس المهموم / للسید عباس القمی / ۱۸۲ - ۱۸۰.

[۲۲۴] الأخبار الطوال: ص ۲۴۹.

[۲۲۵] خزانة الأدب / للبغدادی ۲۹۸ / ۱ ط. بولاق. و أنساب الأشراف ۲۹۱ / ۵.

[۲۲۶] نفس المهموم / ص ۱۰۴.

[۲۲۷] أسرار الشهادة / ص ۲۳۳.

[۲۲۸] الأخبار الطوال / ص ۲۴۹.

[۲۲۹] أمالی الصدوق / ص ۹۴ (المجلس ۳۰).

[۲۳۰] خزانة الأدب ۲۹۸ / ۱.

[۲۳۱] مقتل الخوارزمی ۲۲۸ / ۱ و ذکره الدینوری فی الأخبار الطوال / ص ۲۵۸.

[۲۳۲] مقتل الحسین / للسید عبدالرزاق المقرم: ۲۰۵ - ۲۰۲.

[۲۳۳] مقتل الحسین / للسید عبدالرزاق المقرم: ۱۹۵.

[۲۳۴] الطبری ۲۲۹ / ۶. و مقتل الحسین / للمقرم: ص ۱۹۸.

[۲۳۵] فی النسخ: عمرو.

[۲۳۶] فی النسخ: عمرو.

[۲۳۷] کتاب الفتوح لابن الأعثم الکوفی: ج ۱۶۲ - ۱۵۹ / ۵، ط ۱.

[۲۳۸] نفس المهموم: ص ۲۰۷، البحار ۳۸۲ / ۴۴.

[۲۳۹] یونس / ۷۱.

[۲۴۰] الاعراف / ۱۹۶.

[۲۴۱] تاریخ الطبری ۲۴۲ / ۶.

[۲۴۲] مقتل محمد بن أبی‌طالب.

[۲۴۳] بالفاء الموحدة فیما رواه ابن نما فی مثیر الأحزان: ص ۲۶، و هو أصح مما یمضی علی الألسن، و یوجد فی بعض المقاتل بالقاف من الاقرار لأنه علی هذا تکوین الجملة الثانیة غیر مفیدة الا ما أفادته التی قبلها، بخلاف علی ما قراءة«الفرار»فان الجملة الثانیة تفید أنه لا یفر من الشدة و القتل ما یصنعه العبید، و هو معنی غیر ما تؤدی الیه الجملة التی قبلها، علی أنه یوجد فی کلام أمیرالمؤمنین ما یشهد له، ففی تاریخ ابن الأثیر: ج ۳ ص ۱۴۸، و شرح نهج البلاغة: ج ۱ ص ۱۰۴ المطبعة الأمیریة. أن أمیرالمؤمنین قال فی مصقلة بن هبیرة لما فر الی معاویة: ما له فعل فعل السید و فر فرار العبد و خان خیانة الفاجر؟

[۲۴۴] مقتل الحسین للسید عبدالرزاق المقرم: ۲۵۷ - ۲۵۴.

[۲۴۵] تذکرة الخواص: ص ۱۴۳.

[۲۴۶] بالکسر فالفتح«تاج العروس».

[۲۴۷] نقلناها من اللهوف: ص ۵۴، و رواها ابن العساکر فی تاریخ الشام: ج ۴ ص ۳۳۳، و الخوارزمی فی المقتل: ج ۲ ص ۶.

[۲۴۸] اللهوف: ص ۵۷.

[۲۴۹] الحدائق الوردیة (مخطوط).

[۲۵۰] الملهوف: ص ۱۰۲.

[۲۵۱] الملهوف: ص ۱۰۳.

[۲۵۲] هذا کلامه علیه السلام الذی ساقه: ألست ابن بنت نبیکم، ألم یبلغکم قول جدی فی و فی أخی«هذان سیدا شباب أهل الجنة»ان لم تصدقونی فاسألوا جابرا و زید بن أرقم و أباسعید الخدری، ألیس جعفر الطیار عمی؟ فناداه شمر: الساعة تردد الهاویة. فقال الحسین علیه السلام: الله أکبر أخبرنی جدی رسول الله صلی الله علیه وآله فقال: رایت کان کلبا ولغ فی دماء أهل بیتی و ما اخالک الا ایاه. فقال شمر: أنا أعبد الله علی حرف ان کنت أدری ما تقول. فالتفت الحسین فاذا بطفل له - الخ«منه». تذکره الخواص ۱۴۳.

[۲۵۳] تذکرة الخواص / ص ۱۴۳.

[۲۵۴] تاریخ الطبری ۲۴۳ / ۶.

[۲۵۵] الزرقاء جدة مروان و کانت من البغایا المعروفات. الفخریة: ۸۸.

[۲۵۶] مقتل الحسین للسید عبدالرزاق المقرم، عن الطبری و ابن الأثیر، و الارشاد، و أعلام الوری، و مثیر الأحزان لابن نما الحلی.

[۲۵۷] ارشاد المفید.

[۲۵۸] القصص / ۲۲.

[۲۵۹] تاریخ ابن العساکر ۳۲۸: ۴.

[۲۶۰] انظر نصیحة محمد بن الحنفیة للحسین علیه السلام فی المدینة - الکامل فی التاریخ لابن الأثیر ۷: ۴، و نصیحته له فی مکة - البحار ۴۴: و نصیحة عبدالله بن جعفر الطیار له بالامتناع عن الخروج الی العراق - الطبری ۲۱۹: ۶، و نصیحة عبدالله بن العباس له - الکامل فی التاریخ لابن الأثیر ۱۶: ۴، و نحن نشک فی صدق کل هؤلاء فی نصیحتهم للحسین علیه السلام، و لا نشک أن الحسین علیه السلام لم یکن یخفی علیه هذا الوجه من الرأی.

[۲۶۱] تاریخ الطبری ۳۱۴: ۷، و الکامل فی التاریخ لابن الأثیر ۱۵: ۴.

[۲۶۲] تاریخ الطبری ۱۹۱: ۶، و أنساب الأشراف ۱۵: ۴.

[۲۶۳] الکامل فی التاریخ لابن الأثیر ۱۶: ۴.

[۲۶۴] مقتل الحسین للسید عبدالرزاق المقرم / ص ۱۷۲، و المنتخب / ص ۱۷۲.

[۲۶۵] تاریخ الطبری ۲۷۶ - ۲۷۵ / ۷.

[۲۶۶] العقد الفرید ۳۷۷ / ۴.

[۲۶۷] الارشاد / ۲۰۱.

[۲۶۸] المائدة / ۵۵.

[۲۶۹] النساء / ۵۹.

[۲۷۰] الأنفال / ۷۲.

[۲۷۱] الأنفال / ۷۴.

[۲۷۲] وسائل الشیعة ۵۴۳ / ۸.

[۲۷۳] وسائل الشیعة ۶۱۱ / ۸.

[۲۷۴] وسائل الشیعة ۶۱۳ / ۸.

[۲۷۵] مسند أحمد بن حنبل ۴۹۱ / ۲.

[۲۷۶] سنن الترمذی ۳۲۵ / ۴، ح ۱۹۲۷.

[۲۷۷] مسند أحمد بن حنبل ۴: ۵ و ۵.

[۲۷۸] الکافی، الفروع ۲۷۳: ۷، و وسائل الشیعة ۲: ۱۹.

[۲۷۹] بحار الأنوار ۲۴۲: ۶۸.

[۲۸۰] مشکاة المصابیح / ص ۱۴ - ۱۲.

[۲۸۱] الأنفال / ۷۲.

[۲۸۲] وسائل الشیعة ۵۶۰ / ۱۱.

[۲۸۳] صحیح البخاری ۲ / کتاب المظالم باب ۵.

[۲۸۴] بحارالأنوار ۱۷ / ۷۵ عن قرب الاسناد / ص ۲۶.

[۲۸۵] بحارالأنوار ۲۱ / ۷۵ عن نوادر الراوندی / ص ۲۱.

[۲۸۶] بحار الأنوار ۱۷ / ۷۵ عن آمالی الصدوق / ص ۲۹۱.

[۲۸۷] بحارالأنوار ۲۰ / ۷۵ عن ثواب الأعمال / ۱۳۳.

[۲۸۸] یقول السید عبدالرزاق المقرم: ان القصر ینسب الی مقاتل بن حسان بن ثعلبة یقع بین عین التمر و القطقطانة و القربات، خربه عیسی بن علی بن عبدالله بن العباس ثم جدده.

[۲۸۹] مقتل الحسین / لعبدالرزاق المقرم / ۲۰۴ - ۲۰۲ نقلا عن آمالی الصدوق، المجلس ۳۰، و خزانة الأدب ۲۹۸ / ۱.

[۲۹۰] الخصائص الحسینیة / للسید جعفر التستری / ص ۱۸۶.

[۲۹۱] الشعر و الشعراء / لابن قتیبة / ص ۵۷۲.

[۲۹۲] صحیح البخاری ۱۸۱ / ۴ (کتاب الفتن) ط مصر ۱۲۸۶ ه.

[۲۹۳] صحیح البخاری ۱۸۱ / ۴ (کتاب الفتن) ط. مصر ۱۲۸۶ ه.

[۲۹۴] هود / ۱۱۳.

[۲۹۵] الشعراء / ۱۵۲ - ۱۵۱.

[۲۹۶] الکهف / ۲۸.

[۲۹۷] النساء / ۶۰.

[۲۹۸] النور / ۵۱.

[۲۹۹] الحجرات / ۱۴.

[۳۰۰] النساء / ۱۳.

[۳۰۱] آل عمران / ۳۲.

[۳۰۲] آل عمران / ۱۳۲.

[۳۰۳] النساء / ۵۹.

[۳۰۴] النور / ۵۴.

[۳۰۵] الشعراء / ۱۵۰ و ۱۵۱.

[۳۰۶] التوبة / ۲۴.

[۳۰۷] البقرة / ۱۶۵.

[۳۰۸] محمد / ۷.

[۳۰۹] الحج / ۴۰.

[۳۱۰] اصول الکافی ۱۸ / ۲.

[۳۱۱] نفس المصدر السابق.

[۳۱۲] آل عمران: ۹۷.

[۳۱۳] اصول الکافی: ج ۲ ص ۱۸، و بحارالأنوار ۳۳۳ - ۳۳۲: ۶۸.

[۳۱۴] التوبة / ۱، و، ۳.

[۳۱۵] الانفال / ۷۲.

[۳۱۶] التوبة / ۷۱.

[۳۱۷] رواهما عن رسول الله صلی الله علیه وآله مسلم فی صحیحه ۴ / ۸ دار الفکر.

[۳۱۸] رواهما عن رسول الله صلی الله علیه وآله مسلم فی صحیحه ۴ / ۸ دار الفکر.

[۳۱۹] بحارالأنوار ۳۹۹ / ۷۴.

[۳۲۰] آل عمران / ۲۸.

[۳۲۱] النساء / ۱۴۴.

[۳۲۲] المائدة / ۵۱.

[۳۲۳] التوبة / ۲۳.

[۳۲۴] راجع البحث القیم الذی کتبه سماحة آیة الله السید علی الخامنئی ولی أمر المسلمین حفظه الله. بعنوان (الولایة).

[۳۲۵] الزمر / ۲۹.

[۳۲۶] یوسف / ۳۹.

[۳۲۷] الوافی ۲۲ / ۳.

[۳۲۸] البقرة / ۱۲۴.

[۳۲۹] ص / ۲۶.

[۳۳۰] الانبیاء / ۷۲ و ۷۳.

[۳۳۱] البقرة / ۲۵۷.

[۳۳۲] الزخرف / ۵۴.

[۳۳۳] النساء/ ۷۶.

[۳۳۴] البقرة/ ۱۲۰.

[۳۳۵] الانفال / ۳۹ و ۴۰.

[۳۳۶] التقی الحسین علیه السلام فی مسیره الی العراق بمنزل الصفاح بالفرزدق بن غالب الشاعر، فسأله عن خبر الناس خلفه فقال الفرزدق: قلوبهم معک و السیوف مع بنی‌امیة فقال الحسین علیه السلام و القضاء ینزل من السماء، و کل یوم ربنا فی شأن ان نزل القضاء، بما نحب فنحمد الله علی نعمائه و هو المستعان علی أداء الشکر، و ان حال القضاء دون الرجاء فلم یعتد من کان الحق نسبه و التقوی سریرته. مقتل الحسین للمقرم / ۱۸۲، نقلا عن الطبری ۲۱۸ / ۶، و ابن‌الأثیر ۱۶ / ۴.

[۳۳۷] الفتح / ۲۹.

[۳۳۸] البقرة / ۱۳۶.

[۳۳۹] البقرة / ۲۸۵.

[۳۴۰] تاریخ الطبری ۲۲۳: ۶.

[۳۴۱] مقتل الحسین للسید عبدالرزاق للمقرم رضی الله عنه: ص ۱۲۷ ط النجف.

[۳۴۲] مقتل الحسین للسید عبدالرزاق المقرم: ص ۲۳۸.

[۳۴۳] مثیر الأحزان: ص ۵۶.

[۳۴۴] تاریخ الطبری: ۶ ص ۲۴۱.

[۳۴۵] انظر مرآة الجنان للیافعی ۱۳۲ / ۱. روایات السید المهزبان.

[۳۴۶] مقتل الحسین للخطیب الخوارزمی ۳۹ / ۲.

[۳۴۷] زیارة وارث.

[۳۴۸] زیارة وارث.

[۳۴۹] النحل / ۱۲۰.

[۳۵۰] زیارة وارث.

[۳۵۱] زیارة وارث.

[۳۵۲] حلیة الأولیاء لأبی نعیم ۳۹ / ۲.

[۳۵۳] تاریخ الطبری ۲۲۹ / ۶.

[۳۵۴] الاحزاب / ۳۳.

[۳۵۵] آل عمران / ۳۲. (حماة الوحی) للشیخ شهاب الدین الاشرافی و الشیخ محمد موحدی فاضل فی تفسیر هذه الآیة الکریمة و علاقتها بامامة أهل البیت علیهم‌السلام ص ۱۶۸ - ۱۷۶.

[۳۵۶] زیارة وارث.

[۳۵۷] زیارة وارث.

[۳۵۸] زیارة وارث.

[۳۵۹] زیارة وارث.

[۳۶۰] انظر زیارة الحسین الخاصة لیوم عرفة، و زیارة عاشوراء.

[۳۶۱] زیارة الأربعین.

[۳۶۲] الزیارة المخصوصة لأول من رجب.

[۳۶۳] خصال الصدوق ۵۲ / ۲. و قد ورد فی رسالة رسول صلی الله علیه وآله الی النجاشی ملک الحبشة: (و انی أدعوک الی الله وحده، و لا شریک له، و الموالاة علی طاعته، و أن تتبعنی و تؤمن بالذی جاءنی انی رسول الله). (مکاتیب الرسول / ۱۲۰). و فی رسالته صلی الله علیه وآله الی أسقف نجران: (انی أدعوکم الی عبادة الله عن عبادة العباد، و أدعوکم الی ولایة الله عن ولایة العباد، فان أتیتم لا جزیة، و ان ابیتم آذنتکم بحرب). (مکاتیب الرسول / ۱۷۰)..

[۳۶۴] المحاسن / ۱۶۵. و بحارالأنوار ۵۷ / ۲۷.

[۳۶۵] فقه الرضا / ۵۱. و بحارالأنوار ۵۷ / ۲۷.

[۳۶۶] بحارالأنوار ۵۸ / ۲۷.

[۳۶۷] بحارالأنوار ۵۸ / ۲۷.

[۳۶۸] الخصال ۱۵۳ / ۲ و ۱۵۴. و بحارالأنوار ۵۲ / ۲۷.

[۳۶۹] التغیر للامام العسکری / ۸، معانی الأخبار / ۱۱۳.

[۳۷۰] اخرجه الحافظ أبونعیم فی (حلیة الأولیاء) ۸۶ / ۱، و أخرجه الحافظ الخطیب البغدادی فی تأریخه ۴۱۰ / ۴.

[۳۷۱] زیارة وارث.

[۳۷۲] زیارة وارث المطلقة. و بأختلاف یسیر عن زیارة عاشوراء المخصوصة.

[۳۷۳] زیارة عاشوراء المخصوصة.

[۳۷۴] زیارة عاشوراء المخصوصة.

[۳۷۵] الزیارة المطلقة الثانیة.

[۳۷۶] الزیارة المطلقة السابعة.

[۳۷۷] الزیارة المخصوصة لليلة القدر و ليلة العيدين.

[۳۷۸] الانفال / ۴۱.

[۳۷۹] القصص / ۵ و ۶.

[۳۸۰] الصافات / ۱۷۳ – ۱۷۱.

[۳۸۱] الروم / ۴۷.

[۳۸۲] غافر / ۵۱.

[۳۸۳] المائدة / ۵۶.

[۳۸۴] النساء / ۴۵.

[۳۸۵] محمد / ۷.

[۳۸۶] الاحزاب / ۲۲.

[۳۸۷] التوبة / ۱۶.

[۳۸۸] البقرة / ۲۱۴.

[۳۸۹] الانفال / ۸ – ۷.

[۳۹۰] آل عمران / ۱۴۲ – ۱۳۹.

[۳۹۱] اخرجه الحاكم فی المستدرک / ج ۴ ص ۴۶۴ و ص ۵۵۳، و المتقی فی کنزالعمال / ج ۷ ص ۱۸۷، و ابن‌ماجة فی سننه / ج ۲ ص ۵۱۸ و ص ۲۶۹، و ابن‌حجر فی الصواعق المحرقة / ص ۱۰۰ هذا الحديث.

[۳۹۲] بحارالأنوار / ج ۵۱ ص ۸۳ ج ۵۲ ص ۲۴۳.

[۳۹۳] بحارالأنوار / ج ۶۰ / ص ۲۱۶.

[۳۹۴] البحار / ج ۶۰ ص ۴۴۶، ۲۱۶.

[۳۹۵] بحارالأنوار / ج ۶۰ ص ۲۱۳.

[۳۹۶] محمد / ۳۸.

[۳۹۷] تفسير الكشاف / ج ۴ ص ۳۳۱.

[۳۹۸] سورة التوبة / ۱۱۸.

[۳۹۹] وقعة صفين لنصر بن مزاحم / تحقيق عبدالسلام محمد هارون: ص ۳۲۲ – ۳۲۱.

[۴۰۰] تأريخ الطبری / طبعة ليدن: ج ۷ ص ۳۲۱.

[۴۰۱] تأريخ الطبری / الطبعة الاوربية: ج ۷ ص ۳۵۵ – ۳۵۴. و نفس المهموم للشيخ عباس القمی: ص ۳۰۰ – ۲۹۸.

[۴۰۲] ابصار العين / ص ۱۰۱.

[۴۰۳] آل عمران / ۱۴.

[۴۰۴] بينها: بعدها و زوالها عنهم.

[۴۰۵] ابتكرت: اصبحت، تبتكر أی تصيح.

[۴۰۶] نهج‌البلاغة / باب الحكم / الحكمة: رقم ۱۲۶.

[۴۰۷] نهج‌البلاغة / باب الحكم / الحكمة: رقم ۱۲۸.

[۴۰۸] مقتل الحسين عليه السلام للسيد عبدالرزاق المقرم / ص ۱۸۸.

[۴۰۹] حیاة الامام الحسین علیه السلام للشیخ القرشی: ج ۳ ص ۶۷.

[۴۱۰] التوبة / ۱۱۱.

[۴۱۱] مقتل الحسین علیه السلام للسید المقرم / منشورات مؤسسة البعثة – طهران –: ص ۱۶۶. و اللهوف علی قتلی الطفوف للسید ابن‌طاووس / ص ۳۳. و ابن‌نما / ص ۲۰.

[۴۱۲] آل عمران / ۹۷.

[۴۱۳] التوبة / ۱۱۱.

[۴۱۴] الحدید / ۱۱.

[۴۱۵] آل عمران / ۹۷.

[۴۱۶] فاطر / ۷.

[۴۱۷] الحدید / ۷.

[۴۱۸] الفتح / ۱۶.

[۴۱۹] القلم / ۳.

[۴۲۰] التین / ۶.

[۴۲۱] الانشقاق / ۷ و ۸.

[۴۲۲] الزمر / ۱۰.

[۴۲۳] النور / ۳۸ – ۳۷.

[۴۲۴] الاحزاب / ۲۳.

[۴۲۵] القمر / ۵۵.

[۴۲۶] یقول الضحاک: خیل«أصحابنا»و هو عازم علی مفارقتهم و الانفلات من مصیرهم، و أی صحبة یا تری بعد أن فارقهم و هجرهم الی دینه و عیاله و لحق بصاحبه مالک بن النضر الأرحبی؟؟!!.

[۴۲۷] تأریخ الطبری / الطبعة الاوربیة: ج ۷ ص ۳۵۵ – ۳۵۴. و نفس المهموم للشیخ عباس القمی: ص ۳۰۰ – ۲۹۸.

[۴۲۸] مجلة«عام الفکر»المجلد الرابع / العدد الأول / ص ۱۳: الحاضر ضمیر المستقبل، للدکتور العشماوی.

[۴۲۹] الحج / ۲۷.

[۴۳۰] علل الشرائع للصدوق / ص ۳۲۵، و وسائل الشیعة / ج ۵، ص ۳۷۷.

[۴۳۱] التهذیب للشیخ الطوسی / ج ۳، ص ۲۵.

[۴۳۲] کنز العمال / الحدیث ۱۰۳۱.

[۴۳۳] الشوری / ۱۳.

[۴۳۴] البقرة / ۱۳۶.

[۴۳۵] الأنبیاء / ۷۳ – ۷۲.

[۴۳۶] ما بین المعقوفتین زیادة من المصدر.

[۴۳۷] المحاسن / ص ۲۶۲.

[۴۳۸] نفس المصدر.

[۴۳۹] نفس المصدر.

[۴۴۰] بشارة المصطفی لشیعة المرتضی / ص ۷۵ - ۷۴، ط النجف ۱۳۸۳ ه.

[۴۴۱] ینبغی ألا نسیء فهم هذه الجملة و نفسرها بما لا یرید الکاتب، فاننی أقصد بهذا الکلام المحافظة علی الصور التی تختزنها ذاکرة الامة، و تتمتع باحترام و تقدیر خاص فی ضمیر الامة، و الاستفادة من هذه الصورة فی تحصین و حمایة القیم الحضاریة الاسلامیة.

[۴۴۲] روی أحد العلماء عن بعض السیاسیین، أن الانجلیز کانوا مندفعین بقوة للقضاء علی الاسلام فی ایران، و کانوا یعملون لاستبدال الحضارة الاسلامیة فی ایران فی عهد بهلوی بالحضارة الغربیة و ربط البلد بعجلة الحضارة الغربیة بشکل کامل... و لما توفی السید أبوالحسن الاصفهانی رحمه الله - أحد کبار مراجع التقلید فی النجف الأشرف - أحدثت وفاته هزة عمیقة فی کل ایران، و لبست ایران الحداد أربعین یوما لوفاة هذا العالم الجلیل، و أقیمت له مجالس العزاء علی مساحة واسعة جدا فی ایران... فبدأ الأنجلیز یراجعون حساباتهم من جدید فی امکان القضاء علی الاسلام بشکل کامل، فی بلد یهتز من أقصاه بهذا الشکل القوی العنیف لوفاة عالم من علماء الاسلام، فکیف یمکن القضاء علی الاسلام، و اجتثاث جذوره من قلوب و صدور هذه الامة. یقول هذا السیاسی، و هو کان من المرتبطین بعجلة الاستکبار الغربی: أن حادث وفاة السید أبوالحسن الأصفهانی رحمه الله أثر فی تخفیف الضغط المناوىء للاسلام من قبل الانجلیز علی ایران لفترة من الوقت.

[۴۴۳] مریم / ۵۹ - ۵۸.

[۴۴۴] الممتحنة / ۶.

[۴۴۵] الممتحنة/ ۴.

[۴۴۶] الاحزاب / ۲۱.

[۴۴۷] بحارالأنوار / ج ۲، ص ۲۶۱.

[۴۴۸] بحارالأنوار / ج ۲، ص ۲۶۱.

[۴۴۹] المصدر السابق / ص ۲۶۲.

[۴۵۰] المصدر السابق / ص ۲۶۲.

[۴۵۱] السباحة: الاصبع التی تلی الابهام.

[۴۵۲] بحارالأنوار / ج ۲ ص ۲۶۳.

[۴۵۳] بحارالأنوار / ج ۲، ص ۲۶۵.

[۴۵۴] بحارالأنوار / ج ۲، ص ۲۶۶.

[۴۵۵] بحارالأنوار / ج ۲، ص ۲۶۶.

[۴۵۶] بحارالأنوار / ج ۲، ص ۲۵.

[۴۵۷] سنن ابن‌ماجة / ج ۱، ص ۱۷، الحدیث ۴۵.

[۴۵۸] سنن ابن‌ماجة / ج ۱ ص ۷۶.

[۴۵۹] نقلا عن کتاب (علم الاجتماع) ل أ ج. آریان پور / ص ۴۷۹ - ۴۷۸.

[۴۶۰] الأعراف / ۲۸.

[۴۶۱] یونس / ۷۸.

[۴۶۲] الزخرف / ۲۲.

[۴۶۳] الزخرف / ۲۴ - ۲۳.

[۴۶۴] الروم / ۳۰.

[۴۶۵] معنی الفطرة: الخلق و الابداع، و معنی الآیة الکریمة علی هذا تکون کما یلی: لا تبدیل لخلق الله فی الکیفیة و الشکل الذی خلق الله الناس و أبدعهم علیها.

[۴۶۶] البقرة / ۱۳۸.

[۴۶۷] مجموعة ورام / ج ۲، ص ۱۱۷.

[۴۶۸] وسائل الشیعة / کتاب الأطعمة و الأشربة / ص ۲۳۶، عن المصدر السابق.

[۴۶۹] نقل سبط ابن‌الجوزی فی کتابه«تذکرة الخواص»ص ۲۱۸ ط النجف، عن الأصمعی، عن ابن‌اسحاق: ان ام‌مروان اسمها امیة، و کانت من البغایا فی الجاهلیة، و کان لها رایة مثل رایة البیطار تعرف بها، و کانت تسمی (ام جبتل الزرقاء)، و کان مروان لا یعرف له أب، و انما نسب الی الحکم کما نسب عمرو الی العاص.

[۴۷۰] مقتل الحسین علیه السلام للسید عبدالرزاق المقرم: ص ۱۲۸ - ۱۲۷، نقلا عن ابن‌الأثیر الکامل: ج ۴ ص ۶، و مقتل الخوارزمی: ج ۱ ص ۱۸۳، و الطبری: ج ۶ ص ۱۸۹، و مناقب ابن‌شهر آشوب.

[۴۷۱] نقل الخطبة السید عبدالرزاق المقرم فی مقتله: ص ۲۶۳ - ۲۶۲، عن اللهوف للسید ابن‌طاووس: ص ۵۴، و ابن‌عساکر فی تاریخ الشام: ج ۴ ص ۳۳۴، و الخوارزمی فی المقتل: ج ۳ ص ۶.

[۴۷۲] معجم رجال الحدیث لآیة الله السید الخوئی / ج ۱۴، ص ۲۸۱.

[۴۷۳] رجال النجاشی / ص ۲۲۹، الطبعة الحجریة.

[۴۷۴] رجال الکشی / ص ۴۹۴، طبعة النجف.

[۴۷۵] المصدر السابق.

[۴۷۶] المصدر السابق.

[۴۷۷] تنقیح المقال فی علم الرجال للعلامة المامقانی / ج ۲، حرف المیم، ص ۶۲.

[۴۷۸] آل عمران / ۱۴۲ - ۱۳۹.

[۴۷۹] القصص / ۶ - ۵.

[۴۸۰] النور / ۵۵.

[۴۸۱] الانشراح / ۶ - ۵.

[۴۸۲] الصافات / ۱۷۳ - ۱۷۱.

[۴۸۳] البقرة / ۲۴۹.

[۴۸۴] آل عمران / ۱۲۳.

[۴۸۵] التوبة / ۲۵.

[۴۸۶] نهج‌البلاغة / خطبة ۲۰۱.

[۴۸۷] الشوری / ۳۶.

[۴۸۸] طه / ۱۳۱.

[۴۸۹] نهج‌البلاغة / الکتاب رقم ۳۶.

[۴۹۰] الأحقاف / ۳۵.

[۴۹۱] هود / ۱۲۰.

[۴۹۲] الامامة و السیاسة / ص ۱۸۶. ط مصر - ۱۹۶۹ م.

[۴۹۳] الفتوح لابن الاعثم ۱۰ / ۵، و تاریخ الطبری ۲۱۶ / ۷. و قد ذکر ابن‌قتیبة فی الامامة و السیاسیة ان عامل المدینة حینذاک کان خالد بن الحکم، کتب الیه یزید یطلب منه أن یأخذ البیعة من الحسین علیه السلام. کتابه الامامة و السیاسة / ص ۲۰۳.

[۴۹۴] الطبری ۲۱۹ - ۲۱۶ / ۷. ط لیدن.

[۴۹۵] الفتوح ۱۹ - ۱۰ / ۵. ط حیدرآباد - ۱۹۶۸ م.

[۴۹۶] الزرقاء هی جدة مروان و کانت من البغایا المومسات ذوات الرایات.

[۴۹۷] الفتوح لابن الاعثم ۱۸ / ۵.

[۴۹۸] الامامة و السیاسة / ص ۲۰۵.

[۴۹۹] الفتوح لابن الاعثم ۳۲ / ۵. و المقتل للخوارزمی / ص ۱۸۸. و مقتل المقرم / ص ۱۳۴. ط ۲ النجف ۱۹۵۶ م. و نفس المهموم للشیخ عباس القمی / ۷۴.

[۵۰۰] اثبات الوصیة للمسعودی / ۱۴۲، ط. النجف / الحیدریة.

[۵۰۱] اللهوف / ص ۱۵، (ط. صیدا).

[۵۰۲] نفس المهموم / ص ۳۵۳. تحقیق الشیخ رضا استادی. ۱۴۰۵ ه - قم.

[۵۰۳] الطبری ۲۷۶ / ۷، الکامل لابن الأثیر ۲۸ / ۴.

[۵۰۴] الفتوح لابن الأعثم ۱۱۶ / ۵. مقتل الخوارزمی / ط المفید قم ۲ / ۸ باختلاف یسیر.

[۵۰۵] الارشاد للشیخ المفید / ص ۲۰۶. و فی روایة ابن الأثیر فی الکامل ۳۹ / ۴.«حتی یکونوا اذل من فرم المرأة»أو (الأمة فی بعض الروایات) و فرم المرأة: الخرقة التی تستعملها المرأة فی الحیض. راجع کذلک بحارالأنوار ۳۷۵ / ۴۴.

[۵۰۶] الکامل لابن الأثیر ۳۹ - ۳۸ / ۴. دار صادر بیروت ۱۹۶۵.

[۵۰۷] الکامل لابن الأثیر ۱۷ - ۱۶ / ۴.

[۵۰۸] تاریخ الطبری ۳۰۴ / ۴. و کذلک کتاب نفس المهموم للشیخ عباس القمی / ص ۱۹۴. و کذلک المقتل للسید عبدالرزاق المقرم / ص ۲۰۰. و کذلک بحارالأنوار ۳۶۹ / ۴۴. دار احیاء التراث - بیروت ۱۹۸۳ م.

[۵۰۹] اللهوف للسید ابن‌طاووس / ۱۳. و الفتوح لابن الأعثم ۲۴ / ۵. مقتل الخوارزمی / ۱۸۵ - ۱۸۴. و لیس فی المصدرین الاخیرین عبارة«و لقد سمعت جدی رسول الله». و مقتل المقرم / ص ۱۳۰.

[۵۱۰] تنکب عبدالله بن الزبیر عند مغادرة المدینة الجادة العامة التی یسلکها الناس. راجع الطبری ۲۲۰ - ۲۱۹ / ۷. و کذلک الارشاد للمفید / ص ۲۰۳ مکتبة بصیرتی قم.

[۵۱۱] الفتوح لابن الأعثم ۳۵ - ۳۴ / ۵. و کذلک مقتل الخوارزمی / ص ۱۸۹. و کذلک الطبری ۲۳۲ / ۷.

[۵۱۲] مقتل الخوارزمی / ص ۱۹۰.

[۵۱۳] الفتوح لابن الأعثم ۳۷ - ۳۶ / ۵.

[۵۱۴] مقتل الخوارزمی / ص ۱۹۰.

[۵۱۵] تاریخ الطبری ۳۱۴ / ۷.

[۵۱۶] الطبری ۲۷۶ / ۷. و کذلک الکامل ۳۸ / ۴.

[۵۱۷] مقتل المقرم / ۲۵۶، و قد أورد النص بعض أرباب المقاتل بصیغة«و لا أقر لکم اقرار العبید، و کذلک مثیر الاحزان / ۶۲، ط. النجف الحیدریة ۱۳۸۶، و فی رأینا ان النص الأول ارجح و أوفق الی موقف الامام.

[۵۱۸] وسائل الشیعة ۴۰۷ / ۶. دار احیاء التراث بیروت ۱۳۹۱ ه. عن تفسیر الامام العسکری.

[۵۱۹] وسائل الشیعة ۴۰۵ / ۶ و کذلک روضة الواعظین للفتال النیسابوری ۳۶۵ - ۳۶۴ / ۲ المطبعة الحیدریة النجف - ۱۳۸۶ ه. ق.

[۵۲۰] زیاره وارث.

[۵۲۱] الفتوح لابن الأعثم ۲۷ / ۵. و کذلک بحارالأنوار ۳۲۸ / ۴۴. مقتل الخوارزمی ۱۸۶ / ۱. و کذلک مقتل المقرم / ۱۳۰. و کذلک نفس المهموم / ۷۳.

[۵۲۲] مقتل الخوارزمی ۱۸۸ / ۱۰، و کذلک الفتوح لابن الأعثم ۳۴ - ۳۳ / ۵. و کذلک نفس المهموم / ۷۴. و کذلک معالم المدرستین ۶۱ / ۳؛ و کذلک بحارالأنوار ۳۲۹ / ۴۴.

[۵۲۳] الطبری ۲۴۰ / ۷، و کذلک مقتل المقرم / ۱۴۳ - ۱۴۲، و کذلک نفس المهموم / ۹۰.

[۵۲۴] البیضة: ما بین واقصة الی عذیب الهجانات. و هی أرض واسعة لبنی یربوع بن حنظلة.

[۵۲۵] تاریخ الطبری ۳۰۰ / ۷. و کذلک نفس المهموم / ۱۹۰. و کذلک مقتل المقرم / ۱۹۸ - ۱۹۷. و فی بحارالانوار و رواه باختلاف یسیر بعنوان کتاب بعثة الامام من کربلاء الی اشراف الکوفة ۳۸۲ - ۳۸۱ / ۴۴. و کذلک الفتوح لابن الأعثم ۱۴۴ - ۱۴۳ / ۵.

[۵۲۶] الطبری ۳۰۱ - ۳۰۰ / ۷ و کذلک بحارالأنوار ۳۸۱ / ۴۴. و کذلک نفس المهموم / ۱۹۱.

[۵۲۷] تاریخ الطبری ۲۷۷ / ۷. کذلک راجع الکامل لابن الأثیر ۴۰ / ۴ و البدایة و النهایة ۱۶۶ / ۸. و مقتل الخوارزمی ۲۲۰ / ۱. و نفس المهموم / ۱۷۲ - ۱۷۱. و مقتل المقرم / ۱۸۱.

[۵۲۸] مقتل الخوارزمی ۲۱۶ / ۱، و کذلک الفتوح لابن الأعثم ۱۱۲ - ۱۱۱ / ۵.

[۵۲۹] الفتوح لابن الأعثم ۱۱۱ - ۱۱۰ / ۵، و باختلاف یسیر مقتل الخوارزمی ۲۱۶ / ۱.

[۵۳۰] مقتل الخوارزمی ۲۲۱ - ۲۲۰ / ۱، و کذلک مثیر الاحزان لابن نما / ۳۱، و کذلک المقتل للمقرم / ۱۸۳ - ۱۸۲.

[۵۳۱] تاریخ الطبری ۲۷۸ - ۲۷۷ / ۷. و کذلک بحارالأنوار ۳۶۵ / ۴۴. و کذلک ارشاد المفید / ۲۱۸. و کذلک مقتل المقرم / ۱۸۲. و الکامل ۴۰ / ۴. و کذلک الفتوح لابن الأعثم ۱۲۴ / ۵ و النص للأول و بین النصوص اختلاف یسیر.

[۵۳۲] الکامل ۴۰ / ۴. و کذلک الطبری ۲۷۹ / ۷. و کذلک الفتوح لابن الأعثم ۱۱۵ / ۵. و کذلک الارشاد للمفید / ۲۱۹ مکتبة بصیرتی - قم.

[۵۳۳] الملهوف / ۵۶. و کذلک بحارالأنوار ۳۶۴ / ۴۴. و کذلک نفس المهموم / ۱۶۵ - ۱۶۴ و کذلک مقتل المقرم / ۱۷۴.

[۵۳۴] بحارالأنوار ۳۳۱ / ۴۴. و قریبا من هذا المضمون فی اثبات الوصیة / ۱۴۱. و نفس المهموم / ۷۷. و مقتل المقرم / ۱۳۵.

[۵۳۵] الفتوح لابن الأعثم ۲۸ - ۲۷ / ۵. و قد أورد هذه الروایة آخرون کالمقتل للخوارزمی فی ۱۸۷ - ۱۸۶ / ۱. و المجلسی فی البحار ۳۲۸ / ۴۴. و کذلک نفس المهموم / ۷۳ - ۷۲. و کذلک مقتل المقرم / ۱۳۱ - ۱۳۰. و روی الروایة أیضا فی معالم المدرستین ۱۸۶ - ۱۸۵ / ۲. ط ۱۴۰۵، ۱ ه.

[۵۳۶] بحارالأنوار ۳۶۷ - ۳۶۶ / ۴۴. و کذلک اللهوف / ۵۳ - ۵۲. و کذلک نفس المهموم / ۱۶۳. و کذلک معالم المدرستین ۱۹۹ / ۲. و کذلک لواعج الأشجان للسید محسن الأمین: مکتبة بصیرتی ۶۳. و کذلک الوثائق الرسمیة لثورة الحسین / ۷۷ و ۷۸. دار التعارف للمطبوعات.

[۵۳۷] اللهوف / ۵۷. و کامل الزیارات / ۷۵. و المقتل للمقرم / ۴۸. و نفس المهموم / ۷۵ و فی الروایات اختلاف یسیر فی النص.

[۵۳۸] کامل الزیارات / ۷۵. المطبعة المرتضویة فی النجف ۱۹۵۶ و کذلک مثیر الأحزان للجواهری / ۴۸.

[۵۳۹] الفتوح لابن الأعثم ۱۳۷ - ۱۳۵ / ۵. و کذلک الارشاد للمفید / ۲۲۵ - ۲۲۴. و نفس المهموم / ۱۹۰ - ۱۸۸. الا ان روایة

الارشاد حددت المرتین قبل صلاة الظهر و بعد صلاة العصر من نفس الیوم، و اتبعه فی ذلک الشیخ عباس القمی فی نفس المهموم.

[۵۴۰] الکامل ۴۰ / ۴. و کذلک الطبری ۲۷۹ / ۷. و البدایة لابن کثیر ۱۶۳ / ۸. و کذلک الارشاد للمفید / ۲۱۹. و کذلک بحارالأنوار ۳۶۶ / ۴۴. و کذلک مقتل المقرم / ۱۷۵ – ۱۷۴، و کذلک مقتل الخوارزمی ۲۱۸ / ۱. و کذلک لواعج الأشجان / ۷۷ و ۷۸.

[۵۴۱] الطبری ۲۹۰ / ۷. و کذلک بحارالأنوار ۳۷۱ / ۴۴. و کذلک نفس المهموم / ۱۷۹. و کذلک معالم المدرستین ۲۰۲ / ۲. و جاء فی المصدر السابق ۶۳ / ۳«لا یهابون بعدک أحدا أبدا».

[۵۴۲] کامل الزیارات لابن‌قولویه / ۷۵، الباب الثالث و العشرون. و کذلک اللهوف / ۵۷، و کذلک مقتل المقرم / ۴۸. و کذلک نفس المهموم / ۷۵.

[۵۴۳] الخصائص الحسینیة للشیخ جعفر التستری / ۴۴. المطبعة الحیدریة فی النجف ۱۹۵۶ م).

[۵۴۴] مقتل المقرم / ۴۸. عن أمالی الشیخ الطوسی / ۶۶. مکتبة الداوری – قم.

[۵۴۵] مریم / ۹۶.

[۵۴۶] تفسیر المیزان ۱۱۵ / ۱۴ ط. بیروت.

[۵۴۷] قد سمعت هذه المأثورة کثیرا، و لم أعثر علیها فی مظانها من کتب الحدیث.

[۵۴۸] الانفال/ ۲۴.

[۵۴۹] بحارالأنوار ۵۸ / ۷۰ أوردت الروایة بالمضمون و نص الروایة (یشتهی الشیء بسمعه و بصره و لسانه و یده. أما أنه لا یغشی شیئا منها و ان کان یشتهیه، فأنه لا یأتیه الا و قلبه منکر لا یقبل الذی یأتی العرف ان الحق لیس فیه).

[۵۵۰] بحارالأنوار ۱۹۷ / ۷۸.

[۵۵۱] طه / ۳۹.

[۵۵۲] طه / ۵۰.

[۵۵۳] البقرة / ۱۲۴.

[۵۵۴] الانعام / ۹۰.

[۵۵۵] الأحزاب / ۲۱.

[۵۵۶] الممتحنة / ۴.

[۵۵۷] الجمعة / ۲.

[۵۵۸] آل عمران / ۱۶۴.

[۵۵۹] المائدة / ۵۵.

[۵۶۰] النساء / ۸۰.

[۵۶۱] النساء / ۶۹.

[۵۶۲] النساء / ۵۹.

[۵۶۳] الاحزاب / ۲۱.

[۵۶۴] البقرة / ۱۴۳.

[۵۶۵] راجع من التفاسیر تفسیر نمونه ۳۵۵ / ۱، و المنار ۵ / ۲.

[۵۶۶] تفسیر السید الطباطبائی فی المیزان ۳۲۳ – ۳۲۰ / ۲ ط. بیروت الشهادة هنا بمعنی تلقی الشهادة و أداءها الی الله یوم القیامة کما یقرب من هذا المنحی الشیخ البلاغی فی (آلاء الرحمن) / ۱۳۳ مطبعة العرفان – صیدا – ۱۹۳۳ م و تفسیر الکاشف ۱۲۴ / ۱ و ۳۵۳ /

۵.

[۵۶۷] الحج/ ۷۸ – ۷۷.

[۵۶۸] الطارق / ۹.

تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فی سَبیلِ اللَّهِ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱).

قالَ الإمامُ علیّ بْنُ موسَی الرِّضا – علَيهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْيَا أمْرَنَا... َ يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ يُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنادِرُ البِحار – فی تلخیص بحار الأنوار، للعلاّمة فیض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُیونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشّیخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷).

مؤسّس مُجتمَع "القائمیّة" الثّقافیّ بأصبَهانَ – إیرانَ: الشهید آیة الله "الشمس آباذی" – رَحِمَهُ اللهُ – کان أحداً من جَهابذة هذه المدینة، الذی قدِ اشتهَرَ بشَغَفِهِ بأهل بَیت النبیّ (صلواتُ اللهِ علَیهِم) و لاسیَّما بحضرة الإمام علیّ بن موسَی الرِّضا (علیه السّلام) و بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرجَهُ الشَّریفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درایته، فی سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجریّة الشمسیّة (=۱۳۸۰ الهجریّة القمریّة)، مؤسَّسةً و طریقةً لم یَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَی و أحسَنِ مَوقِفٍ کلَّ یوم.

مرکز "القائمیّة" للتحرِّی الحاسوبیّ – بأصبَهانَ، إیرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجریّة الشمسیّة (=۱۴۲۷ الهجریّة القمریّة) تحتَ عنایة سماحة آیة الله الحاجّ السیّد حسن الإمامیّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّیجی الحوزات العلمیّة و طلاب الجوامع، باللیل و النهار، فی مجالاتٍ شتّی: دینیّة، ثقافیّة و علمیّة...

الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشیعة و تبسیط ثَقافة الثَّقَلَین (کتاب الله و اهل البیت علیهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزیز دوافع الشّباب و عموم الناس إلی التّحَرِّی الأدَقّ للمسائل الدّینیّة، تخلیف المطالب النّافعة – مکانَ البَلاتیثِ المبتذلة أو الرّدیئة – فی المحامیل (=الهواتف المنقولة) و الحواسیب (=الأجهزة الکمبیوتریّة)، تمهید أرضیّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافیّةٍ علی أساس معارف القرآن و أهل البیت –علیهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققین و الطّلاّب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِجِ العلوم الإسلامیّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهیل رفع الإبهام و الشُّبُهات المنتشرة فی الجامعة، و...

– مِنها العَدالة الاجتماعیّة: التی یُمکِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحدیثة متصاعدةً، علی أنّه یُمکِن تسریعُ إبراز المَرافِق و التسهیلاتِ – فی آکناف البلد – و نشرِ الثّقافةِ الاسلامیّة و الإیرانیّة – فی أنحاء العالَم – مِن جِهةٍ أُخرَی.

– من الأنشطة الواسعة للمرکز:

الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ کتبٍ، کتیبة، نشرة شهریّة، مع إقامة مسابقات القِراءة

ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقیقیّة و مکتبیة، قابلة للتشغیل فی الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثّلاثیّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّکة و... الأماکن الدینیّة، السیاحیّة و...

د) إبداع الموقع الانترنتی "القائمیّة" www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِعَ أُخرَ

ه) إنتاج المُنتَجات العرضیّة، الخَطابات و... للعرض فی القنوات القمریّة

و) الإطلاق و الدَّعم العلمیّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعیّة، الاخلاقیّة و الاعتقادیّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴)

ز) ترسیم النظام التلقائیّ و الیدویّ للبلوتوث، ویب کشک، و الرّسائل القصیرة SMS

ح) التعاون الفخریّ مع عشراتِ مراکزَ طبیعیّة و اعتباریّة، منها بیوت الآیات العِظام، الحوزات العلمیّة، الجوامع، الأماکن الدینیّة کمسجد جَمکرانَ و...

ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفيذ مشروع "ما قبلَ المدرسة "الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِكين فى الجلسة

ى) إقامة دورات تعليميّة عموميّة و دورات تربية المربّى (حضوراً و افتراضاً) طيلة السَّنَة

المكتب الرّئيسىّ: إيران/أصبهان/ شارع "مسجد سيّد/ "ما بينَ شارع "پنج رَمَضان "ومُفترَق "وفائى/ "بناية "القائميّة"

تاريخ التأسيس: ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجرية القمريّة)

رقم التسجيل: ۲۳۷۳

الهويّة الوطنيّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البريد الالكترونى: Info@ghaemiyeh.com

المَتجَر الانترنتى: www.eslamshop.com

الهاتف: ۲۵-۲۳۵۷۰۲۳- (۰۰۹۸۳۱۱)

الفاكس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱)

مكتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱)

التّجاريّة و المَبيعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور المستخدمين ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحَظة هامّة:

الميزانيّة الحاليّة لهذا المركز، شَعبيّة، تبرّعيّة، غير حكوميّة، و غير ربحيّة، اقتُنِيَت باهتمام جمع من الخيّرين؛ لكنّها لا تُوافِى الحجمَ المتزايد و المتّسِعَ للامور الدّينيّة و العلميّة الحاليّة و مشاريع التوسعة الثّقافيّة؛ لهذا فقد ترجَّى هذا المركزُ صاحِبَ هذا البيتِ (المُسمَّى بالقائميّة) و مع ذلك، يرجو مِن جانب سماحة بقيّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرَجَهُ الشَّريفَ) أن يُوفّقَ الكلَّ توفيقاً متزائداً لِإعانتهم - فى حدّ التّمكّن لكلّ احدٍ منهم – إيّانا فى هذا الأمر العظيم؛ إن شاءَ اللهُ تعالى؛ و اللهُ وليّ التوفيق.

مرکز القائمیة للبحوث والتخریبات الکمبیوتریة
اصبهان
WWW
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹